جامعة القاهرة
كليـــة دار العلـوم

الاتجاهات النحوية في الأندلس
وأثرها في تطور النحو

رسالة دكتوراه
يقدمها
أمين علي علي السيد

* * *
* *
*

١٣٨٣ هـ ١٩٦٤ م

" بسم الله الرحمن الرحيم "

الحمد لله الذي هدى ، والصلاة والسلام على رسوله الذي اصطفى • وبعد

فان علم النحو من أهم ما أنتجه الفكر العربي ، إذ به تستقيم الألسنة ، وتصحّ الأساليب ، ويصبح المرء قادرا على الابانة والافهام • وقد اتجهت همم مشكورة من قبل الى ابراز معالمه في مهده الأول في البصرة ، ثم في وطنه الثاني في الكوفة ، وبقى نحو المجتمع الأندلسي ، وبقيت " الاتجاهات النحوية في الأندلس " كنزا عزيزا تتطلع العقول الى اكتناه حقيقته ، والوقوف على خصائصه ، وظلت هذه الاتجاهات حلقة مفقودة من حلقات البحث في النحو العربي •

من أجل ذلك قدمت بحثي عن :

" الاتجاهات النحوية في الأندلس وأثرها في تطوير النحو "

راجيا أن أكون قد وفقت الى القاء الضوء على هذه الدراسات النحوية في تلك البلاد في ذلك التاريخ البعيد •

وأن أكون قد وفقت في التعريف بجمهرة الأعلام من النحاة الذين خلدهم التاريخ ، وفي إبراز سماتهم ، وبيان ما كان لكل منهم من فضل في تنمية النحو وتطويره • وفي لفت أنظار العلماء الى مؤلفاتهم التي قضى عليها أو على كثير منها بأن يظل قابعا في ركن من أركان دور الكتب يرجع اليها الدارسون حينا ويغفلون أمرها في كثير من الأحيان • راجيا أن تأخذ حقها من التحقيق وأن تنال ما هي أهل له من ذيوع وانتشار •

وقد كان لابد من تقديم تاريخي لهذا البحث • نوهت فيه باقبال أهل هذه البلاد على التعلم والاغتراف من معين الثقافة العربية الفياض ، وأشرت الى ما قدموا من تضحيات في سبيل العلم ، وما احتملوا من عناء في رحلاتهم الى بلاد المشرق ، مهد العلم الذي نما فيها غرسه وقوى عوده •

ثم تحدثت عن مكانة اللغة العربية واستيلائها على مشاعر هؤلاء القوم من أسلم منهم ومن بقى على دينه ، وبينت أنها سحرتهم بما فيها من غذاء روحي وثقافي يشبع العاطفة والعقل معا •

أما النحو فكان عندهم كما ذكرت المراجع المختلفة في نهاية من علو الطبقة •

وحين شرعت في الحديث عن النحو ألمعت الى سبب وضعه ، ثم عرجت على حاجة الأندلسيين اليه ، وأشرت الى ما اتسم به النحاة الأندلسيون من النبوغ في الأدب والبراعة في التأديب والقضاء ، وفي معرض بيان نشاطهم العلمي ألمعت بما نالت كتب النحو المشرقية من عنايتهم وخصصت بالذكر كتاب الكسائي الذي كان أول ما نقل من كتب هذا العلم اليهم ، وكتاب سيبويه الذي نال من جهدهم ما يستحق الثناء والاطراء ، وكتاب جمل الزجاجي الذي شاع بينهم أمره وعلا عندهم قدره . وانتفعوا به أعظم النفع .

وفي عجالة قصيرة أشرت الى الجهود التي سبقت اليها في التعريف بمدارس النحو فذكرت مدرسة البصرة النحوية التي ألفها الدكتور عبد الرحمن السيد ، كما ذكرت مدرسة الكوفة التي ألفها الدكتور مهدي المخزومي ، ثم أشرت الى مدرسة بغداد التي جمع علماؤها بين دراسة النزعتين ، وحاولوا التوفيق بين المذهبين وقد درسها في رسالة قيمة الأستاذ الدكتور إبراهيم نجا ، الوكيل السابق لجامعة الأزهر .

ولما بدأت الحديث عن الاتجاهات النحوية في الأندلس وأثرها في تطوير النحو قسمت مدة الحكم الاسلامي هناك إلى ثلاثة عصور . سميت العصر الأول منها عصر الجمع والتكوين وقصرت الحديث فيه على القرون الأربعة الأولى بعد الفتح الاسلامي ، وقد أمضاها العلماء في جمع العلوم العربية ، وعلى رأسها النحو وفي دراستها والتعمق فيها ، على أن هذه الفترة لم تقتصر على هذا بل وجدت من علمائها من ألف في علم النحو ، وكان عدد هؤلاء يقارب الثلاثين ، ولم يحرم البحث في هذه المدة من مؤلفات في علم النحو وصلت الينا ، تعرضتها بين ماعرضت من تراث هذه البلاد وعرفت بأصحابها وباتجاهاتهم في التأليف والتعليم .

ولقبت العصر الثاني بالعصر الذهبي للنحو الأندلسي ، وجعلت مدته قرنين من الزمان هما القرنان السادس والسابع الهجريان ، إذ ظهر في هذين القرنين أئمة أعلام في هذه البلاد ، كان لهم أثر محمود في النهوض بمستوى الدراسات النحوية تعليما وتأليفا ويكفي أن أثبت هنا أني لم أستطع الاحاطة بأعلام هذين القرنين كلهم وأني قد تخيرت جل الذين عرفت بهم ممن وصلت إلينا بعض مؤلفاتهم النحوية ، ومن أجل ذلك كان باب البحث في هذا الموضوع متسعا ينتظر عشرات من الباحثين ليمتعوا أنفسهم ويمتعوا الأمة العربية بإنتاج ترائع هذا السلف العظيم في المهجر الأندلسي ، وقد

كانت المراجع التى استعنت بها على التعريف بهؤلاء الأعلام فى جملتها من المخطوطات أو من المصورات التى استدعت الجهد الكبير فى سبيل جمع المادة منها . ولم يكن هؤلاء الذين بسطت الحديث عنهم كابن السيد وابن الطراوة وابن مضاء وابن خروف والصفار والشلوبين وتلميذيه ، ابن الضائع واللبلى ، والجزولى وشراح مقدمته وشروحهم ، وابن عصفور — لم يكونوا وحدهم أعلام النحاة فى هذا العصر أو أكثرهم مؤلفات ، وانما كانوا من أصحاب المؤلفات والآراء التى وصلت إلينا .

ثم كان الحديث عن عصر التشتت والتفرق وقد ذكرت كثيرين . منهم العلامة أبو حيان أشهر نحاة هذا العصر الذى كان يستأهل وحده أن تكتب فيه البحوث وأن تشكل الجماعات لتحقيق كتبه الكثيرة .

ثم ختمت البحث بالحديث عن مصادر النحو وأدلته وعلله فى الأندلس ، كما ألمحت الى من سبقنى فى اثبات أصالة المذهب الأندلسى فى النحو ، وذكرت نقلا من كلامهم .

وقد وجدت أنه من الضرورى أن نعيد النظر فى الطرق التى يدرس بها النحو فى المستويات الجامعية " فالدراسة النحوية فى مختلف المراجع يعوزها ضرورة تتبع المسائل النحوية وكيف تصور فى كل مرجع ، ويعوزها كذلك التتبع التاريخى والتدرج المكمل لكل مسألة من تلك المسائل " كما يقرر ذلك أستاذنا الكبير عبد السلام هارون رئيس قسم النحو بكلية دار العلوم فى مقدمة كتابه " الأساليب الانشائية فى النحو العربى " .

ولا أستطيع أن أنهى كلمتى قبل أن أذكر بالثناء والحمد ما لقيته من أستاذنا الكبير عبد السلام هارون من رعاية وتوجيه وما غمرنى به من عون وتشجيع وما يسره لى من مراجع وكتب مما كان له أكبر الفضل فى أن جاء بحثى على هذه الصورة التى وفقت اليها وأعنت عليها .

كما لا يفوتنى عميق شكرى لكل من أسدى الى يدا أو قدم لى مساعدة أو كان له فضل فى انجاز هذه الرسالة . والله يتولانا وإياهم انه نعم المولى ، ونعم النصير ..

فهرس الموضوعات

١ ـ حكام الأندلس قبل الفتح :

لم تعرف بلاد الأندلس قبل الفتح الاسلامي حياة الاستقرار والطمأنينة ، كما لم تعرف تلك البلاد شيئا من المدنية والحضارة ، ولم تذق طعم العدالة والانصاف في عصر من العصور التي تحدثنا عنها تاريخها القديم .

لقد حكمها قبل المسلمين حكام عديدون ، اختلفت أجناسهم وألوانهم ، وتعددت نزعاتهم ومشاربهم ، وفدوا اليها من بلاد مختلفة ، ولكنهم جميعا ينخرطون في سلك واحد ، ويتميزون بطابع واحد ، من حيث معاملة المحكومين ومن حيث أسلوب الحكم الذي كانت ترزح تحت نيره هذه البلاد .

ذلكم هو القهر والغلبة ، والاستبداد والظلم من طبقة الحكام للمحكومين أو بالأحرى من الغزاة الفاتحين للمغلوبين المقهورين من أهل البلاد ، فقد تعاقب على حكمها أقوام أذاقوا أهلها عذاب الهون ، حتى استغاثوا بغيرهم فلم يكن المحدثون بأقل ظلما من الغابرين ، ولم يكن أهل الأندلس الا كمن يستجير من الرمضاء بالنار ، وربما تسرب كثير من الشك الى تاريخ هؤلاء الذين سبقوا القوط الى بلاد الأندلس ، فقد قال ابن عذارى (١) :

" ان أول من نزلها بعد الطوفان قوم يعرفون بالأندلش ـ بشين معجمة ـ فسميت بهم الأندلس ـ بالسين غير المعجمة ـ وقيل : انهم كانوا مجوسا فأراد الله تلفهم فيها فحبس المطر عنهم حتى غاضت مياههم وعيونهم وأنهارهم ، وخرجوا منها وافترقوا في البلاد ... ثم دخلها قوم من الأفارقة ، أجلاهم صاحب افريقية من الجوع ... ثم غلبت عليهم الأشبانية حتى أخرجوهم عن الملك ... وهجم عجم رومة فكانوا ملوكا ... وظهر دين النصرانية وغلب .

ثم كان دخول الشترلقات من رومة ... ثم ظهر بأشبيلية أشبان وكان رجلا ضعيفا حراثا توقف به الخضر (ع . م) وهو يحرث وقال له : اذا غلبت على أهلها فارفق بأولاد الأنبياء ، فقال له : كيف يكون هذا وأنا ضعيف من غير بيت ملك ؟ فقال له :

---

(١) البيان المغرب ٢ : ١ ـ ٣

نفح الطيب ١ : ١٣٠ ـ ١٣٤ .

يقدر ذلك من قدر فى عصاك ما قدر . فلما نظر الى عصاه اذا بها قد أورقت فقد فرخ وقاب منه الخضر .

وقع ذلك بنفس أشبان ، فلم يزل يصطنع الرجال حتى علا اسمه وذكره وتغلب على الأندلس ، فخرج فى السفن الى ايليا ، فغنمها وهدمها ، وقتل فيها مائة ألف من اليهود ، وباع منهم مائة ألف ... وقال : ان أشبان اسمه أصبهان ، لأنه ولد بأصبهان فسمى بها ، والله أعلم " .

وقد قال مؤرخون آخرون أقوالا أخرى ، بعضها تتفق مع مايقول ابن عذارى ، وبعضها تختلف عما يقول ، ولكن المؤكد فى كل ذلك حادث الطوفان ، فهو حق واقع ، الا أن أحدا من المؤرخين لايستطيع أن يجزم بما كان من أمر عمارة الدنيا ونظامها بعد هذا الحادث ، فقد تعوزهم الأدلة المادية التى يجب أن يضعها المؤرخ نصب عينيه .

وحديث ابن عذارى عن أول من نزل هذه البلاد بعد الطوفان وما بعده من هذه الأساطير التاريخية حديث تعوزه الأدلة كذلك .

" ثم دخل القوط الى الأندلس فى القرن الخامس الميلادى فاستأثروا بمزايا الغلبة والسيادة ، وتمتعوا بأحرار الاقطاع والضياع الواسعة ، وكان سواد الشعب شبه أرقاء للسادة عليهم حق الحياة والموت وليس لهم الا الحرمان والبؤس ، يعانون أمر ضروب الظلم والعسف والارهاق ، والسخرة فى ضياع السادة ، فلم يكن الشعب سوى كتلة مهيضة من طبقة فقيرة ، ومع كل هذه المغارم الفادحة كان على الشعب عبء الحرب والدفاع عن الوطن (١) " .

" وكانت أسبانيا عندما دخلها القوط متحلة العرا ، غارقة فى ألوان من الترف الفاجر والنعيم الذى يسلب الرجولة ، ومثل هذا العيث وذلك الفجور ذهبت ريح الرومان قبلهم ... فقد علم الرومان من سكان أسبانيا حتى العلم ما يجر وراءه غزو المتوحشين من نكبات وأوزار ، فكم رأوا مدائنهم والنار تلتهمها التهاما ، وكم رأوا زوجاتهم وأولادهم يساقون الى الذل والأسر ، وكم رأوا قوادهم يقتلون صبرا ،

---

(١) دولة الاسلام فى الأندلس ١ : ٢٤ ، ٢٥

رأوا عواقب هذه الحروب ولمناتيها ، وما يتصل بأذيالها من الطواعين والمجاعات والقحط وشيوع الفوضى الضاربة ، وعلمتهم هذه الكوارث درسا لم ينسوه فألقوا القياد للقسوط خاضعين ... هكذا كانت أسبانيا حين اقترب المسلمون من حدودها : طبقة فاسدة مفسدة من الأغنياء ، قسمت الأرض بينها لبورعها المبيد ، وأحلاس الأرض البائسون البائسون ، ثم طبقة من سكان المدن لم يبق لها الظلم والعسف رطبا ولا يابسا(١) ".

٢ـ كلمة الأندلس :

سبقت الاشارة الى أن أصل هذه الكلمة كان بالشين المعجمة ، ثم زال عنها الاعجام فصارت بالسين المهملة ، ولكن هذه الكلمة قد ذكرت في كتب الأدب وكتب اللغة وكتب التاريخ منذ زمن قديم :

أ ـ وأول من رأيته يتحدث عنها فيمن ذكروا هو الجاحظ فقد قال أبو محمد الحسن ابن عمرو النجيرمي قال : كنت بالأندلس فقيل لي : ان هاهنا تلميذا لأبي عثمان الجاحظ يعرف بسلام بن يزيد ، ويكنى أبا خلف ، فأتيته ، فرأيت شيخا هما " فانيا " فسألته عن سبب اجتماعه مع أبي عثمان ، ولم يقع أبو عثمان الى الأندلس فقال : كان طالب العلم بالمشرق يشرف عند ملوكنا بلقاء أبي عثمان فانحدرت اليه ... قال : من أين ؟ قلت : من الأندلس ، فقال : طينة حمقاء ... قال : فأقمت عليه عشرين سنة(٢).

وهكذا رأيت الجاحظ يذكر هذه الأبيات في كتاب الحيوان(٣) : وأنشد أبو عبيدة قول الشاعر :

سألت الناس عن أيرفقالوا	بأندلس وأندلس بعيد
كأني بعد سكن مضرحي	أطاب جناحه عنت شديد
فقد طمحت عتاق الطير فيه	وكانت من عقيرته تحيد

---

(١) قصة العرب في أسبانيا : ٥ ـ ٩ .
(٢) معجم الأدباء ١٦ : ١٠٤ .
(٣) الحيوان ٧ : ٦١

وكذلك ذكرها فى قوله (١) :

" وكم من حاذق بصناعته ، وكثير الجولان فى تجارته ، وقد بلغ فرغانة مرة ، والأندلس مرة ، ونقب فى البلاد ، وربح فى الآفاق "

٢ـ ثم رأيت ابن جنى يذكرها فى معرض التصريف وبيان ماله نظير وما ليس له نظير فيقول (٢) :

" .. وأما ان لم يقم الدليل ، ولم يوجد النظير فان تحكم مع عدم النظير ، وذلك كقولك فى الهمزة والنون من " أندلس " : انهما زائدتان ، وان وزن الكلمة بهما " انفعل " وان كان مثالا لانظير له ، وذلك أن النون لامحالة زائدة ، لأنه ليس فى ذوات الخمسة شىء على (فعلل) فتكون النون فيه أصلا لوقوعها موقع العين ، واذا ثبت أن النون زائدة فقد برد فى يدك ثلاثة أحرف أصول وهى الدال واللام والسين ، وفى أول الكلمة همزة ، ومتى وقع ذلك حكمت بكون الهمزة زائدة ولا تكون النون أصلا والهمزة زائدة لأن ذوات الأربع لاتلحقها الزوائد من أوائلها الا فى الأسماء الجارية على أفعالها ، نحو مدحرج وبابه مفقد وجب اذا أن الهمزة والنون زائدتان وأن الكلمة بهما على وزن " أنفعل " وان كان هذا مثالا لانظير له ."

٣ـ وفى معجم البلدان لياقوت الحموى (٣) :

الأندلس يقال بضم الدال وفتحها وضم اللام ليس الا ، وهى كلمة عجمية لم تستعملها العرب فى القديم ، وانما عرفتها العرب فى الاسلام ، وقد جرى على الألسن أن تلزم الألف واللام وقد استعمل حذفها فى شعر ينسب الى بعض العرب ، فقال عند ذلك :

سألت القوم عن أنس فقالوا ؛ بأندلس وأندلس بعيد

وأندلس بناء بناء مستنكر : فتحت الدال أو ضمت ، واذا حملت على قياس التصريف وأجريت مجرى غيرها من العربى فوزنها " فعللل " أو " فعلل " وهما بناءان مستنكران

---

(١) الحيوان ٢ : ١٠٣ (٢) الخصائص جـ ١ ص ١٩٨ .

(٣) معجم البلدان جـ ١ ص : ٢٦٢ ـ ٢٦٤ .

ليس في كلامهم مثل سفرجل ولا مثل سفرجل ، فان ادعى مدع أنها " فنعلل " فليس في أبنيتهم أيضا ويخرج عن حكم التصريف ، لأن الهمزة اذا كانت بعد ثلاثة أحرف من الأصل لم تكن الا زائدة ، وعند سيبويه أنها اذا كان بعدها أربعة أحرف فهي من الأصل كهمزة اصطبل واصطخر ، ولو كانت عربية لجاز أن يدعى لها أنها " أنفعل " وان لم يكن له نظير في كلامهم فيكون من الدلس والتدليس ، وان الهمزة والنون زائدتان كما زيدتا في إنْقَحْل وهو الشيخ المسن ذكره سيبويه وزعم أن الهمزة والنون فيه زائدتان وأنه لا يعرف ما في أوله زائدتان ما ليس جاريا على الفعل غيره .

قال ابن حوقل التاجر الموصلي وكان قد طوف البلاد وكتب ما شاهده :

أما الأندلس فجزيرة كبيرة فيها عامر وغامر ، طولها نحو الشهر في نيف وعشرين مرحلة تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والرخص والسعة في الأحوال وعرض الخليج الخارج من البحر المحيط قدر اثني عشر ميلا بحيث يرى أهل الجانبين بعضهم بعضا ويتبينون زروعهم وبيادرهم . قال : وأرض الأندلس من على البحر تواجه من أرض المغرب تونس والى طبرقة الى جزائر بني مزغناى ، ثم الى نكور ثم سبتة ثم الى أزيلى ثم الى البحر المحيط ، وتتصل الأندلس في البر الأصغر ... قال بعض من لا علم له يعتقد أن الأندلس يحيط بها البحر في جميع أقطارها لكونها تسمى جزيرة ، وليس الأمر كذلك ، وانما سميت جزيرة بالغلبة كما سميت جزيرة العرب وجزيرة أقور وغير ذلك ..

قلت : ولولا خوف الاضجار والاملال لبسطت القول في هذه الجزيرة فوصفها كثير وفضائلها جمة ، وفي أهلها أئمة وعلماء وزهاد ولهم خصائص كثيرة ومحاسن لا تحصى ... "

٢ــ وقال السيوطي بعد أن تحدث عما لا نظير له (١) :

" مثاله : أندلس فان همزته ونونه زائدتان فوزنه أنفعل ، وهو مثال لا نظير له ، لكن قام الدليل على ما ذكرنا لأن النون زائدة لا محالة ، اذ ليس في ذوات الخمسة

---

(١) [illegible] ٧٣

شيء على فعلل فتكون النون فيه أصلا لوقوعها موقع العين ، وإذا ثبت زيادة النون بقى فى الكلمة ثلاث أحرف أصول : الدال واللام والسين ، وفى أولها همزة ، ومتى وقع ذلك حكمت بزيادة الهمزة ، ولا تكون النون أصلا والهمزة زائدة ، لأن ذوات الأربعة لا تلحقها الزيادة من أولها الا فى الأسماء الجارية على أفعالها نحو مدحرج وبابه ، فقد وجب اذن أن الهمزة والنون زائدتان وأن الكلمة بهما على وزن " أنفعل " وان كان مثالا لانظير له :

هـ — وفى دائرة المعارف الاسلامية (١) :

الأندلس : الاسم العربى لشبه جزيرة أيبيريا ، كان أول ظهوره عند العرب وأصله مشوب ببعض الغموض ، شأنه فى ذلك شأن الاسمين القديمين : أيبيريا عند اليونان وأسبانيا عند الرومان . ويجدر بنا ألا نحفل كثيرا بالاشتقاق الذى ذهب اليه العرب بارجاع اللفظ الى أسماء الأجداد الأول ، وقولهم : ان البلاد سميت باسم أندلس ابن طوبال بن يافث وقد تكون هناك صلة بين هذا الاسم وبين اسم القبيلة الجرمانية " الفندال " ..

ولما أخذ النفوذ العربى فى شبه الجزيرة بالاضمحلال البطىء وبدأ الاسبان يسترجعون البلاد فى عهد " بيلاى " من عام ٧١٨م ، واستمروا فى الكفاح أكثر من ثمانية قرون — فقد اسم الأندلس الذى كان يطلق على مساحة كبيرة من الأرض مدلوله بالتدريج ، ولبثت الأقاليم الجنوبية التى ظلت فى حوزة العرب تعرف به من وقت الى آخر ، ثم لم يعد يعرف به بعد ذلك سوى اقليم صغير هو مملكة غرناطة ، كما أن نصارى أسبانيا الشمالية كانوا يجهلون اسم الأندلس جهلا تاما ..

الخلاصة :

ويمكن بعد ذلك أن نضرب صفحا عن كل ماتقدم تقريره من وجود أصل عربى لها من " الدلس أو التدليس " وأنها بناء مبتكر ، أو أنها سميت باسم أندلس بن طوبال ابن يافث ، فربما " تكون هناك صلة بين هذا الاسم وبين اسم القبيلة الجرمانية " الفندال " .

---

(١) [illegible] ٣٧

ويغلب على الظن أن هؤلاء العلماء الذين حاولوا تصريف هذه الكلمة وحاولوا اخضاعها لقوانين اللغة العربية — قد خالفوا أنفسهم فيما قرروا من قواعد التصريف فهم يكادون يجمعون على أن الكلمات الأعجمية التي تضاف الى اللغة العربية غير خاضعة لهذه القواعد التصريفية من الزيادة والنقص والاعلال والابدال وغيرها .

هذا وقد رأى ابن عصفور فيما نقله عنه السيوطي من كتابه " الممتع " أننا اذا تكلمنا بهذه الألفاظ كان تكلما بما لايرجع الى لغة من اللغات ، وهذا نص كلام السيوطي (١) :

" اختلف : هل بين العربي والعجمي واسطة ؟ فقال ابن عصفور : نعم قال في الممتع : اذا نحن تكلمنا بهذه الألفاظ المصنوعة كان تكلما بما لايرجع الى لغة من اللغات . ورده الخضراوي بأن كل كلام ليس عربيا فهو عجمي ، ونحن كثيرا من الأمم . وقال أبو حيان في شرح التسهيل : العجمي عندنا هو كل ما نقل الى اللسان العربي من لسان غيره سواء أكان من لغة الفرس أو الروم أو الحبش أو الهند أو البربر أو الافرنج أو غير ذلك فوافق ابن عصفور " .

ونخلص من هذا كله الى أن كلمة الأندلس ليست عربية في أصل وضعها وليست مشتقة من مادة " دلس " ولا يعنينا بعد ذلك البحث في زيادة نونها وهمزتها أو أصالتها ، وانما يكفي أن نقرر أنها كلمة استعملها العرب بعد فتح هذه البلاد ، دون أن يكون لها أصل ثابت في لغتهم ، وقد اقترنت هذه الكلمة بتاريخ مشرق أضاء للعالم سبل الرقي والتقدم ، وهيأ للبشرية وسائل المدنية والنهوض .

٢ـ صفة أهل الأندلس :

أ ـ وهكذا نجد من أهل الأندلس قوما ، ليس لهم كيان قومي ، ولا تربطهم وحدة ، ولا يدينون لوطنهم بحق من الحقوق التي يؤديها الأبناء لأوطانهم فهم مطية لكل راكب ، وعبيد لكل غالب ، لايستشعرون الظلم ، ولا يثورون على

---

(١) ...

الاستبداد ، ذاقوا طعم الذلة فاستساغوه ، وطبعوا على الهوان فرضوا به ، وفي ذلك يقول المؤلف الانجليزي استانلي لين بول : " وكان العبيد لا يأبهون لتغلب حاكم على حاكم ، لأنهم وصلوا من الذل والبؤس ، بحيث لا يستطيع حاكم جديد أن يصيبهم بشر منهما ، وكانت الطبقة الوسطى ساخطة حانقة ، وقد بهظها ما كانت تحمل من تكاليف الدولة ، وما كان يقع عليها من الغرم من غير أن تنال من الغنم شيئاً "(١) .

ب ـ وقد عرف بعض الأسبان أعمال القرصنة " ولقد كان القرصان الأسبان أنفسهم يغذون سوق الرقيق بثمرات غاراتهم على الشواطئ الفرنسية والايطالية "(٢) وذلك باغتصاب حرية العاجزين عن منع أنفسهم ، وكأنهم حين عجزوا عن الثورة أو التمرد ضد حكامهم الظالمين ، وجهوا انتقامهم الى أولئك الضعفاء يسلبونهم حقهم في الحرية ، ويبوئونهم من الذلة والهوان مثل ما هم فيه أو مثل ما فيه أهل بلادهم من الخسف والاستخذاء .

جـ ـ ولم تعرف النظافة طريقا الى هؤلاء الأندلسيين الذين عاشوا في أسبانيا قبل الفتح ، لقد كانت القذارة من مفاخرهم ومن شعاراتهم التي يعتزون بها حتى " كان مسيحيو العصور الوسطى ينهون عن النظافة ، ويعدونها من عمل الوثنيين ، وكان الرهبان والراهبات يفخرون بقذارتهم حتى أن راهبة دونت ببعض مذكراتها في صلف وعجب أنها الى سن الستين لم يمس الماء منها الا أناملها عندما كانت تغمسها في ماء الكنيسة المقدس "(٣) .

وربما كانت هذه القذارة من الأسباب التي كانت تعرض هذه المجموعات البشرية للاصابة بالأوبئة في فترات متقاربة ، فقد فقدت أكثر من نصف سكانها في سنوات (٨٨ ـ ٩٠ هـ) كما يقول صاحب أقدم تاريخ عن الأندلس(٤) .

د ـ ولعل في اتصال يليان بموسى بن نصير وانحياز أولاد الملك الثلاثة الى طارق بن زياد ـ كما سيأتي ذكر ذلك عند الحديث عن الفتح ـ لعل في ذلك دليلا على ما وقر في نفوس بعض أولئك من خيانة لحكامهم . والذين قرأوا كثيرا

---

(١) قصة العرب في الأندلس : ٦

(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية ٢ : ١٥٣

(٣) قصة العرب : ١١٩ ، ١٢٠

(٤) [illegible] قصة العرب : ٥

فى تاريخ الحروب عرفوا الأهمية الكبرى لتلك الفئات من الخونة التى قد تنشق على قائدها ، وتنضم الى خصومه ، وهذا يعنى أن هؤلاء الجنود لم يكونوا حراصا على الذود عن ظالميهم ، وانما كانوا يؤثرون ممالأة العدو والسير فى ركابه لعلهم يجدون مخلصا من ظلم الظالمين .

هـ — ولم يتثبت التاريخ مما كان عليه هؤلاء الناس قبل الفتح الاسلامى من مكانة علمية وما كان لهم من الاداب والثقافة ، ولعل فى هذا دليلا على ما كانوا يرزحون تحته من نير الجهل الدامس الذى كانوا يتخبطون فيه " وقت أن كانت أوربا غارقة فى الجهالة البربرية فريسة للشقاق والحروب "(١)

يقول الدكتور حسين مؤنس(٢) : " كانت أسبانيا بلد علم وعلماء أيام الرومان والقوط وكانت لمؤلفاتهم وآرائهم آثار فى تكوين العلم الأندلسى فى شتى فروعه ... وجد المسلمون فى الأندلس ثقافة أخذوا عنها وتأثروا بها "

ولست أجد ردا على هذا أبلغ مما ذكره فى الكتاب الذى قام بترجمته عن اللغة الأسبانية بعنوان تاريخ الفكر الأندلسى ، وذلك فى آراء الأب خوان أندريه فى القرن الثامن عشر ، اذ قد " ذهب الى أن الشعر الأسبانى انما نشأ أول أمره — تقليدا لشعر العرب ، وقد استنتج ذلك استنتاجا ، وقال : ان اختلاط النصارى بالمسلمين كان من الطبيعى أن يدفع الأول الى تقليد الآخرين(٣) " .

ولعل الدكتور مؤنس قد تأثر بما ذهب اليه علماء المستشرقين الذين يحاولون أن ينسبوا لأسلافهم شيئا من المجد ، أو يغضوا من شأن أولئك العرب الذين كانوا يحملون لهم مشاعل العلم والحضارة . ثم اذا سلمنا بما يرى هؤلاء المستشرقون ومن نحا نحوهم فان الآثار والأدلة المادية التى تدعم رأى هؤلاء — لم تطرق أذن سامع ولا عين راء .

---

(١) قصة العرب فى الأندلس : ١١٥ ، ١١٦

(٢) فجر الأندلس : ٦٥٤ ، ٦٥٥ بتصرف

و — والى جانب هذه المثالب الحديدة ، لم تحرمهم هذه البيئة الطبيعية الممتازة التى حبتها يد القدرة بخير ما تحبوبه بيئة من البيئات :

فمن نهر يطوف بكل روض ... ومن روض يطوف بكل وادى

هذه البيئة التى تتجلى فيها بدائع الخلق لم تطبع هؤلاء القوم بطابعها الحر الكريم — فعاشوا عبيدا للأرض ، خاضعين للطغاة — ولكنها لم تحرمهم من تلك الهبة التى ميزتهم على من دونهم من الأجناس .

ز — تلك الهبة هى الذكاء الذى مكن لهم عندما رأوا بصيص النور أن يظفروا ويأخذوا مكانهم بين الأحياء .

وما شاع خبره فى كتب التاريخ حديث أبى على القالى عن رحلته التى رحلها الى الأندلس ، وأنه كان كلما أبعد السير عن بلاد المشرق كان يلحظ أن ذكاء من يلقاهم يقل بالتدريج .

وهذا حديث القالى عن أهل الأندلس[1] :

" فقلت : " ان نقص أهل الأندلس عن مقادير من رأيت فى أفهامهم بقدر نقصان هؤلاء عن قبلهم فسأحتاج الى ترجمان فى هذه الأوطان " .

قال ابن بسام : فبلغنى أنه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الأفق الأندلسى فى ذكائهم ، ويتخطى عنهم عند المباحثة والمناقشة ويقول لهم : ان علمى علم رواية وليس بعلم دراية فخذوا عنى ما نقلت فلم آل لكم أن صححت . هذا مع اقرار الجميع له يومئذ بصحة العلم وكثرة الروايات والأخذ عن الثقات " .

ح — ولقد كان لهؤلاء القوم دين محمود فى تلك الحياة المزدحمة بالنقائص فقد كان لهم فى مناكب الأرض نشاط محمود ، وكان الكسب المحمود عندهم هو كسب الانسان بعمل يده أو بكده وجهده " والتسول عندهم معيب واذا وجدوا سليما يتسول سبوه وأهانوه "[2] .

---

(١) نفح الطيب ٤ : ١٥٠ ، ظهر الاسلام جـ ٣ ص : ٨٣ .

(٢) [illegible]

وهكذا سارت بهم الحياة بعيدة عن البطالة والفراغ حتى رأينا ذلك متمثلا في شئونهم ، مدونا في تاريخهم فهذا ابن حزم يقول (١) :

" ومن السمج القبيح بقاء الانسان فارغا مدة اقامته في هذه الدار فنيا تلك المدة فيما غيره أولى به وأحسن منه في حماقة وبطالة أو معصية وظلم .

وقد سمعت شيخنا ابن الحسن يقول لي ولغيري : ان من العجب من يبقى في هذا العالم دون معاونة لنوعه على مصلحة . أما يرى الحراث يحرث له ، والطحان يطحن له ، والنساج ينسج له ، والخياط يخيط له ، والجزار يجزر له ، والبناء يبني له ، وسائر الناس كل متول شغلا له فيه مصلحة وبه اليه ضرورة؟ أفما يستحى أن يكون عيالا على كل العالم لايعين هو أيضا بشيء من المصلحة؟ ....

وأى كلام ... أحسن من كلامه في تعاون الناس .. "

ط — وان من بطالع التاريخ ويقرأ مافيه من أحداث ، ابان اجلاء المسلمين من هذه البلاد يرتد بعد قراءته وقد ألصق بالأسبان صفات الغدر والخسة والنذالة ، وهذه الصفات جعلتهم يتنكرون لكل معروف أسدى اليهم ، وينسون كل احسان لمسوه في بلادهم ويجحدون الفضل الكبير لهؤلاء المسلمين الذين جعلوا بلادهم تسبق كل أوربا ، بل جعلوها هي السراج الوهاج الذى أشع نور العلم فأخذ منه أبناء أوربا أسس النهوض ودعامات التقدم ، ولم تكن نتائج هذا البغى والعدوان الا التخلف والانتكاس وربما كان من أصدق من عبروا عن ذلك الدكتور غوستاف لوبون اذ قال (٢) :

" .. كان من نتائج هذه المظالم المزدوجة أن هبطت أسبانيا الى أسفل دركات الانحطاط بعد أن بلغت قمة المجد وان انهار معها كل ماكان فيها من الزراعة والصناعة والتجارة والعلوم والآداب والسكان ، وحاشى ذى عدة قرون مضت على ذلك الدور من غير أن تستطيع أسبانية أن تنهض من

---

(١) رسائل ابن حزم : ٨٣ ، جذوة المقتبس : ٤٦ .

هبوطها مع ما بذل من الجهود .. شأن العرب المدنى لم يعد فى قطر ملكوه كما بدا فى أسبانية التى لم تكن ذات حضارة تذكر قبل الفتح العربى فصارت ذا حضارة ناضرة فى زمن العرب ثم هبطت الى الدرك الأسفل من الانحطاط بعد جلاء العرب . وهذا مثال بارز على ما يمكن أن يتفق لعرق من التأثير ".

ى — ثم كانت الجهالة الجهلاء التى أغرتهم بالآثار العلمية الاسلامية، وذلك الحقد الأسود الذى ران على قلوبهم فأعمى أبصارهم، ودفعهم الى احراق الكتب العلمية فى أعظم الميادين فى حواضر الأندلس، وكان من الطبيعى بعد العدوان على العلم أن يرثوا الجهل المطبق يحل بهم سوء الجزاء، وقد نقل غوستاف لوبون عن المؤرخ الانكليزى بكل ما رآه نتيجة لذلك فقال[1] :

" والحكم العادل الشديد الذى أصدره المؤرخ الانكليزى الكبير بكل منذ بضع سنين على اسبانية يسرى على حاضرها وعلى زمن طويل من مستقبلها لاريب، قال بكل : لاتزال اسبانية نائمة هادئة فاقدة الحس غير شاعرة بكل ما يجرى فى بقية العالم أى معدودة غير موجودة، واسبانية هنالك حيث أقصى نقطة فى القارة لم تكن وهى جامدة ضخمة الجرم ممثلة لشعور مشاعر القرون الوسطى وأفكارها وما يحزن فيها كثيرا اقتناعها بحالها واعتقادها أنها أرقى أمم أوربة مع أنها أكثرها تأخرا هى تفخر بكل مايجب أن يحمر وجهها منه خجلا، تفخر بقدم آرائها تفخر بقوة ايمانها، تفخر بسرعة تصديقها الطائش الذى لا حد له تفخر برفضها لاصلاح معتقداتها وعاداتها تفخر بحقدها على الملحدين، تفخر بيقظتها الدائمة فى ابطال كل مايمطونه ليستقروا بأرضها استقرارا شرعيا، ومن مجموع هذه الأمور تتألف تلك الخلاصة الكئيبة التى تسمى أسبانية " .

---

(١) حضارة العرب : ٥٨٦ .

٤ـ فتح الأندلس :

ولعل من نافلة القول فى مثل هذا البحث أن أبسط الحديث عن فتح الأندلس أو أعرض لما قيل فى ذلك من أسباب بالدرس والنقد والتحليل ، لأن المعنيين بأمر التاريخ قد وفوا هذا الموضوع حقه ، وكشفوا القناع عما كان غامضا فيه . وان كان المتعصبون ضد المسلمين يتقولون الأقاويل ، ويبتدعون الأساطير ، ليضعوا من قدر الفاتح الاسلامى الذى سجل له التاريخ أمجادا ، وقد اختلفت أقوال المؤرخين فى دخول المسلمين الأندلس ، فقال ابن عذارى (١) :

" فأما دخول المسلمين اليها فذكر فيه أربعة أقوال :

أحدها أن الأندلس دخلها عبد الله بن نافع بن عبد القيس ، وعبد الله ابن الحصين الفهريان ، من جهة البحر ، فى زمن عثمان (رضه) . قال الطبرى: أتوها من برها وبحرها ، ففتحها الله تعالى على المسلمين هى وافرنجة ، وازداد فى الأندلس سلطان المسلمين مثل افريقية ، ولم يزل أمر الأندلس كأمر افريقية حتى كان زمن هشام بن عبد الملك ، فمنع البربر أرضهم ، وبقى من فى الأندلس على حالهم هذا نصهم ، وأن ذلك كان سنة سبع وعشرين من الهجرة الكريمة .

وثانيها : أن موسى بن نصير افتتحها عام واحد وتسعين ، هذا قول الطبرى أيضا ، فظاهر منه أنه جاز بنفسه ، وتولى هذه الغزوة والفتح .

وثالثها : أن طريفا دخلها وفتحها عام واحد وتسعين .

ورابعها : أن طارقا أول من دخلها سنة احدى وتسعين ، ودخل موسى بعده سنة اثنتين وتسعين . فهذا الخلاف واقع فى هؤلاء الأربعة المواضع :

قيل ان أول من دخلها الفهريان ، ثم ابن نصير ، ثم طريف ، ثم طارق . فظهر من هذا أن الفهريين أثرا فيها فى زمن عثمان (رضه) وغزا من جهة البحر وطريفا دخلها سنة احدى وتسعين مغيرا وغنيا ، ونسب فعله الى موسى بن نصير .

---

(١) البيان المغرب ٢ : ٥ ، ٦ .

نسبة نمل المأمور الى الآمر ، فصدق عليه اضافته لموسى ، فيكون قول الطبرى صادقا وصدق عليه أيضا قول الرازى بأخرى وأولى ، وطارق دخلها دخول المستفتح لهما المكافح سنة اثنتين وتسعين ".

هذا كلام ابن عذارى ، وقال لسان الدين بن الخطيب (١) :

" طارق بن زياد الذى تولى افتتاحها ، واليه ينسب جبل الفتح المدعو بجبل طارق ، وخبره بها شهير ، ثم موسى بن نصير ، واليه ينسب الفتح اذ كان طارق من قبله ".

وقال البلاذرى (٢) :

" قال الواقدى : غزا طارق بن زياد عامل موسى بن نصير الأندلس وهو أول من غزاها ، وذلك فى سنة اثنتين وتسعين ، فلقيه أليان ، وهو وال على مجاز الأندلس ، فآمنه طارق على أن حمله وأصحابه الى الأندلس فى السفن ، فلما صار اليها حاربه أهلها ، ففتحها ، وذلك فى سنة اثنتين وتسعين ".

ومهما يكن من أمر فقد فتح المسلمون الأندلس ، وتساقطت حصونها حصنا فى اثر حصن ، واحتلت قلاعها قلعة بعد قلعة ، وغنم المسلمون منها ما شاء الله أن يغنموا ، وفى بيان عظمة هذا الفتح وهلة الفاتح ، قال المؤرخ الأمريكى سكوت (٣) :

" فى أقل من أربعة عشر شهرا قضى على مملكة القوط قضاء تاما ، وفى عامين فقط وطدت سلطة المسلمين فيما بين البحر الأبيض المتوسط وجبال البرنيه ، ولا يقدم لنا التاريخ مثلا آخر اجتمعت فيه السرعة والكمال والرسوخ بمثل ما اجتمعت فى هذا الفتح ... أما أقوال الكتاب النصارى التى ينسبون فيها للعرب أفظع المثالب فهى محض مبالغة أو افتراء ".

---

(١) تاريخ أسبانية الاسلامية : ٦

(٢) فتوح البلدان : ٣٢٣

(٣) دولة الاسلام : ٥٩ .

٥ - وسيط الفتـــــح :

وقد جرت سنة الفاتحين في مختلف الحروب على أن يكون لهم أدلاء يرشدونهم الى مسالك الممالك التي يريدون فتحها ، وقد أجمعت الروايات على أن هذا الدليـــل في الفتح الاسلامي للأندلس كان رجلا من عظماء الأسبان يدعى يليان ، وكان الملك قد خانه في ابنته أو زوجه ، فدفعه حب الانتقام الى الاتفاق مع العرب .

وقد رفض الأسبان قبول هـذه القصة ، لأنها تسجل خيانة الوطن على نفـــر من زعماء أسبانيــــا[1] .

وقد ذكر هذه القصة ابن القوطية في تاريخـــــه[2] ، كما ذكر ابن خلدون في كتاب " العبر" تحدث عن يليان وغضبه على لذريق ، لفعله بابنته في داره[3].

وكذلك ذكرها ابن عذارى المراكشـــي[4] ، وعبد الواحد المراكشي صاحـــب المعجب في تلخيص أخبار المغرب ذكر يليـــان والاعتداء على بنتـه ، ومكاتبتـــه المسلميـن[5] .

وقال عنها ستانلي لـين بول المؤرخ الانجليزي المحقق في كتابه " قصـــة العرب في أسبانيـــا[6] "

انـه يتقبـل هذه الروايـة دون أن يتعرض لتأييد صدقها ، واذا كـــان ما يختص بفلوريندا بنت يليـــان منها خياليا فان ما يختص بيليان حق لا شك فيه .

وقال جوستاف لوبون[7] :

---

(١) دولة الاسلام : ٣٠ ، ٣١

(٢) تاريخ افتتاح الأندلس : ٣٣ ، ٣٤

(٣) جـ ٤ : ١١٧

(٤) البيان المغرب ٢ : ٦

(٥) صفحة : ١٠

(٦) صفحة ٩ - ١١

وكان من المنافسات التي تمزق الدولة القوطية أن سعى يوليان وزميل أساقفة أشبيلية ، وهما من علية الأسبان فتح أسبانية على العرب .

وقد اتصل يليان بموسى بن نصير ، ودعاه الى فتح أسبانيا المفككة بالخلافات والشقاق والانحلال والضعف ، وعرض عليه كافة المساعدات ، وقد أنجز يليان كل ما وعد به . قال ابن القوطية (١) :

ان آخر ملوك القوط بالأندلس غيطشة ، توفى عن ثلاثة أولاد أكبرهم الممند ثم رملة ثم أرطباس ، وكانوا صغارا عند وفاة أبيهم فتعهدت عليهم أمهم ملك أبيهم بطليطلة ، وانحرف لوذريق ، وكان قائدا للملك أبيهم بمن يطيق به من رجال الحرب ، فاحتل قرطبة فلما دخل طارق بن زياد الأندلس ، أيام الوليد بن عبد الملك كتب لوذريق الى أولاد الملك غيطشة ، وقد ترعرعوا وركبوا الخيل يدعوهم الى مناصرة الملك وأن تكون أيديهم واحدة على عدوهم وحشدوا الثغر ، وقدموا ونزلوا شقرنده ، وما يطمئنوا الى لوذريق بدخول قرطبة ، فخرج اليهم ثم نهض للقاء طارق (٢) فلما تقابلت الفئتان أجمع الممند وأخواه على الغدر بلوذريق ، وأرسلوا في ليلتهم تلك على طارق ، يعلمونه أن لوذريقا (٢) انما كان كلبا من كلاب أبيهم وأتباعه ، ويسألونه الأمان على أن يخرجوا اليه بالصباح ، وأن يمضى لهم ضياع أبيهم بالأندلس وكانت ثلاثة آلاف ضيعة سميت بعد ذلك صفايا الملوك ، فلما أصبحوا انحازوا بمن معهم الى طارق ، فكانوا سبب الفتح ... وكان في سجلاتهم ألا يقوموا الى داخل عليهم ولا الى خارج منهم " .

٦ـ الجيش الاسلامي يغزو البلاد :

" وفي شهر رجب سنة اثنتين وتسعين (ابريل سنة ٧١١م) جهز موسى جيشا من العرب والبربر يبلغ سبعة آلاف مقاتل بقيادة طارق بن زياد الليثي ... فعبر البحر بجيشه تباعا في سفن يوليان القليلة ، ونزل بالبقعة الصخرية المقابلة من جهة

(١) تاريخ افتتاح الأندلس : ٢٨ — ٣٠

التى مازالت تحمل اسمه الى اليوم أعنى جبل طارق وذلك فى يوم الاثنين الخامس من رجب سنة ٩٢ هـ ، واخترق طارق المنطقة المجاورة فيما بمعاونة يوليان وارشاده وزحف على ولاية الجزيرة التى كان يحكمها تيودومير القوطى عامل رذريك ، واحتل قرعها بعد أن هزم شراذم من القوط تصدت لوقفه ، وبادر حكام الولايات المجاورة باخطار بلاط طليطلة بالخطر الداهم ، وكان رذريك يشتغل يومئذ بمحاربة بعض الخوارج فى الولايات الشمالية فهرول الى طليطلة ... بمائة ألف ... وسار رذريك نحو الجنوب للقاء المسلمين ... كان اللقاء الأول بين الجيشين فى سهل شريش الفرنتيرة على مقربة من قادس شمالى شذونة على ضفاف نهر وادى لكة ... فى ٢٨ من شهر رمضان سنة ٩٢ ... فلم يأت اليوم السابع من اللقاء حتى تم النصر لطارق وجنده ... أما رذريك آخر ملوك القوط فقد اختفى عقب الموقعة ... (راجع شك الدكتور عنان فى خطبة طارق وفى حرق السفن) .

وكانت بقية الجيش القوطى قد اجتمعت عند استجة لتحاول رد الجيش الفاتح ، فالتقى الجيشان هناك ثانية ، وهزم القوط مرة أخرى .(١)

احتل هذا الجيش قرطبة ـ وحوصرت غرناطة ثم فتحت كما فتحت البيرة ثم فتحت مرسية (تدمير) وفتحت أوريولة صلحا بحيلة عرض النساء بملابس الجنود ، وسار طارق الى طليطلة مارا بقشتالة ثم ليون ، وطارد فلول القوط حتى استرقة ... وعبر طارق جبال اشتوريس واستمر فى سيره حتى أشرف على ثغر خيخون الواقع على خليج بسكونيه فكان خاتمة فتوحاته .

عاد الى طليطلة أمر موسى بالتوقف .(٢)

ثم جاء موسى بن نصير ونزل بولاية الجزيرة حيث استقبله يوليان فى رمضان سنة ٩٣ ، وزحف على شذونة(٣) وقرمونة وقصد الى اشبيلية فافتتحها بعد حصار شهر ، ثم سار الى ماردة وانتهى أمرها بالتسليم . وقصد موسى طليطلة بعد ذلك فالتقى بطارق على مقربة منها ... ووضع الاثنان خطة لافتتاح باقى أسبانيا

---

(١) دولة الاسلام : ٣٥ ـ ٤٤

(٢) مختصر من دولة الاسلام : ٤٤ ـ ٤٥ ، البيان المغرب ٢ : ١٣ ـ ١٧

(٣) تاريخ ابن القوطية : ٣٥

ثم زحفا نحو الشمال واخترقا ولاية أراجون ، وافتتحا سرقسطة وطركونة وبرشلونة وغيرها ثم افترقا فسار طارق شرقا ليغزو جليقية ويقضي على فلول القوط ، وسار موسى شمالا فاخترق جبال البرت وغزا ولاية لانجدوك " سبتمانيا " واستولى على قرقشونة وأربونة (١) ثم نفذ الى مملكة الأفرنج ، وغزا وادي الرون حتى مدينة لوطون (ليون) .

وفكر في غزو أوربا ـ وعزم على سحق شراذم النصارى التي لجأت الى " قاصية جليقية " جاءه كتاب من الوليد يستدعيه وطارقا .

وفي ذلك الحين كان عبد العزيز بن موسى قد فتح منطقة الساحل الواقعة بين مالقة وبلنسية وأخمد الثورة في أشبيلية وباجه وافتتح لبلة وغيرها (٢) .

ولم تكن نهاية واحد من الثلاثة الذين تعاونوا على فتح الأندلس نهاية مشرفة ، فأما طارق فلم يعرف أين ولا متى توفي ، وأما موسى فقد عاقبه الخليفة وقتل ابنه ، وأما يوليان فقد قتل قبل بأيدي المسلمين لخيانته ، وقيل بأيدي مواطنيه (٣) .

---

٧ ـ المسلمون في الأندلس :

لم يكد العرب يستقرون في هذه البلاد حتى أحس الأسبان أنهم قد انزاح عنهم كابوس الظلم الذي رزحوا تحت نيره أزمانا طوالا قبل حكم العرب ويجب ألا يجول ببال أحد أن العرب عاثوا في البلاد أو خربوها بصنوف الارهاق والظلم كما فعل تطمان المتوحشين قبلهم ، فان الأندلس لم تحكم في عهد من عهودها بسماحة وعدل وحكمة كما حكمت في عهد العرب الفاتحين (٤) "

وقد ظل الحكم العربي في هذه البلاد زهاء ثمانية قرون سادها التسامح الديني ونعم فيها أهل البلاد بحرياتهم ، ورفع عن كواهلهم عبء الذل والعبودية .

---

(١) البيان المغرب ٢ : ١٧ ـ ٢٢

(٢) دولة الاسلام : ٤٦ ـ ٤٩ ، البيان المغرب ٢ : ٢٢ ـ ٢٤

وقد ذكر ستانلى لين بول " أن الأسبانيين أسلموا برغبة وحماسة فأصبحوا كشأن كل داخل فى دين جديد أكثر تعصبا من المسلمين أنفسهم[(١)] "

ويقول بروكلمان[(٢)] :

" وكان معظمهم قد اعتنقوا الاسلام عن ايمان به وانشراح له "

وقد خالف هذا الرأى السيد أنيس الطباع فى تقديمه لكتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ، وحاول التشكيك فى ذلك[(٣)] . ولست فى حاجة الى مناقشته أو الرد عليه ، فقد كفانى ذلك ما قدمت لهذين العلمين : استانلى لين بول ، وبروكلمان .

ويقول العلامة المستشرق دوزى[(٤)] :

" لم تكن حال النصارى فى ظل الحكم الاسلامى ما يدعو الى كثير من الشكوى بالنسبة لما كانت عليه من قبل ، أضف الى ذلك أن العرب كانوا يتحلون بكثير من التسامح ، فلم يرهقوا أحدا فى شئون الدين ، ولم تكن الحكومة - اذا لم تكن مفرطة فى الدين - لتشجع اسلام النصارى ، اذ كانت خزانة الدولة تخسر باسلامهم كثيرا ولم يغمط النصارى للعرب هذا الفضل بل حمدوا للفاتحين تسامحهم وعدلهم ، فآثروا حكمهم على حكم الجرمان والفرنج " .

ويتحدث دوزى عن آثار الفتح الاجتماعية فيقول[(٥)] :

كان الفتح العربى من بعض الوجوه نعمة لأسبانيا فقد أحدث فيها ثورة اجتماعية هامة ، وقضى على كثير من الأدواء التى كانت تعانيها البلاد منذ قرون وحطمت سلطة الاشراف والطبقات الممتازة ، أو كادت تمحى ووزعت الأراضى توزيعا كبيرا ، فكان ذلك حسنة سابغة وعاملا فى ازدهار الزراعة أبان الحكم العربى ، ثم كان الفتح عاملا فى تحسين أحوال الطبقات المستعبدة ، اذ كان الاسلام أكثر

---

(١) قصة العرب : ٦٣

(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية ٢ : ١٥١

(٣) مقدمة تاريخ ابن القوطية .

(٤) دولة الاسلام : ٥٧

(٥) دولة الاسلام : ٥٨ .

تعضيدا لتحرير الرقيق من النصرانية ، كما تهمها أخبار المملكة القوطية ، وكذا تحسنت أحوال أرقاء الضياع ، اذ غدوا من الزراع تقريبا ، وتمتعوا بشيء من الاستقلال والحرية .

ولسان العالم الحق يقول المستشرق الاسبانى جاينجوس (١) :

" لقد سطعت فى أسبانيا " الاندلس " أول أشعة لهذه المدنية التى نشرت ضوءها فيما بعد على جميع الأمم النصرانية وفى مدارس قرطبة وطليطلة العربية جمعت الجذوات الأخيرة للعلوم اليونانية بعد أن أوشكت على الانطفاء وحفظت بعناية ، والى حكمة العرب وذكائهم ونشاطهم يرجع الفضل فى كثير من أهم المخترعات الحديثة وأنفعها "

" أما التسامح الدينى فلم يدع للأسبانيين سببا للشكوى فقد تركهم العرب يعبدون كما يشاءون من غير أن يضطهدوهم أو يلزموهم اعتناق عقيدة خاصة كما كان يفعل القوط باليهود ، وكانت الجزية كبيرة الفائدة لخزانة الدولة ، حتى أن بعض أمراء قرطبة كانوا يميلون لتثبيط عزائم المتحمسين من المسلمين الذين أخذوا يدعون الى الاسلام لأن هذه الدعوة كانت تحرم الدولة منبعا غزيرا من موارد جبايتها (٢) " .

وكما كان العرب رسل الحرية والاخاء والتسامح فى هذه البلاد كانوا رسل النظافة والصحة لأولئك الذين جعلوا القذارة من ميزات القداسة ، فقد كان "للحمامات شأن كبير فى المدن الاسلامية لأن النظافة عند المسلمين ليست من الايمان فحسب بل هى شرط لازم لأداء الصلوات والعبادات عامة — بينما كانت القذارة من ميزات القداسة كان المسلمون شديدى الحرص على النظافة ، لا يجرؤون أن يقفوا لعبادة ربهم الا اذا كانوا متطهرين ، وحينما عادت أسبانيا الى الحكم المسيحى أمر فيليب الثانى زوج مارى ملكة انجلترا بهدم كل الحمامات العامة لانها من آثار المسلمين (٣) " .

هذا وقد انغمس العرب الفاتحون فيما أحاط بهم فى هذه البلاد الجديدة من ألوان الترف وضروب النعيم ، وغلبهم ذلك الترف وهذا النعيم على بعض المبادئ

---

(١) دولة الاسلام : ٥٨ — ٥٩

(٢) قصة العرب : ٣٩

الرهيبة ، وحملهم على أن ينسلخوا منها ، وكانت هذه الطبيعة الساحرة ذات أثر فعال في مقومات الرجل العربي ، فعرف الكأس والطاس ، وعاش بين أحضان الحور والقصور ، واقترف من معين العصيان والمخالفة لربه ولدينه ولمروءته وشجاعته ما أفقده نصر الله ، وضيع منه عز الاسلام ، وجعله حديثا يروى في التاريخ للعظة والاعتبار .

لقد عاش المسلمون في أرض غير أرضهم ، وفي بلاد جمعت فيها ضروب الفتنة والجمال ، وحشدت أمامهم عوامل الاغراء ، ويسرت لهم سبل الانحلال والتخلي عن مبادىء الاسلام القويمة حتى كان للمخنثين بينهم شأن .

ولم يكن تاريخ العرب في الأندلس الا صفحات طواها الزمن لدهر طويل كله قتال ونضال وشغب وسخط ، تتوارث من ملوك المسلمين بعضهم على بعض ، وثورات من النصارى ضدهم ، وفتن ودسائس بين القبائل والأجناس ، وصراع مستمر بين المذاهب والعقائد .

وقد رأى لسان الدين بن الخطيب أن " السبب في كثرة الثوار بالأندلس وقت ذلك ثلاثة وجوه : الأول منعة البلاد وحصانة المعاقل وبأس أهلها بمقاربتهم عدو الدين فهم شوكة وحد بخلاف سواهم ، والثاني علو الهمم وشموخ الأنوف وقلة الاحتمال لثقل الطاعة اذ كان من يحصل بالأندلس من العرب والبرابرة أشرافا يأنف بعضهم من الاذعان لبعض ، والثالث الاستناد عند الضيقة والاضطرار الى البحر الأعصم والمعقل الأعتام من ملك النصارى الحريص على ضرب المسلمين بعضهم ببعض (١) " .

ويكفي أن نجد في كتب التاريخ أن ولاة الأندلس وحكامها المسلمين لا يكادون يحصون تحت الحصر أو العد ، وفي هذا دليل على ما كان ينتاب البلاد من القلاقل والفتن وعدم الاستقرار .

قال أبو محمد بن حزم :

اجتمع عندنا بالأندلس في صقع واحد خلفاء أربعة كل واحد منهم يخطب له

---

(١) تاريخ أسبانية الاسلامية : ٣٦

بالخلافة في موضعه ، وتلك نتيجة لم يرشلها . أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام كلهم يتسمى بالخلافة وامارة المؤمنين ... كما قال الشاعر:

مما يزهدني في أرض أندلس أسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صورة الأسد .(١)

وعلى الرغم من هذه الاضطرابات التي شملت كل صقع وعمت نواحي الحياة فقد سجل التاريخ للمسلمين صحائف من نور تسطع فيها مدنية العرب متلألئة تضيء الطريق للعالم الغربي ، الذي كان يتخبط في دياجير الجهل الدامس، وقد امتلأت المكتبة العربية بالانتاج الأدبي والعلمي للأندلسيين ، وكذلك كتب لهم تاريخ العلم سجلا حافلا بما عرفه لهم الأعداء قبل المحبين ، ولكن هذا المجد لم يسلم من الزلل .

---

٨ — أمثلة لانحرافاتهم :

وقد فشا في أهل الأندلس ما فشا في أهل الشرق من الانحرافات التي أبعدتهم عن الدين ، وبلتهم عن كثير من الفضائل ، وأغرتهم بما شاع أمره في الأدب العربي وخاصة في أيام الدولة العباسية من الغزل بالمذكر والشرب ، وحسبي أن أشير هنا الى شيء مما شاع عن بعض العلماء من ذلك ، لأن الموضوع لا يحتمل أكثر من الاشارة :

أ — حكي أن أبا الحسن سليمان بن الطراوة نحوي المرية حضر مع ندماء والى جانبه من أخذ بمجامع قلبه ، فلما بلغت النوبة اليه استعفى من الشرب، وأبدى القطوب فأخذ ابن الطراوة الجام من يده وشربها عنه ، وبا بردها على كبده ثم قال بديهيا :

يشربها الشيخ وأمثاله وكل من تحمد أفعاله

---

(١) تاريخ أسبانية الاسلامية : ١٤٢ — ١٤٤ ، وبروى : " صولة الأسد "

والهكوان لم يستطع صولـــة تلقى على البازل أثقالــه

وله شعر غير هذا في الشرب ذكره صاحب النفح (١)

ب — وكان يحضر حلقة الامام السهيلى (أبو القاسم السهيلى) وضئ الوجه من تلامذته ، فانقطع لعارض ، فخرج السهيلى مارا فى الطريق الذى جرت عادته بالمشى فيه ، فوجد قناة تصلح ، فمنعته من المرور فرجع وسلك طريقا آخر ، فمر على دار تلميذه الوضئ ، فقال له بعض أصحابه مازحا يحبور على منزله ، فقال : نعم ، وأنشد ارتجالا :

جعلت طريقى على بابه ومالى على بابه من طريق

وعاديت من أجله جيرتى وآخيت من لم يكن لى صديق

فان كان قتلى حلالا لكم فسيروا بروحى سيرا رفيق (٢)

جـ — أبو جعفر أحمد بن يحيى الوزغى ، خطيب جامع قرطبة ، المصدر بها فى المائة السابعة لاقراء النحو وفنون الأدب المشهور بالظرافة واللباقة كان يعشق غلاما اسمه عيسى ، فقرأ عليه غلام اسمه محمد ، فمال اليه وقال :

تبدلت من عيسى بحب محمد هديت ولولا الله ما كنت أهتدى

وما عن ملال كان ذاك وانما شريعة عيسى عطلت بمحمد (٣)

د — * النحوى أبو بكر محمد بن طلحة الأشبيلى ، وكان مصدرا للاقراء باشبيلية اجتمع به والدى (أى والد صاحب المغرب) وأخبرنى أنه كان لطيفا كثير الحب للغلمان والتغزل فيهم ، ومن شعره قوله :

بدا الهلال فلما بدا نقصت ونما

كأن جسمى فعل وسحر عينيه لما ، (٤)

---

(١) نفح الطيب ٤ : ٣٥٥

(٢) نفح الطيب ٤ : ٣٦٩

(٣) المغرب : ٢١٥

(٤) المغرب : ٢٥٣ .

هـ ـ أحمد بن كليب النحوي أديب شاعر مشهور الشعر ، ولا سيما شعره في أسلم

وكان قد أفرط في حبه حتى أداه ذلك الى موته ، وخبره في ذلك طريف ...

لأحمد بن كليب وقد أهدى الى أسلم في أول أمره كتاب " الفصيح " لثعلب:

هذا كتاب الفصيح بكل لفظ مليح

وهبته لك طوعا كما وهبتك روحي (1)

هذا وقد امتلأت كتب الأدب بكثير من مثل هذا الشعر ، وقد أشار الى ذلك

بروكلمان في قوله (2) :

" ثم ان ابن قزمان ... أدخل الى الأدب العربي فنا شعريا جديدا ، كان

شائعا في أسبانية من قبل هو الزجل الذي لم يعد يخضع لأوزان الشعر المتعارفة

بل للمقاطع ... يستثير فيهم نزوات الحب الشاذ ، وهكذا طويت صفحة هذا الفن

الذي ازدهر يوما في أسبانية ازدهارا عظيما ".

والذي يعنيني هنا من كلام بروكلمان هو قوله : يستثير فيهم نزوات الحب

الشاذ ، فان ذلك لم يقتصر على انتاجهم في الزجل وحده بل كان في كثير من أوزان الشعر

التقليدية أيضا .

---

٩ ـ التعليم في بلاد الأندلس :

عاش أهل الأندلس حقبا طوالا لم يذوقوا فيها طعم المعرفة ، ولم تشرق

عليهم شمس العلم ، حتى قيض لهم التاريخ قوما من المسلمين العرب ففتحوا لهم

أبواب الثقافة على مصاريعها ، وسقوهم من معين العلم كؤوسا مترعة ، وكانت

لأهل الأندلس قلوب يفقهون بها ، وعقول ذكية واعية تلتقط ما يلقى اليها ، وقد

وجد المسلمون فيهم حقولا خصيبة ، فغرسوا بذور الحضارة ، ووجدوا لديهم الاستعداد

للتقدم والرقي فجادوا عليهم ـ متفضلين ـ بكل ما أوتوا من أسباب التقدم والرقي ،

فكان نتيجة لذلك أن انتشلوهم من حضيض الجهل ورفعوهم الى ذروة العلم والحضارة .

(1) جذوة المقتبس : ١٣٤ ـ ١٣٧ .

(2) تاريخ الشعوب الاسلامية ٢ : ١٧٤

وربما كان أصدق ما وصف به حرص أهل الأندلس على العلم وشغفهم بطلبه ، وانصرافهم اليه ـ هو قول المقرى (١) :

" وأما حال أهل الأندلس فى فنون العلم فتحقيق الانصاف فى شأنهم فى هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز ، فالجاهل الذى لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ، ويربأ بنفسه أن يرى فارغا عالة على الناس ، لأن هذا عندهم فى نهاية القبح والعالم عندهم معظم من العامة والخاصة ، يشار اليه ويحال عليه وينبه قدره وذكره عند الناس ويكرم فى جوار أو ابتياع حاجة وما أشبه ذلك .

ومع ذلك فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرأون جميع العلوم فى المساجد بأجرة ، فهم يقرأون لأن يعلموا ، لا لأن يأخذوا جاريا ، فالعالم منهم بارع ، لأنه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذى يستفيد منه ، وينفق من عنده حتى يعلم " .

وقد كان اهتمامهم بالعلم مضرب الأمثال حتى أنهم كانوا لا يتركون فرصة تسنح لهم دون أن يغتنموها ، فهذا أحمد بن محمد بن فرج من أهل جيان المتوفى سنة ٣٦٦هـ " كان أهل الطلب يدخلون اليه فى السجن ، ويقرأون عليه اللغة وغيرها (٢) " فلم يحل السجن بينهم وبين الانتفاع بعلم هذا الحبر الجليل .

ويعتبر ابن حزم من الطلائع الذين وجهوا جل همتهم الى شئون التعليم فى هذه البلاد ، فقد دون فى رسائله مبادىء التربية ، ووضع أسس التعليم فيها ، ولم يأل جهدا فى أن يرسم الخطة الصالحة لتنشئة جيل عالم بما يدور حوله من أحداث الحياة فهاهو ذا يرى أن " أفضل العلوم ما أدى الى الخلاص فى دار الخلود ووصل الى الفوز فى دار البقاء . فطالب هذا العلم لهذه النية هو المستميض بتعب يسير راحة الأبد وهو الصفقة الرابحة والسعى المنجح الذى يبذل قليلا

---

(١) نفح الطيب ١ : ٢٠٥

واستحق كثيرا ، وأعطى ثانيها ، وأخذ عظيما وهو الذى عرف مالا يفنى معه تزود فيه ، وميز مالا يزايله نسمى له [1] " .

وذكر بعد ذلك " أنه لا يتوصل الى العلم الا بالطلب ، ولا يكون الطلب الا بسماع وقراءة وكتاب [2] "

ثم اتجه الى الآباء فذكرهم بما يجب عليهم فى هذه السبيل من أجل تربية أبنائهم فقال :

" فالواجب على من ساس صغار ولدانه وغيرهم أن يبدأ منذ أول اشتدادهم وفهمهم ما يخاطبون به وقوتهم على رجع الجواب ـ وذلك يكون فى خمس سنين أو نحوها من مولد الصبى ـ فيسلمهم الى مؤدب فى تعليم الخط وتأليف الكلمات من الحروف ، فاذا درب الغلام فى ذلك درس وقرأ .

والحد الذى لا ينبغى أن يقتصر المعلم على أقل منه أن يكون الخط قائم الحروف بينا صحيح التأليف الذى هو الهجاء ، فان الخط ان لم يكن هكذا لم يقرأ الا بتعب شديد . وحد تعلم القراءة أن يمهر فى القراءة لكل كتاب مكتوب من يده بلغته التى يخاطب بها معقبه وينفذ فيه ، ويحفظ مع ذلك القرآن فانه يجمع بذلك وجوها كثيرة عظيمة [3] " .

ثم تحدث بعد ذلك عن بيان القدر الكافى من النحو واللغة ـ كما سنذكر فى موضعه ـ ثم حتم أن يكون مع رواية شئ من الشعر فى الحكم والخير ثم قال :

" فاذا بلغ المرء من النحو واللغة الى الحد الذى ذكرنا فلينتقل الى علم العدد فليحكم الضرب والقسمة والجمع والطرح والتسمية وليأخذ طرفا من المساحة ... وان لم تمكن المرء الاحاطة بجميعها فليضرب فى جميعها بسهم ما ـ وان قل ـ كما قدمنا .

---

(١) رسائل ابن حزم : ٢ ٦٢ ، ٦٣

(٢) المرجع السابق .

(٣) [illegible] ٦٣ ، ٦٤ .

وليكن الناس فيها فى تعاونهم على اقامة الواجب من ذلك عليهم كالمجتمعين لاقامة منزل نائسه لابد من بناء وأجراء ينقلون الحجر وينقلون الطين ، ومن صناع القرمد وقطاعى الخشب وصناعى الأبواب والمسامير حتى يتم البناء ، وكذلك سائر ما بالناس الحاجة اليه (١) "

" وقد كان أهل الأندلس يزدرون الجهل والجهال ، ولا ينقصهم من ذلك مكانة ولا ولاية ، فهذا يوسف بن تاشفين " طبقة المتعلمين كانت تسخر من جهله وجفو أخلاقه ، فلم يكن يحسن العربية ، ولم يكن يدرك مرامى الشعراء اذا أنشده شاعر قصيدة فى مدحه ، وليس هذا بالنقص اليسير فى رأى الأدباء الأندلسيين الذين لا يغفلون عن انشاد الشعر والاستشهاد به ، ولو كانوا فى بحر من الدماء فلم يكن يوسف فى أعينهم الا بربريا ، غير أن نقدهم لثقافته لم يكن له وزن ما داموا فى حاجة الى سيفه ، أما جمهرة الأندلسيين ، فنكروا فى رفاهيتهم أكثر مما فكروا فى علمه ، وكانوا على استعداد لقبوله مسرورين ، ملكا على الأندلس (٢) " ،

---

١٠ — خصائص علماء الأندلس :

ليس من اليسير استقصاء كل ما يندرج تحت هذا العنوان فى عجالة موجزة يتضمنها هذا البحث ، فقد كان العلماء فى الأندلس يضربون بسهم وافر فى كل فن ، وكان لكل جماعة منهم خصائص ومميزات برزت واضحة تتحدث بما لهم من عبقرية نافذة وعقول ناضجة ، وان تتبع هذه الخصائص والمميزات ليحتاج الى سفر كبير يضمها بين دفتيه ،

أ — وحسبى هنا أن أشير الى ما كان لهؤلاء العلماء من عز النفس وعلو الهمة ، مع حرصهم الشديد على شرف العلم وكرامته ، وتمسكهم بالمثل العليا التى اتخذها العلماء شعارا لهم فى كل عصر ،

---

(١) [illegible] ٨٢ ، ٨٣٤

فهذا " تمام بن غالب بن عمر ، يعرف بابن التيان ... اللغوي القرطبي ثم المرسي أبو غالب ... كان اماما في اللغة ثقة في ايرادها ذا دين وورع صنف تلقيح العين في اللغة ، لم يؤلف مثله اختصارا واكثارا . وسأله الأمير أبو الجيش — أيام غلبته — بألف دينار أندلسية على أن يزيد في ترجمة هذا الكتاب :

" مما ألفه تمام بن غالب برسم أبي الجيش "

فرد الدنانير ، ولم يفعل . وقال :

والله لو بذل لي ملء الدنيا ما فعلت ولا استجزت الكذب ، فاني لم أجمعه له خاصة ، ولكن لكل طالب عامة .

قال الحميدي :

فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها ، واعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها[1] .

فهذا العرض الزائل لم ينس هذا العالم الأبي شرف العلم وكرامته ، ولم يخش بصره هذا الألف المعدود ، فانصرف عن بهرج القانية ، ولم تخدعه هذه الرشوة السخية ، كما لم ترهبه صولة هذا الأمير المنتصر فتال القول الفصل ، وحكم بينه وبين أبي الجيش ضمير العالم المخلص لعلمه الذي قصد به وجه الحق ، ولم يبغ من وراء عمله جزاء ولا شكورا ، وحسبه ما خلفه من عطر الذكرى وطيب السيرة ، وأجدر به أن يكون قدوة لأولئك الذين يبتذون عرض الدنيا ، ويبيعون في سبيل ذلك عصارة أفكارهم ونتاج عقولهم .

ب — وكان هؤلاء الأندلسيون يعتبرون صلات العلم وشائج قوية وعلاقات متينة ، لا تقل في وجوب رعايتها ومراعاة حرمتها — عن وشائج النسب وعلاقاته ، وهذا شيخهم محارب بن سعيد يقول :

" ان للعلم ذماما كالنسب[2] "

---

(١) جذوة المقتبس : ١٧٢ ، ٣٣٢ ، معجم الأدباء ٧ : ١٣٧ ، المغرب : ١٦٦ ، بغية الوعاة : ٢٠٩ ، نفح الطيب : ٤ : ١٦٥ ، انباه الرواة ١ : ٢٦٣ .

وليس بغريب بعد هذا أن يرحل أحد علماء الأندلس " للحج سنة تسع وثمانين وستمائة ، فلما دخل مصر عظم صيته بها ، وعرف فضله عند أهلها فعرض بها ، وعاده سلطانها ، فلم يأذن له ، فألح عليه ، فأذن له ، وعرض عليه مالا فلم يقبله ، ومات قبل أن يحج " (١) .

ذلكم هو حميد النحوى سنة ٦٥٨ الذى اجتمع عليه مع الاغتراب اعتلال الصحة ومع ذلك لم تمتد يده الى المال الذى قدم اليه ، كما لم تتواضع همته فيخف لاستقبال السلطان الذى جاء لعيادته ، ولو أنه رحب بمقدم السلطان وتلقى منه ما قدم له من المال ما كان يخشى ذلك ملوما ، بل كان فى ذلك عالما من العلماء أو رجلا من الرجال نالته حظوة وسبقت اليه يد من السلطان ، وما أكثر هؤلاء فى كل زمان !

وقد روى صاحب المغرب حادثا آخر عن (٢) :

" الزاهد عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الأنصارى القنازعى القرطبى ... قال : كنت بمصر ، وشهدت العيد مع الناس ، فانصرفوا الى ما أعدوه ، وانصرفت الى النيل ، وليس معى ما أفطر عليه الا شئ من بقية ترمس بقى عندى فى خرقة فنزلت على الشط ، وجعلت آكله وأرمى بقشره الى مكان منخفض تحتى ، وأقول فى نفسى : ترى ان كان اليوم بمصر فى هذا العيد أسوأ حالا منى ؟ فلم يكن الا ما رفعت رأسى وأبصرت أمامى فاذا برجل يلقط قشر الترمس الذى أطرحه ويأكله ، فعلمت أنه تنبيه من الله عز وجل وشكرته ، وتوفى بقرطبة سنة ٤١٣ هـ ، وكان من أهل العلم بالحديث والفقه مجودا للقرآن " .

وليس هذا الحادث فى حاجة الى تعليق .

جـ — ولقد بلغت عنايتهم بالعلم والحرص على كتبه حدا فاق كل وصف ، حتى أن بعض المؤرخين انتقص علما من الأعلام وحبرا من أحبارهم ، لأنه باع أحد كتبه .

---

(١) بغية الوعاة : ١٣٥

(٢) المغرب : ١٦٧

أما المؤرخ فهو القفطى صاحب انباه الرواة ، وأما العالم فهو أبو على عمر الشلوبين ، وأما الكتاب فهو كتاب " العالم فى اللغة " لأحمد بن أبان قال القفطى فى ترجمة الشلوبين (١) :

" والذى وقع لى أنه غير عاشق فى الصناعة ، وانما يريدها للارتزاق ، وذلك أنه لما قدم علينا أبو العباس أحمد بن مفرج بن الرومية العشاب الأشبيلى ، وهو أثبت من رأيت وأسكن ، وهو أحد القائلين بمذهب ابن حزم الأندلسى أخبرنى أنه لما عزم على الخروج الى المشرق للحج ابتاع من عمر الشلوبين الأندلسى كتاب " العالم فى اللغة " لأحمد بن أبان بن سيد الأشبيلى الأندلسى فى اللغة فى أربعين مجلدا ، وهو كتاب بغريب عجيب لا يسوغ لعالم عاشق فى علم العربية أن يخرج من يده ، واستدللت بهذا على ماظننت ".

وقد انفرد القفطى بهذا الرأى فى أبى على الشلوبين الذى أجمع أكثر مريديه وجمهرة طلابه على أنه كان لا يقصر عن الشيخ أبى على الفارسى - كما سيأتى ذلك فى الحديث عنه - والذى كان له من الآراء والمؤلفات مايجعل المطلع عليها والباحث فيها يرجع وقد آمن بأن الرجل عاشق فى الصناعة متيم بها ، وليس ممن يريدها للارتزاق - كما يرى القفطى سامحه الله .

والذى أراه أن القفطى قد قسا فى هذا الحكم الذى أصدره على رجل خدم العلم زهاء ستين عاما ، ولماذا لاتكون يد الشلوبينى قد امتدت من قبل الى بيع ما كان عنده من أثاث وخشب ، حتى اذا استحكمت حلقاتها لم يجد لها مفرجا الا أن يبيع العزيز عنده ، والأثير لديه ، وقد حدث مثل ذلك من قبل ، فقد " قال بعضهم : كان لأبى على القالى نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها ، وكان قد أعطى بها ثلاثمائة مثقال فأبى ، فاشتدت به الحاجة فباعها بأربعين مثقالا وكتب عليها هذه الأبيات :

---

(١) انباه الرواة ٢ : ٣٣٣

أنست بها عشرين عاما وبعتها ... وقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها ... ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لعجز وافتقار وصبية ... صغار عليهم تستهل شئوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرة ... مقالة مكوى الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... كرائم من رب بهن ضنين

فأرسلها الذي اشتراها ، وأرسل معها أربعين دينارا أخرى — رحمهم الله جميعا (١) .

فهذا هو القالي يأبى أن يبيع الجمهرة بثلاثمائة ، فتوقفه الحاجة على بيعها بأربعين ، ولكن القالي صادف ذا مروءة وحسة ، فرد اليه الكتاب مصحوبا بما يعينه على بعض شأنه ، أما الأستاذ أبو علي الشلوبين فقد صادفه التشهير وسوء الرأى .

د — وقد اشتهر أهل العلم في الأندلس بالحفظ والاستظهار لكثير من الكتب والأسفار التي كانت ترد عليهم من انتاج علماء المشرق ، أو التي كان علماؤهم يؤلفونها ، وقد حدثنا التاريخ أن كثيرين منهم كانوا يستظهرون الكتاب وغيره من أمهات كتب النحو كمقتضب المبرد ، وغير ذلك كثير .

وهناك حديث لصاحب المعجب عن أبي جعفر الحميري عجيب ، وقد لازمه نحوا من سنتين فما رأى أروى منه لشعر قديم ولا حديث ولا أذكر بحكاية تتعلق بأدب أو مثل سائر أو بيت نادر أو سجعة مستحسنة منه ، قال صاحب المعجب بعد أن ذكر ما تقدم :

" قال لي ولده عصام — وقد رأيت عنده نسخة من شعر أبي الطيب قرئت على أو أكثرها ، فألفيتها شديدة الصحة فقلت له : لقد كتبتها من أصل صحيح وتحرزت في نقلها . فقال لي : ما يمكن أن يكون في الدنيا أصل أصح من الأصل الذي كتبت عنه . فقلت له : أين هو ؟ فقال لي : عن يمينك ، فعلمت أنه

يريد الشيخ ، فقلت : ما على يعني الا الأستاذ . فقال لي : هو أصلـــي ، وباملائــه كتبت ، كان يملي علي من حفظــه . فجعلت أتعجب . فسمع الأستـــاذ حديثنــا ، فالتفت الينــا ، وقال : نعم أنتمــا ؟ فأخبره ولده الخبر . فلمـــا رأى تعجبي قــال : بعيدا أن تفلحوا فيعجب أحدكم من حفظ ديوان المتنبي ! واللــه لقــد أدركت أقوامــا لا يعدون من حفظ كتاب سيبويــه حافظا ، ولا يرونـــه مجتهدا ، توفي أبو جعفــر هذا في شهر صفر من سنة ٦١٠ ، وقد كملت له ســـت وتسعون سنــة ، (١)

تلك مفخــرة من مفاخرهم ، سجل التاريخ كثيرا من أخبارها ، وقد قال الأستاذ الرافعي بعد أن ذكــر طرفــا من ذلك :

" ولو شئنــا أن نطيل في حفظ الأندلسيين لأ تينــا بالكثير من الأدبـــاء واللغويين والنحـــاة (٢) "

هـ — ولقد كان جمهرة علماء الأندلسيين وأدبائهم ممن ينتمــون الى أصول عربيـــة صريحــة أو شبيهــة بها كالولاء .

وهناك من صحح نسب بعض أعلامهم على أنه أسباني خالص ، وأبرز الأمثلـــة لهؤلاء هو ابن حزم ، فقد ذهب الأستاذ الدكتور الحاجري الى أنه أسبانـــي الأصل وأن جده لم يسلم الا بعد الفتح بزمــن ، الا أن هذا ليس على سبيـــل القطع والجزم فهناك روايات تضعف هذا الرأي .★

و — وقد بلغ تسامح العلمــاء في ميدان العلم حدا فاق كل وصف ، فالخـــلاف المذهبي في بلاد الأندلس لم يكن له أثر واضح في تفريق الكلمــة ، والـــى هذا يشير سيديو بقولــه :

" وكان الفقهاء على مذهبين متنافسين : مذهب مالك ومذهب الأوزاعـــي فكنت ترى بينهما اختلافا شديدا في بعض الأحيان — ولا سيما حوالـــي (٨٥٢م) ولكن من غير أن ينقلب الخلاف الى انفصـــال (٣) "

★ [illegible]

(١) المعجب : ٣٠١ ، ٣٠٢

(٢) تاريخ آداب العرب ٣ : ٣٣٢

ز — وقد رأينا أهل العلم في الأندلس يحتلون أرفع مكانة في نفوس الحكام وينزلون عندهم أعلى المنازل فقد كان الواحد منهم يرسل الفرانق الى العالم ، كي يستفتيه في كلمة أو في مسألة من المسائل جرى ذكرها في مجلسه ، وفي مثل ذلك يقول الزبيدي :

" وكانت المشيخة من أهل مورور يذكرون أن الفرانق كان يأتي من قرطبة من الخليفة محمد — رضي الله عنه — الى خصيب الكلبي يستفتي في الكلمة من اللغة والمسألة من العربية تحدث عندهم [(١)] "

وفي ذلك أخبار تشبه ما وقع للمازني حين استدعي لاعراب كلمة في بيت من الشعر كانت احدى الجواري قد غنته ، فأراد بحضرة السامعين أن يغير ضبط كلمة فأبت الجارية ، وقالت : لقد قرأته على أعلم أهل البصرة أبي عثمان المازني ، وهذا البيت هو قول الشاعر :

أظلوم ان مصابكم رجلا ★ أهدى السلام تحية ظلم ...

ح — وقد كان لقب فقيه عندهم من ألقاب التعظيم والتكرمة ، وللمقري في ذلك حديث ، قال [(٢)] :

" وسمة الفقيه عندهم جليلة حتى أن المسلمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه ، وهي الآن بالمغرب بمنزلة القاضي بالمشرق ، وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لأنها عندهم أرفع السمات "

ط — وقد كانت هممهم عالية لاتنال منها الخطوب والأحداث ، ولا يؤثر فيها الاضطهاد والظلم ، وهذا ابن حزم الذي كان يهاجم نظام الحكم في الأندلس ، ويثور لوجود أربعة خلفاء في بلد اسلامي واحد — اضطهده المعتضد فأحرق كتبه ، نكاية به واستجابة للفقهاء الذين وشوا به ،

---

(١) طبقات النحويين اللغويين : ٢٨١ ★ البيت للحارث المخزومي ، والرواية : أظليم

(٢) ... : ٢٠٦

ولكن ذلك لم يفل من عزيمته ولم يضعف من قوة ارادته ، فنراه بطلا صامدا أمام هذه المأساة يقول :

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى تضمنه القرطاس بل هو فى صدرى
يسير معى حيث استقلت ركائبى وينزل ان أنزل ويدفن فى قبرى
دعونى من احراق رق وكاغد وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى
والا فعودوا فى المكاتب بدأة فكم دون ما تبغون لله من ستر

ويقول ابن حزم أيضا :

مناى من الدنيا علوم أبثها وأنشرها فى كل باد وحاضر
دعاء الى القرآن والسنن التى تناسى رجال ذكرها فى المحاضر (١)

ى — وكذلك اشتهر علماء هذه البلاد بسرعة الخاطر وحضور البديهة ، ولو كان الدافع الى ذلك الحسد فقد " جىء " للمنصور أبى عامر صاحب الأندلس بوردة فى مجلس أنس أول ظهور الورد ، فقال صاعد بن الحسن اللغوى :

أتتك أبا عامر وردة يحاكى لك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكمامها راسها

فاستحسن الحاضرون ذلك الا ابن العريف ، فقد حسده وقال : هى لعباس بن الأحنف ، فناكره صاعد ، فقام ابن العريف الى بيته ووضع أبياتا وأثبتها فى دفتر ، وعاد قبل افتراق المجلس وهى :

عشوت الى قصر عباسة وقد جدل النوم حراسها
فألفيتها وهى فى خدرها وقد صرع السكر أناسها
فقالت : أسار على هجعة فقلت : بلى ، فرمت كاسها
ومدت الى وردة كفها يحاكى لك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكمامها راسها
وقالت : خف الله لا تفضحن فى ابنة عمك عباسها

---

(١) ابن حزم صورة أندلسية : ٢١١ ، ٢١٢ بتصرف .

تولیت عنها على غفلــــــة   وما خنت ناسی ولا ناسهـــــا

فخجل حامد وحلف فلم يقبل ذلك منه ، وافترقوا على أنه سرقهــــا[1] .

١ـ تأثرهم بعلماء المشـــرق :

وبعد فقد كـان المشرق مبعث نور العلم الذي يقبس منه علماء الأندلـــس والمعين العذب الذي يغترفون منه ، فما ان استقرت الأمور، وهدأت العواصـف وسكنت الفتن حتى يمم حكام الأندلس وجوههم نحو علماء المشرق ، يستقدمـــون بعضهم ليعاينوا علمه ، ويكسبوا من فضله ، ويجلبون كتب الأعلام يستنيرون بهديها وينسجون على منوالها ، وقد جعلوا أكبر همهم أن تكون لهم في العلوم والمعـــارف دولة عظيمة ، تضارع دولة المشارقة أو تفوق .

وقد حدثتنا كتب الأدب والتاريخ برحلات علماء الأندلس وأخذهم العلم عـــن أعلام المشرق ورجاله البارزيـــن ، كما حدثتنـــا كثيرا من نقل كتب المشـــــرق الى هذه البلاد بمختلف الوسائل ، حتى أن كتاب الأغاني ظهر بالأندلس قبـــــل ظهوره بالمشرق ، وكان الحكام يبذلون في هذا السبيل ما وسعهم البذل ، ولا يألـــون جهدا في تشجيع رحلات العلماء لجلب العلم رواية واغترافا من معين المشـــــرق الفياض .

وحين اجتمع لهم قدر صالح من ذلك رأيناهم يباهون به ويفاخرون ، ويعمـــون دائبين ليحلقوا في سماء المجد بعلمهم وعلمائهم ، وقد تحدثت عن رحلاتهـــم فيما بعد .

وربما يأخذنا العجب ، وتستولى علينا الدهشة حين نعرف أن الحكم المستنصر الذي ولي الحكم بعد وفاة الناصر سنة (٣٥٠)[2] كان كما يقول ابن خلدون :

---

(١) جذوة المقتبس : ١٨٢ ، ١٨٣ بتصرف .

(٢) [illegible]

" محبا للعلم مكرما لأهلها ، جماعة للكتب في أنواعها مالم يجمعه أحد من الملوك قبله . قال ابن حزم : أخبرني بكية الخصي ، وكان على خزانة العلم والكتب بدار بني مروان أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعة وأربعون فهرسة ، في كل فهرسة عشرون ورقة ، ليس فيها الا ذكر أسماء الدواوين لاغير ، فأقام للعلم والعلماء سلطانا نفقت فيه بضائعه من كل قطر ، ووفد عليه أبو علي القالي صاحب كتاب الأمالي من بغداد ، فأكرم مثواه ، وحسنت منزلته عنده ، وأورث أهل الأندلس علمه ، واختص بالحكم المستنصر واستفاد علمه . وكان يبعث في الكتب الى الأقطار رجالا من التجار ، ويسرب اليهم الأموال لشرائها حتى جلب منها الى الأندلس مالم يعهدوه ، وبعث في كتاب الأغاني الى مصنفه أبي الفرج الأصفهاني — وكان في بني أمية — وأرسل اليه فيه ألف دينار من الذهب العين ، فبعث اليه بنسخة منه قبل أن يخرجه بالعراق ... وجمع بداره الحذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والاجادة في التجليد ، فأوعى من ذلك كله ، واجتمعت بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده ".

ثم يذكر ابن خلدون بعد ذلك أن هذه الكتب بيع أكثرها في حصار البربر ونهب الباقي عند دخولهم قرطبة ، فيالها من ثروة ثقافية كتب لها هذا المصير !

وكتب لسان الدين بن الخطيب عن مجاهد العامري فقال[1] :

" كان أبو الجيش مجاهد يباين سائر الملوك في زمانه بخلال من الفضل من أشرفها العلم والمعرفة اللذان لم يكن في الأحرار ولا في الموالي أثبت قدما منه فيهما ، يكاد يربي على متقلديهما من أكابر العلماء في وقته ، ولاسيما علم العربية فانه تحقق به الى ما يتصرف من علم القرآن : قراءته ومعانيه وغريبه وتفسيره ، قد عني بطلب ذلك من صباه الى اكتهاله ، فكان في النهاية من البصر به ، وجمع

---

(١) تاريخ أسبانية الاسلامية : ٢١٧ ، ٢١٨

من الكتب مالم يجمعه أحد من نظرائه ، وأتت اليه العلماء من كل صقع ، فاجتمع بفنائه جملة من مشيختهم ومشهور طبقاتهم كأبي عمرو المقرئ ، وابن عبد البر ، وابن معمر اللغوي ، وابن سيده . فشاع العلم في حضرته حتى فشا في جواريه وغلمانه ، فكان له من المصنفين عدة يقومون على قراءة القرآن ، ويشاركون في فنون من العلم يجلونه بها ويشرفون دولته " .

كان هذا شأن حكام تلك البلاد ثم كان المؤرخون فيها يقرنون أسماء علمائهم وأدبائهم بأسماء علماء المشرق وأدبائه تفاخرا منهم ومباهاة فتراهم يقولون :

أ - محمد بن عاصم أبو عبد الله ، نحوي مشهور ، امام في العربية ، ذكره أبو محمد علي بن أحمد ، وأثنى عليه وقال : "كان لا يقصّر عن أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد (١) " .

ب - محمد بن يحيى الرباحي نحوي مشهور ، ذكره أبو محمد علي بن أحمد قال : كان لا يقصر عن أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد (٢) " .

جـ - أحمد بن محمد بن دراج ، أبو عمر الكاتب المعروف بالقسطلي ... سمعت أبا محمد علي بن أحمد - وكان عالما بنقد الشعر - يقول : لو قلت انه لم يكن بالأندلس أشعر من ابن دراج لم أبعد . وقال مرة أخرى : لو لم يكن لنا من فحول الشعراء الا أحمد بن دراج لما تأخر عن شأو " حبيب " ، و " المتنبي " مات أبو عمر وبن دراج قريبا من سنة ٤٢٠ هـ .

وقال الثعالبي : كان بصقع الأندلس ، كالمتنبي بصقع الشام (٣) .

د - أحمد بن عبد الملك بن شهيد .. ذكره أبو محمد علي بن أحمد مفتخرا به فقال : ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد ، وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعابها مقدار ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو وسهل (٤)

---

(١) جذوة المقتبس : ٨٤

(٢) المرجع السابق : ٩١

(٣) نفس المرجع : ١٠٦ ، وشذرات الذهب ٣ : ٢١٧ ، ويتيمة الدهر ٢ : ١٠٣ : ٦ : ١١

(٤) جذوة المقتبس : ١٢٤ .

هـ — .. أبو محمد علي بن أحمد . قال : وإذا ذكرنا أبا الأجرب جعونة ابن الصمة لم نباريه الا جريرا والفرزدق لكونه في عصرهما ، ولو أنصف لاستشهد بشعره ، فهو جار على أوائل مذاهب العرب ، لا على طريق المحدثين .(١)

وفي المغرب انه "كان فارسا شجاعا يدعى : " عنترة الأندلس ".(٢)

و — يوسف بن هارون الكندي أبو عمر يعرف بالرمادي .. شاعر قرطبي .. كان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون : فتح الشعر بكندة وختم بكندة ، يعنون امرأ القيس والمتنبي ويوسف بن هارون ، وكانا متعاصرين ، واستدل المتعلى ذلك بمدحه أبا علي اسماعيل بن القاسم عند دخوله الأندلس بالقصيدة التي أنشدها عند الحاكم أبو بكر مصعب بن عبد الله الأزدي وأولها :

من حاكم بيني وبين عذولي　　　الشجو شجوي والعويل عويلي

وكان وصول أبي علي القالي الى الأندلس سنة ٣٣٠ هـ ".(٣)

ز — محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي الأندلسي النحوي المعروف بالرباحي أبو عبد الله . قال ابن الفرضي : أصله من جيان وكان عليه الغالب عليه علم العربية وكان فيها اماما كبيرا لا يقصر عن أكابر أصحاب المبرد ... مات في رمضان سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة .(٤)

وكذلك كانوا يشرفون عند الملوك بلقاء جلة العلماء ورؤسائهم ويذكرون ذلك في زهو واعتداد . قال ياقوت(٥) :

" أبو محمد الحسن بن عمرو التجيبي قال : كنت بالأندلس فقيل لي ان هاهنا تلميذا لأبي عثمان الجاحظ يعرف بسلام بن يزيد ويكنى أبا خلف ، فأتيته فرأيت شيخا هما فسألته عن سبب اجتماعه مع أبي عثمان ، ولم يقع أبو عثمان الى الأندلس . فقال : كان طالب العلم بالمشرق يشرف عند ملوكنا بلقاء أبي عثمان ،

---

(١) جذوة المقتبس : ١٧٧
(٢) المغرب : ١٣٢
(٣) يتيمة الدهر ٢ : ٩٩ ، جذوة المقتبس : ٣٤٦ ، ٣٤٧ .
(٤) بغية الوعاة : ١١٣ ، تاريخ العلماء ٢ : ٧١
(٥) معجم الأدباء ١٦ : ١٠٤ ، ١٠٥ .

فانحدرت اليه ... قال : ممن أين ؟ قلت : من الأندلس. فقال :
طينة حمقاء ... قال : فأقمت عليه عشرين سنة " .

ثم هم ينسجون على منوال علماء المشارقة ، ويحاكونهم في كثير من تأليفهم ، يقتفون الآثار ولكنهم يحتزون بمالهم من نتاج فكرى في اقليمهم .

فهذا " أحمد ... الجياني الأندلسي أبوعمرو ... وافر الأدب كثير الشعر معدود في العلماء والشعراء وله الكتاب المعروف بكتاب الحدائق ألفه للحكم المستنصر عارض فيه كتاب الزهرة لابن داود الأصبهاني الا أن ابن داود ذكر مائة باب في كل باب مائة بيت ، وأبوعمرو ذكر مائتي باب في كل باب (مائتي) مائة بيت ليس منها باب يكرر اسمه لأبي بكر ، ولم يورد فيه لغير الأندلسيين شيئا ، وأحسن الاختيار ما شاء " [(١)] .

وهذا " أبو الحجاج يوسف بن محمد بن ابراهيم الأنصاري البياسي أحد فضلاء الأندلس وحفاظها المتقنين كان أديبا باهرا [(٢)] " .

يقول القفطي [(٣)] : ورأيت له أيضا كتاب " الحماسة " في مجلدين وقد قرئت النسخة عليه وعليها خطه ... ونقلت من أوله بعد الحمد لله ما مثاله : (أما بعد) فاني قد كنت في أوان حداثتي وزمان شبيبتي ذا ولوع بالأدب ، ومحبة في كلام العرب ولم أزل متتبعا لمعانيه ومفتشا عن قواعده ومبانيه ، الى أن حصلت لي جملة منه لا يسع الطالب المجتهد جهلها ، ولا يصلح بالناظر في هذا العلم الا أن يكون عنده مثلها ، وحملتني المحبة في ذلك العلم والولوع به على أن جمعت ما اخترته واستحسنته من أشعار العرب جاهليها ومخضرميها واسلاميها ومولدها ومن أشعار المحدثين من أهل المشرق والأندلس وغيرهم ما تحسن به المحاضرة وتجمل عليه المناظرة . ثم اني رأيت أن بقاءها دون أن تدخل

---

(١) معجم الأدباء ٤ : ٢٣٦ ، وجذوة المقتبس : ٩٧ .

(٢) وفيات الأعيان ٦ : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٣) المرجع السابق .

تحت قانون يجمعها وديوان يؤلفها مؤذن بذهابها ومؤد الى نفادها فرأيت أن أضم مختارها وأجمع مستحسنها تحت أبواب تقيد نافرها وتضم نادرها فنظرت فى ذلك فلم أجد أقرب تبويب ولا أحسن ترتيب مما بوبه ورتبه أبو تمام حبيب بن أوس رحمه الله تعالى فى كتابه المعروف بكتاب " الحماسة " وحسن الاقتداء به والتوخي بمذهبه لتقدمه فى هذه الصناعة وانفراده منها بأوفر حظ وأنفس بضاعة فاتبعت فى ذلك مذهبه ونزعت منزعه وقرنت الشعر بما يجانسه ، ووصلته بما يناسبه وفتحت ذلك واخترته على قدر استطاعتي وبلوغ جهدي وطاقتي ".

فهذا اعتراف مدون من أحد فضلاء الأندلس وحفاظها المثقفين أنه لم يجد مثالا يحتذى الا حماسة أبى تمام .

ويقول الحميدى (١) :

" قال لنا أبو محمد على بن أحمد : فمن مصنفات أبى عبد الرحمن بقى بن مخلد كتابه فى " تفسير القرآن " فهو الكتاب الذى أقطع قطعا لا أستثنى فيه أنه لم يؤلف فى الاسلام مثله ، ولا تفسير محمد بن جرير الطبرى ولا غيره " .

وهنا لم تقتصر الموازنة على كتابين وانما فضل هذا التفسير على كل تفسير ألف من قبله ، وذكر تفسير ابن جرير الطبرى ، على أنه بالرغم من وصوله النهاية ، فان تفسير بقى بن مخلد قد فاته وبذه . ومن المعروف أن التفسير علم من العلوم التى نشأت فى المشرق ، ونقله علماء الأندلس عمن علماء المشرق ، فكأن على بن أحمد يفضل هذا التفسير على كل تفسير سبقه دون أن يستثنى .

" أبو مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج . من الذخيرة : ... وقال فى وصفه : محيى علم اللسان بجزيرة الأندلس . قال : ولم ير مثله قبله ، ولا يرى بعده والله أعلم ... توفى سنة ٤٨٩ ... وجعله الحجارى أصمعى الأندلس (٢) " .

---

(١) جذوة المقتبس : ١٦٧ .

ولقد احتدم النزاع حول أبيات بعينها ، واختلف المؤرخون في نسبتها، فمنهم من ذهب الى أنها للمنازي ، وهؤلاء هم أنصار المشارقة ، ومنهم من نسبهـا الى حمدة الأندلسية ، وهؤلاء هم أنصار الأندلسيين (1) .

قال ياقـوت (2) :

" حمدونة بنت زياد المؤدب الأندلسية .. قد نسب اليها أهـل المغرب الأبيات الشهيرة المنسوبة للمنازي الشاعر المشهور وهي :

وقانا لفحة الرمضـاء واد   سقاه مضاعف الغيث العميم ...

أجمع أدباء المشرق على نسبة هذه الأبيات للمنازي .. ونسبها أدباء الأندلـس ومؤرخوهـا الى حمدة .. وفيهم من رواهـا لها قبل أن يخلق المنازي " .

ويغلب على الظن أن هـذه الأبيات لحمدة لما بين معانيها وخيالهـا من روعة ورقـة وجمـال ، يتفق وما عرف من أدب الأندلسيين .

وهكذا نرى الأندلسيين وغيرهم حين يؤرخون للعلماء والأدباء فهم يضربون لهم الأمثال بعلماء وأدباء من المشرق ، ويشبهونهم بأولئك الأعلام البارزين فنراهـم أولاء يباهون مفتخرين بتلمذتهم على أستاذ جليـل ، وشيخ عصره أبي عثمـان عمرو بن بحـر الجاحظ ، ويعتبرونه أحد صاحبي أبلغ لسانين والثانـي سهـل ابن هـارون .

ثم هم يختصون من علماء اللغـة أبرعهم وأكثرهم علمـا وأوسعهم ذاكـرة وهو الأصمعي ،واذا ذكروا الشعراء فهم والأدباء رأيناهم يقرنونهم بالأفـذاذ الممتازين الذين برزوا في ميادين الشعر والأدب ، من أمثال جريـر والفرزدق ، وصاحب الزهـرة ابن داود ، وصاحب الحماسة أبي تمام وغيرهم ممن ذاع صيتـه وعلا في العالمـين ذكـره .

ونراهم اذا ذكروا علم النحو عـدوه من أفضل العلوم وأعلاها طبقـة ، ولعـل خير شاهد على ذلك قول المقـري (3) :

---

(1) نفح الطيب ٦ : ٢٤

(2) معجم الأدباء ١٠ : ٢٧٦

(3) نفح الطيب ١ : ٢٠٦

" والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة .. "

وإذا تحدثوا من النحاة الأندلسيين ضربوا المثل لهم بمن طبق علمه في الشرق والغرب من بعد سيبويه والخليل ، ضربوا المثل بمحمد بن يزيد المبرد — كما رأينا آنفا — وكذلك ضربوا المثل بأبي على الفارسي عند ما ذكروا أبا على الشلوبين فقالوا : " انه ما يتقاصر عن الشيخ أبي على الفارسي ويغالون فيه مغالاة زائدة (١) " .

واليك واقعة تدل على أنهم كانوا يعرفون عن المبرد كل شيء حتى ذلك الاتهام الذي وجهه اليه أحد المجانين بعد أن هجاه عبد الصمد بن المعذل وشك في نسبه " .

قال المقرى (٢) :

ولقد نقلت ممن نقل من خط محمد بن على الصباغ .. قال : دخل والدك يوما لأداء الشهادة عنده ، فوجد بين يديه جماعة من الغزاة يؤدون شهادة فسمع القاضي منهم ، وقال لهم : هل ثم من يعرفكم ؟ فقالوا : نعم ، يعرفنا الصباغ . فقال القاضي : أتعرفهم يا أبا الحسن ؟ فقال له : نعم يا سيدى ، معرفة محمد بن يزيد .

فما أنكر عليه شيئا بل قال لهم : عرف الفقيه أبو الحسن ما عنده فانظروا من يعرف معه رسم حالكم ، فانصرفوا راضين . ولم يرتهن والدي في شيء من حالهم ، ولا كشف القاضي لهم ستر القضية .

قال محمد بن على الصباغ : أما قول والدى " معرفة محمد بن يزيد " فاشارة الى قول الشاعر :

أسائل عن ثمالة كل حي فكلهم يقول : وما ثُمالة ؟
فقلت : محمد بن يزيد منهم فقالوا الآن زدت بهم جهالة

---

(١) وفيات الأعيان ٣ : ١٢٣

(٢) نفح الطيب ٧ : ١١٨ ، ١١٩ .

فهذه الواقعة وأمثالها دليل صادق على أن أهل الأندلس كانوا يعلمون كل شيء عن علماء الشرق ، ولا يدخرون وسعا فى تشبيه علمائهم بهم ، وذكر ماكان لهم من فضل فى رفع المستوى الثقافى لهم .

---

١٢ ــ رحلات علماء الأندلس :

وفى سبيل طلب العلم لم يدخر الأندلسيون وسعا فى سبيل تحصيله والعكوف عليه ، فقد عرفوا أن العلم رسول الحق والكرامة ، وأدركوا أنه الأساس المتين لبناء الأمة ، فقدروه حق قدره وضحوا فى سبيله بكل عزيز عليهم ، ولعلهم فى اقبالهم المنقطع النظير كانوا يترسمون خطى الاسلام الذى أرسى دعائم العلم ، ورفع بناءه عاليا بين المسلمين ، فقد جعل رسول الاسلام طلب العلم فريضة ، وأمر بالتضحية فى سبيله .

ولقد رأيناهم فوق ما سبقت الاشارة اليه من انصرافهم الى البحث والدرس واستمانتهم بمؤلفات أهل المشرق واغراقهم فى الاقبال على التأليف والتدوين وبذل الجهود المضنية فى هذه السبيل ــ رأيناهم يكثرون من الرحلة والانتقال ، حتى كثر الحديث عن رحلاتهم وتنقلاتهم فى كتب التاريخ والتراجم والأدب وما هو جدير بالاشارة اليه أن المقرى قد دون فى كتابه نفح الطيب الأخبار الكثيرة عمن رحل الى الأندلس من علماء المسلمين ، ومن رحل عنها الى شتى أنحاء العالم الاسلامى . وقد كانوا يرحلون ابتغاء المزيد من العلم والرواية ، ومن الكتب المؤلفة فى مختلف الأصقاع ميتاعونها ويحملونها الى ديارهم مهما كلفهم ذلك ، لكى يرفعوا بها صرح الثقافة شامخا فى أندلسهم .

وقد كانوا فى هذه الرحلات يتعرضون لكثير من المتاعب والأخطار ، ولكنهم كانوا يستهينون بكل مايلقون من متاعب وأخطار ، فى سبيل الهدف الأسمى الذى يرتحلون من أجله ، ولم يكن أحد من هؤلاء العلماء يبالى بما يلاقى فى سبيله من صعوبات ومشاق وما قد يتعرض له فى رحلته من ضيق وضنك ، فقد كانت همهم

عالية وعزائمهم قوية فى اقبالهم على الرحيل والنقلة من أجل طلب العلم .

وربما يصاب أحدهم فى أعز ما يحمى من أجله فلا تهن عزيمته ولا تضعف ارادته ولا يبدى جزعا ولا ألما . وأى شىء أعز عند العالم من كتبه التى يتخذ منها الصاحب فى الغربة والأنيس فى الوحدة ، وأبو موسى الهوارى نموذج لهؤلاء الأفذاذ الذين حل الفقد بكتبهم فما وهن لما أصابه وما ضعف وما استكان ، ويكفى أن أنقل هنا ما كتبه الزبيدى عنه قال (١) :

" أبو موسى الهوارى ، هو من أهل الفقه فى الدين ، وأول من جمع الفقه فى الدين وعلم العرب بالأندلس ، ورحل فى أول خلافة الامام عبد الرحمن بن معاوية رضى الله عنه فلقى مالكا ونظراءه من الأئمة ، ولقى الاصمعى وأبا زيد الأنصارى ونظراءهما وداخل الأعراب فى محالها .

ولما صدر عن سفره عطب بنحو تدمير ، فذهبت كتبه . أخبرنى محمد بن عمر بن عبد العزيز عن بعض المشيخة قال : قصد شيوخ أهل استجة أبا موسى يهنئونه بقدومه ، ويعزونه بذهاب كتبه فقال لهم : ذهب الخرج وبقى مافى الدرج فأنا شمس زمانى فليسألنى من شاء منكم عما شاء " .

وقد ذكر خبره ابن الفرضى فى تاريخه فقال (٢) : " فعطب ببحر تدمير فذهبت كتبه " ، وكذلك ذكره السيوطى فى بغية الوعاة (٣) نقلا عن ابن الفرضى والزبيدى ولا شك فى أن قول ابن الفرضى : " فعطب ببحر تدمير " هو الصحيح الذى ينبغى أن يثبت فى الطبعات المقبلة محقق طبقات الزبيدى ، لأن الفرق انما يكون فى " بحر " لا فى " نحو " .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين : ٢٧٥ .

(٢) تاريخ العلماء والرواة للعلم ١ : ٣٠٠ .

(٣) المرجع السابق ص : ٣٠٢ .

ثم كان من هؤلاء من أصابته المسغبة ، وحلت به الفاقة ، ولكنه لم يبد بداً ، ولم يستجد أحداً ، وقد أشرت الى شيء من ذلك عندما تحدثت عن خصائص علماء الأندلس .

وقد بدأت هذه الرحلات فى وقت مبكر ، دون توان أو فتور وساح العلماء فى أرجاء العالم الاسلامى يبتغون ضالتهم المنشودة كى تنمو معارفهم وعلومهم ، وتصبح لهم اتجاهات فى مختلف العلوم والفنون ، يفاخرون بها أبناء المشرق الذين سبقوهم فى هذا المضمار وسأقتصر على ضرب أمثلة لبعض هؤلاء الذين تحدثت كتب التراجم عن رحلاتهم .

ففى فجر التاريخ الأندلسى رحل جودى بن عثمان النحوى الذى توفى سنة ثمان وتسعين ومائة ، وقد قال عنه الزبيدى فى طبقاته[(١)] : " انه سكن قرطبة بعد قدومه من المشرق " .

وكذلك الغازى بن قيس الذى توفى سنة تسع وتسعين ومائة قال عنه الزبيدى[(٢)] :

" رحل الى المشرق وشهد تأليف مالك للموطأ ، وهو أول من أدخله الأندلس ، وأدرك نافع بن أبى نعيم ، وقرأ عليه ، وهو أول من أدخل قراءته " .

ثم شهد التاريخ رحلات أكثر واقبالا أشد على هذه الرحلات من أجل الاغتراف من معين العلم الذى لاينضب ففى سنة أربع وخمسين ومائتين توفى " العتبى صاحب العتبية فى مذهب مالك واسمه محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة الأموى العتبى القرطبى الفقيه ، أحد الأعلام ، أخذ عن يحيى ورحل فأخذ بالقيروان عن سحنون ، وبمصر عن أصبغ ، وصنف المستخرجة ، وجمع فيها أشياء غريبة عن مالك[(٣)] "

وفى طبقات الزبيدى[(٤)] :

عثمان بن المثنى ، يكنى أبا عبد الملك ، رحل الى المشرق فلقى حبيب بن أوس ، فقرأ عليه شعره ، وأدخله الأندلس ، ولقى جماعة هنالك منهم ابن الأعرابى

---

(١) صفحة : ٢٧٨
(٢) " : ٢٧٦ ، ٢٧٧
(٣) [illegible]

وتوفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين بعد موت الامام محمد وهو ابن تسع وتسعين سنة ".

وقال عنه ابن الفرضي (١) :

.. رحل الى المشرق فلقى جماعة من رواة الغريب وأصحاب النحو والمعانى ..

وقرأ على حبيب بن أوس ديوان شعره ، وأدخله الأندلس رواية عنه ".

وفى المغرب كذلك حديث عن رحلته ولقائه بأبى تمام (٢) .

وفى سنة ست وسبعين ومائتين توفى " محدث الأندلس قاسم بن محمد ابن قاسم الأموى مولاهم القرطبى الفقيه له رحلتان الى مصر ، وتفقه على الحارث بن مسكين وابن عبد الحكم ، وكان مجتهدا لا يقلد أحدا . قال رفيقه بقى بن مخلد : هو أعلم من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وقال : لم يقدم علينا من الأندلس أعلم من قاسم . وقال محمد بن عمر بن لبابة : ما رأيت أفقه منه ، وروى عن ابراهيم ابن المنذر الحزامى وطبقته (٣) "

وفى طبقات الزبيدى (٤) :

" الخشنى ، هو محمد بن عبد السلام من أهل كورة جيان ، وانتقل الى قرطبة فسكنها الى أن توفى بها ، وكان فصيح اللسان بصيرا بكلام العرب ، ورحل الى المشرق فلقى المازنى وأبا حاتم والرياشى ، وكتب عن رجال الحديث: أبى موسى الزمن ، وبندار ، وعبدة ، ويوسف بن عدى وغيرهم من العراقيين ".

ونقل السيوطى عن المغرب أن اسمه محمد بن عبد الله ، كما نقل عن ابن الفرضى أن اسمه محمد بن عبد السلام وأنه عالم جليل كان نحويا لغويا شاعرا زاهدا ، رحل ولقى أبا حاتم السجستانى وجاء الى الأندلس بعلم كثير . زاد ابن الفرضى : كان الغالب عليه حفظ اللغة ورواية الحديث ، ولم يكن عنده كثير علم بالفقه

---

(١) تاريخ العلماء ١ : ٣٤٦

(٢) ص ١١٢ .

(٣) شذرات الذهب ٢ : ١٧٠

ورحل فحج ودخل البصرة ، وسمع من محمد بن بشار ، وابن بنت أزهر السمان ، ودخل بغداد ومصر ، وأخذ الكثير من كتب اللغة عن الأصمعي رواية ، ولقي الرياشي والزيادي وأبا حاتم ... وأدخل الأندلس الكثير من الحديث واللغة والشعر الجاهلي وكان فصيح اللسان صارما أنوفا متقبضا عن السلاطين ، طلب للقضاء فأبى ، ومات يوم السبت لأربع بقين من رمضان سنة ست وثمانين ومائتين عن ثمان وستين سنة (١) .

وفي بغية الوعاة (٢) :

" محمد بن عبد الله الغازي بن قيس القرطبي ، قال الزبيدي وابن الفرضي سمع من أبيه ورحل الى المشرق فدخل البصرة ولقي بها أبا حاتم السجستاني والرياشي وجماعة من أهل الحديث ورواة الأخبار والأشعار وأصحاب اللغة والمعاني ، وأدخل الأندلس علما كثيرا من الشعر والعربية والخبر ، وعنه أخذ أهل الأندلس الأشعار المشروحة ، مات بطنجة سنة ست وتسعين ومائتين أو نحوها " .

وقال ابن الفرضي (٣) :

أحمد بن يوسف بن عابس المعافري يكنى أبا بكر ، أصله من سرقسطة وانتقل منها الى وشقة ، فسكنها الى أن توفي بها ، وكانت له رحلة ، سمع بأفريقية من يحيى بن عمر ، وأحمد بن أبي سليمان وغيرهما ، وكان ذا فهم ونبل ومتصرفا في علم النحو والشعر وشاعرا مطبوعا ، توفي سنة سبع وتسعين ومائتين أو سنة تسع وتسعين .

وقد استمر الاتصال على هذه الرحلات في سبيل طلب العلم عبر حقب التاريخ التي قضاها المسلمون في هذه الديار ، ونكتفي بالاشارة الى عدد آخر من أصحاب الرحلات خلال بقية القرون التي قضاها المسلمون في تلك البلاد .

محمد بن عبد الله بن سوار القرطبي ، قال ابن الفرضي : أخذ عن أبيه ورحل الى المشرق فلقي أبا حاتم والرياشي وغيرهما ، مات في ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثمائة (٤) .

---

(١) بغية الوعاة : ٥٢

(٢) صفحة : ٥٨

(٣) تاريخ العلماء ١ : ٣٧

(٤) [illegible]

وفى نفح الطيب (١) :

قاسم بن ثابت أبو محمد العوفى السرقسطى ، رحل مع أبيه ، فسمع بمصر من أحمد بن شعيب النسائى ، وأحمد بن عمرو البزار ، وبمكة .. واعتنى بجمع الحديث واللغة هو وأبوه ، فأدخلا الى الأندلس علما كثيرا ، ويقال : انهما أول من أدخل كتاب العين الى الأندلس . توفى سنة ثلاث وثلاثمائة .

وفى تاريخ العلماء (١ : ٤٠٢) أنه توفى سنة اثنتين وثلاثمائة .

الأفشنيق ، محمد بن موسى بن هاشم بن يزيد ، مولى المنذر رضى الله عنه وكان متصرفا فى علم الأدب والخبر ، ورحل الى المشرق ، فلقى أبا جعفر الدينورى وانتسخ كتاب سيبويه من نسخته ، وأخذه عنه رواية ، وأخذه عن المازنى ، وروى كتب ابن قتيبة عن ابراهيم بن جميل الأندلسى ، أخذها عنه بمصر .. وتوفى فى رجب سنة سبع وثلاثمائة (٢) .

أبو الحكم منذر بن سعيد القاضى سمع بالأندلس من عبيد الله بن يحيى ونظرائه ، ثم رحل حاجا سنة ثمان وثلاثمائة ، فسمع بمكة من محمد النيسابورى كتابه المؤلف فى اختلاف العلماء المسمى " بالاشراف " وروى بمصر كتاب العين للخليل عن أبى العباس بن ولاد ، وعن أبى جعفر النحاس ... ولبث قاضيا الى أن توفى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة (٣) .

محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدى النحوى المعروف بالرباحى من أهل قرطبة وأصله من جيان ... ورحل الى المشرق ، فسمع بمكة من ابن الأعرابى وبمصر من أبى جعفر أحمد بن النحاس وعلان بن الحسن وابن ولاد وغيرهم ، وكان علمه الغالب عليه العربية ، وكان فقيها اماما موثوقا ، أخذ كتاب سيبويه رواية عن ابن النحاس ... مات سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (٤) .

---

(١) جـ ٢ ص : ٢٥٥ .

(٢) طبقات النحويين : ٣٠٥ ، بغية الوعاة : ١٠٨ ، ١٠٩ ، تاريخ العلماء جـ ٢ ص ٤١

(٣) تاريخ قضاة الأندلس : ٧٤ ، طبقات النحويين : ٣١٩ .

(٤) [illegible] ٧١ ، بغية الوعاة : ١١٣ .

حسن بن وليد بن نصر من أهل قرطبة ، يكنى أبا بكر ، يعرف بابن العريف .. وكان نحويا متقدما خرج الى المشرق سنة ثلاثمائة واثنتين وستين فأقام بمصر ، ورأس فيها ، وتحلق في جامعها ، وتوفي بها سنة سبع وستين وثلاثمائة (١) .

علي بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن بشر .. أدخل الأندلس علما جما من القراءات .. توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة (٢) .

عبد السلام بن السمح بن نابل بن عبد الله بن يحيون بن حارث بن عبد الله ابن عبد العزيز الهواري يكنى أبا سليمان ، أصله من مورور ، رحل الى المشرق .. وسكن اليمن .. سمع بمكة من ابن الأعرابي وبمصر من أبي جعفر بن النحاس وأبي علي الآمدي اللغوي ... وتوفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة (٣) .

الحسين بن اسماعيل بن الفضل المتقي من أهل مرسية ، له رحلة الى المشرق .. وكان عالما بالأخبار والاعراب والأشعار .. توفي سنة اثنتى عشرة وأربعمائة (٤) .

عبد العزيز بن أحمد بن السيد بن مغلس القيسي أندلسي .. كان من أهل العلم باللغة والعربية مشارا اليه فيها ، رحل من الأندلس واستوطن مصر فمات بها سنة سبع وعشرين وأربعمائة (٥) .

عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة أبو محمد السعدي الأندلسي الشاطبي قدم دمشق طالب علم ... ورحل الى العراق .. توفي سنة خمس وستين وأربعمائة بحران (٦) .

---

(١) تاريخ العلماء ١ : ١٣١ ، بغية الوعاة : ٢٣٠ .

(٢) تاريخ العلماء ١ : ٣٦١ .

(٣) تاريخ العلماء ١ : ٣٣٢

(٤) الصلة ١ : ١٤٠

(٥) الصلة ١ : ٣٥١ ، بغية الوعاة : ٣٠٧ ، وفيات الأعيان ٢ : ٣٦٦ .

(٦) انباه الرواة ٢ : ١٨٣ .

خلف بن يوسف الأمى القرطبى أبو القاسم النحوى اللغوى .. رحل الى المشرق .. توفى سنة خمس وثمانون وأربعمائة (١) .

سليمان بن أحمد السرقسطى أبو الربيع الأندلسى المقرى اللغوى رحل الى المشرق .. توفى ببغداد سنة تسع وثمانون وأربعمائة (٢) .

أبو عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله بن حميد بن يصل الأزدى الحميدى الأندلسى الميورقى الحافظ المشهور . أصله من قرطبة من ربض الرصافة وهو من أهالى جزيرة ميورقة ، روى عن أبى محمد على بن حزم الظاهرى ... ورحل الى المشرق .. فسمع بمكة .. وافريقية والأندلس ومصر والشام والعراق واستوطن بغداد .. وله أيضا تاريخ علماء الأندلس سماه " جذوة المقتبس" توفى سنة احدى وثمانين وأربعمائة (٣) .

وكذلك استمر هذا النشاط العلمى يدفعهم الى الرحلة والانتقال عبر القرون التى أتاها المسلمون فى ذلك الفردوس المفقود ، ينهلون من معين العلم العذب ويعلمون به قومهم ويزيدون معارفهم . ويضيفون لبنات من نور فى بناء ذلك الصرح العظيم الذى عرف فضله فى الخافقين وهؤلاء علماء جلة هجروا الدعة والراحة ، وتحملوا مشقة السفر والرحلة فى سبيل طلب العلم الذى هو أشرف مطلوب .

عبد الله بن أبى سعيد أبو محمد النحوى الأندلسى ، المعروف بالكاسات نحوى قرأ النحو فى بلاده ، وانتقل الى الشرق واستوطن مصر ، وكان له فى جامع عمرو بن العاص حلقة للاقراء والافادة وله شعر كثير توفى سنة عشرين وخمسمائة (٤) .

عبد الله بن أبى سعيد الأنصارى الأندلسى النحوى القريشى ، نحوى فاضل قرأ على مشايخ بلاده ، ورحل الى الشرق ودخل مصر وأفاد بها ، ونزل الأسكندرية .. توفى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة (٥) .

---

(١) انباه الرواة ١ : ٣٥٢
(٢) " ٢ : ٢٤
(٣) وفيات الأعيان ٣ : ٤١٠
(٤) انباه الرواة ٢ : ١١٠

أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي الملقب صائن الدين ، أحد الأئمة المتأخرين في القراءات وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك .. خرج من الأندلس في عنفوان شبابه ، وقدم ديار مصر .. ودخل بغداد سنة سبع وعشرين وخمسمائة وقرأ بها القرآن على الشيخ أبي محمد عبد الله بن علي المقرئ المعروف بابن بنت الشيخ أبي منصور الخياط وسمع عليه كتبا كثيرة منها كتاب سيبويه ... أقام بدمشق مدة طويلة واستوطن الموصل ورحل منها الى أصبهان ثم عاد الى الموصل ، وأخذ عنه شيوخ ذلك العصر فتوفي يوم عيد الفطر سنة سبع وستين وخمسمائة (١) .

محمد بن أحمد بن سليمان بن أحمد بن ابراهيم أبو عبد الله الزهري النحوي قال ابن النجار ثم الصفدي : ولد بها لقنة ، وطاف الأندلس ، وحصل طرفا صالحا من الأدب ثم أتى مصر وسمع بها الحديث ، ودخل الجزيرة والشام ولقى الفضلاء ثم أتى بغداد .. قتله التتار في شهر رجب سنة سبع عشرة وستمائة (٢) .

وقد أشرنا الى حميد النحوي الذي رحل للحج سنة تسع وأربعين وستمائة فلما دخل مصر عظم صيته بها ، وعرف فضله عند أهلها .. ومات قبل أن يحج يوم الثلاثاء لثمان بقين من ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وستمائة ، وشهد جنازته السلطان فمن دونه ، أشرنا اليه عند الحديث عن خصائص علماء الأندلس فقد كانت عزته وعفة نفسه مضرب المثل في مرضه (٣) .

محمد بن حجاج بن ابراهيم الحضرمي أبو عبد الله وأبو بكر الوزير المعروف بابن مطرف الأشهلي نزيل مكة النحوي الولي العارف بالله تعالى ذو الكرامات الشهيرة . قال الفاسي :

---

(١) وفيات الأعيان ٥ : ٢١٩

(٢) بغية الوعاة : ١١

ولد سنة ثمان عشرة وستمائة ، وحج وسمع ابن مسدى وعاد الى الاسكندرية ثم الى مكة ثم الى عدن وأقرأ بها النحو وعاد الى مكة فأقام بها الى أن مات وكان قرأ النحو على الشلوبين ... مات كما قال الفاسي ليلة الخميس ثالث رمضان سنة ست وسبعمائة . وقال الذهبي سنة سبع . وقال غيره سنة أربع (١) .

محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن ادريس بن سعيد بن مسعود ابن حسن بن محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي أبو عبد الله محب الدين يعرف بابن رشيد ، قال في تاريخ غرناطة :

كان متضلعا بالعربية واللغة والعروض .. قرأ على ابن أبي الربيع وحازم القرطاجني ، ورحل فأخذ بمصر والشام والحرمين عن جماعة منهم الشرف الدمياطي وأبو اليمن بن عساكر والقطب القسطلاني وغيرهم مما ضمنه رحلته التي سماها : " ملء العيبة ، فيما جمع بطول الغيبة ، في الرحلة الى مكة وطيبة " وهي ست مجلدات مشتملة على فنون . وأقرأ بغرناطة فنونا من العلم .... مولده سنة سبع وخمسين وستمائة بسبتة ومات بفاس في المحرم سنة احدى وعشرين وسبعمائة (٢) .

وهكذا ندرك من هذه الأمثلة القليلة أن هذه الرحلات كانت تؤتي ثمارها الطيبة بلقاء أولئك الأعلام من العلماء من أمثال : الأصمعي والمازني وأبي حاتم السجستاني والرياشي والزيادي وأبي جعفر الدينوري وأبي جعفر بن النحاس وعلان بن الحسن وابن ولاد وابن الأعرابي وأبي علي الآمدي اللغوي والشرف الدمياطي وأبي اليمن بن عساكر ، والقطب القسطلاني ، وغيرهم ممن تحدث التاريخ بما لهم من فضل على العلم ، وأشاد بجهودهم التي سدت فراغا كبيرا في كثير من ميادين العلم ، وهكذا نرى أن الأندلسيين قد شدوا الرحال لكي ينقلوا الى بلادهم العلم الكثير من اللغة والشعر والنحو والحديث ، ويتمثل ذلك في أمهات الكتب

---

(١) بغية الوعاة : ٣٠

(٢) المصدر السابق : ٨٥ .

التي وقع اختيارهم عليها ككتاب العين للخليل بن أحمد وكتاب سيبويه وغيرهما ،
كما يتمثل في شرف الحظوة بالجلوس في حلقات العلم التي كانت تنتشر في مختلف
أنحاء العالم الاسلامي وخاصة في المواطن الأولى التي أنجبت قادة الفكر ، ونوابغ
العلماء في الشرق العربي ، ويتمثل ذلك أيضا فيما كان يدونه العلماء عن رحلاتهم
من كتب ومؤلفات ذكرت أخبارها في تاريخهم .

وكذلك نجد أسماء البلاد التي طوف بها هؤلاء العلماء من أعظم البلاد
في الشهرة العلمية ، فالعراق كانت مدنها العلمية تزخر بالأفواج تلو الأفواج
وأهل العلم فيها لا يألون جهدا في الحث على الانتاج والتهيؤ للتعليم وتأليف
كتب العلم ، ومن أبرز المدن العراقية التي أدت واجب العلم كاملا غير منقوص
مدينة البصرة التي كانت الموطن الأول لعلماء العربية والمعهد الكبير الذي نسبت
اليه جمهرة الآراء والأقوال في علوم العربية .

ومصر كانت الأم الرؤم التي تحنو على أبطال العلم ورجاله ، وتقدم اليهم
ما تستطيع من معونة وتكريم ، وتتيح أعظم الفرص لطلاب العلم الوافدين اليها ، وفي
مصر مدينة الاسكندرية ذات الشهرة العلمية القديمة التي حفظ لها الوافدون
من علماء الأندلس حقها ، فكان منهم من يحل بها من أجل خدمة العلم .

وكثيرا ما نجد اسم دمشق مسجلا في ترجمة بعض العلماء ، اذ كانت محط
رحال بعض طلاب العلم المرتحلين من أجل التزود من العلم بأوفى نصيب .

وكذلك كان الحرمان الشريفان : مكة المكرمة والمدينة المنورة مركزا
علميا كريما على نفوس العلماء والمتعلمين ، فكان هؤلاء جميعا ينتهزون الفرص
لاطالة المقام في هاتين البقعتين الطاهرتين ، يذاكرون ويتدارسون مختلف العلوم
والفنون وخاصة العلوم التي يبتغون بها وجه الله والدار الآخرة .

———

* اللغة العربية في الأندلس *

١ـ مكانة اللغة العربية في الأندلس

٢ـ لغة التخاطب في الأندلس

٣ـ لغة الكتابة والتعليم في الأندلس

٤ـ الدعائم الرئيسة للغة العربية :

أ ـ القرآن الكريم

ب ـ الحديث الشريف والمذاهب الفقهية

جـ ـ كلام العرب وآثارهم

٥ـ التأليف باللغة العربية في الأندلس

١ـ مكانة اللغة العربية في الأندلس :

وفتح الله على المسلمين بلاد الأندلس ، واستقر لهم الأمر فيها بعد فترة وجيزة ، لم يعرف التاريخ فتحا تم من قبل بمثل هذه السرعة ، كما أشار الى ذلك المؤرخ الأمريكي سكوت في حديث ذكرته " حتى اذا ألقت الحرب سلاحها رأيت اليهود والعرب والفرس وقد اجتمعوا على انشاء التعليم والفلسفة والآداب والعلوم الى غير ذلك مما ميز حكم العرب وأرسل شعاعه في العصور الوسطى منيرا وهاجا (١) " .

ولكن لغة المسلمين كان غزوها رفيقا ، فقد رضيت بأن تعيش جنبا الى جنب مع لغة البلاد التي كانت من قبلها ، الا أنه " في زمن وجيز أصبح المتحدثون بالعربية من الأسبان المسلمين أحرارا وعتقاء وعبيدا يؤلفون القسم الأكبر من السكان ، وانتشر اللسان العربي أيضا بشكل ملحوظ ، حتى بين أولئك الذين ظلوا على ولائهم لديانتهم القديمة ، وفي زمن مبكر لا يعدو منتصف القرن التاسع يشير ألفارو ـ وهو مسيحي من قرطبة بأسف الى هذا قائلا :

كثيرون من أهل ملتي يقرؤون شعر العرب وقصصهم ويدرسون كتابات علماء الكلام والفلاسفة المسلمين لا لينقدوا أقوالهم ، وانما ليتعلموا كيف يعبرون عن أنفسهم بالعربية بشكل أكثر دقة واتقانا ، أين يستطيع المرء أن يجد رجلا عاديا يقرأ التعليقات اللاتينية على الكتب المقدسة ؟

من من الناس يدرس الأناجيل وصحف الرسل والأنبياء ؟

جميع الشباب النصراني من ذوي المواهب لا يعرفون سوى العربية والأدب العربي ، يقرؤون الكتب العربية والأدب العربي ، ويجمعون من هذه الكتب مكتبات ضخمة باهظة التكاليف ويعلنون في كل مكان أن الأدب العربي جدير بالاعجاب .

ولا تكاد تجد بين الآلاف منا واحدا يستطيع أن يكتب لصديقه رسالة مقبولة باللغة اللاتينية ، ولا يحصى عدد من يعبرون عن أنفسهم بالعربية ، وينظمون الشعر العربي بأسلوب فني يفوق أسلوب العرب أنفسهم (٢) "

(١) قصة العرب في أسبانيا : ٢٢

(٢) أثر العرب في الحضارة الأوربية : ٦٥،٦٦ .

ومن المسلم به عند كل من قرأ تاريخ هذا الفتح أن الفاتحين لم يكرهوا أحدا على أن تكون اللغة العربية لغته ، وأن الأمة الغازية المنتصرة لم تحتم على المغلوبين أن تكون لغتهم الملتزمة هي اللغة العربية .

وعلى الرغم من هذا التسامح فقد تمكنت العربية من نفوس الأسبان وامتلكت مشاعرهم واحساسهم : أما الذين شرح الله صدورهم للاسلام من هؤلاء فقد تمكنت من نفوسهم بحكم حبهم دينهم الجديد الذى ضمن لهم حق الحياة الكريمة ثم بحكم رغبتهم فى التعرف على أسرار هذا الدين القويم والتفقه فى أموره وشئونه ، وهم قد لمسوا فى الكتاب والسنة روح العدالة والانصاف ، وعثروا فيهما على غذاء العقل والروح .

وأما الذين لم يسلموا فقد سحرتهم هذه اللغة الجديدة بما فيها من خفة ويسر وسهولة ، واستهوت عقولهم وأخذتهم بما لها من خصائص وميزات ، فانصرفوا اليها عن لغتهم وضجت الأوساط الأسبانية المسيحية آنذاك بالشكوى المريرة وحملت على انصراف القوم عن لغتهم حملات باءت كلها بالخيبة والفشل .

" وحوالى القرن التاسع ارتأى كبير أساقفة قرطبة أنه من الضرورى ترجمة التوراة الى العربية وشرحها لا لأغراض تبشيرية وانما من أجل جماعته (١) " .

ويقول الأستاذ عباس العقاد فى كتابه " أثر العرب فى الحضارة الأوربية " نقلا عن العلامة دوزى (٢) :

" ويروى لنا دوزى فى كتابه عن " الاسلام فى الأندلس " رسالة ذلك الكاتب الأسبانى — الفارو — الذى كان يأسى أشد الأسى لاهمال لغة اللاتين والاغريق والاقبال على لغة المسلمين فيقول :

ان أرباب الفطنة والتذوق سحرهم رنين الأدب العربى فاحتقروا اللاتينية وجعلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها وساء ذلك معاصرا كان على نصيب من النخوة الوطنية أوفى من نصيب معاصريه ، فأسف لذلك مر الأسف وكتب يقول :

---

(١) تاريخ الشعوب الاسلامية ٢ : ١٦٣ .

(٢) صفحة : ٦٥ ، ٦٦ وكذلك ذكر مثل هذا فى قصة العرب : ٧٩ ، ٨٠

ان اخواني المسيحيين يعجبون بشعر العرب وأقاصيصهم يدرسون التصانيف التي كتبها الفلاسفة والفقهاء المسلمون ، ولا يفعلون ذلك لادحاضها والرد عليها ، بل لاقتباس الأسلوب العربي الفصيح .

فأين اليوم من غير رجال الدين من يقرأ التفاسير الدينية للتوراة والانجيل ؟
وأين اليوم من يقرأ الأناجيل وصحف الرسل والأنبياء ؟

وا أسفاه . ان الجيل الناشئ من المسيحيين الأذكياء لايحسنون أدبا أو لغة غير الأدب العربي واللغة العربية وانهم ليلتهمون كتب العرب ويجمعون منها المكتبات الكبيرة بأغلى الأثمان ويترنمون في كل مكان بالثناء على الذخائر العربية في حين يسمعون بالكتب المسيحية فيأنفون من الاصغاء اليها محتجين بأنها شيء لايستحق منهم مشقة الالتفات . فيا للأسى !

ان المسيحيين قد نسوا لغتهم فلن تجد فيهم اليوم واحدا في كل ألف يكتب بها خطابا الى صديق . أما لغة العرب فما أكثر الذين يحسنون التعبير بها على أحسن أسلوب . وقد ينظمون بها شعرا يفوق شعر العرب أنفسهم في الأناقة وصحة الأداء " .

ومن الواضح أن فيما يرويه دوزي معاني وأفكارا أكثر وضوحا وأبلغ تعبيرا مما سبق أن ذكرته من ذلك الكاتب الأسباني ـ الفارو ـ وربما كان مرد ذلك الى اختلاف الروايات أو الى اختلاف وجهة نظر الناقلين .

ولقد أرغم رجال الدين المسيحي على أن يترجموا كتب الدين الى اللغة العربية ليتمكن أبناء دينهم من قراءتها وفهمها ، لأنهم أتقنوا اللغة العربية وأجادوها كما تقدم ذلك آنفا .

فالعرب اذن لم يفرضوا لغتهم على الأسبان ، ولو أنهم ساروا على خطة غير التي ساروا عليها لكان لهم في هذه البلاد شأن غير الشأن الذى انتهى أمرهم اليه ، فاللغة تشكل جانبا حيويا على درجة عظمى من الأهمية بالنسبة لاحساس من يتكلم بها ، ودليل ذلك ما تبذله دول الاستعمار الكبرى من جهود في سبيل توطيد لغاتها والتمكين لها مع من تحتل بلادهم وتستعمرها ، وليست هذه القضية في حاجة الى برهان ؛

فالبعثات الدراسية المجانية ، والمنح التي تبذل لانشاء المدارس والجامعات والمعاهد والدروس التي تلقى وتحمل الى الراغبين على موجات الأثير ، والكتب التي توزع بلا مقابل على كل طالب - كل ذلك وما شاكله برهان على ما للغة من الأهمية في حياة الأمم والشعوب .

ولا ريب في أن ذلك اتجاه حكيم ، ولو أن العرب بعد أن ثبتت أقدامهم في بلاد الأسبان حملوا أهلها على أن يغيروا لغتهم ، وأن ينبذوا تلك الرطانة التي ظلوا متمسكين بها ، ورغبوهم كذلك أو شجعوهم وألفوا قلوبهم على أن ينخرطوا في سلك الدين الاسلامي - لو أنهم فعلوا ذلك لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا .

وقد تحقق ما وصل اليه الباحثون من وجود لغة أخرى مع اللغة العربية أيضا فيما كتبه ليفي بروفنسال عن محاضرة ألقاها المستشرق الأسباني خليان ريبيرا يقول[1] :

.. ثم ذهب المستعرب الجليل في الخطبة التي ألقاها بالمجمع الملكي الأسباني الى أنه كان يوجد في أسبانيا الاسلامية مع اللغة العربية لغة دارجة لاتينية يتكلم بها السواد الأعظم من الناس سواء في المدن أو في القرى ، وهذا الذي جزم به ريبيرا كان ينظر اليه في أسبانيا وغيرها منذ خمس وثلاثين سنة (بالنسبة لتاريخ هذه المحاضرة ١٥ من مارس ١٩٤٨) على أنه خطوة جريئة ثم ثبت اليوم ثبوتا يقينيا بعد الوقوف على قرائن وأدلة ترجع الى ذلك العصر ، وهذا الذي ذكره ابن حزم في القرن الحادي عشر ، فقد أشار في كتابه " جمهرة أنساب العرب " الى أن جماعة كانت تقطن في عصره بشمال قرطبة في ناحية أجيلار حاليا وهم من بني بلّي من قضاعة لايتكلمون الا العربية على عكس سائر مواطنيهم قال : " ودار بلّي بالأندلس الموضع المعروف باسمهم بشمال قرطبة ، وهم هنالك الى اليوم على أنسابهم لا يحسنون الكلام باللطينية لكن بالعربية فقط نساؤهم ورجالهم " .

وقد عرفنا من تاريخ العرب ومن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا في حروبهم وفي غزواتهم كثيرا ما يصطحبون معهم بعض النساء ، يضمدن الجرحى ويعددن الطعام ، ويحرسن المتاع ، ويقمن بأعمال جماعات الامداد والتموين

ولكن هؤلاء الذين فتحوا بلاد الأندلس لم يتحدث التاريخ عنهم بمثل هذه الأنباء فان المرأة العربية لم تشترك في حملات الغزو ، ولم تقم بمعارضة الرجل في ميادين الحروب الأندلسية . " فالعرب كانوا يدخلون الأندلس رجالا فقط ، ثم يتخذون النساء من أهل البلاد ، وعلى هذا فالأجيال الثانية من هؤلاء العرب جميعها لا يمكن أن يكونوا عربا من ناحية الدم بل ربما جاز اعتبارهم مولديين حتى البيت الأموي نفسه كان بيتا مولدا ، انما كانوا عربا بالاحساس والاتجاه واللغة الى حد كبير ، وبديهي أن أولئك جميعا لم يعودوا يتكلمون العربية في حياتهم العادية (١) "

هذا مايقوله الدكتور حسين مؤنس في كتابه فجر الأندلس ، وقد أشار في الهامش الى أنه اعتمد في هذه المعلومات على : جمهرة أنساب العرب — فرحة الأنفس لابن غالب — نفح الطيب للمقري — الأخبار المجموعة — البيان المغرب لابن عذاري ، والذي أرده من هذا الكلام ولا أقبله هو قوله : " فالأجيال الثانية ..... الخ " . لأن المعروف في علم الأنساب أن الدم ينسب الى الآباء ، فالدم العربي كان يجري في عروق النسل الذين كانت أمهاتهم أعجميات ، وقد أثر عن العرب قولهم : " الغريبة أنجب والقريبة أصبر وما ضرب رؤوس الأبطال كابن الأعجميات " ، ولو كان زواج الأعجمية أو التسري بها يحول دون جريان الدم العربي في عروق الأبناء ما أقدم عليه العرب ، وقد عرف أن العرب كانوا يعتزون بأبنائهم من الأعجميات كما يعتزون بأبنائهم من نساء العرب . هذا وقد تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية وأنجب منها ولده ابراهيم ، ولم يقل أحد من المؤرخين وعلماء السيرة ان ابراهيم لم يكن عربيا من ناحية الدم .

ويقول ليفي بروفنسال في كتابه تاريخ أسبانيا الاسلامية كما نقل عنه صاحب فجر الأندلس : (٢) " ومن المهم ألا ننسى أنه ابتداء من القرن الثامن الميلادي أو التاسع على الأكثر حتى القرن الخامس عشر — لم تكن اللغة العربية قط هي اللغة الوحيدة المستعملة في الأندلس ، وأنه كانت هناك عناصر كثيرة من سكانه تتحدث بلهجات دارجة عجمية مشوبة بالأيبيرية والعربية ولكنها مشتقة قبل كل شيء من اللاتينية ، وليس هناك ما يمنع من القول بأنه الى عصر متأخر من عصور التاريخ الأندلسي غلبت على

ألسنة أهل الأندلس رطانة عامة أسبانية في كل مكان تقريبا وتحدث بها الناس أكثر مما كانوا يتحدثون بالعربية ومن الطبيعي أن يكون ذلك أظهر في الأرياف منه في المدن . وقد غلبت هذه الرطانة بصورة أوضح على اللهجات البربرية ".

وكذلك يقول يوهان فك معللا لما يحدث بعد انتصارات العرب (١) :

تلك الطائفة التي تلتحق بكل جمهور من غير العرب من العبيد والخدم والتجار والطهاة ... الخ الذين كانوا يقدمون الخدمات المختلفة لسادتهم الجدد . ويخلقون بذلك مشكلة لغوية غير هينة . ومن هنا نشأت بالضرورة لغة للتفاهم لا يمكن أن نصورها بسهولة كافية ... وقد استعانت لغة التفاهم المذكورة بأبسط وسائل التعبير اللغوي فبسطت المحصول الصوتي وسوغ القوالب اللغوية ونظام تركيب الجملة وحيط المفردات وتنازلت عن التصرف الاعرابي واستغنت بذلك عن مراعاة أحوال الكلمة وتصريفها . كما ضحت بالفرق بين الأجناس النحوية . واكتفت ببعض القواعد البسيطة الثابتة في مواقع الكلام للتعبير عن علاقات التركيب . وفي أي صورة كانت تصدر هذه اللغة الجديدة ؟ .

هذا ما تشير اليه قصة تاجر الدواب الذي باع جلود المسلمين دواب رديئة فاستنطقه الحجاج فأجابه : " شريكاتنا في هوازها وشريكاتنا في مدائنها وكما تجئ تكون " (٢) أي أن هذه الدواب قد وصلت على ما هي عليه من رداءة من شركائهم في بلدهم بالأهواز والمدائن .

ولم تكن أقل من ذلك عددا تلك الجماعات غير العربية التي وقعت في الأسر أثناء حروب الفتح والتي دخلت معسكرات الفاتحين وبيوتهم عبيدا واماء فوجدت نفسها متغلغلة في جولة عربية مشتركة واضطرت الى استعمال لسان السادة ولهجتهم وفي هذا لقيت العربية على لسان غير العرب تغييرات هددت بالمسخ صورة وضعها وجرسها وطبيعة تكوينها وتركيبها في الصميم . وتفاصيل هذا التطور غير معلومة لنا بسبب انعدام أخبار المعاصرين .

---

(١) العربية ص: ٩ .

(٢) البيان والتبيين جـ ١ ص: ١٦١ ، ١٦٢ .

وهذا الذى يقوله فك ينطبق على حال اللغة العربية فى غزوها للأندلس فقد حدث صراع بين اللغة العربية ولغة أهل الأندلس ، ولا بد لهذا الصراع من أثر فى كلتا اللغتين ، وقد تحدث عن ذلك الأستاذ الدكتور ابراهيم أنيس فقال (١) :

" الصراع اللغوى نتيجة غزو أو هجرات الى بيئات معمورة ، فقد يغزو شعب من الشعوب أرضا يتكلم أهلها لغة أخرى ، فيقوم صراع عنيف بين اللغتين الغازية والمغزوة ، وتكون النتيجة عادة ، اما القضاء على احدى اللغتين قضاء يكاد يكون تاما ، أو أن ينشأ من هذا الصراع لغة مشتقة من كلتا اللغتين الغازية والمغزوة وتشتمل على عناصر من هذه وأخرى من تلك " .

ولكنه لم يضرب أمثلة لما تحدث عنه من نتائج الصراع اللغوى وان من أظهر الأمثلة لذلك حال اللغة العربية فى صراعها مع لغة الأسبان بعد أن تغلب العرب وصاروا أصحاب السلطان فى هذه البلاد ، ثم تغلبت لغتهم دون اكراه ولا اجبار وأصبحت لغة البلاد الرسمية ، وما من شك فى أن للدين الاسلامى اثرا واضحا فى تلك الانتصارات التى أحرزتها اللغة العربية فى بلاد الأندلس .

وقد بين ابن خلدون علاقة الدين باللغة ، وكيف كانت تسود اللغة العربية فى كل وطن استقر الاسلام فيه وذلك فى قوله (٢) :

" والدين انما يستفاد من الشريعة ، وهى بلسان العرب ، لما أن النبى صلى الله عليه وسلم عربى ، فوجب هجر ما سوى اللسان العربى من الألسن فى جميع ممالكها ، واعتبر ذلك فى نهى عمر رضى الله عنه عن بطانة الأعاجم وقال : " انها خب " أى مكر وخديعة فلما هجر الدين اللغات الأعجمية ، وكان لسان القائمين بالدول الاسلامية عربيا هجرت كلها فى جميع ممالكها ، لأن الناس تبع للسلطان وعلى دينه فصار استعمال اللسان العربى من شعائر الاسلام وطاعة العرب ، وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم فى جميع الأمصار والممالك ، وصار اللسان العربى لسانهم حتى رسخ ذلك لغة فى جميع أمصارهم ومدنهم وصارت الألسنة العجمية دخيلة فيها وغريبة

---

(١) فى اللهجات العربية : ٢٠ .

(٢) مقدمة ابن خلدون : ٣٧٩ .

ثم فسد اللسان العربي بمخالطتها في بعض أحكامه وتغير أواخره ... وبما بقيت اللغة العربية المضرية بمصر والشام والأندلس والمغرب لبقاء الدين .

وابن خلدون حين يجعل الأندلس من بين البلاد التي بقيت بها اللغة العربية المضرية — انما يتحدث عما خبره بنفسه ، وسمعه بأذنه ولحظه بعقله وحواسه .

ومهما يكن من أمر فقد كانت اللغة العربية هي المنتصرة في ميدان الصراع وذلك باعتراف علماء الأسبان أنفسهم فقد قال عنهم السيد أنيس الطباع في المقدمة التي كتبها حين قام بتحقيق تاريخ ابن القوطية ، وقد أمضى فترة طويلة في أسبانيا للدراسة (١) :

" نجد أقوالا لكبار الأعلام الأسبان الذين عاصروا النهضة العربية في الأندلس تقول : ان أكثرية الشعب الأسباني كانت لاتستعمل الا اللغة العربية في معاملاتها وحياتها المعاشية " .

وكذلك رأينا رجال الدين منهم يأسون أشد الأسى ويذرفون الدمع حزنا وحسرة على سيادة اللغة العربية وتبوئها ذروة المجد في بلادهم وتغلبها على لغات الأسبانيين ولهجاتهم حتى أصبحت اللغة العربية جزءا من كيانهم ، فحلت محل لغاتهم ، وهم يقرءون الكتب العربية ويشترونها ويجمعون منها المكتبات التي تكلفهم أبهظ الأثمان وكانوا يعبرون بها عن خلجات نفوسهم ومشاعرهم ، " وبقيت اللغة العربية لغة الثقافة والمعاملات والعقود حتى سنة ١٥٨٠م ، وظلت بعض قرى بلنسية تتكلم العربية حتى القرن التاسع عشر (٢) " .

وقد كانت أسبانيا لايوجد فيها أمي واحد ، وكانت الحركة العلمية فيها في تقدم مستمر وازدهار منقطع النظير ، وكان قوام التعلم كله باللغة العربية التي جلس العلماء من المسلمين وغيرهم يعلمون بها ويؤلفون في مختلف الفنون والعلوم ومصداق ذلك مايقوله برنارد لويس أستاذ تاريخ الشرقين الأدنى والأوسط بجامعة لندن (٣) :

---

(١) مقدمة تاريخ ابن القوطية : ١٤
(٢) المستشرقون : ١٣
(٣) العرب في التاريخ : ١٨٤ .

" وفي ميدان الثقافة أيضا يجب اعتبار التراث العربي ذا أهمية كبيرة لأسبانيا وفي الواقع لجميع غرب أوربا فقد كان يوم أسبانيا مسيحيون ينتمون الى بلاد كثيرة ليدرسوا جنبا الى جنب مع الأسبانيين الوطنيين على أساتذة مسلمين ويهود يتكلمون العربية " .

واذا كان الجاحظ يقول(١) : " واللغتان اذا التقتا في اللسان الواحد أدخل كل واحد منهما الضيم على صاحبتها " — فاننا اذا سلمنا بذلك فانه كان مقصورا على لغة التخاطب ، اذ لايمكن أن يصبح الأسبان بين يوم وليلة وقد أتقنوا الكلام باللغة العربية الصحيحة ، فلا بد من فترة انتقال كافية لطبع الألسنة وتدريبها على الكلام بالعربية وكذلك الجاحظ نفسه يستثني من قاعدته موسى بن سيار الأسواري وكان من أعاجيب الدنيا وكانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية وفي الأندلس لابد من وجود لغة سهلة هي لغة العرب الفاتحين التي تتنازل عن بعض قيود الأعراب — كما سيأتي — .

وان في الشرق الطائلة من المفردات العربية التي تحتل مكانها في اللغة الأسبانية الآن لأعظم دليل على الانتصار المبين الذي سجلته اللغة العربية في هذه البلاد فقد دلت البحوث التي قام بها علماء الأسبان أنفسهم على أن في اللغة الأسبانية نحوا من أربعة آلاف كلمة عربية مستعملة كما يقول السيد أنيس الطباع(٢) :

" نلمس اليوم في اللغة الأسبانية نحوا من أربعة آلاف كلمة عربية "

وكذلك يقول الأستاذ عباس العقاد(٣) : " وقد بلغت المفردات العربية التي أضافها الأسبان وأهل البرتغال الى لغتهم ما يملأ معجما غير صغير ، ولكن العبرة مع ذلك بدخول تلك المفردات في الحياة الاجتماعية والمقاصد النفسية لا بمجرد دخولها صفحات المعجمات فانها لم تتمثل على الألسنة الا بعد أن تمثلت في أحوال المعيشة

---

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص : ٣٦٨ .

(٢) مقدمة تاريخ ابن القوطية : ١٣ ، ١٤ .

(٣) أثر العرب في الحضارة الأوربية : ٦٨ ، ٦٩ .

ونوازع الاحساس والتفكير ، ومن هنا يعزى اليها من فضل الايماء والتوجيه أضعاف ما يعزى اليها من فضل النقل والتلقين " .

ويقول برنارد لويس[1] :

" وتريفنا الكلمات العربية التي لاتزال مستعملة في أمور الزراعة وفي مختلف المهن مدى قوة التأثير العربي - والاصطلاحات العربية الباقية في اللغة الأسبانية في أمور الادارة المحلية وفي التعابير العسكرية خير شاهد على قدرة التقليد العربي على الرسوخ .. وظلت النقود مدة طويلة بعد استعادة المسيحيين لأسبانيا ذات نماذج عربية " .

ويقول غوستاف لوبون بعد أن تحدث عن أثر لغة العرب في أسبانية[2] :

" وتركت لغة العرب أثرا مهما في فرنسة نفسها ، وذكر سديو - والحق ما ذكر - أن اللهجات السائدة لولاية أوفرن وولاية ليموزان الفرنسيتين محشوة بالكلمات العربية وأن أسماء الأعلام فيها ذات صبغة عربية " .

ثم نقل غوستاف عن سديو أمثلة مختلفة لكلمات عربية مقتبسة منها اصطلاحات بحرية وأخرى ادارية وكذا اصطلاحات الصيد والفلك والرياضة والكيمياء والتاريخ الطبيعي والطب في ثقة وايمان بصحة هذا الرأي ، ثم أبطل زعم المنكرين لهذا التأثير[3] .

ومما لا شك فيه أن اللغة العربية التي ظل تأثيرها في هذه البلاد قائما الى الآن - قد كانت صاحبة الفضل على هذه البقعة من الأرض وعلى غيرها مما جاورها فهي التي أخرجتهم بعلومها وآدابها من ظلمة الجهل الى نور المعرفة والعلم وهي التي نفخت فيهم من روحها روح الحياة الطيبة التي عاشوها تحت ظلال الحكم الاسلامي ابان القرون الطوال ، ولست أدري : كيف يجحد فضل العرب وفضل اللغة العربية علماء أو من يسمون علماء في هذا العصر عصر النور وحرية الفكر .

---

(١) العرب في التاريخ : ١٨٣ .   (٢) حضارة العرب ص : ٤٤١ .

وإن اهتمام الأسبان في العصر الحديث بالدراسات الاسلامية والعربية قد أصبح أمرا ظاهرا معروفا لعلماء الشرق والغرب ، وليس بخفي عن الأذهان انشاء معهد للدراسات الاسلامية بمدريد ، ووجود قسم للغة العربية في الدراسات العليا هناك بجامعة مدريد .

ولقد طالعتنا مجلة العصور العربية التي تصدر في مدينة القاهرة بمقال أدبي للأستاذ حبيب جاماتي عن " مهرجان غرناطة " وضح فيه فضل العرب على حضارة الأسبان ، وبين أن الأسبان قد أدركوا هذا الفضل ، وأصبح للعرب عندهم منزلة وكرامة ، وآية ذلك أنه " منذ شهور احتفلت الأوساط الثقافية بدعوة من الحكومة الأسبانية باحياء ذكرى عبد الرحمن الناصر الذي مرت ألف سنة على تألق نجمه في عاصمة ملكه " قرطبة " التي كانت في وقت من الأوقات ، وفي آن واحد عاصمة لدولة السيف ، وعاصمة لدولة القلم ، واليوم يقام المهرجان الثقافي في " غرناطة " آخر المعاقل العربية بالأندلس ...

وعلاوة على المحاضرات والأحاديث والندوات تشهد المدينة التاريخية معرضا للوثائق والمخطوطات العربية ... وقد تكون أسبانيا أغنى البلدان الأجنبية بما تحويه مكتباتها من مخطوطات تركها العرب فيها ".

وقد ختم الكاتب مقاله بتأكيد فكرته فقال :

" واقامة المهرجان الثقافي في غرناطة بعد قرطبة دليل جديد على أن الأسبانيين فخورون بالتراث العربي وما تبقى لهم منه بقدر ما ان العرب أنفسهم فخورون به ، فدولة الفكر دائمة خالدة ، لاتغرب شمسها "(1).

وقد كان في هذه البلاد طابع لغوي خاص ، فقد تميزت اللغة العربية بما جعلها طيعة في أيدي الأندلسيين ، فسدت حاجاتهم الفكرية كلها ، وأحسنت اليهم في هذا المضمار أيما احسان ، ثم هي قد أعانتهم على النهوض من وهدة

---

(1) عدد رقم ١٩٨٥ في ٢٦ من شهر اكتوبر سنة ١٩٦٢ ص : ٤٦ .

الجهل التى كانوا يترددون فيها ، فكتب لهم التفوق فى كثير من ميادين العلم والأدب ، وبرع منهم فى هذه الحقب الطوال علماء مبرزون فى كل فن وفى كل علم .

وإن من يتصل بانتاج هؤلاء القوم وتاريخهم ليحس أنهم قد اهتموا كل الاهتمام بالانتاج العلمى " ودفعها الحكم المستنصر فى هذه السبيل دفعة قوية فاذا المكتبة الأندلسية تزخر بالمؤلفات عن الأندلس أقلام أهلها وهكذا وجدت الأندلس رجالها وتاريخها وعلمها وآدابها فتحدثت عنه وخلدته (١) " .

وكان مما برز واضحا فى لغة أهل الأندلس تلك اللهجة المميزة لهم فى نطق بعض الحروف كالقاف مثلا فقد قال صاحب النفح عن أبى حيان (٢) :

" عبارته فصيحة بلغة الأندلس يعقد حرف القاف قريبا من الكاف على أنه لاينطق بها فى القرآن الا فصيحة ، وسمعته يقول : مافى هذه البلاد من يعقد حرف القاف " .

واذا كان هذا شأن أبى حيان وهو فى عصر متأخر فلابد أن الذين سبقوه لم يكونوا قادرين على أن ينطقوا هذا الحرف فصيحا فى القرآن الكريم .

وقد ظهر الطابع الأندلسى فى أمثال جرت على ألسنتهم ، ودونت فى كتب الأدب والتاريخ ، وارتبطت بصفات بعض الأشخاص عندهم ، كما ارتبطت ببعض الأحداث التى كانوا يعيشون فيها ، أو ببعض الأحوال التى كانوا يرونها خارقة لما هو مألوف .

وكما رأينا عرب الشرق يضربون المثل فى الفصاحة بقس وسحبان رأينا هؤلاء الأندلسيين يقولون حين يضربون المثل فى الفصاحة :

ما هذا الا أبو خَرْشَن (٣) أفصح من بكر الكلاعى (٤) - أفصح من الرَّشَّاش (٥) وهؤلاء الثلاثة ممن ذكرهم الزبيدى فى طبقات النحاة .

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسى : ٦٣

(٢) نفح الطيب جـ ٣ : ص: ٢٩٤

(٣) طبقات الزبيدى : ٢٨١

(٤) المرجع السابق : ٢٨٣

(٥) نفس المرجع : ٢٨٤ .

ومن أمثالهم التي وصلت الينا وشاعت في لغتنا على سبيل الذم والتحقير قولهم : " ابن ستون " وذلك أنه " تقدم رجل كهل الى الحبيب بن زياد لشهد عنده بشهادة فقال له القاضي : منذ كم عرفت هذا الأمر ؟ فأجابه الشاهد بجواب أخرج الكلام فيه على وجه المبالغة والرمي الى الغاية ، فقال له : منذ مائة سنة . فقال له القاضي : ابن كم أنت ؟ فقال له : ابن ستين . فقال له : عرفت هذا الأمر منذ مائة سنة أتراك عرفته قبل أن تولد بأربعين عاما ؟ فقال له الشاهد : انما قلت ذلك على سبيل المثل . فقال له الحبيب : ان الشهادات لا تؤدى بالمثل . ثم دعا للشاهد بالسوط فقنعه به مرات[1] (وكأنه يقول : اضرب ابن ستون . اضرب ابن ستون) .

ومنها قولهم : " عنان بين خلة وسماد . كانت خلة هذه قبيحة وكان لها خادم فائقة الحسن اسمها سماد ، فكان الناس يقولون ذلك[2] " .

ومن أمثالهم : " غررت بي يا اسحاق — وكان اسحق من رجال ابن حفصون فغلب مع صاحب له فقال صاحبه له هذه الكلمة وهما يرتمان على الخشبة قد صلبت شلا[3] " .

وكانت لهم كلمات انفردوا بها واستعملوها في حياتهم وفي آدابهم فكانوا يسمون " ساعي البريد الرقاص[4] " وكانوا يطلقون كلمة الخطة على ولاية أمر من أمور الدولة ومن ذلك قول الخشني[5] :

" وصرفت الحال بالنضر بن سلمة القاضي الى أن رأى الأمير — رضي الله عنه — أن يستوزره فعزله من القضاء ، وولاه الوزارة . وجمع الخطتين : خطة القضاء وخطة الصلاة لمحمد بن سلمة ... ولما ولي محمد بن سلمة خطة القضاء بكى كراهية لما قلده منها " .

---

(١) قضاة قرطبة : ١٥٠ ، ١٥١

(٢) المرجع السابق : ٣٥

(٣) البيان المغرب ج ٢ ص : ٢١١ .

(٤) قضاة قرطبة : ٧٠

(٥) المرجع السابق : ١٤٥ .

وأما تبرزهم فى مضمار الانتاج العلمى والأدبى فذلك ماذاع أمره وفشا بين العلماء خبره ، وتحدثت به الدنيا فى الشرق والغرب ، " لأن العرب - وإن قدموا فى جفوة طبائع القبائل وخشونتها - رقت أخلاقهم بالاختلاط بالأندلسيين وميلهم الطبيعى الى المرح والترف ، فوصلوا الى قمة المدنية ، وأغرموا بالشعر والأدب ، وتجردوا لطلب العلم ، وأحبوا فوق ذلك أن يتمتعوا بكل لذائذ الحياة . وكان ذوقهم العقلى والأدبى مرهفا دقيقا وكان لهم ذلك الاحساس الذى لا يشعر به الا من نشأ نشأة سامية فى العلم والأدب ، وقد كانوا واسعى التصور خياليين شعريين مفكرين يمنحون من المال على مقطوعة شعرية رائعة ما يكفى للانفاق على فرقة من الجنود وكانوا ينظرون باحتقار الى أتقى ملوكهم وأشدهم بطشا اذا لم يكن شاعرا أولم يوهب له ذوق لفهم الفكاهة الشعرية والبلاغة العربية ومنح هؤلاء القوم البارعون استعدادا طبيعيا فى الموسيقى والخطابة ودقائق العلم والنقد وادراك التوريات البعيدة التى نجدها اليوم من ميزات الأمة الفرنسية (1) " .

ويعزو بروكلمان هذا الفرق الى طبيعة البلاد وما كان لأهلها من استعداد فطرى مقتفيا فى ذلك رأى الكونت فون شاك فيقول (2) :

.. ولكن المزاج الأندلسى استطاع أن ينفخ فى قوالب الشعر البدوى المنيفة روحا جديدة كمثل تلك التى نفخها الفرس فى هذه القوالب عينها بالمشرق . والحق أن ما نقع عليه فى شعر الأندلسيين من رقة خاصة فى الأحاسيس وعمق فى العواطف وما نلمس عندهم من استجابة تكاد تكون عصرية لمفاتن الطبيعة والفن وتصويرها فى كثير من التلطف والتبصر كل أولئك ليس الا ارثا أيبيريا رومانيا يعيش فى غلالة من لغة الفاتحين العرب ، كما لاحظ الكونت فون شاك من قبل " .

ولئن كان بروكلمان متهما فى ذلك غير متدع فانه لا يحق لنا أن نأخذ كلامه مأخذ الرضا ، لأن العرب ولغة العرب وطابع العرب الأصيل ظل ملازما للحياة

---

(1) قصة العرب : 164 ، 165 .

(2) تاريخ الشعوب الاسلامية جـ 2 ص : 161 .

الأندلسية في شتى ميادينها مدة بقائهم فيها ، وبعد ذلك دهرا طويلا " وبقيت اللغة العربية لغة الثقافة والمعاملات والعقود حتى سنة ١٥٨٠م وظلت بعض قرى بلنسية تتكلم العربية حتى القرن التاسع عشر وجل أسماء الأمكنة والبقاع والمصطلحات وأصناف الماعون ومرافق الحياة هي عربية صرفة ومنها مالا يبدأ بأل التعريف العربية على أن لها لفظا خاصا يميزها عن لغة الأسبان وهي عربية عريقة في لغاتهم أما المتخلفون من العرب في أسبانيا فيعرفون اليوم بمائلات المركز الداما ، الدوير ، الكونت دوكانيا .. الخ "(١)

٢- لغة التخاطب في الأندلس :

يتضح لنا من الحديث السابق أن لغة التخاطب في الأندلس ، وهي لغة الحياة العامة لم تكن اللغة العربية الفصحى ، وانما كانت لغة أخرى ناتجة من الصراع الذي سبقت الاشارة اليه آنفا ، وليس لدينا المادة العلمية التي سجلت تاريخ هذا الصراع ودونت لغة التخاطب التي نشأت عن هذا الصراع ، ولكن اذا تخيلنا ماكان يجري بين يليان وموسى بن نصير مثلا من الاتصالات والمحادثات: أكانت هذه الاتصالات تجري باللغة العربية وقد تعلمها يليان لحاجته اليها في بعض أعماله ، أم كانت باللغة الأسبانية وكان هناك مترجمون يقفون وسطاء بين الرجلين ؟

ثم ماذا كان بعد الفتح وبعد أن استقر المسلمون في هذه البلاد ؟

ان لكل لغة موطنا تعيش فيه ، وتتطور تبعا لتطور الأحداث التي تمر بأهلها فقد تزيد اللغة باضافة بعض المفردات اليها ، وقد تنقص بموت بعض كلماتها ومفارقتها ألسنة المتحدثين بها ، وقد تنقرض لغة بأكملها ولايبقى منها الا حديث التاريخ عنها .

---

(١) المستشرقون : ١٣ ، ١٤ .

أما اللغة العربية فموطنها حيث يستقر الدين الاسلامى ، وحيث ينتشر ، ولهذا انتقلت اللغة العربية الى الأندلس مع الفاتحين الأولين من المسلمين ، ولا شك أن الأجيال التى جاءت بعد استقرار المسلمين قد نشأ الناشئ منهم ، فوجد معه لغة تخدمه فى مطالب حياته هذه اللغة قد اكتسبها من أبويه أو ممن قام على تربيته ، وهذه اللغة أصبحت ملكا له ، لا تتصل بجنس ولا بوراثة كما يقرر ذلك الدكتور ابراهيم أنيس حين يقول (١) :

" فاللغة ملك من يتعلمها ، لا أثر للوراثة أو للجنس فيها ، فالطفل الذى يولد من أبوين مصريين ، وينشأ بعيدا عنهما فى بيئة انجليزية أو فرنسية يتكلم هاتين اللغتين بالسليقة ، والطفل الفارسى الذى ينشأ فى جزيرة العرب بعيدا عن أهله يتكلم العربية بالسليقة " .

ولكنى أقرر أن هؤلاء الأطفال الذين ولدوا فى الأندلس بعد الفتح الاسلامى لم تسلم لهم لغة بلادهم الأصلية لانصراف الناس عنها ، واقبالهم على اللغة العربية ، وكذلك لم تسلم لهم اللغة العربية الفصحى ، لأن النماذج التى كانت تطرق أسماعهم فى أول الأمر من لغة الأمهات والخدم ، هذه النماذج لم تكن سليمة خالية من كل عيب .

واختلاف اللغات باختلاف البلاد من الأمور البديهية ، وقد أوضح ذلك ابن خلدون حين قال (٢) :

" فلغة أهل المشرق مباينة بعض الشئ للغة أهل المغرب ، وكذلك أهل الأندلس معهما ، وكل منهم متوصل بلغته الى تأدية مقصوده والابانة عما فى نفسه ، هذا معنى اللسان واللغة " .

والواضح من هذا أن اللغة التى يعنيها ابن خلدون هى لغة التخاطب لأنها اللغة التى يتوصل بها الى تأدية المقصود ، أما اللغة الفصحى فى جميع هذه الأصقاع فقد كانت بمنأى عن التباين والاختلاف .

---

(١) من أسرار اللغة : ١٩

(٢) مقدمة ابن خلدون : ٥٥٥ .

ومما لا شك فيه أن مخالطة الأمم بعضها لبعض على وجه من الوجوه تؤثر في كلتا اللغتين تأثيرا ، ينجم عنه تغيير فيهما معا ، اذا لم يكتب لاحداهما الفوز على الأخرى في ميدان الصراع ، وحتى اذا كتب لاحداهما الفوز على الأخرى في هذا الميدان فان اللغة الغالبة لا بد أن تصاب بكثير على ألسنة هؤلاء المحدثين الذين اتخذوها لغة لهم ، وفي هذا يقول ابن خلدون أيضا (١) :

" من خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد ... لعلى مقدار ما يسمعونه من العجم ويربون عليه يبعدون عن الملكة الأولى ، واعتبر ذلك في أمصار أفريقية والمغرب والأندلس والمشرق " .

لقد خالط المسلمون الذين فتحوا الأندلس أهل البلاد من الأعاجم مخالطة حياة مستقرة ، ومخالطة معايشة دائمة ، ولم يكن بد من أن يتبادلوا معهم الحديث في كثير من الأمور ، كما لم يكن بد من أن يتخذوا منهم جلساء وقريبين يثقون فيهم ويستشيرونهم في أمور الدولة التي تعتبر جديدة بالنسبة لهم .

وبهذه المخالطة والقرب من الأعاجم أو بالاقامة في ديارهم عن طريق الفتح أو الصلح أو الهجرة كانت اللغات تلتقي في الميدان ، وكان لابد من ضعف يصيب كلتا اللغتين ، فاللغة العربية الفصحى كانت تتحول على ألسنة هؤلاء الداخلين في الاسلام أو المستعلين بعد الحرب من غير العرب ـ كانت تتحول الى لغة أخرى يمكن تسميتها اللغة العامية ، وهذه اللغة العامية لها كثير من السمات تتمثل :

١ ـ يندر فيها الاعراب ، بل ربما ينعدم لكثرة لجوء المتحدثين بها الى التسكين في درج الكلام ، والى ضبط الكلمات بحركات لا توافق قواعد اللغة العلمية .

٢ ـ وتختل قوانين التصريف بالنسبة لها في كثير من الكلمات مع مخالفة السنن المعروفة عند العلماء ، فتحذف بعض الحروف أو تزاد وتفسد الصيغ وتختل

---

(١) مقدمة ابن خلدون : ٥٥٨ .

الموازين الى غير ذلك من المخالفات التى تحتاج الى دراسة واستقصاء .

٣ـ وتمتاز هذه اللغة بحرية النحت والاشتقاق والابدال والاعلال فيما يجرى على ألسنة العامة .

٤ـ كما تجد من حقها ادماج بعض الكلمات فى بعض من غير قاعدة ولا ضابط .

٥ـ وكثيرا مانرى المزج بين اللغتين واستخدام مفردات احداهما بدلا من الأخرى ويكثر ذلك فى أسماء الأشياء وما يتخاطب به الناس ، ويكثر دورانه على ألسنتهم فى الحياة اليومية .

٦ـ وفى هذه اللغة الناشئة يمسخ النطق ببعض الحروف الجديدة لعدم تعود الألسنة على النطق بها ، ولعجز الأجهزة الصوتية عن اخراجها لعدم تدريبها عليها منذ الحداثة .

٧ـ وكذلك تنعدم فيها مراعاة قواعد النحو فى ترتيب المفردات عند تركيب الجملة كما لاتهتم اللغة العامية بصحة استخدام الضمائر وأسماء الاشارة وغيرها ولا تهتم بالمطابقة فى كثير من مواطنها فى الأساليب الصحيحة .

الى غير ذلك من الخصائص التى تحتاج الى درس وبحث واستقصاء ينبغى أن يتجه اليه البحث اللغوى ، كى يدفع المجتمع العربى الى التمسك بلغته وتخليصها من الشوائب .

وانى لأعود فأؤكد أن هذا كان شأن اللغة العربية عند ما دخلت الأندلس فقد التقت مع اللغة التى كان يتحدث بها أهل البلاد وأصابها ضيم على ألسنة هؤلاء سواء منهم من دخل فى الاسلام ومن بقى على دينه ، لأن هؤلاء الأخيرين ـ كما أشرت الى ذلك من قبل ـ قد سحرتهم اللغة العربية واستهوتهم وجذبتهم اليها ، فاتخذوها لغة لهم تعلموها وأجادوها واستخدموها فى أكثر شئون حياتهم ، وقد ثبت أن الجيش الاسلامى الذى فتح الأندلس كان رجالا فقط ليس معهم من النساء أحد ، فكان لابد أن يتخذوا السرارى والزوجات والخدم

من الأندلسيين وكان في ذلك مافيه من الخطورة على اللغة الفصحى ، اذ لابد من التفاهم بلغة بين هؤلاء وهؤلاء ، وهذه اللغة التي يستخدمونها للتفاهم والتخاطب لايمكن بحال أن تكون هي اللغة الفصحى ، لأنه من العسير أن يتعلمها الآخرون في يوم وليلة ، ولا بد في هذه الحالة أن تتنازل اللغة الفصحى عن كثير من قيودها وكثير من قواعدها وأن تسمح لبعض الألفاظ الأجنبية أن تتسلل اليها ، كما تسمح لهؤلاء الآخرين أن يبدلوا بعض الحروف من بعض أو يحذفوا أو يزيدوا ، أو يتحدثوا بلغة أخرى ، مزاجها من اللغتين معا فتجمع بعض الخصائص لكل منهما ، دون أن تحافظ على خصائص اللغة الفصحى محافظة تامة ، الا أن يكون ذلك في كتابة أو تعليم .

وقد دفعهم الحرص على سلامة اللغة الفصحى وحياطتها بسياج يقيها شر اللحن ، ويمنع عنها عدوان التغيير والتبديل الى أن يؤلفوا كتبا في لحن العامة . وأبرز مثل لهؤلاء العلماء الزبيدى ، وسأعود الى ذكره ان شاء الله .

٣ــ لغة الكتابة والتعليم :

كان هذا شأن لغة التخاطب التي استخدمها الناس هناك في حياتهم اليومية بعد الفتح في أول الأمر ، وصرفوا بها كل الشئون ، حتى اذا استقرت الأمور بالمسلمين واطمأن بهم المقام هناك انصرف جانب كبير منهم الى بحث اللغة العربية في أصولها المحفوظة :

في القرآن الكريم .

وفي الحديث النبوي الشريف وفي كتب المذاهب الفقهية .

وفي كلام العرب وآثارهم .

نهضوا على ألسنة هؤلاء القوم ، وقد كانت اللغة الفصحى بعد استقرار الأمور هي لغة الكتب والرسائل وشئون الحكم والدولة وكان أهل العلم والأدب في تلك الفترة يستخدمون اللغة الفصحى في تعليمهم وتأليفهم .

وقد كان لهذه الأصول العربية التي دخلت الى الأندلس من القداسة والتجلة ومن المكانة الكريمة ما دفع الكثيرين الى الحفاظ عليها والتشبث بسلامتها والحرص على من كثير منها ، فقد عرف أنهم تصدوا لخدمة هذه الأصول بكل طاقاتهم ، فمنهم من ألف في تفسير القرآن الكريم أو في علم القراءات أو علم الرسم .

ومنهم من اهتم بنقل كتب الحديث الشريف الى هذه البلاد وحفظها واستنباط الأحكام منها ومن القرآن الكريم .

ونقلت اليهم كذلك مذاهب الفقه ، فاعتدوا بها ، أو تحولوا عن مذهب الى آخر ، أو تعرضوا للرد على مذهب منها ، وكان من العلماء الأندلسيين من عارض المذاهب الفقهية كلها ، ونظر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واستنبط منهما أحكاما ، ورد على أصحاب المذاهب كثيرا من أحكامهم .

وقد وجهوا عناية منقطعة النظير الى آداب اللغة العربية التي نقلت اليهم بمختلف الوسائل .

ولعل من مقومات هذا البحث أن ألقي بعض الضوء على هذه الأصول التي كانت — وما تزال — الدعائم الرئيسة للغة العربية في كل موطن تنتقل اليه .

٦- الدعائم الرئيسية للغة العربية

أ — القرآن الكريم :

من المسلم به بداهة أن القرآن الكريم هو دستور الاسلام ، الذي كان يصاحبه حيثما حل وحيثما انتشر ، وهو نبراس المسلمين الذي ينير لهم سبل العمل ، ويحل لهم مشكلات أمورهم ويهيئهم للتغلب عليها ثم هو الى جانب ذلك الأصل الأول من أصول التشريع الاسلامي .

فلا عجب في أن يكون القرآن الكريم مع المسلمين في كل مكان تحتبه صدورهم ، وتحفظه قلوبهم ، وتستهدى به أفئدتهم وعقولهم ، وهذا أمر من الوضوح بحيث لا يحتاج الى تاريخ أو تدوين ولا يعوزه ناقل أو متحدث ، فقد كان جنود الاسلام الذين دخلوا الى بلاد الأندلس دون شك أو ريب يتخذون القرآن أنيسا لهم ورائدا ويحملون منه

[illegible]

فلم يحدثنا التاريخ عمن نقل المصحف الشريف الى هذه البلاد أو من كان في الجيش الاسلامي الغازي من حفاظ القرآن أو من علماء الدين ، وانما تحدث التاريخ عمن شمروا عن ساعد الجد وبذلوا الجهد لحفظ القرآن وصيانته أو لبيان أسراره وبلاغته أو لتوضيح مافيه من أحكام وتشريعات ، وهذه أمثلة لبعض من أدوا هذا الواجب العظيم :

ذكر صاحب الصلة (1) :

سليمان بن محمد المعروف بابن الشيخ من أهل قرطبة يكنى أبا الربيع ... أفنى عمره في كتابة المصاحف .. توفي سنة احدى وأربعين وأربعمائة هجرية .

وفي شذرات الذهب (2) :

سنة ٢٧٦ هـ وفيها الامام بقي بن مخلد أبو عبد الرحمن الأندلسي الحافظ أحد الأئمة الأعلام في جمادى الآخرة وله خمس وسبعون سنة ، سمع يحيى بن يحيى الليثي ويحيى بن بكير وأحمد بن حنبل وطبقتهم ، وصنف التفسير الكبير والمسند الكبير ، قال ابن حزم : أجزم أنه لم يؤلف في الاسلام مثل تفسيره .

وفي انباه الرواة (3) :

أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي المقرئ النحوي اللغوي المفسر .. دخل الأندلس في حدود سنة ثلاثين وأربعمائة ... وكان عالما بالأدب والقراءات متقدما فيها ، وألف كتبا كثيرة النفع مثل كتاب " التفصيل " وهو كتابه الكبير في التفسير ، ولما ظهر هذا الكتاب في الأندلس قيل لمتولي الجهة التي نزل بها من الأندلس : ليس الكتاب له واذا أردت علم ذلك فخذ الكتاب اليك ، واطلب منه

---

(1) الصلة جـ 1 : ص: ١٩٥

(2) شذرات الذهب جـ ٢ ص: ١٦٩ .

(3) انباه الرواة جـ 1 ص: ٩١ .

تأليف غيره . فغعل ذلك وطلب غيره فألف له : " التحصيل " وهو كالمختصر منـه ، وأن تغير الترتيب بعض تغيير ، والكتابان مشهوران فى الآفاق ، وله كتاب " تعليـل القراءات السبع " ... أنفع من " الحجة " لأبى على . توفى سنة أربعيـن وأربعمائـة هـ .

وفى الصلـة أيضـا (١) :

محمـد بن أحمد بن عبد الله النحوى من أهل المرية ، يكنى أبا عبد اللـه يعرف بابن اللجالش ... وكان عالمـا بالأصول والنحـو ، مقدمـا فى معرفتهمـا وله اختصـار ... تفسير ... الطبرى .. توفى سنة تسعين وأربعمائـة هـ .

وفى طبقات النحويين واللغويين للزبيـدى (٢) :

أبو موسى الهوارى هو من أهل الفقه فى الدين ، وأول من جمع الفقـه فى الدين وعلم العرب بالأندلس .. (ثم قـال) : وكان له كتاب فى القراءات وكتاب فى تفسير القـرآن ، كان ابن لبابـة يرويه عن العتبى عنـه .

وقال ابن الفرضـى (٣) :

مسيب بن سليمان من أهل استجة . روى عن أبى موسى الهوارى تأليفـه فى تفسير القـرآن ، وسمعه من مسيب مكابـس بن هارون الاستجـى .

وفى شذرات الذهب أيضـا (٤) :

سنة ٥٩٠ .. الشاطبى الضرير المقرئ صاحب القصيدة التى سماهـا " حرز الأمانى ووجـه التهانى " فى القراءات ، عدتها ثلاثـة وسبعون ومائـة وألف بيـت ولقـد أبدع فيها كل الابداع وهى عمـدة قراء هذا الزمان فى نقلهم ، ولم يسبق الـى أسلوبها روى عنه : أنه كان يقـول : لايقـرأ أحد قصيدتـى هذه الا وينفعه اللـه عـز وجـل ، لأننى نظمتها لله تعالى مخلصا فى ذلك ... وكان عالما بكتاب اللـه قراءة وتفسيرا .

---

(١) الصلـة جـ٢ ص ٥٣٣ .

(٢) صفحـة : ٢٧٦،٢٧٥

(٣) تاريخ العلماء والرواة للعلم جـ٢ ص : ١٥٠

وقد استنبط القرطبي أحكام الكتاب العزيز في تفسير منقطع النظير جمع فيه أطراف البيان وشتى علوم اللغة .

وممن برز في علم الرسم وصار حجة للعلماء في الشرق والغرب وترك لنا مؤلفات قيمة في ذلك الفن العزيز أبو عمرو الداني ، فله كتاب المحكم في نقط المصاحف وكتاب المقنع في علم الرسم ، وله كذلك كتاب التيسير في القراءات الذي اختصر منه الشاطبي قصيدته المشهورة (١) .

ب — الحديث الشريف والمذاهب الفقهية :

الحديث الشريف هو الأصل الثاني من أصول التشريع الاسلامي بل هو أصل من الأصول المعتمدة عند الأندلسيين في التشريع اللغوي ، وقد اهتم المسلمون في الأندلس بنقل آثار الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما اهتموا بنقل المذاهب الفقهية المستنبطة من الكتاب والسنة ، وكانوا يحتملون في ذلك ما يحتملون — وقد أشرت الى بعض ذلك عند الحديث عن رحلاتهم .

فهذا " صعصعة بن سلام أندلسي فقيه من أصحاب الأوزاعي ، وهو أول من أدخل الأندلس مذهب الأوزاعي مات سنة اثنتين وتسعين ومائة هـ " (٢) .

وقد ظل أهل الأندلس على مذهب الأوزاعي حتى جاء " زياد اللخمي وهو زياد شبطون ... وهو أول من أدخل الأندلس فقه مالك بن أنس وكانوا قبل ذلك على مذهب الأوزاعي ، مات زياد بالأندلس سنة ثلاث وتسعين ومائة وقيل سنة تسع وتسعين ومائة (٣) .

وقال عنه المقري (٤) :

"وهو أول من أدخل موطأ مالك الى الأندلس مكملا متقنا ، فأخذه عنه يحيى ابن يحيى " .

---

(١) شذرات الذهب جـ ٣ ص : ٢٧٢
(٢) جذوة المقتبس : ٢٢٧
(٣) المرجع السابق : ٢٠٢ ، ٢٠٣
(٤) نفح الطيب جـ ٢ ص : ٢٥١ .

وقد سبقت الاشارة الى دخول الغازى بن قيس بالموطأ .

قال ابن العماد(١) :

وفي سنة ٢٣٤ توفي شيخ الأندلس يحيى بن يحيى بن كثير الفقيه أبو محمد الليثي مولاهم الأندلسي في رجب وله اثنتان وثمانون سنة . روى الموطأ عن مالك ، سوى فوت من الاعتكاف ، وانتهت اليه رياسة الفتوى ببلده ، وخرج له عدة أصحاب ، وبه انتشر مذهب مالك بناحيته ، وكان اماما كثير العلم كبير القدر وافر الحرمة كامل العقل خير النفس كثير العبادة والفضل . كان يوما عند مالك فقدم فيل ، وخرج الناس ينظرون اليه ، ولم يخرج . فقال له مالك : لم لا تخرج تنظره ، فانه ليس ببلدك فيل . فقال : انما جئت من بلدي لأنظر اليك وأتعلم هديك وعلمك . فقال له : أنت عاقل الأندلس رحمه الله(٢) .

وقد رحل الى الشرق بقى بن مخلد القرطبي المتوفى سنة ٢٧٦ ، فلقى جماعة من أئمة المحدثين وكبار المسندين وكان مما انفرد به ولم يدخله سواه " كتاب الفقه " لمحمد بن ادريس الشافعي ، وكتاب في الطبقات وأنه وضع تفسيرا للقرآن ، ومسندا للنبي صلى الله عليه وسلم(٣) .

ثم جاء من بعده الفقيه العلامة أبو عمر يوسف بن يحيى المغامي الأندلسي تلميذ عبد الملك بن حبيب وصاحب التصانيف ، ألف كتابا في الرد على الشافعي ، وقد توفي سنة ثمان وثمانين ومائتين(٤) .

وقد بين المقري سبب تحول أهل الأندلس من مذهب الأوزاعي الى مذهب مالك فقال(٥) :

---

(١) شذرات الذهب جـ ٢ ص: ٨٢

(٢) المرجع السابق : نفس الصفحة .

(٣) تاريخ العلماء جـ ١ ص: ٨١ ، ٨٢

(٤) شذرات الذهب جـ ٢ ص: ١٩٨ .

(٥) نفح الطيب جـ ٤ ص: ٢١٤ .

" كان أهل الأندلس على مذهب الأوزاعي ، ثم تحولوا الى مذهب مالك لأن مالكا رضي عن سيرة ملوك الأندلس ، ولم تكن سيرة بني العباس عنده مرضية فدعا : " نسأل الله تعالى أن يزين حرمنا بملككم " فلما بلغ ذلك ملك الأندلس حمل الناس على مذهبه " .

وقد يكشف لنا هذا بعض ماكان يجيش بنفوس أولئك الحكام الذين غلبوا على الأندلس ، ومكن الله لهم في أرضها ، وأنهم كانوا يتمنون أن يمتد سلطانهم الى بلاد المشرق باسم جمع الكلمة وتوحيد المذهب .

وقال صاحب المغرب عن ذلك (1) :

" مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان : مذهب أبي حنيفة فانه لما تولى قضاء القضاة أبو يوسف كانت القضاة من قبله ... ومذهب مالك بن أنس عندنا ، فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاة " .

وقد تحدثت المراجع في استفاضة عن مذهب الامام مالك في الأندلس ومن نقله ، وكذلك عن نقل موطأ مالك الى الأندلس بمختلف الطرق والروايات ، وكذلك عن سبب تحول الأندلسيين من مذهب الى مذهب مما لا يتسع هذا البحث لاستقصائه وجمعه والتعليق عليه وحسبي هذا النبع من ذلك الفيض .

ج — كتب المشرق وآثارها :

وان القارئ لما كتبته عن رحلات الأندلسيين من أجل العلم ليكاد يستغني عن هذا الحديث ، فقد ذكرت الكثير من أسماء الكتب ومن أسماء العلماء والأدباء والشعراء وكذلك حديثي عن تأثرهم بعلماء المشرق وترسمهم خطاهم في التأليف والتدوين فيه غناء .

ويكفي أن أشير هنا اشارة عابرة الى بعض كتب الأدب التي نقلت اليهم فأدوا ضريبة العلم لها بالدرس والشرح والاختصار — والمحاكاة أو المعارضة .

---

(1) صفحة : ١٦٤ .

فهذا " قرج بن سلام من أهل قرطبة ... رحل الى المشرق ودخل العراق ، فلقي عمرو بن بحر الجاحظ ، وأخذ منه كتاب البيان والتبيين وغير ذلك من مكتوباته ، وأدخلها الأندلس رواية عنه " (١) .

" وقد اختصر هذا الكتاب ومسه أبو بكر بن عاصم " (٢) .

وقد شرحوا شعرا كثيرا منه شعر أبي تمام والمتنبي والبحتري وغيرهم (٣) .

واستطاع عباس بن فرناس أن يحل رموز كتاب الخليل بن أحمد (٤) .

وألف سعد الخير كتاب " الشرط المذيل على كتاب الكامل للمبرد " (٥) .

وكتاب " الحدائق " للجياني ألفه معارضة لكتاب " الزهرة " (٦) .

وألف البطليوسي " الاقتضاب في شرح أدب الكتاب " وشرح " سقط الزند " (٧)

وألف محمد بن عبد الله ... التجيبي من أهل قرطبة ... نزهة الألباب في محاسن الآداب " (٨) .

وما تأليف ابن عبد ربه لكتاب " العقد الفريد " وتأليف أبي علي القالي لكتابي " الأمالي " و " النوادر " الا أمثلة لاهتمام القوم بجمع المادة الثمينة من كلام العرب وآثارهم في الشعر والنثر .

---

٥ — التأليف باللغة العربية في الأندلس :

لم يكد الأمر يستقر بالمسلمين في هذه البلاد ، حتى بدأ النشاط العلمي يسري في أوصال هذا المجتمع الجديد ، فقد بدأ العلماء المسلمون منذ فجر التاريخ الأندلسي يعقدون حلقات الدرس والبحث في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وفي غير تلك البيوت ، وقد كانت النتيجة الحتمية للدرس والبحث أن يدون هؤلاء العلماء

(١) تاريخ العلماء جـ ١ ص : ٣٩٣ (٢) التكملة : ٤٤٥
(٣) جذوة : ١٤٢ ، تاريخ العلماء ١ : ٣٤٦ (٤) المغرب : ٢٣٣
(٥) التكملة : ٦٧٢ (٦) جذوة المقتبس : ٩٧
(٧) وفيات الأعيان جـ ٢ ص : ٢٨٢ (٨) بغية الوعاة : ٥٩

نتاج الأفكار والقرائح فى أسفار علمية عجز الاحصاء والعد عن استقصائها وبيان مقدارها . ولكن جل هذه الأسفار مضى مع أحداث الزمن ، ولم يبق منها الا الذكرى المبثة الأريج التى تبعث فى نفس كل باحث شيئا من الزهو والاعجاب بأولئك كما تثير كثيرا من الأسى والألم يمتزج بشعاع من الأمل والرجاء فى العثور عليها . فكم يحبب للباحث أن يتطلس أخبارها أو ينقب ويبحث فى مظان وجودها . وربما ذهبت به الظنون كل مذهب ، ولكنه فى كل ذلك يتمنى أن يكون المجلى فى حلبة الكشف عن شيء من هذا الكنز العلمى الدفين . وتتجدد أمنية الباحث كلما رأى كلمة عن سفر من هذه الأسفار ، أو لمح بين السطور اشارة الى شيء منها ، أو اطلع على نقل من النقول قد أخذ عنها ، أو استمع الى شائعة عن احتمال وجودها ، ولهذا نرى كثرة المحققين من العلماء يحاولون التهدى الى أماكن العثور على هذه الأسفار ، ويبذلون فى سبيل ذلك ما وسعهم البذل من الجهد والوقت والمال .

وان كتب التاريخ والتراجم والفهارس لتمتلئ بأسماء الكثير من هذه الذخائر العلمية التى دونت فى بلاد الأندلس بأقلام علماء مسلمين ، ولكن أكثر هذه الذخائر أصابه ما أصاب المسلمين أنفسهم من الاعدام والحرق والتشتيت والطرد ، فقد تواترت أنباء التاريخ التى نقلت الينا أن هؤلاء الفجار كانوا يجمعون الأكداس المكدسة من الكتب ويحتفلون باحراقها فى بعض الميادين ، كما كانوا يخدعون المسلمين فيسمحون لهم بجمع الكثير من هذه الكتب لحملها فى سفينة من السفن ، حتى اذا كانت فى عرض البحر أشعلوا فيها النيران .

أية وحشية دفعتهم الى هذا المنكر ! وأى جهل ران على قلوبهم حتى طمس فيها نور المعرفة ، وحرمها نعمة التفكير التى خص الله بها بنى الانسان !!

ان العقل البشرى لايكاد يجد مبررا لهذه الحماقات التى ارتكبت فى حق العلم . وان بعض علماء الأسبان الذين انصفوا التاريخ ليذرفون الدمع السخين حسرة على ضياع هذا التراث الفكرى العظيم .

وليس من المستطاع التعرف على كل ما ألف باللغة العربية في هذه البلاد وانما يكفي ضرب أمثلة لذلك ، فقد كان هؤلاء العلماء يضربون بسهم وافر في كل باب من أبواب المعرفة ، ويحرزون قصب السبق في كثير من ميادين العلم .

وان الكتب التي ألفت في تاريخ بلادهم وحكامهم ، وعلمائهم وفقهائهم وأدبائهم من الكتاب والشعراء ، وما ألف في علوم الشريعة وفروعها وفي ضروب الأدب وألوانه وفي مختلف العلوم والفنون . هذه كلها شاهد صدق على ماكان للعرب من مكانة عظيمة وقدم راسخة في ميدان الثقافة والعلم .

ومن آثارهم التي حفظت لنا هذا التاريخ المجيد ، وسجلت الفخار والعزة للمسلمين في فترة حكمهم لهذه البلاد تلك المؤلفات :

١ـ طبقات الكتاب بالأندلس . ألفه محمد بن موسى بن هاشم بن يزيد المعروف بالأفشين مولى المنذر من أهل قرطبة توفي في رجب سنة ٣٠٧ هـ (١) .

٢ـ أخبار القضاة بقضاة الأندلس للنباهي المالقي ، وقضاة قرطبة للخشني والكتابان مطبوعان (٢) .

٣ـ شعراء الأندلس . ألفه محمد بن عبد الرؤف بن محمد بن عبد الحميد الأزدي من أهل قرطبة : مات سنة ٣٤٣ هـ (٣) .

٤ـ مؤلفات كثيرة في أخبار الأندلس ، وتواريخ دول الملوك فيها ، ألفها أحمد ابن محمد بن موسى بن بشير بن حمادى بن لقيط الرازي الكناني من أنفسهم من أهل قرطبة . توفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة هجرية (٤) .

٥ـ كتاب في رجال الأندلس . ألفه خالد بن سعد من أهل قرطبة ، ألفه للمستنصر بالله . توفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة هجرية (٥) .

---

(١) تاريخ ابن الفرضي جـ ١ ص : ٣١ ، جذوة المقتبس : ٨٢

(٢) دار الكاتب المصري سنة ١٩٤٨ .

(٣) تاريخ ابن الفرضي جـ ٢ ص : ٦٤ ، ايضاح المكنون مجلد أول ص : ٤٢

(٤) تاريخ ابن الفرضي جـ ١ ص : ٥٤ ، ٥٥ .

(٥) المعجم السابق ص : ١٥٤ ، ١٥٦ .

٦ـ كتاب فى فقهاء ألبيره وكتاب آخر فى شعرائها ، ألفهما مطرف بن عيسى ابن لبيب بن محمد بن مطرف الغسانى من أهل ألبيرة من ساكنى غرناطة مات سنة ٣٥٧ هـ .(١)

٧ـ تاريخ افتتاح الأندلس . ألفه محمد بن عمر بن عبد العزيز .. المعروف بابن القوطية من أهل قرطبة ، أصله من أشبيلية توفى سنة ٣٦٧ هـ .(٢)

٨ـ طبقات النحويين واللغويين . ألفه محمد بن حسن بن مذحج الزبيدى من أشبيلية . سكن قرطبة . توفى سنة ٣٧٩ هـ ، وقد طبع بتحقيق الأستاذ أبو الفضل .(٣)

٩ـ تاريخ العلماء والرواة للعلم . ألفه الحافظ أبو الوليد عبد الله بن محمد ابن يوسف الأزدى المعروف بابن الفرضى . توفى سنة ٤٠٣ .(٤)

١٠ـ جذوة المقتبس للحميدى وهو مطبوع .

١١ـ الصلة لابن بشكوال وهذا الكتاب مطبوع .

١٢ـ كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار المتوفى سنة ٦٥٩ هـ وهو مطبوع .(٥)

١٣ـ كتاب صلة الصلة وهو ذيل للصلة البشكوالية فى تراجم أعلام الناس لجامعه الشيخ أبى جعفر أحمد بن الزبير ، وهو مطبوع أيضا .(٦)

وممن تحدث عنهم الحميدى فى كتابه جذوة المقتبس (ص ١٨٨) :

---

(١) تاريخ ابن الفرضى جـ ٢ ص : ١٣٦

(٢) حقق هذا الكتاب وطبع فى بيروت .

(٣) تاريخ ابن الفرضى جـ ٢ ص : ٩٢

(٤) نشر هذا الكتاب عزت عطار .

(٥) طبع مدريد — روخس سنة ١٨٨٦م .

(٦) طبع بالرباط بالمطبعة الاقتصادية سنة ١٩٣٧ .

حيان بن خلف بن حسين بن حيان أبو مروان القرطبي ، صاحب " التاريخ الكبير في أخبار الأندلس وملوكها " ، وقال عنه :

" ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأثنى عليه وأدركناه بزماننا "

وقد امتلأت قوائم الكتب والمؤلفات التاريخية والفهارس بما لا يقع تحت حصر أو عد من مؤلفات الأندلسيين باللغة العربية ، مما يدل على عظم مكانتهما .

النحو في الأندلس

١ـ الاعراب والسليقة

٢ـ شيوع اللحن والحاجة الى النحو

٣ـ النحو في الأندلس

٤ـ نحاة الأندلس الأدباء

٥ـ نحاة الأندلس المؤدبون

٦ـ نحاة الأندلس القضاة

٧ـ نشاط النحاة في الأندلس

٨ ـ كتب النحو المشرقية هناك :

أـ الكسائي ونحو الكوفيين

ب ـ سيبويه

جـ ـ جمل الزجاجي

د ـ كتب النحو المشرقية الأخرى

١ ـ الاعراب والسليقة :

بلغت اللغة العربية فى انتاجها الفنى الذروة الرفيعة قرب ظهور الاسلام وكان الناطقون بها يتفاضلون فيما بينهم فى درجات الفصاحة والبيان ولكن أحدا منهم لم يكن لسانه لينحرف عن النطق العربى السليم ، وكان الحكم فى ذلك يرجع الى المستمعين من جمهرة العرب ، فقد عرف أنهم كانوا ينفضون عمن لايقوم لسانه أولا يطربهم بيانه ، وكانوا كذلك لايجدون كبيرا فيهم تمنعهم منزلته ومكانته من رده الى الصواب اذا انحرف عنه أو حاد .

لقد كان العرب قبل الاسلام يزنون الكلام ويعرفون أصول النطق وسلامة التعبير وصحة الأسلوب ، من غير أن تكون لهم قواعد مدونة أو كتب تدرس فى هذه السبيل .

" وقد عاب العرب على النابغة الذبيانى الاقواء فى شعره ، وليس الاقواء فى الحقيقة الا لحنا فى الاعراب وخروجا عن قواعده . ولم يستطع أحد أن يصارح النابغة وهو من خاصة العرب بهذا العيب ، حتى دخل يثرب فأسمعوه غناء قوله :

من آل مية رائح أو مغتدى   عجلان ذا زاد وغير مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غدا   وبذاك خبرنا الغراب الأسود

ففطن لهذا ، وغيره الى قوله :

. . . .   " وبذاك تنعاب الغراب الأسود "

ثم قال : دخلت يثرب وفى شعرى بعض الصنعة ثم فارقتها وأنا أشعر العرب "[1].

ولما أرسل الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، وأنزل عليه القرآن الكريم متحديا لذوى اللسن والفصاحة من أبناء يعرب ، تأثر بما فيه من محكم الآيات ومعجز البيان مدنسة الكفر وعبدة الأصنام ، وحاول المكابرون

(١) الخصائص ج ٣ ص : ٢٤٢ .

منهم أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ووصفوا القرآن بصفات ووصفوا الرسول (ص) بصفات فكان مما قالوا عن القرآن : " أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا " فأمر الله رسوله أن يرد عليهم بالآية الكريمة :

" قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ، انه كان غفورا رحيما " .(١)

جاء الاسلام ، واللغة العربية في أوج عظمتها ، فزادها بالكتاب الكريم عزة فوق عزتها ، وأمدها بأعلى درجات البيان ، ولم يلبث صرح الكفر أن انهار وجاء الحق وزهق الباطل ، وأصبح المسلمون هم رعاة اللغة العربية الحراص على ادراك أسرار التنزيل وفهم ما يجيء به الرسول الأمين (ص) وقد كان الرسول أشد الناس حرصا على سلامة اللغة وخلوها من اللحن حتى " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل لحن : " أرشدوا أخاكم فقد ضل " فسمى اللحن ضلالا ، وقال عليه السلام : " رحم الله امرأ أصلح من لسانه " وذلك لما علمه صلى الله عليه وسلم مما يعقب الجهل لذلك من ضد السداد وزيغ الاعتقاد(٢) " .

وقد استمر الخلفاء من بعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) يعتنون باللغة ويعملون على صيانتها حتى كان رابع الخلفاء الراشدين فأمر أبا الأسود الدولي أن يضع النحو ، والحاجة الى وضع النحو دليل قاطع على أن الاعراب في اللغة العربية خاصية ملازمة لها على ألسنة الخاصة والعامة على ألسنة الأدباء وغير الأدباء .

وقد أنكر الأستاذ الدكتور ابراهيم أنيس تعميم ظاهرة الاعراب في ألسنة الناطقين باللغة العربية ، فقال(٣) :

" فلم تكن لهجات الكلام عند القبائل تلتزم الاعراب على الصورة التي رسمت لنا في كتب النحاة ، وانما التزم الاعراب على تلك الصورة في اللغة الأدبية التي نزل بها القرآن الكريم ونظم بها الشعر ، وقد كان الاعراب من الظواهر اللغوية التي

---

(١) سورة الفرقان : آية رقم : ٥ ، ٦ .
(٢) الخصائص جـ٣ ص: ٢٤٦
(٣) في اللهجات العربية : ٧٤

عنى بها الخاصة من العرب فى خطبهم وشعرهم ، وعد بينهم مما يفخر به الأديب ويمهر فى مراعاته . أما فى لهجاتهم ولغة التخاطب بينهم فلا نكاد نعلم شيئا عن قواعد اعرابهم وما التزموه فى تحريك أواخر الكلمات أو اسكانها ، فالاعراب ـ كما نعرفه ـ لم يكن الا مسألة مواضعة بين الخاصة من العرب ، ثم بين النحاة من بعدهم ، ولم يكن مظهرا من مظاهر السليقة اللغوية بين عامة العرب ، ويدل على هذا شعورهم بقواعده وقوانينه منذ العهد الجاهلى ، فاذا خرج أديب عن تلك القواعد عيب عليه هذا ، والا فكيف نتصور من الناحية الصوتية أن لسانا يعجز عن نصب خبر " ما " أو نصب اسم " لعل " أو جر تمييز " كم " الخبرية ؟ ".

وقد سبق لى أن رددت على أستاذنا الدكتور أنيس هذه الفكرة ، التى سحرته بما فيها من جدة وطرافة فجعلته يقرر أن " مراعاة الناحية الاعرابية كانت من صفات اللغة الأدبية[1] " وأكدت أن الاعراب فى اللغة العربية مقصود لذاته وأنه ذو قيمة عظيمة الأهمية فى فهم الكلام ، وهذا ابن جنى يقول فى " باب القول على الاعراب[2] " :

" هو الابانة عن المعانى بالألفاظ ، ألا ترى أنك اذا سمعت : أكرم سعيد أباه ، وشكر سعيدا أبوه ـ علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ولو كان الكلام شرجا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه " .

وقد زاد ابن جنى هذا القول تأكيدا ، ووضح لزوم السليقة لأهلها فقال[3] :

" وسألت الشجرى يوما فقلت : يا أبا عبد الله ، كيف تقول : ضربت أخاك ؟ فقال : كذاك . فقلت : أفتقول : ضربت أخوك ؟ فقال : لا أقول أخوك أبدا . قلت : فكيف تقول : ضربنى أخوك ؟ فقال : كذاك . فقلت : ألست زعمت أنك لا تقول : أخوك أبدا ؟ فقال : أيش ذا ! اختلفت جهتا الكلام . فهل هذا فى معناه الا كقولنا نحن : صار المفعول فاعلا ، وان لم يكن بهذا اللفظ البتة فانه هو لا محالة " .

---

(١) فى اللهجات العربية ص : ٧٤ ، والرد فى رسالة الكتاب المقتضب ورقة : ٢٥١ .

(٢) الخصائ[illegible] ٣٥ [illegible] ٢٥٠ .

وانما قصدت الى مزيد من التوضيح فى هذه النكرة ، ومزيد من الـــرد على من حاد عن ذلك الطريق السوى ، لأن الاعراب فى حقيقته ليس الا علم النحـــو الذى تهدف الى دراسته ، ونرجو فيه ثواب اللـــه .

وقد عرف ابن جنى النحو فقـــال (١) :

"هو انتحاء سمت كلام العرب فى تصرفه من اعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والاضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ، ليلحق من ليس من أهـــل اللغـــة العربية بأهلها فى الفصاحة ، فينطق بها ، وان لم يكن منهم ، وان شـــذ بعضهم عنها رد به اليهـــا " .

وفى هذا التعريف يبين لنا الغرض من دراسة النحو ، وبيان أنه قانون وقواعد لا يصح الشذوذ عنها ولا تجوز مخالفتها ، فان شذ بعض الناطقين عن اللغة الفصحـــى كان النحو هو الميزان الذى يوزن به الكلام فيرد هذا المخالف الى الصواب ويرده الى طريق النطق العربى الفصيح .

٢ــ شيوع اللحن والحاجة الى النحـــو :

ثم اتسعت رقعة البلاد الاسلامية ، وامتدت الى خارج الحدود العربيـــة ، ودخل كثير من غير العرب فى دين اللـــه أفواجـــا ، واختلطوا بالعرب اختلاط معاملـــة وصهر واختلاط معاشرة ومعايشـــة ، وكان لابد للعرب من أن يعلموا هؤلاء شئون الدين ويبصروهم بفروع الأحكام ، ويلقنوهم النصوص العربيـــة التى تعين ألسنتهم على التعبير ببيان عربى قويم ، ولكن لغة العرب لا يمكن أن تتغلب على كل أثـــر لغيرها من اللغـــات الأخرى ولا يمكن أن تحول اللسان العجمى الى لسان عربى مبين ، دون أن يكـــون هناك صدام وصراع بين اللسانين ، ودون أن يتعلم العرب أنفسهم فى بدء الأمـــر بعض الألفاظ والعبارات التى تعينهم على قضاء حاجاتهم اليوميـــة ــ وقد بسطـــت القـــول فى ذلك عندما تحدثت عن اللغة العربية فى الأندلس .

ومن هنا تعرضت اللغة العربية لما تتعرض له كل لغة تنتقل من موطنها الى موطن جديد ، فبدأ اللحن والتحريف والتغيير والتبديل يسرى فى أوصال اللغة وفى مفرداتها ، وكان لابد من أن ينتبه المسلمون الى ذلك الخطر الذى يهدد أصول اللغة بالضياع والانهيار ، وتتحدث المراجع الكثيرة عن سبب وضع النحو فتذكر القصص المختلفة .

قال أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى ـ رحمة الله عليه(١) :

ولم تزل العرب تنطق على سجيتها فى صدر أسلافها وماضى جاهليتها حتى أظهر الله الاسلام على سائر الأديان ، فدخل الناس فيه أفواجا ، وأقبلوا اليه أرسالا ، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة واللغات المختلفة ، ففشا الفساد فى اللغة العربية ، واستبان منها فى الاعراب الذى هو حليها ، والموضح لمعانيها ، فتفطن لذلك من نافر بطباعه سوء أفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب ، فعظم الاشفاق من فشو ذلك وغلبته ، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم الى أن سببوا الأسباب فى تقييدها لمن ضاعت عليه ، وتثقيفها لمن زاغت عليه ...

ولم تزل الأئمة من الصحابة الراشدين ومن تلاهم من التابعين يحضون على تعلم العربية وحفظها ، والرعاية لمعانيها ، اذ هى من الدين بالمكان المعلوم فيها أنزل الله كتابه المهيمن على سائر كتبه ، وبها بلغ رسوله عليه السلام وظائف طاعته وشرائع أمره ونهيه ... قال عمر بن الخطاب : " تعلموا العربية فانها تشحذ العقل وتزيد فى المروءة " .

وروى عن عمر أيضا أنه قال : " تعلموا الفرائض والسنة واللحن ، كما تعلمون القرآن " ويروى عن أبان بن عثمان أنه قال : " اللحن فى الرجل السرى كالتغيير فى الثوب الجديد " . وقال مالك بن أنس : " الاعراب حلى اللسان فلا تمنعوا ألسنتكم حليها " . وقال ابن شبرمة : ان الرجل ليلحن وعليه الخز الأدكن فكأن عليه أخلاقا ، ويعرب وعليه أخلاق فكأن عليه الخز الأدكن " .

---

(١) [illegible]

وقد أوجز المبرد سبب وضع النحو فى كتابه " الفاضل " من قبل[1] .

ثم جاء ابن خلدون فتحدث فى مقدمته عن ذلك فقال[2] :

" فلما جاء الاسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذى كان فى أيدى الأمم والدول ، وخالطوا العجم تغيرت الملكة بما ألقى اليها السمع من المخالفات التى للمتعربين ، والسمع أبو الملكات اللسانية ففسدت بما ألقى اليها مما يغايرها لجنوحها اليه باعتياد السمع ، وخشى أهل العلوم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على الفهوم ، فاستنبطوا من مجارى كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع ثم رأوا تغيير الدلالة بتغيير حركات هذه الكلمات ، فاصطلحوا على تسميته اعرابا وتسمية الموجب لذلك عاملا وأمثال ذلك ، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم ، فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة ، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو " .

ليس من الغريب اذا أن يظهر علم النحو الى حيز الوجود ، فيدون ويدرس ، بعد أن كان مستقرا فى أفهام القوم وعقولهم ، يعينهم على تمييز اللحن ، ويدفعهم الى اصلاحه مهما كان شأن هذا المخطئ ، فظهور علم النحو فى اللغة العربية انما كان مرحلة تطور طبيعية لحياطة هذه اللغة وصيانتها من التغيير والزوال .

وكذلك نظر المحدثون الى نشأة النحو فقرر يوهان فك أن " اتخاذ المسلمين الجدد لغة العرب لسانا لهم كان هو الدافع الأول للملاحظات النحوية[3] " .

كما قرر برنارد لويس مثل ذلك فى قوله[4] :

---

(١) الفاضل : ٥

(٢) مقدمة ابن خلدون : ٤٧٩ .

(٣) العربية : ١١

(٤) [illegible] ١٩٣ .

وقد نشأ علم النحو واللغة من الحاجة الى تأويل القرآن وتفسيره ، وكان الروميون من أصحاب المدرسة القديمة فى الدعشية يقصرون أنفسهم على العلوم الدينية البحتة ، وهى : تفسير القرآن واستنباط الأحكام وتدوين الحديث ... " .

---

٣ — النحو فى الأندلس :

١ — ولئن كان السبب فى نشأة النحو بالمشرق هو الخوف على كيان اللغة من أن يتسرب اليه النقص أو الضعف بالتحريف أو اللحن ، وما يترتب على ذلك من خطر على أصول الدين — إن السبب فى نقل النحو الى بلاد الأندلس فى أول الأمر لم يكن شيئا من ذلك ، لأن اللغة العربية نفسها لم تكن ذات كيان متين فى هذه البلاد ، انما كانت ناشئة ، حاجتها الى جمع النصوص أكثر من حاجتها الى وضع ضوابط تعصم الألسنة ، وبعد أن اجتازت اللغة العربية هذه المرحلة بنجاح كان لابد من نقل النحو اليهم ، لتتمكن هذه الناشئة التى تعشقت اللغة العربية من السيطرة على زمامها ، وقد كانوا فى حاجة الى ذلك ، لكى يستطيعوا ضبط ألسنتهم فى النطق بهذه اللغة الجديدة المكتسبة ، شأنهم فى ذلك شأن الأجنبى الذى يريد أن يتعلم اللغة العربية فى زمننا هذا .

٢ — ثم ان الأندلسيين بادروا الى هذا التراث اللغوى العظيم من القرآن الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام العرب شعره ونثره ، بادروا الى هذا التراث حين رأوه ميسورا قد هيىء بين أيديهم ، فنهلوا وعلوا من معينه العذب واغترفوا من بحره الفياض ، ووجدوا فيه الذخيرة الثقافية التى تملأ فراغ أذهانهم ، وتسد حاجة عقولهم ، فاستسلموا لقياد هذه اللغة التى صقلت ألسنتهم وثقفتهم وطبعتهم بطابعها الجديد وجعلتهم ينبذون ما سواها من رطاناتهم المحلية دهرا طويلا ، وكان لابد لهم من أن يستكملوا هذه الثروة العظيمة بنقل العلوم المختلفة الى بلادهم ، وعلى رأس هذه العلوم علم النحو الذى يعتبر الدعامة الكبرى فى اقامة

صرح الأدب العربى وقد استأثر هذا العلم بكثير من علمائهم واستهواهم حتى كان له أعظم المنزلة عندهم ، ودليل ذلك ماقاله المقرى عنهم فى ذلك (١) :

" والنحو عندهم فى نهاية من علو الطبقة حتى انهم فى هذا العصر فيه كأصحاب عصر الخليل وسيبويه ، لايزداد مع هرم الزمان الا جدة ، وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه ، وكل عالم فى أى علم لايكون متمكنا من علم النحو ـ بحيث لاتخفى عليه الدقائق ـ فليس عندهم بمستحق للتمييز ولا سالم من الازدراء " .

٣ـ وكان من أسباب نقل النحو اليهم شىء من الشعور بالقومية والانخراط فى سلك العروبة جعلهم يبكرون فى نقل هذا العلم اليهم ، اذ أنه لم يكتمل القرن الثانى الهجرى حتى كان كتاب الكسائى فى الأندلس . " فقد كان جودى بن عثمان ممن رحلوا الى المشرق فلقى الكسائى والفراء وغيرهما وهو أول من أدخل كتاب الكسائى (٢) " .

وقد يكون من المستبعد أن يهتم جودى بكتاب أستاذه الكسائى فينقله الى بلاده ويترك كتاب سيبويه الذى عرف فضله وعلا فى العالمين قدره . وربما كان سكوت التاريخ عن تدوين ذلك لأنه مما علم وشاع أن كتاب سيبويه هو أصل ذلك العلم ، ولا يمكن أن يدرس النحو فى ذلك الحين من غير أن تكون الدراسة فى أصله وأساسه وهو كتاب سيبويه .

" وكان الكسائى قد قرأ كتاب سيبويه على أبى الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الصغير (٣) " .

٤ـ ومن الدوافع التى جعلتهم يطلبون علم النحو فى أول ما يطلبون من ثقافات المشرق شعورهم بأنهم لايقلون عن غيرهم من أبناء المشرق فى درجة الكفاح ، وأنهم ان لم يسبقوهم فى هذا المضمار فلا أقل من أن يلحقوا بركبهم كى يمهدوا للسبق والفوق .

---

(١) نفح الطيب جـ ١ ص : ٢٠٦ .

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص : ٢٧٨ .

(٣) المرجع السابق ص : ٧٤ .

قال الأستاذ علي النجدي[1] :

" وقد رجعت الى بغية الوعاة وكشف الظنون ، أتتبع دراسات الكتاب واستوعبها احصاء وعدا ، فاذا للأندلس وما يسامتها من بحر المغرب قرابة أربعين وللعراق وما يليه قرابة خمس وعشرين ، ولمصر أربع لا غير ، وليس هذا التفاوت بعجيب ففي الشرق كان مقر الخلافة العباسية ، واليه كانت رحلة العلماء والشعراء وأصحاب الكفاية والمنزعة عامة ، وفي الغرب كان مقر دولة أخرى عربية تنافس الخلافة وتحرص على أن تجاريها في كل ميدان .

فمعقول أن تكون حلبة السبق من الدولتين ، وأن يرد اليهما الفضل أولا وثانيا في تشييد الحضارة الاسلامية ورفع منار العلوم والفنون ، ثم يرد ثالثا الى سائر الأقطار على تفاوت في الجهد وحسن البلاء وعلى نحو من متابعة العاصمة والاقتباس منها قريب أو بعيد "

٥ — وقد كان كثير منهم يصدرون مؤلفاتهم النحوية ، في معرض بيان الغرض الأسمى من الكتاب الذي يؤلفونه — يصدرونها بأنهم انما يؤلفون من العلم ما يعين على فهم الكتاب العزيز ومعرفة أسراره وادراك معانيه ، ثم كانوا يردفون ذلك بأنه ما عبد الله بشيء أفضل من ذلك .

قال أبو العباس أحمد بن يوسف .. اللبلي في مقدمة كتابه " وشي الحلل في شرح أبيات الجمل[2] " .

" .. أما بعد فانه لما كان اللسان العربي أشرف اللغات ، وأبينها من العبادات وبذلك جعله الله تعالى لسان خير خليقته وكلام أهل جنته ، نزل به القرآن وندب الى اعرابه فقال : " أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه " . وقال : " تعلموا القرآن ، فانه كلام الله تعالى ، وكلام ملائكته ، وكلام أهل الجنة في الجنة " . الى غير ذلك من الآثار الواردة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) المصطفى وصحبه الأبرار

---

(١) سيبويه امام النحاة ص : ١٨٧ .

(٢) وشي الحلل في شرح أبيات الجمل : ١ .

تشرفت بهما اللغة العربية ، وشنت بهما الفضيلة والمزية . وكان علم العربية سببا الى فهم علوم الكتاب لايتولج فيها الا بابه ، ولا يتوصل الى استنباط مكنوناته الا بأسبابه ، فكم من متشابه من كتاب الله شرحه ، ومشكل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وأوضحه ، فلا مطمع في الوقوف على ما أودعه الله كتابه الكريم من أنواع المعارف ، وتضمنه كلام الرسول عليه السلام من الفوائد واللطائف الا به . لا جرم صرفت اليه عنان عزمي ، وشمرت على ساعد جدي وحزمي ، فصنفت فيه كتبا غريبة وتصانيف عجيبة .

٦ — وكذلك رأيت في مقدمات بعض الكتب النحوية التي وصلت الينا من مؤلفات علماء الأندلس — انها انما ألفت استجابة لطلب من أحد الولاة ، أو رغبة من أحد الأمراء الذين كانوا يعملون دائما على أن تحرز هذه البلاد قصب السبق في ميدان الثقافة والعلوم ، ومن أوضح الأمثلة لذلك ما قدم به ابن عصفور كتابيه : "المقرب" و " مثل المقرب " ، كما سيأتي ذكر ذلك ان شاء الله في ترجمة ابن عصفور .

---

٤ — نحاة الأندلس الأدباء :

قال ابن خلدون :

" نجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين ، اذا سئل في كتابة سطرين الى أخيه أو ذي مودته ، أو شكوى ظلامة ، أو قصد من قصوده — أخطأ فيها عن الصواب ، وأكثر من اللحن ، ولم يجد تأليف الكلام لذلك ، والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربي ، وقلما نجد نحويا شاعرا أو كاتبا ، وأكثر ما يقع ذلك للمخالطين لكتاب سيبويه ، لأنه ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم ...

وأهل صناعة العربية بالأندلس ومعلموها أقرب الى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتفقه في الكثير من التراكيب في

مجالس تعليمهم ، فيسبق الى المبتدئ كثير من الملكة أثناء التعليم ، فتنقطع النفس لها وتستمد الى تحصيلها وقبولها ... "

وما ذهب اليه ابن خلدون بالنسبة لنحاة الأندلس واضح كل الوضوح ولا يحتاج في اثباته الى دليل أكثر مما قاله من أن هؤلاء قد انصرفوا الى النصوص الأدبية فأفادوا منها سلامة التعبير وجودة البيان ، وليس من شك في "أن النحوي الذي لايدرس الشواهد النحوية دراسة فهم وتمحص وتمحيص ، ودراسة تحقيق وتدقيق لا يستحق لقب نحوي على الاطلاق .

رحمك الله يا بن خلدون ، فان جمهرة من ظهروا على مسرح الدراسات النحوية من زعماء النحاة وأئمتهم قد عرفت لهم مؤلفات أخرى في غير النحو كالأدب والتفسير والحديث والنقد والبلاغة وغير ذلك ، واذا كان بين النحاة فأفاء أو عيي تحدث عنه التاريخ ، فليس معنى هذا أن يعم الحكم جميع النحاة فيقال ذلك عنهم .

ومن أبرز الأمثلة لأدباء النحاة أبو العباس محمد بن يزيد المبرد وهو من زعماء مدرسة البصرة بل هو رئيس طبقة من طبقاتها ألف في النحو كتابا سماه " المقتضب " اعتبره الأئمة نظيرا لكتاب سيبويه ، الى جانب الكتب الأخرى التي بلغت عدتها خمسة وأربعين كتابا ، عرفت بها في رسالتي عن الكتاب المقتضب تحت عنوان " مكتبة المبرد "(١) .

وهذه المؤلفات كلها تدل أعظم دلالة على ماكان له من باع بارع في نصاعة المباق ، وفصاحة البيان ، وربما كان أذيع كتبه " كتاب الكامل في اللغة والأدب "(٢)

وأبو علي القالي وان لم يكن من أبناء الأندلس مثل طيب من هذه الأمثلة الكثيرة لأدباء النحاة ، فقد ألف كتاب الأمالي والنوادر في الأندلس بعد أن رحل اليها .

وانه لمما يشرف النحاة عامة أن فيهم العدد الكبير من الأدباء الذين كانت لهم قدم راسخة في الانتاج الأدبي ، وحسب المتشكك في ذلك أن يتصفح هذه المراجع أو بعضها :

---

(١) المقتضب دراسة وتحليل ص: ٦٥ — ٧٧ .

أخبار النحويين البصريين — انباه الرواة — بغية الوعاة — طبقات النحويين واللغويين — الفهرست لابن النديم — مفتاح السعادة — معجم الأدباء — نزهة الألبا .

لقد جمعت هذه المراجع الكثير من انتاج من ذكرت من علماء النحويين . وليت ابن خلدون تدبر وفكر قبل أن يصدر هذا الحكم العام على النحاة من غير الأندلسيين فان فيهم ذوى اللسن والبيان . وكانوا يستحقون من مؤرخ عالم كابن خلدون حسن التقدير .

وسأعرض لأمثلة أخرى كثيرة تؤيد ما أثبته ابن خلدون لنحاة الأندلسيين من أنهم أهل علم وبيان . وذلك عندما أتحدث عن أعلام النحاة في الأندلس .

---

٥ — نحاة الأندلس المؤدبون :

وقد كان من أثر هذه الثقة العظيمة بالعلماء ، وخاصة النحاة — أن اصطفاهم الحكام معلمين لأبنائهم ، وموجهين لأولياء عهودهم ، فكان هؤلاء النحاة معقد رجاء الحكام في نبوغ هؤلاء الأبناء كي يكونوا خيرا من يخلفهم في ولاية الأمر ، وقد كان ذلك من الأسباب التي رفعت شأن العلم ، وأعلت منار العلماء كما حدث في بلاد المشرق تماما ، وقد رأينا من النحاة الأندلسيين من احتل مكانة الكسائي من هارون الرشيد وابنيه ، ورأينا كذلك منهم كثيرين يشتغلون بالتأديب لأبناء الأكابر وعلية القوم .

وهذه أمثلة من هؤلاء النحاة الذين مارسوا مهنة التعليم لأبناء الحكام وغيرهم :

١ — جودى بن عثمان ، قال في تاريخ غرناطة : كان نحويا عارفا ، درس العربية وأدب بها أولاد الخلفاء ، وظهر على من تقدمه .(1)

٢ — عثمان بن المثنى من أهل قرطبة . قال الزبيدى وابن الفرضى : رحل الى المشرق فلقى جماعة من رواة الغريب وأصحاب النحو والمعانى ، وأخذ عن محمد

ابن زياد الأعرابي وغيره ، وقرأ على أبي تمام ديوان شعره ، وأدخله الأندلس، مات سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، وقد بلغ تسعا وتسعين سنة (١) .

وأدب أولاد الامام عبد الرحمن بن الحكم (٢) .

٣ــ بكر بن عبد الله الكلاعي من أهل قرطبة ... وكان مؤدبا لأولاد الخلفاء في النحو والشعر ، وسمع من يحيى بن يحيى ، وروى عنه ابنه محمد (٣) .

وقد ذكره الزبيدي في الطبقة الثالثة من نحاة الأندلس فقال عنه (٤) :

كان من أهل العلم والأدب والمعرفة بالشعر .

ولم يذكر أحد ممن ترجم له تاريخ وفاته . وقد نقل السيوطي عن الزبيدي وابن الفرضي ، ولكنه لم يزد شيئا (٥) .

٤ــ سعيد بن عيشون من أهل البيرة يكنى أبا عثمان ... وكان نحويا شاعرا بليغا استأدبه بعض أولاد الخلافة (٦) ، سمع من عبد الملك بن حبيب الذي مات سنة ٢٣٨ أو سنة ٢٣٩ عن أربع وستين سنة (٧) ، ولكن تاريخ وفاة ابن عيشون لم يعرف .

٥ ــ هشام بن الوليد بن محمد بن عبد الجبار بن هشام الغافقي من أهل قرطبة .. وكان عروضيا نحويا وأدب ولد أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد ، ثم أدب بعده ، ولي عهده الحكم المستنصر بالله ، وكان علم العروض أغلب عليه من علم العربية توفي سنة ٣١٧ هـ (٨) .

٦ــ عبد الله بن حرب بن ابراهيم بن عبد الملك بن يحيى بن ادريس الكلابي النحوي من أهل قرطبة يكنى أبا محمد ، ويقال له : بجنون ، وكان مؤدبا بالعربية توفي سنة ٣٢٤ (٩) .

---

(١) تاريخ العلماء جـ ١ ص: ٣٤٦ ، طبقات الزبيدي : ٢٨٨ ، بغية الوعاة : ٣٢٤

(٢) بغية الوعاة ص: ٣٢٤ . (٣) تاريخ العلماء جـ ١ ص: ١١١ .

(٤) طبقات الزبيدي ص: ٢٨٨ . (٥) بغية الوعاة ص: ٢٠٢ .

(٦) بغية الوعاة ص: ٢٥٦ ، تاريخ العلماء جـ ١ ص ١٩٢ .

(٧) بغية الوعاة ص: ٢٥٦ . (٨) تاريخ العلماء جـ ٢ ص: ٤١

٧ — محمد بن حمدون القانقي الوراق من أهل قرطبة . أصله من مورور وسكن أشبيلية وعني بتقييد اللغة وحفظها ، وكان حسن الخط ضابطا وأدب بالحبرة .[1] روى عن قاسم بن أصبغ .[2] ومات قاسم في ١٤ من جمادى الأولى سنة ٣٤٠ .[3]

٨ — سعيد بن دراك بن معاوية اللخمي من أهل قرطبة .. كان له بصر بالنحو وأدب به .. توفي سنة ٣٦٧ هـ .[4]

٩ — أيوب بن منصور بن عبد الملك الأنصاري القرطبي النحوي أبو سليمان يعرف بابن الفرضي كان عالما بالاعراب عدلا ، أدب بعض أولاد الخلفاء في أيام الأمير عبد الله ، وذكره الزبيدي في الطبقة السادسة من نحاة الأندلس قال : وكان ذا علم بالعربية[5] .

١٠ — الحسن بن الوليد بن نصر أبو بكر القرطبي المعروف بابن العريف النحوي . قال ابن الفرضي : كان نحويا مقدما فقيها في المسائل ، حافظا للرأي ، خرج الى مصر وأسن بها ، ومات سنة سبع وستين وثلاثمائة . قلت : وصنع لولد أبي عامر المنصور مسألة فيها من العربية مائتا ألف وجه واثنان وسبعون ألف وجه وثمانية وثمانون وجها[6] .

١١ — الحسين بن الوليد بن نصر أبو القاسم بن العريف النحوي أخو الحسن السابق قال ابن الفرضي : كان نحويا عارفا بالعربية ، مقدما فيها أخذ عن ابن القوطية وغيره ورحل الى المشرق ، وسمع من أبي طاهر الذهلي وابن رشيق وأقام بمصر أعواما ، ثم عاد الى الأندلس فأدب أولاد المنصور محمد بن أبي عامر .. توفي سنة ٣٩٠ هـ .[7]

---

(١) تاريخ العلماء جـ ١ ص : ٣٦٩ .
(٢) بغية الوعاة ص : ٣٩
(٣) المرجع السابق : ٣٧٥ .
(٤) تاريخ العلماء جـ ١ ص : ٢٠٣
(٥) تاريخ العلماء جـ ١ ص : ١٠٣ ، بغية الوعاة ص : ٢٠١ .
(٦) بغية الوعاة ص : ٢٣٠ .

١٢- محمد بن خطاب أبو عبد الله النحوي الأزدي ، كان من الأدباء المشهورين والنحاة المذكورين ، وكان يختلف اليه في علم العربية أولاد الأكابر وذوي الجلالة ، كان قبل الأربعمائة[1] .

١٣- ابراهيم بن ليث بن ادريس التجيبي أبو اسحق الأندلسي المعروف بالقويدس .. واستوطن طليطلة ، وتأدب بها ، وبرع في علم العربية وأدب الناس بها زمانا طويلا .. توفي سنة ٤٥٤ هـ[2] .

١٤- سنة ٦١٢ هـ ، وفيها أبو محمد بن حوط الله الحافظ .. الأنصاري الأندلسي وكان اماما في العربية والترسل والشعر ، ولي قضاء أشبيلية وقرطبة وأدب أولاد المنصور صاحب المغرب بمراكش توفي في ربيع الأول[3] .

١٥- محمد بن يحيى الرباحي هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي ينتمي الى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ... وكان حاذقا بعلم العربية دقيق النظر فيها ...

واستأدبه أمير المؤمنين الناصر رضي الله عنه لولده المغيرة ، ثم صار بعد ذلك الى خدمة أمير المؤمنين المستنصر بالله رضي الله عنه في مقابلة الدواوين والنظر فيها ، وتوسع له - رحمه الله - في النزل والجرايات "

ولم يزل لديه أثيرا ، وعند طبقات الملوك معظما مبجلا ، حتى توفي على أجمل طريقة وأحمد مذهب وذلك في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة[4] .

وغير هؤلاء كثيرون ، تمتلئ بذكرهم والحديث عنهم كتب التراجم وكتب التاريخ ، ولعل بعض العلماء يتجه الى هؤلاء المؤدبين فيجمع تاريخهم وآثارهم في سفر يخلد ذكرهم ويجعل لهم لسان صدق في الآخرين .

---

(١) جذوة المقتبس : ٥٠

(٢) انباه الرواة جـ ١ ص : ١٧٦ .

(٣) شذرات الذهب جـ ٥ ص : ٥٠ .

(٤) [illegible]

٦ ـ نحـاة الأندلس القضــــاة :

ولولايــة القضـــاء فى كل عصر وفى كل مصر هيبــة وكرامــة ومنزلــة وتقديـــــر وعلى قدر صلابــة رجل القضـــاء فى الحق ، وعلى قدر تمسكه بالعدل تكون مكانته فـــى نفوس معاصريـه ، وفى عصور الاسلام الأولى اشتهر بذلك الامام على بن أبى طالـــــب ـ رضـى اللـه عنه وكـرم اللـه وجهـه ـ حتى ضرب به المثـل اذا عرضت قضيـــة فيها اشكال ، فقيـل :

" قضيـة ولا أبا حسن لهـا " .

ويخرج بنا الحديث عن صميم البحث اذا استطردنـا الى تتبع المثـل العليـــا لرجل القضاء المسلم فى العصور المختلفـة ، لأن الذى أقصد الى ذكره ويستحق التنويـه بـه ، هو أن كثيرين من رجال الأندلس الذين تولوا مناصب القضاء كانوا من النحـــــاة الذين ضربوا بسهم وافر فى ميدان النحو ، وأخذوا منه بحظ عظيم ، وقد اشتهر منهـــم رجال لم يخافوا فى الحق لومة لائم .

وقد كان للقضاء فى نفوس الأندلسيين مكانـة رفيعـة ، تجل عن التهمـــــة والريبـة ، فقد " وصل مال لأيتام الى أحد القضـــاة فضاع من عنـده ، فاتهم ابنـه ثـــم كاتبـه ، ولما بلغ الخبر الأمير أخذ رأى العلمـاء فقالوا : " يستحلف القاضـــــى " . حاشا بقى بن مخلد ، فانه قال : ان من الشمات بنـا عند اليهود والنصارى أن يستحلف قاضينـا والمأمون على فروج نسائنا وأحسابنا وأيتامنا . أرى للأمير ـ أصلحـه اللـه ـ أن يجبر هذا من بيت المال . فصار الى رأيه ، وأمر بعزلـه .. واستحلفه سرا فى بيته .. فأنشد القاضـى :

ضحى على وجل تمضى على وجل ... كل التراب ولا تحمل لهم عمـــلا " (١)

ولعل أولى القضاة النحاة بالتقديم منذر بن سعيد ، الذى ذكره الزبيدى فـــى طبقاته وأثنى عليه أطيب الثنـاء (٢) .

---

(١) تاريخ ابن القوطية ص : ٩٢ ، ٩٣ بتصرف .

(٢) طبقات الزبيدى ص : ٣١٩ ، ٣٢٠ .

وقد منع القاضي منذر بن سعيد البلوطي ، قاضي الجماعة بقرطبة ـ منع الخليفة الناصر من شراء دار لأيتام[1] .

ومنذر بن سعيد هذا هو الذي روى كتاب العين عن أبي جعفر النحاس ، وعن أبي العباس بن ولاد[2] .

ونقل عنه المقري في نفح الطيب قال :

وقال منذر بن سعيد : كتبت الى أبي علي البغدادي أستعير منه كتاب الغريب وقلت :

بحق ريم مهفهف   وصدغه المتعطف
ابعث الى بجزء   من الغريب المصنف

فقضى حاجتي وأجاب بقوله :

وحق در تألف   بفيك أي تألف
لأبعثن بما قد   حوى الغريب المصنف
ولو بعثت بروحي   اليك ما كنت أنصف[3]

وقد نصح هذا الرجل الخليفة الناصر ، عند ما أخذته العزة ، وفوق قصر الزهراء ما شاءت له الأناقة ، فكان من أثر النصيحة أن نقض السقف وأعاده ترابا[4] .

وكان جودي النحوي المتوفى سنة ١٩٨ هـ ممن ولى القضاء بألبيرة[5] .

ولم يكن أحد من القضاة ، وهم على ماهم عليه من علم الأساليب وفنون البلاغة . لم يكن ليقبل المبالغة أو ضرب المثل في أداء الشهادة ، وانما كانوا يتوخون الدقة والتحديد ، حرصا منهم على ظهور الحق ، ورغبة في رفع منار العدالة .

---

(١) نفح الطيب جـ ٢ ص : ٢٢٣ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) جـ ٢ ص : ٢٢٧ .

(٤) نفح الطيب جـ ٢ ص : ١١٠ وتاريخ قضاة الأندلس ص : ٧٤ بتصرف ، تاريخ اسبانية أو أعمال الاعلام ص : ٣٩ .

" تقدم رجل كهل الى الحبيب بن زياد فشهد عنده بشهادة ، فقال له القاضي : منذ كم عرفت هذا الأمر ؟ فأجابه الشاهد بجواب أخرج الكلام فيه على وجه المبالغة والرمي الى الغاية ، فقال له : منذ مائة سنة . فقال له القاضي : ابن كم أنت ؟ فقال له : ابن ستين . فقال له : عرفت هذا الأمر منذ مائة سنة ؟ أتراك عرفته قبل أن تولد بأربعين عاما ؟ فقال له الشاهد : انما قلت ذلك على سبيل المثل . فقال له الحبيب : ان الشهادات لا تؤدى بالمثل ثم دعا للشاهد بالسوط فقنعه به عشرات "[1] .

وربما كانت هذه الواقعة هي أساس ما يكون بين بعض الناس وبعضهم عندما يتجه الى الآخر فيقول عنه : " ابن ستين " . وما تزال هذه العبارة متداولة على ألسنة العوام في شتائمهم .

وقال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ، وقد ذكر القاضي أحمد بن يزيد بن بقي الأموي ، المتوفى سنة ٦٢٥ هـ :

انه كانت له امامة في اللغة وعلم العربية[2] .

والقاضي أبو علي بن الناظر ... لازم في العربية والأدب الأستاذ أبا علي الشلوبين : أخذ عنه أكثر كتاب سيبويه ... توفي سنة ٦٩٩[3] .

والقاضي أبو اسحق ابراهيم الغافقي أستاذ الطلبة وامام الحلبة - أخذ علم العربية على صدر النحاة ابن أبي الربيع .. ودون في علم العربية وغيرها كتبا نافعة ، وتوفي سنة ٧١٦ هـ[4] .

محمد بن منصور التلمساني .. كان ذا حظ وافر من علم العربية واللغة .. وكان جميل الأخلاق جم المشاركة مفيد المجالسة مرددا لقول الأستاذ أبي اسماعيل الطغرائي في معرض النصيحة والتنبيه والتذكرة :

---

(١) قضاة قرطبة ص: ١٥٠ ، وقد ذكرت هذه القصة من قبل في الورقة رقم ٦٨ عند الحديث عن بعض أمثالهم السائرة .

(٢) تاريخ قضاة الأندلس ص: ١١٨ .

(٣) المرجع السابق : ص: ١٢٧ .

لاتطمحن الى المراتب قبل أن تتكامل الأدوات والأسباب
ان الثمار تمر قبل بلوغها طعما ، وهن اذا بلغن عذاب

وتوفى صدر سنة ٧٣٦ هـ (١)

وكان أبو القاسم الخضر بن أحمد بن أبى العافية الأنصارى .. من أهل غرناطة ، وكان — رحمه الله — من صدور القضاة وجهابذة النحاة .. توفى سنة ٧٤٥ هـ (٢)

ومن أعلام القضاة وصدور النحاة الشيخ النبيه الأستاذ المتفنن الشريف المعظم ، أبو القاسم محمد بن أحمد بن عبد الله الحسنى .. وقيد على كتاب التسهيل لابن مالك تقييدا مفيدا وبدائع جمة أشيرة .. توفى سنة ٧٦٠ هـ (٣) .

هؤلاء بعض أعلام القضاة النحاة فى بلاد الأندلس ، لم تشغلهم المهمة الكبرى الملقاة على عواتقهم عن طلب العلم والعناية به فان القاضى هو الذى يزن أمور الناس فى خصوماتهم ، ويضع كلا منها فى نصابه ، ويعطى كل ذى حق حقه . ولا شك أن هؤلاء القضاة من النحاة كانت لديهم الموهبة القضائية الممتازة ، لأنهم يعرفون أصول الكلام ومعاييره ، وهم يستعينون بذلك على تمحيص قضايا الخصوم ، فمن المستبعد أن تختل الموازين فى مثل هذه الأحكام . لأن أربابها قضاة عادلون فى نطقهم وفى حكمهم وتكفى كلمة الزبيدى عن منذر بن سعيد : " وولى قضاء الجماعة بقرطبة ، فلبث قاضيا الى أن توفى ، فما حفظ له جور فى قضية ، ولا هوادة بسبب غاية (٤) " .

" وذكر أبو حيان فى كتاب محاضرات العلماء : حدثنا القاضى أبو حامد أحمد بن بشر قال : كان الفراء يوما عند محمد بن الحسن فتذاكرا فى الفقه والنحو ففضل الفراء النحو على الفقه ، وفضل محمد بن الحسن الفقه على النحو ، حتى قال الفراء : قل رجل أنعم النظر فى العربية وأراد علما غيره الا سهل عليه ، فقال

---

(١) تاريخ قضاة الأندلس : ١٣٥،١٣٤ .

(٢) المرجع السابق ص : ١٤٩ .

(٣) نفس المرجع ص : ١٧١ .

محمد بن الحسن : يا أبا زكريا قد أنعمت النظر في العربية وأسألك عن باب من الفقه ، فقال : هات على بركة الله تعالى ، فقال له : ما تقول في رجل صلى فسها في صلاته ، وسجد سجدتي السهو فسها فيهما ، فتفكر الفراء ساعة ، ثم قال : لا شيء عليه .

فقال محمد : لم ؟ قال : لأن التصغير عندنا ليس له تصغير ، وإنما سجدتا السهو تمام الصلاة ، وليس للتمام تمام فقال محمد بن الحسن : ما ظننت أن آدميا يلد مثلك (١) " .

وكأن هؤلاء الفقهاء نظروا الى النحو تلك النظرة التي عبر عنها الفراء بقوله :

" قل رجل أنعم النظر في العربية وأراد علما غيره الا سهل عليه " .

فالنحو أداة من الأدوات التي تعين على تحقيق العدل وتدعم صرح الانصاف وتقيم بناءه شامخا بكيفا ، فلذلك أكب هؤلاء القضاة عليه ينهلون من معينه العذب ، حتى كان لبعضهم الامامة فيه ، وكان لنفر منهم بعض المؤلفات النحوية .

---

٧ - نشاط النحاة في الأندلس :

أشرت في بحثي في غير هذا الموضع من الرسالة الى اللحن الذي وقع في مجلس جودي بن عثمان النحوي وكيف كان علاجه (٢) ؛ كما أشرت الى أن الفرانق كان يأتي من قرطبة من الخليفة محمد رضي الله عنه الى خصيب الكلبي يستفتي في الكلمة من اللغة والمسألة من العربية تحدث عندهم (٣) ، وأشرت كذلك الى تصحيح قول الأعرابي : " تالله ما سيدتك العرب الا بحقك (٤) " .

---

(١) معجم الأدباء جـ ١ ص : ٦٨ .

(٢) ورقة رقم : ١٤٧ .

(٣) ورقة رقم : ٣٤ .

(٤) طبقات النحويين واللغويين ص : ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

هذا وقد أخذ نشاط النحاة فى الأندلس صورا مختلفة كتلك الصور التى شهدها هذا العلم فى بلاد المشرق ، ففى مجالس الأمراء والخلفاء كانت تدور المناقشة حول الكلمة يختلف فى ضبطها أو فى بنيتها ، أو حول تركيب من التراكيب التى يعملون جاهدين أن تكون على سنن العربية السليم .

وكذلك كانت مجالس العلماء والمتعلمين تمتلىء بالمناقشات والمناظرات والأسئلة فى مختلف أبواب العلم ، وربما كان العالم منهم يتعرض فى رحلته الى المشرق للسؤال فى مجلس التعليم ، فلا يتردد فى أن يجيب ويبين عما عنده من علم .

أ ـ من ذلك أن الشيخ الفقيه الأستاذ النحوى اللغوى أبا جعفر أحمد بن يوسف الفهرى اللبلى الذى قرأ بالأندلس على مشايخ من أفضلهم الأستاذ أبو على عمر الشلوبين أنه اجتمع فى رحلته بالمشرق بالقاضى ابن دقيق العيد وكان نحويا ، فلما دخل عليه اللبلى قال له القاضى : خير مقدم ، ثم سأله بعد حين : بم انتصب " خير مقدم " فقال له اللبلى : على المصدر ، وهو من المصادر التى لاتظهر أفعالها ، وقد ذكره سيبويه ، ثم سرد عليه الباب من أوله الى آخره ، فانه كان يحفظ أكثره ، فأكرمه القاضى وعظمه .

ثم قال ابن علوان " التونسى " وذكر والدى أيضا رحمه الله ومن خطه المبارك نقلت أن الأستاذ أبا جعفر اللبلى المذكور رحمه الله تعالى قرىء عليه يوما قول امرىء القيس :

حى الحمول بجانب العزل   اذ لايلائم شكلها شكلى

فقال لطلبته : ما العامل فى هذا الظرف يعنى " اذ " فتنازعوا القول فقال : حسبكم قرىء هذا البيت على أستاذنا أبى على الشلوبين فسألنا هذا السؤال ، وكان أبو الحسن ابن عصفور قد برع واستقل وجلس للتدريس ، وكان الشلوبين يغض منه ، فقال لنا : اذا خرجتم فاسألوا ذلك الجاهل ـ يعنى ابن عصفور ـ فلما خرجنا سرنا اليه بجمعنا ودخلنا المسجد ، فرأيناه قد دارت به حلقة كبيرة ، وهو يتكلم بغرائب النحو ، فلم نجسر على سؤاله لهيبته وانصرفنا . ثم جئنا بعد على عادتنا لأبى على فنسى حتى قرىء عليه قول النابغة :

نصد عما نـــرى اذ لا ارتجـــاع لـه

فتذكـر وقال : ما تعلمتم فى سؤال ابن عصفـور ، فصدقنـا له الحديـث ،

فاقسم ألا يخبرنا ما العامل فيه . ثم قال اللبلى لطلبته : وأنا أقول لكم مثل ذلـــك

فانظروا لأنفسكم . قالوا : فنظرنا فاذا المسألة مسألة نحص ونظر . كلما حكمنا بحكم

صد تنا عنه قوانين نحويـة حتى مضت مدة طويلـة . فوفـد علينا بتونس المحروسة أحـد

طلبة ابن أبى الربيع . وكان ابن أبى الربيع هذا ساكنـا بسبتـة وهو أحد طلبــــة

الشلوبين ، ومن كبار هذه الطبقة التى نشأت بعده ، قالوا : فتذاكرنا مع هذا الطالب

فى مسائل نحويـة ، فمرت هذه المسألة فى قوله تعالى :" اذ نسويكم برب العالمــين "(١)

فقال هذا الطالب : ان هذا الظرف وقع موقع لام العلـة ، فعلمنا أن هذا هو الـــذى

أراد الأستاذ أبو علي . ثم ناقشنا الطالب وقلنـا اذا جعلتـه ظرفـا فلا بد من العامـل

واذا جعلته واقعا موقع الحرف كان هذا على شذوذ قول الكوفيين ، والذى يجوز عكســه

على مذهب الجميع ، وانما الأولى أن يقـال : اذ حرف معناه التعليل تشترك فيـــه

الأسماء والحروف كما اشتركت فيه عن ، والله أعلم بغيبـــــه "(٢).

ومن هذه القصـة الطريفـة نستنبط أن المساجد كانت تتخذ دورا للتعلـــيم

كشأنها فى بلاد المشرق ، وأن العلمـاء ربما تحامـل بعضهم على بعض ، كذلـــك

الذى كان بين المبرد وثعلب ، وأن الربط بين مسائل العلم كان صناعة ملازمة لهـــم

وأن الأستاذ كان يعطى طلابـه فرص البحث والدرس .

ب - ومن ذلك أن " ابن الطراح(٣) قـــال : ... وهذه الكلمة أعـــنى

" ماذا " جرت بسببها مناظرة بين الأستاذ أبى الحسين بن أبى الربيع النحوى المشهور

وبين مالك بن المرحل بسبتة ... وفى ذلك قال الأستاذ أبو الحسين رحمه الله تعالى :

كان ماذا ليتها عـــدم	جنبـوها قربهـا نـــدم
ليتـنى يا مـال لم أرهــا	انهـا كالنـار تضطـرم

---

(١) سورة الشعراء : آية رقم : ٩٨ .
(٢) نفح الطيب جـ ٢ ص : ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

وحكى الأستاذ ابن غازي أنهم اختلفوا : هل يقال : كان ماذا أم لا ؟ وقال : ان الأستاذ ابن أبي الربيع تطفل على مالك بن المرحل في الشعر كما أن ابن المرحل تطفل عليه في النحو . قال : ومن نظم ابن المرحل في هذه القضية :

عاب قوم كان ماذا ليت شعري كان ماذا

ان يكن ذلك جهلا منهم تكان ماذا

وتحقيق القول في هذه المسألة لا يحتاج الى توضيح أو شرح ، اذ أنها من القواعد المحفوظة .

جـ - ومن ذلك قال الشاطبي[1] : حدثنا الأستاذ الكبير أبو عبد الله الفخار قال : جلس بعض الطلبة الى بعض الشيوخ المقرئين ، فأتى المقرئ بمسألة الزوائد الأربع في أول الفعل المضارع ، وقال يجمعها قولك : " نأيت " فقال له ذلك الطالب : لو جمعتها بقولك " أنيت " لكان أملح ، ليكون كل حرف تضعيف ما قبله ، فالهمزة لواحد هو المتكلم ، والنون لاثنين وهما الواحد ومعه غيره والواحد المعظم نفسه ، والياء لأربعة : للواحد الغائب وللغائبين والغائبين والغائبات ، والتاء لثمانية : للمخاطب والمخاطبين والمخاطبين والمخاطبة والمخاطبتين والمخاطبات ، وللغائبة والغائبتين فاستحسن الشيخ ذلك منه " .

وهذا تقريب جيد من الطالب وصل اليه بنظره الثاقب ، واستمال ذهن الشيخ حتى استحسن ذلك الشيخ منه ، وواضح أن الهمزة للمتكلم وللمتكلمة أيضا ، وكذلك النون تكما أنها للواحد ومعه غيره فكذلك تكون للواحدة ومعها غيرها ، وكذلك تكون للواحدة المعظمة نفسها .

د - وربما حدثت النادرة في مجالسهم أو الطرفة في أثناء الدرس يتفكهون بها ، واشتهر منهم في ذلك علماء ، وقد " كان الأستاذ النحوي هذيل ، لطيفا كثير النوادر " . قال صاحب المغرب[2] : أخبرني عنه تلميذه الشيخ أبو العباس النيار باشبيلية قال : جاءه يوما للقراءة صبي متخلف فكان أول ما قرأ عليه بيت كثير :

---

(١) نفح الطيب جـ ٧ ص : ٢٩٧ .

جئتك عزة بعد الهجر وانصرفت

فقال مصحفا له : جئتك عِزّة . فقال الشيخ وأكثر : بالله يا ولدى تروح ولو قربت سنة . فأضحك الحاضرين .

وكان يقرأ عليه بربرى جعد الشعر قبيح الوجه ، فوقف يوما على : " قل ان كان للرحمن ولد فأنا " فقال : لأى شئ بالله ، لحسن وجهك وطيب شعرك ؟ وليس لى الا أن أطلب لمن كان فى هذا المجلس مغفرة الله .

هـ - وقد كان بعض العلماء يجلس للاقراء فى داره كمحمد بن يحيى الرباحى الذى " رحل الى المشرق فلقى أبا جعفر النحاس فحمل عنه كتاب سيبويه رواية ولازم هاذن فناظره وكان يذكر منه دقة نظره وجودة قياسه وقدم قرطبة ، فلزم التأديب بها فى داره فانجفل الناس اليه ثم انتقل الى أحد الحديريين فمكث عنده مدة ، وقرئ عليه كتاب سيبويه وأخذ عنه رواية ، وعقد للمناظرة فيه مجلسا فى كل جمعة (١) " .

و - وربما بدت النبرة فى نفوس بعض العلماء ودلت عليها تصرفاتهم من ذلك " أنه لما قدم المجلى من العراق مع كتبه وضن بها ، واستدعى الناس الى أن يملى عليهم فتسارب الناس اليه وانجفلوا الى مجلسه ، فخلا مجلس الخشنى . قال عفير : فقال لى الخشنى : مالك لا تسرع الى ما أسرع الناس اليه ؟ فقلت له : لست أبغى بك بديلا ، فقال : أحب أن تأتى الرجل وتشهد مجلسه ، فغدوت الى المجلى ، فحضرته يملى : المرق المداق ، وجمعها مرر ، وكان أحد من يكتب بين يديه زيد الحيانى . فقلت : يرحمك الله قال أبو عبيد فى المصنف : المرق المداق وجمعها مُرُر (٢) ، قال : فكأنى أنظر الى زيد قد محا ما كتب وقال : هذا الحق ، ثم رددت عليه كلمة ثانية وثالثة فى المجلس ، فانفض الناس عنه ، ولم يعد اليه بعدها أحد ، وبدر الخبر الى الخشنى فلما أتيته استدنانى وقبل بين عينى ، وقال لى : نعم مستودع العلم أنت (٣) "

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص : ٢٣٦ .
(٢) وكذا فى القاموس المحيط
(٣) المرجع السابق ص : ٢٩٨ .

ومن ذلك ما حكاه ياقوت بسند متصل الى الزبيدى عن المنذر بن سعيد قال[1] : ... قال الزبيدى : فحدثنى قاضى القضاة بالأندلس وهو المنذر بن سعيد البلوطى قال : أتيت ابن النحاس فى مجلسه بمصر ، فألفيته يملى فى أخبار الشعراء شعر قيس بن معاذ المجنون حيث يقول :

خليلى هل بالشام عين حزينة ‏ ‏ تبكى على نجد لعلى أعينها

قد اسلمها الواشون الا حمامة ‏ ‏ مطوقة باتت وبات قرينها

تجاوبها أخرى على خيزرانة ‏ ‏ يكاد يدنيها من الأرض لينها

فقلت : يا أبا جعفر ، ماذا ـ أعزك الله ـ باتا يصنعان ؟ فقال لى : وكيف تقوله أنت يا أندلسى ؟ فقلت : بانت وبان قرينها ، فسكت وما زال يستثقلنى بعد ذلك حتى منعنى كتاب العين ، وكنت ذهبت الى الاستنساخ من نسخته فلما قطع بى قيل : انتسخ من أبى العباس بن ولاد فقصدته فلقيت رجلا كامل العلم حسن المروءة وسألته الكتاب فأخرجه لى ، ثم تندم أبو جعفر لما بلغه اباحة أبى العباس الكتاب لى وعاد الى ما كنت أعرفه منه " .

وهكذا كان العلماء يتعرضون للمتاعب بسبب علمهم وبسبب طلبهم الحقيقة والصواب ، ولكنهم لم يكونوا يبالون شيئا من هذه المتاعب فى سبيل العلم ، فحلقات الدراسة ميدان تكثر فيه المناظرات والأسئلة وربما كانت هذه الحلقات فى دور العلماء أنفسهم أو فى دور السادة والأعيان أو فى المساجد والمنتديات ، وكما كان علماء النحو فى المشرق يرجعون الى البادية ينقلون عن أهلها اللغة الفصحى التى لم تشبها الشوائب ويتحملون فى سبيل ذلك ما يتحملون من الجهد والمشقة كذلك كان علماء الأندلس يرتحلون الى المشرق يستقون من رجاله أصول العلم ، ويأخذون عنهم مختلف الحقائق ـ كما سبق ـ وكانوا فوق ذلك يحملون معهم أسفار العلم النافعة ، وكتب النحو المشرقية التى حملت الى بلاد الأندلس تباهى بما لاقت من عناية ورعاية بالشرح والتعليق والاقراء والدرس والنقد والرواية وغيرها مما سيذكر ـ ان شاء الله عقب ذلك .

---

(١) ...

٨ - كتب النحو المشرقية هناك :

وسأخص بالذكر منها كتاب الكسائي ، وكتاب سيبويه ، وكتاب الجمل للزجاجي ، ثم أوجز الحديث عن سائر كتب النحو المشرقية التي انتقلت الى الأندلس وكان لها أثر في اتجاهاتهم .

أ - كتاب الكسائي ونحو الكوفيين :

سجلت كتب التراجم والطبقات وكتب التاريخ والأدب أن كتاب الكسائي قد كان أسبق كتب النحو المشرقية التي نقلت الى بلاد الأندلس ، ولكنه على الرغم من سبقه لم ينل من العناية والاهتمام مثل ما نال كتاب سيبويه أو كتاب الجمل للزجاجي . واذا تتبعنا الدارسين والشراح لكتاب الكسائي فاننا نجدهم قلة لا تكاد تتجاوز أصابع اليد الواحدة عدا ، وقد أشرت في غير هذا الموضع الى أن الذين شرحوا كتاب الكسائي أربعة ، هم الغفل ، والجوطي ، ودريود ، وأحمد بن أبان (*) .

وبالبحث والتنقيب لم أجد ما أضيفه الى هؤلاء الا أن ابن الأبار قد ذكر دريودا باسم مغاير لدريود السابق فقال (١) :

محمد بن أصبغ النحوي الضرير من أهل قرطبة ، يعرف بدريود ، أخذ العربية عن أحمد بن عبد الكريم الجياني ... وله شرح في نحو الكسائي في ستة أجزاء ، حمل عنه وسمع منه " .

ولم أستطع بعد عرض هذه القضية على عدة مراجع أن أجزم بأنهما اثنان كل منهما اسمه دريود ، وكل منهما كان ضريرا ، وكل منهما قام بشرح كتاب الكسائي . وربما كان الخطأ في الاسم مع اتحاد الشهرة .

وعبد الله بن سليمان الذي ذكره الزبيدي (٢) لم ينسب اليه شرح كتاب الكسائي وقد نقل السيوطي عن السلفي في ترجمة عبد الله بن سليمان قال (٣) :

(*) ورقة رقم ١٤٨ ، ١٥٠ .
(١) التكملة : ١٠١ .
(٢) طبقات النحويين اللغويين ص : ٣٢٣ .

" معروف بالنحو والأدب ، وكان أعمى ، شرح كتاب الكسائي ، وله شعر كثير منه :

تقول من للعمى بالحسن قلت لها كفى عن الله في تصديقه الخبر

القلب يدرك مالا عين تدركه والحسن ما استحسنته النفس لا البصر

وما العيون التي تعمى اذا نظرت بل القلوب التي يعمى بها النظر

توفي سنة ٣٢٥ " .

فقد ذكر السيوطي أنه عبد الله بن سليمان . ولكن الزبيدي جعل وفاته سنة ٣٢٤ مما يفتح باب النظر مرة أخرى في تحقيق ذلك .

فاذا فرض أنهما اثنان كان شراح كتاب الكسائي خمسة لا غير .

ثم ماذا كان لنحو الكسائي من آثار في علماء الأندلس ؟

وأين آراؤه التي نقلوها ، أو تداولوها في كتبهم ؟

وهل كان فيهم من تحدثت عنه الكتب بميله الى مذهب الكوفيين ؟

أ - لقد ذكر الزبيدي أن : " سعيد بن قدامة البلوطي كان مؤدبا عالما بالعربية وكان يميل الى مذهب الكوفيين ، وكان ذا سمت ووقار " ، وقد جعله الزبيدي من علماء الطبقة السادسة من نحاة الأندلس[1] .

وقد نقل السيوطي عن الزبيدي ترجمة هذا الرجل وسماه محمدا ، وجعل وفاته بعد الثلاثمائة[2] .

ب - وذكر ابن الأبار " عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجي من أهل غرناطة ، يكنى أبا محمد ويعرف بابن الفرس ... وكان فقيها حافظا جليلا عارفا بالنحو والأدب واللغة بارعا ، كاتبا شاعرا مطبوعا شهير الذكر علي الصيت ... توفي سنة ٥٩٨ ، وألف كتابا في المسائل التي اختلف فيها النحويون من أهل البصرة والكوفة[3] " .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص : ٣٢٣ .

(٢) بغية الوعاة ص : ٩٢ .

(٣) التكملة ص : ١٧ - ١٩ .

جـ - وقد أشرت الى كتاب " الابتداء " الذى ألفه ابن شجاع المروزى المتوفى سنة ٤٢٤ فى النحو على مذهب الكوفيين [١].

وهؤلاء الثلاثة أحدهم يميل الى مذهب الكوفيين ، والثانى صنع صنيع ابن الأنبارى فى تأليفه "الانصاف " لكنا لانعلم شيئا عن ميله الى أحد المذهبين ، أما الثالث فقد أعلنها صريحة فألف على مذهب الكوفيين فى النحو ، وليس لمؤلفه هذا الذى وضع فيه نحوا كوفيا أثر أو عين .

وهناك ثلاثة من علمائهم شرح كل منهم فصيح ثعلب وهم : " محمد بن هشام اللخمى المتوفى بعد سنة ٥٧٧ " [٢] ، " ومحمد بن خلف ... بن صاف .. من اشبيلية ، المتوفى سنة ٥٨٥ أو سنة ٥٨٦ " [٣] ، " وأبو العباس اللبلى المتوفى سنة ٦٩١ " [٤].

وربما كانت هناك دراسات كوفية أخرى ولكنها تكاد تكون عديمة الأثر فى الاتجاهات النحوية التى سادت فى بلاد الأندلس ، فنرى فيهم مظاهر الاستقلال وروح التحرر ، وصفاء الفكر .

ب - كتاب سيبويه عندهم :

عرف كتاب سيبويه عندهم بعد كتاب الكسائى ، على ما تروبه كتب التراجم وكان للكتاب عندهم الدرجة الرفيعة ، فقد حل من نفوسهم فى المنزلة السامية التى جعلتهم يقبلون عليه رواية وانتساخا ، ودراسة واقراء ، وشرحا وتعليقا وبيانا لما أشكل من مسائله ، واملاء عليه أو على جزء منه الى غير ذلك مما سيأتى تفصيله ، وقد أفاض العلماء فى الحديث عن دارسيه وشارحيه وحافظيه ، ومن هؤلاء العلماء الأستاذ على النجدى اذ يقول :

وقد رجعت الى بغية الوعاة وكشف الظنون ، أتتبع دراسات الكتاب ، وأستوعبها احصاء وعدا ، فاذا للأندلس وما يسامتها من بر المغرب قرابة أربعين ، وللعراق وما يليه قرابة خمس وعشرين ، ولمصر أربع لا غير ، وليس هذا التفاوت بعجيب ، ففى الشرق كان مقر الخلافة العباسية ، واليه كانت رحلة العلماء والشعراء وأصحاب الكتابة

(١) الصلة جـ ١ ص : ٢٨٦ . (٢) التكملة ص : ٣٧٠

والمزية عامة . وفي الغرب كان نقر دولة أخرى عربية تتنافس في الخلافة ، وتحرص على أن تجاريها في كل ميدان "*.

ثم يقول بعد أن ذكر بعض شراح الكتاب* :

" وكان الأندلسيون على ما رأيت هم الكثرة التي لا ذكر للقلة معها ولا حساب "

ويكفي أن أشير الى بعض من ألف شيئا عن الكتاب في هذه البلاد من الأندلسيين حتى نهاية القرن السابع الهجري :

١- أبو محمد عبد الله بن حمود الزبيدي الاشبيلي ابن عم أبي بكر بن الحسن الزبيدي اللغوي .. جمع شرحا لكتاب سيبويه ، وقد توفي سنة ٣٧٣ أو سنة ٣٧٢هـ (١) .

٢- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي المتوفى سنة ٣٧٩ قد شرح الكتاب في بعض الأقوال ، وله عليه كتابان : هما كتاب أبنية سيبويه ، وكتاب الاستدراك على أبنية سيبويه (٢) .

٣- وأحمد بن أبان الأندلسي المتوفى سنة ٣٨٢ ألف شرحا للكتاب (٣) .

٤- وهارون بن صالح بن جندل المتوفى سنة ٤٠١ صنف تفسير عيون سيبويه (٤) .

٥- ويوسف بن سليمان الشنتمري المعروف بالأعلم المتوفى سنة ٤٧٦ شرح شواهده ونقد نحوه (٥) .

٦- وسعيد بن عبد الله القرطبي أبو عثمان الشنتريني ، قال ابن عبد الملك : كان نحويا ماهرا عروضيا أديبا شاعرا له تأليف في العروض ، ومسائل من كتاب سيبويه ناظر فيهما (٦) .

---

* سيبويه امام النحاة ص: ١٨٧ . * المرجع السابق : ١٨٨ .

(١) نفح الطيب جـ ٣ ص: ٤٠١

(٢) سيبويه امام النحاة ص: ١٨٧ .

(٣) سيبويه ص: ١٨٧ ، كشف الظنون : ١٤٢٧ .

(٤) بغية الوعاة ص: ٤٠٦ .

(٥) تاريخ الفكر الأندلسي ص: ١٨٦ .

(٦) بغية الوعاة ص: ٢٥٥ .

٧ — وعلى بن أحمد بن خلف بن محمد الأنصارى الغرناطى الامام أبو الحسن ابن الباذش ... المتوفى ثالث عشر المحرم سنة (٥٢٨) صنف شرح كتاب سيبويه (١) .

٨ — وابن الطراوة المتوفى فى رمضان سنة ٥٢٨ ألف كتاب المقدمات على كتاب سيبويه ثم اختصره فى كتاب سماه الترشيح (٢) .

٩ — ومحمد بن مسعود أبو بكر الخشنى الأندلسى الجيانى النحوى يعرف بابن أبى الركب ، قال ياقوت : نحوى عظيم من مفاخر الأندلس ... وشرح كتاب سيبويه ، وتوفى سنة ٥٤٤ (٣) .

١٠ — ومحمد بن أحمد بن هشام بن ابراهيم بن خلف اللخمى المتوفى سنة ٥٧٧ له كتاب فى " اصلاح ما وقع فى أبيات سيبويه وفى شرحها للأعلم من الوهم والخلل " (٤)

١١ — وأبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر الأنصارى الأشبيلى المعروف بالخدب ... قال ابن الزبير : نحوى مشهور حافظ بارع ، اشتهر بتدريس الكتاب فما درسه وله على الكتاب طرر مدونة مشهورة ، اعتمدها تلميذه ابن خروف فى شرحه ، وتوفى فى عشر الثمانين وخمسمائة (٥) .

قال السيوطى فى ترجمته (٦) :

" وقفت على حواشيه على الكتاب بمكة المشرفة "

١٢ — ولابن خروف المتوفى سنة ٦٠٩ شرح على كتاب سيبويه (٧) .

---

(١) بغية الوعاة ص : ٣٢٦ ، ٣٢٧ .

(٢) المرجع السابق ص : ٢٦٣

(٣) نفس المرجع ص : ١٠٥ ، معجم الأدباء جـ ١٩ ص : ٥٤ ، ٥٥ .

(٤) التكملة ص : ٣٧٠ .

(٥) المرجع السابق ص : ٢٤٩ .

(٦) بغية الوعاة ص : ١٢ .

(٧) كشف الظنون ص : ١٤٢٧ .

١٣ - قال صاحب النفح[1] : وكان أهل الأندلس في غاية الاستحضار للمسائل الملهمة على البديهة ، قال ابن سعدى : أملى علينا ابن المناصف النحوي بدانية على قول سيبويه : " هذا باب علم ما الكلم من العربية " عشرين كراسا بسط القول فيها في مائة وثلاثين وجها .

١٤ - وقد شرحه أبو الفضل البطليوسي قاسم بن علي المشهور بالصفار الذي توفي بعد سنة ٦٣٠ ، يقال : انه أحسن شروحه ، ورد فيه كثيرا على الشلوبين بأقبح رد .[2]

١٥ - وصنف أبو علي الشلوبين المتوفى سنة ٦٤٥ تعليقا على كتاب سيبويه[3] .

١٦ - ولأحمد بن محمد الأزدي أبو العباس الاشبيلي ، الذي يعرف بابن الحاج له على كتاب سيبويه املاء[4] ، وقد توفي سنة ٦٥١ .

١٧ - وشرح الشلوبيني الصغير المتوفى سنة ٦٦٠ أبيات سيبويه شرحا مفيدا[5] .

١٨ - وابن عصفور المتوفى سنة ٦٦٩ أملى تقاييده على كتاب سيبويه[6] .

١٩ - وعلي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي الاشبيلي أبو الحسن المعروف بابن الضائع بالضاد المعجمة والعين المهملة شرح الكتاب شرحا جمع فيه بين شرحي السيرافي وابن خروف باختصار حسن ، ورد اعتراضات ابن الطراوة على سيبويه وقد توفي سنة ٦٨٠[7] .

٢٠ - وشرحه كذلك أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن أبي الربيع العثماني الاشبيلي الأموي المتوفى سنة ٦٨٨[8] .

---

(١) ج ٥ ص : ٢٧١ .

(٢) كشف الظنون : ١٤٢٨

(٣) المرجع السابق : ، بغية الوعاة ص : ٣٦٤

(٤) بغية الوعاة ص : ١٥٦ .

(٥) كشف الظنون : ١٤٢٧ ، بغية الوعاة ص : ٢٩

(٦) ذيل الصلة ص : ١٤٢

(٧) كشف الظنون : ١٤٢٨ ، بغية الوعاة ص : ٣٥٤

(٨) كشف الظنون : ١٤٢٨ .

هؤلاء هم جل نحاة الأندلس الذين أدوا حقا للكتاب ، وتلك كانت مؤلفاتهم التي ذهب أكثرها مأسوفا عليه ، وقد وفوا بحق هذا السفر لأنه أقدم كتاب في النحو كان له الفضل على دارسي النحو عامة ، سواء منهم من أيده ومن عارضه ، منذ عرف النحو في الأندلس حتى نهاية القرن السابع الهجري ، وقد استمر الأندلسيون على عهدهم في الوفاء للكتاب فيما بعد القرن السابع .

هذا وقد انصرف عدد كبير من نحاة الأندلس إلى الكتاب " يتدارسون مسائله ويستنسخون أصوله ، ويديرون البحوث عليه ما كان لها فيه مكان ، فكان بحق بعث نهضة علمية قوية ، ومثار جهود فكرية متصلة ، كان لها في خدمة العربية خاصة والثقافة الاسلامية عامة ذكر باق وأثر جليل "(1)

وقد أثنى علماء الأندلس على الكتاب كما أثنى عليه علماء المشرق ، فكما " كان المازني يقول : من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي "(2) وكما " كان المبرد يقول لمن أراد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه : هل ركبت البحر ؟ تعظيما لما فيه واستصعابا "(3) - كذلك رأينا من علماء الأندلس من يثني عليه ، وحسبنا ثناء الزبيدي الذي ختم به مقدمته على كتاب الاستدراك(3م) ، وكذلك ما ورد في معجم الأدباء قال(4) :

وذكر صاعد بن أحمد الجياني من أهل الأندلس في كتابه قال : لا أعرف كتابا ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها ، فاشتمل على جميع ذلك العلم ، وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب ، أحدها المجسطي لبطليموس في علم هيئة الأفلاك ، والثاني كتاب أرسطاليس في علم المنطق ، والثالث كتاب سيبويه البصري في النحو ، فإن كل واحد من هذه لم يشذ عنه من أصول فنه شيء إلا ما لا خطر له ".

---

(1) سيبويه امام النحاة ص : ١٨٦ .

(2) الفهرست ص : ٨٦ .

(3) أخبار النحويين البصريين ص : ٣٩ ، ونزهة الألباء ص : ٧٥ .

(3م) ذكرت في ترجمة الزبيدي : ١٦٢ - ١٧٩ .

(4) معجم الأدباء جـ ٦ ص : ٨٢ .

وقد كانت قراءة الكتاب عندهم عنوانا على العلم والمعرفة ، ودليلا على الخبرة والدراية ، وهذا " أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد أبو جعفر المالقي النحوي قال في تاريخ غرناطة : كان قيماً على العربية اذ كانت جل بضاعته يشارك في المنطق والعروض وقرض الشعر وقال في التضار : كان عالما في النحو ، وكان لا يقرأ كتاب سيبويه فكان أصحابنا — اذا ذكر — يقولون : هل يقرأ كتاب سيبويه ؟ فيقال : لا ، فيقولون : لا يعرف شيئا "[1].

وهكذا تضمح مكانة الرجل لا لشيء الا أنه لم يقرأ كتاب سيبويه .

وفيما يأتي نذكر جمعا من هؤلاء الذين كانت لهم بالكتاب أوثق الصلات في الدرس والتعليم وليس هذا على سبيل الحصر :

١— محمد بن موسى بن هاشم بن يزيد النحوي الأندلسي ، المتوفى سنة ٣٠٧ هـ الذي رحل الى المشرق فلقي أبا جعفر الدينوري وانتسخ " كتاب سيبويه " من نسخة واحدة ، وأخذه عنه رواية[2] ، وهو أول راوية له بالأندلس .

٢— وكان أبو وهب السناط الأندلسي قد طالع كتاب سيبويه[3] .

٣— محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي النحوي المعروف بالرباحي ... أخذ كتاب سيبويه رواية عن ابن النحاس .. مات سنة ٣٥٨[4] .

٤— قال ابن الفرضي : عبد السلام بن السمح بن نابل ... الهواري يكنى أبا سليمان ... قرأت عليه كتاب الأبيات لسيبويه تأليف ابن النحاس ... توفي سنة[5] ٣٨٧

٥— وكان عبد الله بن عيسى بن وليد المتوفى سنة ٤١٠ يختم كتاب سيبويه كل خمسة عشر يوما رحمه الله[6] .

---

(١) بغية الوعاة ص : ١٤٣

(٢) تاريخ العلماء جـ ٢ ص ٣١ ، وانباه الرواة جـ ٣ ص : ٢١٦ ، وبغية الوعاة ص : ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٣) انباه الرواة جـ ٢ ص : ١٧٣ .

(٤) تاريخ العلماء جـ ٢ ص : ٧١

(٥) تاريخ العلماء جـ ١ ص : ٣٢٢ .

٦ـ وكان أبو عثمان سعيد ... الأزدي القرشي النحوي الذي سكن اشبيلية اماما في كتاب سيبويه ، وقد توفي سنة ٤٢٩ .(١)

٧ـ عبد الرحمن بن غلبون من أهل قرطبة ... وكان قائما على كتاب سيبويه توفي سنة ٤٤٣ .(٢)

٨ ـ عبد الملك بن سراج ... أبو مروان النحوي امام أهل قرطبة ، قال في الريحانة برع في علم اللسان وارتقى ذروته واعتلى درجته ، عكف على كتاب سيبويه ثمانية عشر عاما لايعرف سواه .. مات سنة ٤٨٩ .(٣)

٩ـ محمد بن يوسف بن سليمان ... ولد الأستاذ أبي الحجاج الأعلم ، روى عن أبيه جميع ما ألفه ورواه ، ومما قرأ عليه كتاب سيبويه ، وبقراءته اياه بجمعه ، سمع ابن الطراق في سنة ٤٦٥ .. قال ابن الأبار : " قرأت ذلك بخط أبي محمد القرطبي .. وتوفي بعد سنة ٥٠٠ .(٤)

١٠ـ عبد الجبار بن موسى بن عبد الله الجذامي المرسي ... قال ابن الزبير: ذكره القاضي أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم فقال : قرأت عليه ، وناظرته في كتاب سيبويه ، كان حيا سنة ٥٠٥ .(٥)

١١ـ محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن خلف بن فتح بن قاسم .. اللخمي النحوي .. أقرأ بدانية وبلنسية ، ثم انتقل الى المرية وأقرأ هنالك ، وبها أخذ عنه أبو بكر بن رزق وحضر اقراءه لكتاب سيبويه ... توفي سنة ٥٢١ .(٦)

١٢ـ خلف بن يوسف بن فرتون أبو القاسم بن الأبرش الشنتريني النحوي ، قال في الريحانة : كان اماما في العربية واللغة .. يستظهر كتاب سيبويه وأدب الكاتب والمقتضب والكامل ... مات بقرطبة في ذي القعدة سنة ٥٣٢ .(٧)

---

(١) الصلة ١ : ٢١٦ ، انباه الرواة ٢ : ٥٥ ، وبغية الوعاة ص : ٢٥٥ .

(٢) التكملة ص : ٤٥٨ .

(٣) بغية الوعاة ص : ٣١٢ .

(٤) التكملة : ١٤٣ .

(٥) التكملة : ٦٣٦ ، بغية الوعاة : ٢٩٥ .

(٦) التكملة : ١٦٠ .

١٣- ابراهيم بن الموصلي أبو اسحق البطليوسي قاضي اشبيلية . قال ابن الزبير: كان يدرس باشبيلية كتب المالكية وكتاب سيبويه ... ومات في حدود سنة ٥٤٠ . (١)

١٤- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عيسى أبو القاسم الأموي الاشبيلي النحوي المعروف بابن الرماك كان أستاذا في العربية مدققا ، قيما بكتاب سيبويه ... ومات كهلا سنة ٥٤١ . (٢)

١٥- قرأ ابن بري كتاب سيبويه على محمد بن عبد الملك الشنتريني المتوفى سنة ٥٥٠ . (٣)

١٦- يحيى بن عبد الله بن يحيى ... أبو زكريا اللري .. كان عارفا بالنحو أخذه عن أبي بكر عتيق بن الخصم ، وناظر عليه في كتاب سيبويه ... توفي سنة ٥٦٢ . (٤)

١٧- أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي الملقب صائن الدين المتوفى سنة ٥٦٧ ... سمع عليه - أي الشيخ أبي محمد بن عبد الله ابن علي المقرئ المعروف بابن بنت الشيخ أبي منصور الخياط - كتبا كثيرة منها كتاب سيبويه . (٥)

١٨- محمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام ... من أهل رندة وسكن مالقة يعرف بابن الحصص ... ناظر في كتاب سيبويه على أبي الحسين بن الطراوة .. وتوفي بمالقة سنة ٥٧٦ . (٦)

١٩- عبد الرحمن بن عبد الله بن فتوح الخثعمي السهيلي من أهل مالقة ، ناظر على أبي الحسين بن الطراوة في كتاب سيبويه ... وتوفي سنة ٥٨١ . (٧)

---

(١) بغية الوعاة ص: ١٩٠

(٢) المرجع السابق ص : ٣٠١

(٣) نفس المرجع ص: ٢٧٨ .

(٤) التكملة ص: ٧٢٣ .

(٥) وفيات الأعيان جـ ٥ ص: ٢١٩ .

(٦) التكملة ص: ٢٤٣

٢٠- أبو عامر عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج بن الجد الفهري الاشبيلي قال ابن الزبير : من علية أعيانها ، أخذ كتاب سيبويه عن ابن الأخضر وأحكمه وبهر في فهم أغراضه وغوامضه ، وكان أجل أصحاب ابن الأخضر حتى قال فيه ابن ملكون وهو من أقرانه : من قرأ كتاب سيبويه على ابن الجد فما عليه ألا يقرأه على سيبويه ، توفي سنة ٥٨٦ (١).

٢١- جابر بن محمد ... بن أبي أيوب ، واسمه سليمان الحضرمي النحوي ... ولم يكن في وقته باشبيلية من يتعاطى اقراء سيبويه غيره ، توفي سنة ٥٩٦ أو سنة ٥٩٧ (٢).

٢٢- علي بن الحسن الصدفي الفاسي أبو الحسن .. قرأ كتاب سيبويه على أبي بكر بن طاهر ... مات بعد سنة ٦٠٠ (٣).

٢٣- عبد الرحيم بن عيسى بن يوسف ... يعرف بابن الملجوم ... ناظر على أبي بكر بن طاهر في نحو الثلث من كتاب سيبويه (٤).

٢٤- عمر بن عبد الله بن عمر السلمي أبو حفص ... أخذ عن أبي بكر بن الخدب كتاب سيبويه ... توفي سنة ٦٠٣ (٥).

٢٥- علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحيم الخشني الأبذي أبو الحسن قال في تاريخ غرناطة : كان نحويا ذاكرا للخلاف في النحو ... من أهل المعرفة بكتاب سيبويه والواقفين على غوامضه ولم يكن يعرفه كحفظه .. وقال أبو حيان في النضار : كان أحفظ من رأيناه بعلم العربية ، وكان يقرئ كتاب سيبويه فما دونه ، قلت يوما للفقيه أبي اسحاق ابراهيم بن زهير والأبذي حاضر : ما حد النحو ؟ فقال : هذا الشيخ هو حد للنحو، مات سنة ٦٠٨ (٦).

---

(١) التكملة : ٢٥٨ ، وبغية الوعاة ص: ٢٧٥.

(٢) التكملة ص: ٦

(٣) بغية الوعاة ص: ٣٣٤، ٣٣٥

(٤) التكملة ص: ٦٠١

(٥) التكملة ص: ٦٥٩

(٦) بغية الوعاة ص: ٣٥٢

٢٦- حيان بن عبد الله ... الأنصاري الأوشي البلنسي الأورش أبو البقاء ... روى عن ابن أبي الحسن بن نجبة ، وناظر عنده في كتاب سيبويه ، وانتصب للاقراء بجامع بلنسية ، ومات سنة ٦٠٩ (١) .

٢٧- نقل صاحب النفح عن ابن الخطيب قال في الاحاطة : أبو محمد عبد الله ابن سليمان بن داود بن عمر بن حوط الله الأنصاري الحارثي .. درس كتاب سيبويه مات بغرناطة سحر يوم الخميس الثاني عشر من ربيع الأول سنة ٦١٢ (٢) .

٢٨- محمد بن طلحة ... سمع على الحافظ أبي بكر بن الجد كتاب سيبويه وتوفى سنة ٦١٨ (٣) .

٢٩- محمد بن الحسن بن علي اللخمي من أهل دانية يعرف بابن التجيبي ويكنى أبا عبد الله ... وقرأ كتاب سيبويه على الذهبي تفقها ... توفى سنة ٦١٨ (٤) .

٣٠- يوسف بن أحمد علي أبو الحجاج الأندلسي المريطري قال ابن الأبار : كان بارعا في النحو ، واقفا على كتاب سيبويه ... مات سنة ٦١٩ (٥) .

٣١- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الأستاذ أبو القاسم بن رحمون المصمودي النحوي قال ابن الزبير : أخذ العربية عن ابن خروف ، وكان ذا لسن وفصاحة ، وكان يقرأ كتاب سيبويه ... مات بسبتة في صفر سنة ٦٤٩ (٦) .

٣٢- عياش بن حوافر النحوي الأندلسي قال ابن مسدى في معجمه : كان عارفا بكتاب سيبويه ، مولده سنة تسعين وخمسمائة (٧) .

٣٣- محمد بن مالك بن أحمد بن مالك ... من أهل مرتلة وسكن اشبيلية روى عنه ثابت بن خيار اللبلي وقرأ عليه كتاب سيبويه (٨) .

---

(١) بغية الوعاة ص: ٢٤٠ .
(٢) نفح الطيب جـ ٦ ص: ٦٦
(٣) التكملة ص: ٣١٩
(٤) المرجع السابق ص: ٣٢١
(٥) بغية الوعاة ص: ٤٢١
(٦) المرجع السابق ص: ٣٠١
(٧) نفس المرجع ص: ٣٧٠

٢٤ـ سعيد بن محمد بن أحمد بن مالك .. الأزدي أبو عثمان .. المتوفى سنة ٦٦٠ رأس في علم النحو وتحصيل القوانين للسان العرب ، وأحكم كتاب سيبويه قراءة وتفقها[1] .

٢٥ـ محمد بن موسى السلمي النحوي الأديب ، قال الصفدي : قال أبو حيان قرأ كتاب سيبويه على ابن أبي الربيع وبرع فيه ، وأقرأ النحو .. مات سنة ٦٨٥[2] .

٢٦ـ محمد بن أحمد بن محمد بن رضوان بن أرقم النميري الوادي آشي أبو خالد ... لازم ابن أبي الربيع ، وأخذ عنه العربية والأدب ، وكمل عليه كتاب سيبويه وغيره ، وانتفع به كثيرا ... مات قاضيا في ٢٤ من ذي القعدة سنة ٦٩٤[3] .

٢٧ـ القاضي أبو علي بن الناظر .. المتوفى سنة ٦٩٩ ، لازم في العربية والأدب الأستاذ أبا علي الشلوبين وأخذ عنه أكثر كتاب سيبويه[4] .

٢٨ـ مالك بن وهيب الأندلسي ، قال في الريحانة : امام في علم اللسان يقف على كتاب سيبويه[5] ..

٢٩ـ أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري السبتي ، قال في تاريخ غرناطة : كان من صدور الحفاظ لم يستظهر أحد في زمانه من اللغة ما استظهر آية تتلى ، ومثالا يضرب ، قائما على كتاب سيبويه ، يسرده بلفظه[6] .

٤٠ـ عبد الله بن الحسن اليحصبي ... كان يحفظ كتاب سيبويه كحفظه للقرآن[7] ..

هذه كانت آثارهم في الكتاب ، أو كانت آثار الكتاب فيهم ، فقد درسوه وقرءوه ، وحفظوه واستظهروه ، وكان فيهم أئمة في الكتاب وحده قومة عليه ، يدافعون عن آراء صاحبه وينتصرون لها ، ضد من يتصدى لمعارضتها منهم ، وكان فيهم من اتخذه

---

(١) بغية الوعاة : ٢٥٧ .
(٢) المرجع السابق ص : ١٠٩
(٣) نفس المرجع ص : ١٧
(٤) تاريخ قضاة الأندلس ص : ١٢٧ .
(٥) بغية الوعاة ص : ٣٨٤ .
(٦) المرجع السابق ص : ٦٩ .
(٧) نفس المرجع ص : ٢٨٠ .

واجبا مقررا لايسهون عن مطالعته ولا ينى من تكراره حتى كان بعضهم يختمه كل خمسة عشر يوما أو يعكف عليه زمنا طويلا ، وكان فيهم من حفظه كما يحفظ القرآن ولقد كانوا ينظرون فى أمر الرجل من أهل العلم فاذا ثبت لديهم أنه لا يقرأ الكتاب وسموه بحمار الجهل ، وجردوه من معرفة كل شئ وأسقطوه من حساب العلماء .

جـ - جمل الزجاجى :

وأما كتاب الجمل لأبى القاسم الزجاجى فقد ذكرت أربعة من شراحه فى غير هذا الموضع وهم : الحسين بن العريف الذى وصل البنا شرحه* ، وثابت الجرجانى وسعيد بن عيسى الأصفر ، والأعلم الشنتمرى يوسف بن سليمان . وفيما يلى تعريف موجز ببقية الشراح . قال صاحب كشف الظنون عند ما ذكر الجمل فى النحو لأبى القاسم ... الزجاجى المتوفى سنة ٣٣٩ : " من الكتب المباركة لم يشتغل به أحد الا انتفع به ، ويقال : انه ألفه بمكة المكرمة . كان اذا فرغ من باب طاف أسبوعا ، ودعا الله سبحانه وتعالى أن يغفر له وأن ينفع به قارئه ، وله شروح : (١)

١ - أحسنها شرح الأستاذ أبى عبد الله محمد بن السيد البطليوسى المتوفى سنة ٥٢١ سماه اصلاح الخلل الواقع فى الجمل ، وهو كبير فى مجلد ضخم أوله : " الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ... ذكر فيه أن الزجاجى نزع فيه المنزع الجميل ، فانه حذف الفضول ، واختصر الطويل غير أنه قد أفرط فى الايجاز فتجده فى كثير من كلامه بعيد الاشارة فرأى أن ينبه على أغلاطه والمختل من كلامه ، ثم انثنى بالكلام فى أبياته وما يحضره من أسماء قائليها ، وذكر مايتصل بالشاهد من بعده أو من قبله ، وسماه الحلل فى شرح أبيات الجمل ، وهو أصغر من الشرح حجما أوله : الحمد لله الذى علمنا مالم نكن نعلم الخ ... (٢)

وسيأتى حديث عن هذين الكتابين ، وعن صاحبهما ابن السيد البطليوسى فيما بعد ان شاء الله .

---

* ترجمته فى الرسالة من ص: ١٨٠ - ١٩٥ .

(١) كشف الظنون ص: ٦٠٢ .

٢ـ وشرح أبي الحسن علي بن أحمد بن باذش الغرناطي النحوي المتوفى سنة ٥٢٨ .(١) قال عنه السيوطي بعد ذكر اسمه :(٢)

.. الامام أبو الحسن بن الباذش . قال في تاريخ غرناطة : أوحد زمانه اتقانا ومعرفة ،وتفردا بعلم العربية ، ومشاركة في غيرها ،حسن الخط كبير الفضل ،مشاركا في الحديث عالما بأسماء رجاله ونقلته ، مع الدين والفضل والزهد والانقباض عن أهل الدنيا . قرأ على نعم الخلاف وغيره ، وحدث عن القاضي عياض ، وأم بجامع غرناطة وصنف شرح كتاب سيبويه ـ المقتضب ـ شرح أصول ابن السراج شرح الجمل . شرح الكافي للنحاس مولده سنة ٤٤٤ ومات بغرناطة ليلة الاثنين ثالث المحرم سنة ٥٢٨ . وصلى عليه ابنه أبو جعفر وكانت جنازته حافلة وله :

أصبحت تقعد بالهوى وتقوم وعه تفرط معشرا وتذيم
تمنيك نفسك فاشتغل بصلاحها أنى يصير بالسقام سقيم

٣ـ وشرح أبي بكر محمد بن عبد الله العبدري القرطبي المتوفى سنة ٥٦٧ .(٣)
وقد نقل السيوطي في ترجمته عن تاريخ غرناطة قال :(٤)

" استوطن مراكش ،وكان عالما بالقراءات . ذاكرا للتفسير ، حافظا للفقه واللغة والأدب ، شاعرا محسنا ، كاتبا بليغا ، مبرزا في النحو ، جميل المشرق حسن الخلق متواضعا ، فكه المحاضرة ظريف الدعابة . روى عن أبي بكر ابن العربي وشريح وأبي الحسن بن الباذش ، وأبي الوليد بن رشد ، ولازمه عشر سنين ... ودخل غرناطة ، وألف شرحين على الجمل كبيرا وصغيرا وشرح أبيات الايضاح للفارسي ، وشرح المقامات ... كان يحضر مجلس عبد المؤمن مع جلة

---

(١) كشف الظنون ص: ٦٠٢ .

(٢) بغية الوعاة ص: ١٣٦ .

(٣) كشف الظنون ص: ٦٠٣ .

(٤) بغية الوعاة ص: ٦١ ، ٦٢ .

العلماء ويبدى ما عنده من المعارف الى أن أنشد فى المجلس أبياتا كان نظمها فى أبى القاسم عبد المنعم بن محمد بن نهيبت وهى :

أبا قاسم والهوى جنة   وها أنا من مسها لم أفق
تقحم جهنم نار الضلوع   كما خضت بحر دموع الحدق
أكنت الخليل أكنت الكليم   أمنت الحريق أمنت الغرق

فهجره عبد المؤمن ، ومنعه من الحضور فى مجلسه ، وصرف بنيه عن القراءة عليه ، وسرى ذلك فى أكثر من كان يتردد عليه ، على أنه كان فى المرتبة العليا من الطباق والمقامات ... سنة ٥٦٧ وقد قارب السبعين .

٤- وشرح أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلى المتوفى سنة ٥٨١ (١) .

قال ابن الزبير (٢) : كان عالما بالعربية واللغة والقراءات بارعا فى ذلك جامعا بين الرواية والدراية نحويا مقدما أديبا عالما بالتفسير وصناعة الحديث، حافظا للرجال والأنساب عارفا بعلم الكلام والأصول حافظا للتاريخ ، واسع المعرفة غزير العلم نبيها ذكيا ، صاحب اختراعات واستنباطات ، تصدر للاقراء والتدريس وبعد صيته ، روى عن ابن العربى ، وأبى طاهر وابن الطراوة ، وعنه الرندى وابنا حوط الله وأبو الحسن الغافقى وخلق ، وكف بصره وهو ابن سبع عشرة سنة ، واستدعى الى مراكش وحظى بها ، ودخل غرناطة ، وصنف الروض الأنف فى شرح السيرة ، شرح الجمل - لم يتم - التعريف والاعلام بما فى القرآن من الأسماء والأعلام ، مسألة السر فى عور الدجال مسألة رؤية الله والنبى فى المنام توفى ... سنة ٥٨١ .

وهو صاحب قصيدة الفرج المشهورة (*) .

(*) شذرات الذهب جـ٤ ص: ٢٧١ ، ٢٧٢ ، وأولها :

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع   أنت المعد لكل ما يتوقع

(١) كشف الظنون ص: ٦٠٣

(٢) بغية الوعاة ص: ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

٥ ــ وشرح محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد مكي الأنصاري المرسي البلنسي الأصل أبو عبد الله (١) .

قال ابن الزبير (٢) : أستاذ مقرئ نحوي جليل روى عن خلف بن يوسف الأبرش النحوي وعبد الحق بن عطية ومحمد بن مسعود بن أبي الركب ، ومحمد بن فرج القيسي ، وأخذ عن ابن أبي الركب كتاب سيبويه والقراءات عن ابن هذيل وابن فرج المذكور ، وكان مقرئا جليلا ونحويا معروفا بإقراء الكتاب والتقدم فيه موصوفا بفضل وورع ودين . روى عنه ابن حوط الله وأبو علي الرندي والجم الغفير . وله شرح الإيضاح . شرح الجمل . ولد سنة ٥١٣ ومات بمرسية في شوال سنة ٥٨٦ .

وقد أخطأ صاحب كشف الظنون وعده من شراح جمل الجرجاني ، وليس له في ذلك حجة .

٦ ــ وشرح علي بن قاسم الدقاق الاشبيلي المتوفى سنة ٦٠٥ (٣) .

ذكره السيوطي فقال (٤) : ... النحوي نزيل الجزيرة خطب برأس عين ، وسكن دمشق ، وشرح الجمل ، وألف مفردات القراءات ، ومات سنة ٦٠٥ .

٧ ــ والمعروف في كتب التراجم أن ابن خروف المتوفى سنة ٦٠٩ شرح جمل الزجاجي ، وقد خالف ذلك صاحب كشف الظنون ، فجعله من شراح جمل الجرجاني ، وهذا خطأ (٥) .

٨ ــ وفي إيضاح المكنون (٦) : شرح الجمل الكبير للزجاجي في النحو لضياء الدين .. القيسي القرطبي المعروف بالقيذاني اللغوي المتوفى سنة ٦٣٠ .

---

(١) كشف الظنون ص : ٦٠٢

(٢) بغية الوعاة ص : ٢٨

(٣) كشف الظنون ص : ٦٠٣

(٤) بغية الوعاة ص : ٣٤٦

(٥) كشف الظنون ص : ٦٠٢

(٦) صفحة : ٣٦٨ .

٩ ـ ومنها شروح ثلاثة لأبي الحسن علي بن مؤمن بن عصفور النحوي المتوفى سنة ٦٦٩ .(١)

ذكر ذلك صاحب كشف الظنون تحت جمل الجرجاني وهذا غير صحيح لأن ابن عصفور قد شرح جمل الزجاجي ووصل الينا بعض شروحه ـ كما سيأتي في ترجمته .

١٠ ـ وشرح أبي علي الحسين بن عبد العزيز الفهري البلنسي المتوفى سنة ٦٧٩ .(٢)

١١ ـ وشرح ابن الضائع المتوفى سنة ٦٨٠ .(٣)

١٢ ـ وفي ايضاح المكنون بعد ذكر شرح الجمل الذي ألفه القيذاني قال : " ولأبي الحسين عبد الله بن أحمد بن عبد الله الأندلسي النحوي المتوفى سنة ٦٨٨ ".(٤)

١٣ ـ وشرح أبي العباس أحمد بن يوسف ... اللبلي المتوفى سنة ٦٩١ .(٥)

وقد وصل الينا من هذه الشروح شرح ابن الحريف وشرح ابن السيد ، وشرح ابن الضائع ، وشرح اللبلي ، وبعض شروح ابن عصفور ـ كما سيأتي ان شاء الله .

د ـ كتب النحو المشرقية الأخرى :

اختصر كتاب الخصائص لابن جني أبو العباس أحمد بن محمد الاشبيلي المعروف بابن الحاج ، المتوفى سنة ٦٤٧ أو سنة ٦٥١ .(٦)

وألف كتاب المقنع في النحو تفسيرا لكتاب ابن جني الحسن بن علي الطائي المتوفى سنة ٤٩٨ ، ولكن المراجع لم تعين كتاب ابن جني الذي شرحه هذا .(٧)

---

(١) كشف الظنون ص: ٦٠٢

(٢) المرجع السابق ص: ٦٠٣

(٣) شرح ابن الضائع : موجود .

(٤) صفحة : ٣٦٨

(٥) شرح اللبلي موجود .

(٦) بغية الوعاة ص: ١٥٦ ، وكشف الظنون ص: ٧٠٦ .

(٧) انباه الرواة جـ١ ص: ٣١٢ ، والصلة جـ١ ص: ١٣٧ .

واختصر كتاب الحجة لأبي علي الفارسي اسماعيل بن خلف بن سعيد النحوي الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٥ . (١)

ولقد كان لكتاب الايضاح القدح المعلى من بين مؤلفات أبي علي الفارسي :

* شرحه الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد بن باذش النحوي المتوفى سنة ٥٢٨ (٢) *

قال ياقوت (٣) :

أنشدنا أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف النحوي لنفسه بالأندلس في كتاب الايضاح لأبي علي الفارسي النحوي :

أضع الكرى لتحفظ الايضاح ... وصل الغدو لفهمه برواح

هو بغية المتعلمين ومن بغى ... حمل الكتاب يلجه بالمفتاح

لأبي علي في الكتاب امامة ... شهد الرواة لها بفوز قداح

يفضي الى أسراره بنوافذ ... من علمه بهرت قوى الأمداح

فيخاطب المتعلمين بلفظه ... ويحل مشكله بومضة واحي

مضت العصور فكل نحو ظلمة ... وأتى فكان النحو ضوء صباح

أوصى ذوي الاعراب أن يتذكروا ... بحروفه في الصحف والألواح

فاذا هم سمعوا النصيحة أنجحوا ... ان النصيحة غبها لنجاح

وشرح أبيات الايضاح أبو بكر محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري القيسي الأديب القرطبي وسماه الايضاح (٢) .

وشرحه أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بالخدب الأنصاري المتوفى سنة ٥٨٠ (١)

وشرحه أبو عبد الله محمد بن جعفر الأنصاري المتوفى بمرسية سنة ٥٨٦ . (٢)

وصنف شرح الايضاح لأبي علي الفارسي في خمسة عشر مجلدا أبو عبيد الله محمد ابن أحمد بن سليمان الزهري الأندلسي الاشبيلي المتوفى سنة ٦١٧ . (٤)

---

(١) وفيات الأعيان جـ ١ ص : ٢١١

(٢) كشف الظنون ص : ٢١٣

(٣) معجم الأدباء جـ ٧ ص : ٢٤٧

(٤) نفح الطيب جـ ٢ ص : ٤١٣ .

وشرحه محمد بن يحيى المعروف بابن هشام الخضراوي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ

وسماه الافصاح بفوائد الايضاح . وله أيضا الاقتراح في تلخيص الايضاح في النحو (١)

وشرحه أحمد بن محمد الاشبيلي المعروف بابن الحاج المتوفى سنة ٦٥١ . (٢)

وشرحه أبو بكر بن يحيى المالقي المتوفى سنة ٦٥٧ .

وعليه اعتراضات لابن الطراوة (المتوفى سنة ٥٢١) والرد عليه لابن الضائع

سنة ٦٨٠

وشرحه عبد الله بن أحمد بن أبي الربيع الأموي المتوفى سنة ٦٨٨

ولموسى بن علي بن عامر من أهل اشبيلية يعرف بالجزيري لأنه من أهل الجزيرة

الخضراء تأليف سماه بالاستصباح في شرح الايضاح .

قال ابن الأبار (٣) :

" أخذ عنه بعض أصحابنا وكان عمدة في النحو ، يؤثر به "

ومعروف أن ابن الأبار قد توفي سنة ٦٥٩ .

وكان يوسف بن معزوز القيسي أبو الحجاج الأستاذ الأديب النحوي من أهل الجزيرة

الخضراء ... قد ألف شرح الايضاح لأبي علي الفارسي ، والرد على الزمخشري في

مفصله ، ومات في حدود سنة ٦٢٥ . (٤)

ومحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل المرسي ... تكلم على المفصل

للزمخشري وأخذ عليه عدة مواضع " قال السيوطي (٥) : بلغني أنها سبعون موضعا

أقام على خطئها البرهان واستدل على سقمها بالبيان " .

وشرح المفصل للزمخشري في أربع مجلدات علم الدين اللورقي المتوفى

سنة ٦٦١ (٦) . وقد نقل السيوطي عن هذا الشرح وعن صاحبه الأندلس ، في مواضع كثيرة

من كتبه .

(١) كشف الظنون ص: ٢١٣ ، التكملة ص: ٣٦١

(٢) المرجع السابق ص: ٢١٣

(٣) التكملة ص: ٣٧٨ .

(٤) بغية الوعاة ص: ٤٢٤ ، التكملة ص: ٧٣٨

(٥) بغية الوعاة ص: ٦٠

(٦) نفح الطيب جـ ٢ ص: ٢٥٦ .

وكان كعلى بن ابراهيم ... بن سعد الخير أبو الحسن البلنسى الدار عالما بالعربية واللغة والآداب اماما فى ذلك كله وأقرأها حياته كلها .. له كتاب على الكامل للمبرد .. توفى باشبيلية سنة ٥٧١ وقيل سنة ٥٧٠ (١)

وأحمد بن محمد المرسى ... نسب اليه ابن خلصة الاقتضاب فى شرح أدب الكاتب (٢) ، وذكر أن ابن السيد البطليوسى أغار عليه وانتحله . مات قريبا من سنة ٤٦٠ . وسأناقش هذه التهمة عند ذكر ابن السيد .

وحسب المستزيد أن يرجع الى كتب الطبقات والتراجم ليجد بحرا زاخرا يمتلىء بالكنوز والنفائس .

---

(١) التكملة ص: ٦٧١ .

(٢) طبع هذا الكتاب فى بيروت ، بفهمة ص: ١٥٧ .
وقد غير عنوان الكتاب من أجل السجعة فسماه ابن السيد : " الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب " .

المذاهب النحوية

أ ـ مدرسة البصرة

ب ـ مدرسة الكوفة

خصائص المدرسة الكوفية العامة

جـ ـ مدرسة بغداد

د ـ الاتجاهات النحوية في الأندلس

١ ـ عصر الجمع والتكوين .. حتى نهاية القرن الخامس

٢ ـ العصر الذهبي للانتاج النحوي في القرنين السادس والسابع

٣ ـ عصر التشتت والتفرق

١ ـ عصر الجمع والتكوين

١ ـ الحالة السياسية

٢ ـ الحالة العلمية

٣ ـ مؤلفو النحاة في هذه الفترة :

١ ـ جودى
٢ ـ ابن أبى غزالة
٣ ـ أبو بكر بن خاطب
٤ ـ البغل
٥ ـ الجرفى
٦ ـ البرشقيرى
٧ ـ الأحدب
٨ ـ الأبيض
٩ ـ موسى بن أصبغ
١٠ ـ البارد
١١ ـ درود
١٢ ـ القالى
١٣ ـ ابن العريف " الحسن "
١٤ ـ ابن القوطية
١٥ ـ الزبيدى
١٦ ـ أحمد بن أبان
١٧ ـ ابن العريف " الحسين "
١٨ ـ عبد الملك بن طريف
١٩ ـ المعافرى
٢٠ ـ ابن جندل
٢١ ـ ابن وليد
٢٢ ـ ابن شجاع
٢٣ ـ ثابت الجرجانى
٢٤ ـ الدانى
٢٥ ـ ابن حزم
٢٦ ـ ابن سيده
٢٧ ـ الأصغر
٢٨ ـ الأعلم
٢٩ ـ الطائى

٤ ـ طلائع النحاة في مطور

٥ ـ غير المؤلفين من نحاة هذا العصر .

المذاهـــب النحويـــــة :

سبق أن أوجزت القــول فى سبب وضع النحـو ، وفى أن الاعراب كان بالسليقة والطبع عند عامة العرب فى جاهليتهم وصدر اسلامهم . كما كان ذلك موهبا فى الشعـر وغيره عند خاصتهم ، وأود أن أوجـز القـول هنا عن المذاهب النحوية عامة ، ثـم أردف ذلك بالحديث المفصل من الاتجاهات النحويـة فى الأندلس وأثرها فى تطوير النحو.

يكاد الدارسون لعلم النحو ، الذين وقفوا أنفسهم على رعايته ، وتكفلــوا بالحفاظ عليه وتعمقـوا فى اكتناه أسراره ، وأعـدوا طاقتهم العلميـة للدفاع عنه ضـد كل محاولـة للنيل منـه أو التهوين من شأنه ـ يكاد هؤلاء يجمعون على أن فى الدراسات النحويـة أربعة اتجاهـات أو أربع مـدارس .

" ولا وجه لما ذكره بعض الباحثين من أن أمهات المذاهب النحويـة أربـــع وأصل تلك الأمهات اثنتان : البصريـة والكوفيـة " أما مذهب البغدادية فيرجع الى الكوفـة ومذهب الأندلسية يرجع الى البصرة " . لأن النحو البغدادي ـ كمـا ذكروا ـ يقـوم على الخلط بين المذهبين ، والنحو الأندلسى مثـلا فى كتب وصلـت الينا ـ بعضـه يميل الى التوفيق بين المذهبين كنحـو ابن مالك ، وبعضـه يذهـب مذهب الكوفيين كالنحو الممثل فى مقدمـة ابن آجروم ، وبعضه يميل الى اصطناع مذهـب جديد لا هو كوفى ولا هو بصـرى وهو الممثل فى كتـاب " الرد على النحـاة لابـــن مضـاء القرطبى " (١) ولا يمنى هذا ألا يكون من أئمتهم من كان يذهب مذهب البصريين .

وانمـا الوجـه أن يقـال : ان المذاهب النحويـة أربعـة ، فاذا أراد باحـث أن يصـل الى الأم الكبرى التى أنجبت هذه المذاهب ، فهذه الأم هى :

أـ مدرسة البصرة النحويـة :

لقـد سبق علماء البصرة الى تأسيس هذا العلم وخدمة أصولـه وارساء بنيانــه على أمتن الدعامات ، ففى القرن الأول الهجرى كثر الاستنكار للحن واستهجان الخـطأ ورد المخطىء الى الصواب كما نقـل عن رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسلم وعن غـــيره

---

(١) مدرسة الكوفـة : ٩٤ ، ٩٥ .

من كبار الصحابة ، قال الزبيدي[١] : ابن أبي سعيد قال : حدثنا علي بن محمد الهاشمي ، قال سمعت أبي يذكر فقال : كان بدء ما وضع أبو الأسود الدؤلي النحو أنه مر بسعد - وكان رجلا فارسيا قدم البصرة مع أهله وكان يقود فرسه فقال : مالك يا سعد ؟ ألا تركب ؟ فقال : " فرسي ضالع " فضحك به من حضره ، قال أبو الأسود : هؤلاء الموالي قد رغبوا في الاسلام ودخلوا فيه ، وصاروا لنا اخوة ، فلو علمناهم الكلام ! فوضع باب الفاعل والمفعول لم يزد عليه ، قال أبي : فزاد في ذلك الكتاب رجل من بني ليث أبوابا ، ثم نظر فاذا في كلام العرب ما لا يدخل فيه فأقصر عنه ، فلما كان عيسى بن عمر قال : أرى أن أضع الكتاب على الأكثر وأسمي الأخرى لغات ، فهو أول من بلغ غايته في كتاب النحو ، وقال وضع عيسى ابن عمر في النحو كتابين سمى أحدهما " الجامع " والآخر " المكمل " فقال الخليل ابن أحمد :

بطل النحو جميعا كله غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك " اكمال " وهذا " جامع " فهما للناس شمس وقمر

ثم جاء عبد الله بن أبي اسحق فكان " أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل ، وكان مائلا الى القياس في النحو[٢] " .

ثم كان أبو عمرو بن العلاء الذي أجاب عندما سئل عما وضعه في العربية أيدخل فيها كلام العرب كله - أجاب بقوله : لا ، فقيل له : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ قال أعمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات[٣] .

فلما كان زمن الخليل بن أحمد " استنبط من العروض ومن علل النحو ما لم يستنبطه أحد ولم يسبقه الى مثله سابق[٤] " .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص : ١٥

(٢) نزهة الألبا ص : ٢٢ ، وطبقات النحويين اللغويين : ٢٥ ، بغية الوعاة : ٢٨٢ والمكمل هو الاكمال .

(٣) طبقات النحويين واللغويين ص : ٣٩ .

(٤) المرجع السابق ص : ٤٣

وقد كان الخليل كغيره يدعو الى اقامة اللسان وطلب النحو ويعيب اللحن ويزدرى أصحابه ومن ذلك قوله :

لايكون السرى مثل الدنى ولا ذو الذكاء مثل الغبى
قيمة المرء كل ما يحسن المر ء قضاء من الامام على
أى شىء من اللباس على ذى السرو أبهى من اللسان البهى
ينظم الحجة الشتيتة فى السلك من القول مثل عقد الهدى
وترى اللحن بالحسيب أخى الهيئة مثل الصدا على المشرفى
فاطلب النحو للحجاج وللشعر مقيما والمسند المروى
والخطاب البليغ عند حوار القول يزهى بمثله فى الندى
وارفض القول من طغام جفوا عنه فما أوه نصيحة للنبى

ثم أخذ سيبويه عن الخليل وألف فى النحو " كتابه الذى سماه الناس قرآن النحو[1] " والذى قال عنه الأستاذ على النجدى[2] : والكتاب يشترع للعربية فى طورها الجديد ، ويقيم المعالم التى تهدى الى حقيقتها وتعين على حمايتها ونفى الزيف عنها ، حتى لايطغى عليها وغير من خصائصها فى الحاضر أو فى المستقبل القريب أو البعيد ، لذلك فهو دراسة واسعة فى النحو والصرف، أى فى أساليب العربية وبنية مفرداتها ويعتمد فى مادته على :

أ ـ عبارات مروية وأخرى غير مروية .
ب ـ ومفردات عربية وأخرى أعجمية خالصة أو معربة
جـ ـ ومسائل مفترضة قيست على نظائرها فى اللغة
د ـ وشواهد من القرآن الكريم وأخرى من الشعر والرجز " .

وقد اتضحت خصائص مدرسة البصرة النحوية بعد أن تناولها العلماء والباحثون بالدراسات المستفيضة وقد ألفت فيها رسالة قيمة تحمل اسمها تقدم

---

(١) مراتب النحويين واللغويين ص: ١٠٦ .
(٢) سيبويه امام النحاة ص: ١٣٧ ، ١٣٨ .

بها الى دار العلوم الدكتور عبد الرحمن محمد السيد ، وقد حقق بهذه الرسالة الأمل الكبير الذى كان يتمناه العلماء من جمع الاصول وابراز المعالم فى تاريخ هذا العلم ، وأرخ للأعلام الذين أسسوا هذه المدرسة ، وأقاموا بناءها على أكتافهم وقد خرجت من دراسة هذه الرسالة بأن الأصول التى بنى عليها علماء البصرة نحوهم هى :

١ـ ماجاء من الأساليب موافقا للقياس كثيرا فى الاستعمال كان أقوى الأساليب عندهم ، وما خالف القياس وشذ فى الاستعمال فهو أضعفها ، وبين هذين مراتب تتفاوت قوة وضعفا بحسب اندراجها تحت القواعد العامة وقدار ورودها عن العرب ، والأساليب التى جاءت فيها من شعر أو نثر ، وكلما كان الأسلوب أبعد عن القياس وأقل فى الاستعمال كان قليلا لايحكم بعمومه ، أو شاذا لايعبأ به ، أو ضرورة لايقاس عليه (١) .

٢ـ " أما المسموع المفرد الذى عرف قائله ولكن لم يروه أحد غيره ، فقالوا أن خالف ماعليه الجمهور ينظر فى حال هذا الراوى المنفرد ، فان كان فصيحا فى جميع ماعدا ذلك القدر ، وكان ما أورده مما يقبله القياس ، فان الأولى أن يحسن الظن به ولا يحمل على فساده .

فان خالف القياس رد ، لأنه جاء مخالفا للقياس والسماع جميعا فان كان الراوى ضعيفا فى قوله مألوفا منه اللحن رد كذلك لأنه ليس أهلا للأخذ عنه ،(٢)

٣ـ وقد اعتمد البصريون فى اقامة دعائم هذا العلم على القرآن الكريم الذى أجمع المسلمون على أنه الأصل الأول الذى يجب أن يعتمد عليه فى التشريع اللغوى . وقد أبى قليل منهم أن يقبلوا الاستشهاد بالقراءات الشاذة ولكن ذلك يعد منهم عن الحق وانحرافا عن جادة الصواب ، وكذلك اعتمدوا على

---

(١) مدرسة البصرة النحوية ص: ١٦٩ .

(٢) الخصائص جـ ١ ص: ٣٨٥ ـ ٣٩٠ ، الاقتراح ص: ٢٦ ـ ٢٨ .

الشعر والنثر على ما نقلوه عن العرب ، وما أكثر هذا الذي نقلوه ! وقد بسط القول في ذلك الدكتور عبد الرحمن السيد في رسالته التي أشرت إليها آنفا ، فليرجع إليها من شاء المزيد .

وقد أعدت هذه الرسالة ، بإشراف الأستاذ عبد السلام هارون ، ومنها نسخة بمكتبة كلية دار العلوم ، وأخرى بمكتبة جامعة القاهرة .

ب ـ مدرسة الكوفة :

ثم كانت مدرسة الكوفة النحوية التي قامت على أصول وخصائص ، تهدف من ورائها إلى خدمة اللغة العربية وتيسير الأمر في دراستها على كل من ينطق بها ، وكان الرؤاسي " أول من وضع من الكوفيين كتابا في النحو وهو أستاذ الكسائي والفراء "(1) قال عنه الزبيدي(2) :

" وكان أستاذ أهل الكوفة في النحو ، وكان أخذ عن عيسى بن عمر وله كتاب في الجمع والإفراد " .

وقد رفع الخليفة شأن الكسائي فكان معلم ابنيه ، ثم كانت مقابلة سيبويه والكسائي في حاضرة الخلافة مما زاد منزلته ، وقد ألف الكسائي كتابا في النحو نقله إلى الأندلس تلميذه " جودي بن عثمان "(3) .

ثم كان الفراء رأسا في مدرسة الكوفة حتى نقل عنه مخالفته الخليل بن أحمد(4) .

" قال أبو العباس " ثعلب " : قال الخليل : كِلَا اسم ، وقال الفراء هي بين الأسماء والأفعال ، فلا أحكم عليها بالاسم ولا بالفعل ، فلا أقول : إنها اسم ، لأنها حشو في الكلام ولا تنفرد كما ينفرد الاسم ، وأشبهت الفعل لتغيرها في المكني والظاهر ، لأني أقول في الظاهر : رأيت كلا الزيدين ومررت بكلا الزيدين وكلمني كلا الزيدين ، فلا تتغير ، وأقول في المكني : رأيتهما كليهما ، ومررت بهما كليهما وقام إلى كلاهما ، فأشبهت الفعل لأني أقول : قضى زيد ما عليه ، فتظهر الألف مع

---

(1) بغية الوعاة ص : ٣٣

(2) طبقات النحويين واللغويين ص : ١٣٩ . (3) المرجع السابق ص : ٢٧٨ .

(4) [illegible]

الظاهر ، ثم أقول : قضيت الحق تصير الألف ياء مع المكنى (١) " .

وليس ماذهب اليه الفراء بشيء . وقد ألف في مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو رسالة كتبها الدكتور مهدى مخزومى ، فألقت الضوء على منهج العلماء الكوفيين الذين نقلوا نحو البصرة في أول أمرهم ، ثم اختطوا لأنفسهم طريقا ، تميزت به مدرستهم ، وقد تحدث الدكتور مهدى مخزومى في رسالته عن ذلك فقال :

خصائص المدرسة الكوفية العامة :

١- أن الكوفيين كانوا يعتدون بالمثال الواحد ، أو يعممون الظاهرة الفردية ، ويقيسون عليها ... " فقد كان من عادة الكوفيين أنهم اذا سمعوا لفظا في شعر أو نادر كلام جعلوه بابا " (٢)

وجاء في معجم الأدباء عن الكسائى ، قال عبد الله بن جعفر (٣) : ان الكسائى كان يسمع الشاذ الذى لايجوز من الخطأ واللحن وشعر غير أهل الفصاحة والضرورات فيجعل ذلك أصلا ويقيس عليه حتى أفسد النحو " .

وينقل السيوطى عن الأندلسى في شرح المفصل قوله (٤) :

" الكوفيون لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا ، وبوبوا عليه ، بخلاف البصريين " .

قال الدكتور مهدى مخزومى (٥) :

" والكوفيون على جانب من الحق في اعتدادهم بالمثال الواحد لأن ماكان في نظر البصريين شاذا خارجا عن الأصول انما يمثل لهجة بعينها ينبغى أن يحسب حسابها " .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين : ١٤٥ ، ١٤٦

(٢) مدرسة الكوفة ص : ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، الهمع جـ ١ ص : ٤٥ .

(٣) جـ ١٣ ص : ١٨٣ .

(٤) الاقتراح ص : ١٠٠ ، وأخبار النحويين اللغويين ص : ٩٠

(٥) مدرسة الكوفة ص : ٣٧٨ - ٣٨٠ .

٢ ـ وأن الأمثلة فى النحو البصرى توضع لتلائم الأصول الموضوعة بحيث اذا اصطدم بأصل منها فزع الى التأويل والتأويل البعيد ٠ فان خضع له والا وصفه بالشذوذ أو بالندرة أو بالتخطئة أحيانا ٠

أما الكوفيون فيعملون جاهدين على أن يحوروا الأصول لتكون وفق الأمثلة المستعملة المسموعة ٠

٣ ـ وأن نحاة الكوفة كانوا يلمحون الطبيعة اللغوية ويمتازون بفهم العربية فهما لايقوم على افتراضات وتكهنات ، أو استهداء بقوانين العقل وأصول المنطق ، ولكنه يقوم على تذوق اللغة وحس بطبيعتها ٠

وهم بذلك أقدر من البصريين على تصور المعاني الطبيعية وأصدق منهم تفسيرا لظواهر التركيب ، وهم ـ بكشفهم عن معاني الكلمات الطبيعية ـ كما يقول جوتولد فايل : " كثيرا ما أعانوا العقل الانساني السليم على أن يحصل على حقه الى جانب تفسيرات البصريين الفنية العقلية وتعليلاتهم المنهجية الصناعية (١) " ٠

واذا جعل الكوفيون النقل والرواية مصدر القواعد الأول ، وعدوا كل تعبير صحت روايته قائما على أساس صحيح ، ممثلا أسلوبا عربيا بعينه كان نحوهم أوفر حظا فى تمثيل اللغة العربية ولهجاتها المختلفة ، ومذهبهم أقرب الى تصوير العربية تصويرا حقيقيا ٠

والنحو الكوفي أقرب الى روح الدراسة اللغوية من النحو البصرى وأبعد عن الأخذ بأسباب المنطق ، وأن الكوفيين كانوا أجدى على العربية من البصريين ٠٠ ولا يثنينا عن رأينا فى التعلق بهذا المذهب الحي ماقيل من أن البصريين أصح قياسا أو أن مذهبهم أضبط وروايتهم أتقن فانا لانؤمن بالمقاييس العقلية تقاس بها الدراسة النحوية ، فليست اللغة " نشاطا عقليا يضبطه العقل المنطقي الفردي فى وضعه ونموه وتطوره " (٢)

---

(١) مقدمة الانصاف ترجمة الدكتور النجار ٠

(٢) الاجتهاد فى النحو العربى ص ٦ ٠

ولو تتبعنا أعمال الكوفيين لوجدناها قريبة الشبه مما ينادى به أصحاب الدرس الحديث ، فمنهجهم العام يقوم على اعتماد المسموع من كلام العرب والبعد من تحكيم المقاييس العقلية فى القضايا النحوية .

ومن الأمثلة لهذا ما قاله الكسائى حين سئل عن شذوذ أى الموصولة فى استعمالها عن سائر أخواتها الموصولات قال : " أى كذا خلقت "(١) .

جـ- مدرسة بغداد :

ثم كانت مدرسة بغداد تطورا طبيعيا للدراسات النحوية لأنه فى بغداد عاصمة الرشيد التقى علماء البصرة بعلماء الكوفة ، وكانت بينهما المساجلات والمناظرات ففيها التقى الكسائى وسيبويه وكان ماكان ، وفيها التقى المبرد وثعلب ، ثم كان من العلماء من أخذ عنهما ودرس عليهما " ولا شك فى أن مدينة تضم علماء المدرستين يلتقون فيها للمناظرة ويتقارعون بالحجة ويقوم كل منهم بالتثقيف والتأديب ، ويجلس أمامهم التلاميذ يسمعون منهم ، ويقلبون أوجه الرأى فى اتجاهاتهم ، لا شك فى أن مدينة هذا شأنها جديرة بأن تخرج علماء ، قد وعوا أصول المدرستين ، وتأثروا بكلا المنهجين ، وأتيحت لهم فرصة الموازنة والمقارنة ، وتهيأت لهم أسباب التفضيل ودواعى الاختيار .

ومن هنا بدأ عهد جديد فى دراسة النحو بالمشرق ، عهد لا يقوم على دراسة نحو كل مدرسة على حدة ، وانما يقوم على دراسة مسائل النحو ، ومعرفة أوجه الرأى فيها وأرجح الأقوال فى توجيهها ، وهذا هو ما يسمى بمدرسة بغداد ، أو المدرسة المزدوجة " كما يذكر جوتولد فايل .(٢)

وقد كان لهؤلاء العلماء الذين خلطوا بين المذهبين وحاولوا التوفيق بينهما تاريخ مذكور ، قال ابن النديم عن أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى

---

(١) الاجتهاد فى النحو العربى ص : ٣

(٢) مقدمة الانصاف ترجمة الدكتور النجار ، ونحو ابن مالك ص : ١١ ،

الكوفى : " وكان ابن قتيبة يغلو فى البصريين ، الا أنه خلط المذهبين ، وحكى فى كتبه عن الكوفيين ، وتوفى سنة ٢٧٠ هـ (١) .

وقال الزبيدى عن أبى الحسن محمد بن أحمد بن كيسان : وكان بصريا كوفيا ، يحفظ القولين ويعرف المذهبين وكان أخذ عن ثعلب والمبرد ، وكان ميله الى مذهب البصريين أكثر ، قال أبوعلى : وسمعت أبا بكر بن مجاهد يقول : كان أبو الحسن ابن كيسان أنحى من الشيخين يعنى ثعلبا والمبرد ، وتوفى أبو الحسن يوم الجمعة لثمان خلون من ذى القعدة سنة تسع وتسعين ومائتين (٢) .

زاد ياقوت (٣) : " وقد ألف كتاب " المسائل على مذهب النحويين فيما اختلف فيه البصريون والكوفيون " .

وممن ألف فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، وقد آثر المذهب البصرى عبد الرحمن بن محمد أبو البركات الأنبارى ، فقد ألف كتاب " الانصاف فى مسائل الخلاف" ولم يوافق الكوفيين الا فى سبع مسائل من احدى وعشرين ومائة مسألة ، ورأى وجه الصواب فى الباقى مع البصريين وقد أضاف الى هذه المسائل السبع ثلاث مسائل أخرى الدكتور عبد الرحمن السيد فى رسالته " مدرسة البصرة النحوية (٤) " :

١ـ جواز العطف على الضمير المخفوض .

٢ـ رافع المضارع تعريه من العوامل .

٣ـ أن تنصب المضارع محذوفة .

والسمة العامة للبغداديين هى دراسة أصول النحو التى أثرت عن مدرستى البصرة والكوفة ، ثم ترجيح بعض الآراء على بعض أو تجويز الاتجاهين معا ، دون تحيز لفريق على فريق ، وقد كان من أعلام النحاة الذين حرروا أنفسهم للبحث العلمى فى هذه السبيل أبوعلى الفارسى وأبو البركات الأنبارى وغيرهما .

---

(١) الفهرست ص : ١١٥

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص : ١٧٠ ، ١٧١

(٣) معجم الأدباء جـ ١٧ ص : ١٣٧

(٤) ورقة رقم : ١١٨ ـ ١٢٤ .

د ـ الاتجاهات النحوية في الأندلس :

وفي أثناء هذا النشاط العلمي الناشئ في المشرق ، كان المسلمون قـد فتحوا الأندلس ، وانتقلت معهم اللغة العربية ، وكان من شأنها ما سبق بيانـه ، وقد تبع انتشار اللغة العربية في الأندلس نقل علومها المختلفة الى تلك البلاد ، فانتقل اليها علم النحو ، وأقبل الأندلسيون على دراسته والتحقق به ، حتى كان لأحدهـم فيه تأليف قبل أن ينتهي القرن الثاني الهجري ـ كما سيأتي ان شاء اللـه .

ولعل من الأوفق في مثل هذا البحث أن نقسم المدة التي قضاها المسلمون فـي الأندلس ، وكان فيها النشاط النحوي ، الى عصور تبعا للأطوار التي تنقل فيها هـذا العلم . والرأي عندي أن نقسم الى عصور ثلاثـة :

١ـ عصر الجمع والتكوين ، ويبدأ من فجر تاريخ هذا العلم الى نهاية القـرن الخامس الهجري ، ففي هذه القرون الأربعة لانكاد نجد للانتاج النحوي أثـرا واضحا ملموسا في المؤلفات النحوية ، ولم يصل الينا من هذا الانتاج الا النزر اليسير ، من ذلك الذي تحدثت عنه المراجع ، على ما سيأتي .

٢ـ العصر الذهبي للانتاج النحوي في القرنين : السادس والسابع ، ففي هذين القرنين كان الأئمة من نحاة الأندلس ، وكان النشاط النحوي فيهما على أشده ، فقد لمعت أسماء كثيرة عرفت عنها غزارة العلم والابداع في كل ما أنتجوا من مؤلفات ، والسداد في كثير من الآراء .

٣ـ عصر التشتت والتفرق ، من حين بدأ ظل الحكم الاسلامي في الزوال من هـذه البلاد ، وذلك في القرنين : الثامن والتاسع الهجريين .

١ـ عصر الجمع والتكوين :

(١) الحالة السياسية .

(٢) الحالة العلميـة .

(٣) مؤلفو النحـاة في هذه الفـترة .

(٤) طلائع النحـاة في سطور .

(٥) غير المؤلفين من نحاة هذا العصر .

١ ـ الحالة السياسية :

ظل الحكام في بلاد الأندلس على ولائهم للخلافة الاسلامية في زمن الدولة الأموية وصدر من الدولة العباسية ، حتى " هرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك وكثيرون من بني أمية الى المغرب ، واستولى على بلاد الأندلس ومخاليفها ، وورثها بنوه بطنا بعد بطن[1] "

كان هذا بعد الفتح بأقل من نصف قرن ، وقد كان عبد الرحمن وسبعة خلفاء من بعده يقتصرون على تلقيب أنفسهم بلقب الأمير ، تأدبا مع الخلافة بمقر الاسلام[2] .

فلما كان الخليفة الثامن عبد الرحمن الناصر لقب نفسه أمير المؤمنين ، عند ما رأى ما عليه خلفاء العباسيين من الضعف ، وقد حكم الأندلس من سنة (٣٠٠) الى سنة (٣٥٠) هـ .

ثم أصاب الأندلس ما أصاب الدولة العباسية من انقسامها الى دويلات بسبب انغماس الأمراء في الترف ، وانسياقهم خلف مآربهم ، وانقسامهم على أنفسهم ، فاستقل كل أمير بمقاطعة ، وأصبح الحكام يعرفون بملوك الطوائف[3] .

وظل الأمر كذلك حتى دخل الأندلس يوسف بن تاشفين ، أمير دولة الملثمين لمساعدة المعتمد بن عباد ملك أشبيلية الذي استنجد به ليعاونه في حربه مع الأوربيين محارب ألفونس السادس ملك قسطيلة ، وانتصر عليه انتصارا باهرا سنة (٤٦٩) هـ .

ولكنه بعد ذلك تغلب على ملوك الطوائف ، وجمع البلاد كلها كما كانت ، وتوفي سنة (٥٠٠) ثم خلفه ابنه علي ، وتلقب بلقب أبيه أمير المسلمين ، وسمى أصحابه المرابطين ، وكان " حسن السيرة ... واشتد ايثاره لأهل الفقه والدين ... ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده الا من علم علم الفروع ... وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ودان أهل ذلك الزمان بتكفير

---

(١) شذرات الذهب جـ ١ ص : ١٨٧

(٢) نفح الطيب جـ ١ ص : ٢٠٩

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الثالث ص : ٤٣ .

كل من ظهر منه الخوض فى شئ من علوم الكلام ، وقـرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهـة السلف لـه "[١].

٢- الحالـة العلميـــة :

كان الأمويون حكام الأندلس حراصا كل الحرص على أن تستكمل دولتهم فى هـذه البلاد كل مقومات الدولة من علوم وفنون وآداب وحضارة ، وكان هذا الحرص يدفعهم دائما الى أن يستزيدوا من هذه المقومات ، ليضمنوا لدولتهم القيام على أساس متين ، وقد سبق أن ذكرت فى رحلات العلماء وفى تأثر علماء الأندلس بالمشارقة الكثير من الأسماء والأحداث التى تدل على مبلغ عنايتهم برفعة شأن هذه البلاد ، فقد ذكر القفطى فى ترجمة أبى الفرج الأصفهانى أنه " حصل له ببلاد الأندلس كتب قد صنفها لبنى أمية المقيمين بها هنـاك وسيرها اليهم سرا ، وجاءه الانعام والعطاء سرا أيضا منها كتاب " نسب بنى عبد شمس " و " أيام العرب " و " الغلمان المغنين " و " مجرد الأغانى " وغيرهـا "[٢].

وقد نقلت من قبل عن ابن خلدون فى كتاب العبر أن الأصفهانى قد أنفذ اليهم كتاب الأغانى وحده[٣] ، فلنضف اليه ماذكره القفطـى .

وكذلك دعوا بعض علماء المشرق كأبى على القالى ، ليذيعوا ما لديهم من علم علـى أبناء أندلسهم .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل شجع الحكام علماءهم على أن يرتحلوا فى سبيل طلب العلم ، والتزود منه - كما سبق بيان ذلك -[٤] وقد كان هؤلاء العلماء على درجـة عالية من الجد والاجتهاد فى سبيل الطلب فهذا يحيى بن مالك بن عائذ بن كيسـان من أهل طرطوشـة ، يكنى أبا زكرياء ، رحل الى المشرق ، وقال ابن الفرضـى عنـه[٥] :

" حدثنى أنه سمع ببغداد من سبعمائـة رجل ونيف ، وجمع علما عظيمـا لم يجمعـه أحد قبلـه من أصحاب الرحل الى المشرق . وسمعتـه يقول : لو عدت أيام مشيى فـى

(١) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص : ١٣٢

(٢) انباه الرواه جـ ٢ ص : ٢٥١

(٣) ورقـة رقم ٣٧ نقلا عن العبر جـ ٤ : ١٤٦ .

(٤) رحلاتهم من الورقـة : ٤٤ - ٥٤ .

(٥) تاريخ العلماء والرواة للعلم جـ ٢ ص : ١٩١ .

المشرق وجدت كتبي التي كتبت هناك بخطي لكانت كتبي أكثر من أيامي بها ... توفي سنة ٣٧٥ هـ .

٣ـ مؤلفو النحاة في هذا العصر :

ان الاحصاء الذي ينتهي اليه قارئ كتب التراجم النحوية وحدها ، يكاد يدهش الباحثين من كثرة ما يجد من النحاة الأندلسيين على مر السنين ومن قبل قال الأستاذ أحمد أمين (١) :

" يطول بنا القول ، لو ترجمنا لنحويي الأندلس واحدا فواحدا ، وأنت اذا قرأت " كتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة " وجدت في كل صفحة تقريبا واحدا فأكثر من نحاة الأندلس " .

وقال الأستاذ سعيد الأفغاني (٢) :

يعرف المطلعون عناية الأندلسيين بعلم النحو ، منذ الزمن الأقدم ويحفظون كلمة ابن سعيد " والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة " .

وليس في هذا مبالغة قط ، ولقد حلا لي استشارة الأرقام فعمدت الى " بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة " للسيوطي ، فأحصيت ما فيه من تراجم فاذا هو نحو من (٢٤٥٠) ترجمة لعلماء من جميع الأقطار الاسلامية بين الصين وبحر الظلمات ، ووجدت للأندلسيين بينهم نحوا من (٧١٢) ترجمة ، وهذه نسبة عالية جدا ، أن يبلغ في هذا الصدر علماء هذا القطر القليل المساحة قريبا من ثلث علماء العالم الاسلامي كله .

هذا وقد تمت باحصاء العلماء الذين كان لهم تأليف في علم النحو في هذه البلاد فبلغ عددهم قرابة المائة ، ولكن الجم الغفير من هؤلاء الأعلام المؤلفين لم تصل الينا مؤلفاتهم النحوية التي تعتبر السند الأول للباحث في ترجمتهم والحديث عنهم وبيان آرائهم واتجاهاتهم .

---

(١) ظهر الاسلام جـ ٣ ص : ٦٨ .

(٢) صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ص : ٧٧ ، ٧٨ وبحث بدى الفصلة

لهذا ألتمس العذر لنفسي اذا قصرت الحديث المفصل على من وصل الينا بعض مؤلفاتهم ، أو نقلت كتب النحو آراءهم واتجاهاتهم وكان لهم باع في تطوير النحو ودفعه الى الأمام .

وفيما يلي حديث عن المؤلفين في عصر الجمع والتكوين ، قد يطول أو يقصر تبعا لما ذكرت من قبل .

١ـ جـــودي :

ان أول من تجب الاشارة اليه تحت هذا العنوان هو جودي بن عثمان الذي سبق ذكره في رحلاتهم ، والذي أجمعت كتب التراجم على أنه " له تأليف في النحو " ولكن هذا التأليف لم يصفه أحد ولم تذكر أية أخبار عن محتوياته أو عن طريقته في تأليفه .

قال الزبيــــدي :

وفي حلقته أنكر على عباس بن ناصح قولـه :

يشهد بالاخلاص نوتهيهـــا   لله فيها وهو نصرانــــــي

فلحن حين لم يشدد ياء النسب وكان بالحضرة رجل من أصحاب عباس بن ناصح ، فساءه ذلك ، فقصد الى عباس ـ وكان مسكنه الجزيرة ـ فلما طلع على عباس قال له : ما أقدمك ـ أعزك اللـه ـ في هذا الأوان ؟ قال : أقدمني لحنك . قال عباس : وكيف ذلك؟ فأعلمه بما جرى من القول في البيت ، قال : فهلا أنشدتهم بيت عمران بن حطان :

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمــن   وان لقيت معديا فعدنـــان

قال : فلما سمع البيت كر راجعا ، فقال له عباس : لو نزلت فأقمت عندنا . فقال : مابي الى ذلك من حاجة ، ثم قدم قرطبة ، فاجتمع بجودي وأصحابه فأعلمهم .

وهذه الواقعة تدل على مقدار ما كان عند جودي من العلم ، كما تدل على أنه كانت له حلقة يعقدها ، ويجتمع حوله طلاب العلم من أصحابه في ذلك الزمن البعيد " وتوفي جودي سنة ثمان وتسعين ومائة (١) .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص : ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، وانباه الرواة جـ ٣ ص : ١٧٦ ، بغية الوعاة ص : ٢١٣ .

٢ ـ ابن أبي غزالة :

ابن أبي غزالة : هارون بن أبي غزالة السهاني أخذ عن جابر بن غيث وله كتاب ألفه في العربية (١) .

٣ـ أبو بكر بن خاطب :

ابن خاطب : ذكره الزبيدي في الطبقة الرابعة من نحاة الأندلس : قال هو أبو بكر بن خاطب المكفوف ، كان ذا علم بالعربية والعروض والحساب ، وله تأليف في النحو هو في أيدي الناس (٢) .

٤ـ البغل :

البغل هو أبو الحسن مفرج بن مالك النحوي ، كان ذا صلاح وفضل ونسك في تأديب المتعلمين ، وأنجب على يده أكثر أهل زمانه ، وله كتاب في شرح كتاب الكسائي ، وقد ذكره الزبيدي في الطبقة الرابعة من نحاة الأندلس (٣) .

٥ ـ الجرفي :

قال القفطي (٤) : " الجرفي بضم الجيم ، نحوي مشهور بالأندلس ، وله كتاب شرح فيه كتاب الكسائي في النحو " .

وفي تاريخ الفكر الأندلسي (٥) : " وكانت أذيع كتب النحو على أيام ابن حزم " تفسير الجوفي لكتاب الكسائي " .

وقد ذكر المقري قول ابن حزم (٦) : " ومن الأنحاء تفسير الجوفي لكتاب الكسائي حسن في معناه " .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص : ٢٨١ ، بغية الوعاة ص : ٤٠٦ .

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص : ٢٩٧ ، وتاريخ العلماء : ١ ص : ١١٢ ، وبغية الوعاة ص : ٢٠٢ .

(٣) طبقات النحويين واللغويين : ٢٩٧ ، وبغية الوعاة ص : ٣٩٦ .

(٤) انباه الرواة جـ ١ ص : ١٢٧ .

(٥) ص : ١٨٥ .

(٦) [illegible]

ومن المعروف أن وفاة ابن حزم كانت في سنة (٤٥٦ هـ) وهذا الشرح من تلـك الكثرة الكثيرة التي لم تصل الينـا ٠

٦ ـ البرشقـيري :

هو أبو الأصبغ ، عثمان بن ابراهيم ، كان عالما بالعربية والحساب ، مؤدبـا بهما ، وكان حاذقـا بالنجامة ، شاعرا صالح الشعر ، وكان مهيبا في تلاميذه ، ذا وقار وسمت ، وله تآليف في النحو ، وسكن حاضرة أشبيلية ٠

وقد ذكره الزبيدي في الطبقة السادسة من نحاة الأندلس ، وليس لهذا الكتاب الذي ألفه وجـود (١) ٠

٧ ـ الأحـدب :

هو عبد الواحد بن سلام الأحدب من أهل قرطبة ، ويكنى أبا الفخر ، كان من أهل العلم بالنحو ، وأدب به ، وله فيه كتاب مؤلف هو بأيدي الناس ، وتوفي سنة (٢) (٣٠٩ هـ)

وذكره الزبيدي (ص ٢٧٩) ولكنه لم يذكر تأليفه ٠

٨ ـ الأبيـض :

هو يحيى بن عبد الرحمن المعروف بالأبيض ، من أهل سرقسطة ٠٠ وكان متصرفـا في ضروب من العلم ، ومتقدما في النحو واللغة بارعا ، وألف في النحو كتابا ، أخذه الناس عنه ، متوفى سنة (٣) (٢٦٣ هـ) ٠

زاد السيوطي في التعريف بـه (٤) :

أبو زكريا المعروف بالأبيض ، لأنه كان أبيض الرأس واللحية والحاجبين وشفار العين خلقة ، وقيل : ان أمه كانت أخت أبيه من الرضاعة ، فظهرت فيه هذه الآية ، وقيل مات سنة (٢٣٦ هـ) ٠

وتآليف الأبيض كتآليف أكثر السابقين لم يعرف ٠

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص: ٣٢٤ ، بغية الوعاة ص: ٣٢١ ، ٣٢٢ ٠

(٢) تاريخ العلماء والرواة للعلم جـ ١ ص: ٣٣٤ ، بغية الوعاة ص: ٣١٦

(٣) تاريخ العلماء والرواة جـ ٢ ص: ١٧٩

(٤) بغية الوعاة ص: ٤١٣ ٠

٩ ــ موسى بن أصبغ :

هو موسى بن أصبغ المرادي ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا عمران ، خرج الى المشرق ، ودخل العراق ، ولقي بها محمد بن الحسين بن دريد وغيره ، وكان بصيرا باللغة والاعراب شاعرا محسنا . حدثت أنه نظم في المبتدأ ثمانية آلاف بيت (١) .

ولم يحدد تاريخ وفاته والذي يعتمد عليه في تقريب ذلك هو أن ابن دريد قد مات سنة ٣٢١ هـ (٢) ، وأن ابن الفرضي قد ذكر هذا الرجل ، وابن الفرضي متوفى في سنة ٤٠٣ هـ .

١٠ ــ البارد :

قال الزبيدي (٣) :

" هو زيد بن الربيع بن سليمان الحجري ، وكان له حظ من العربية واللغة وكان حسن الضبط للكتب متقنا لها ، وهو الذي جمع الأبواب في كتاب الاخفش ، فاقتدى الناس به ، وكانت الأبواب متفرقة ، ورأيت النسخة الأولى ، فرأيت أبوابها مفترقة وتوفي في صفر سنة (٣٠٠ هـ) " .

وقد ذكره السيوطي كذلك . وقد اعتبرت هذا الجمع الذي قام به في كتاب الأخفش نوعا من التأليف في النحو ، لأنه فيما يغلب على الظن هذب الكتاب ، ويسر سبيل الانتفاع به .

١١ ــ دريود :

عبد الله بن سليمان ، المعروف بدرود ، وبعضهم يصغره فيقول : دريود من أهل النحو والشعر ، وله كتاب في العربية شرح به كتاب الكسائي ، وهو مذكور في كتاب الحدائق ، وتوفي سنة ٣٢٥ هـ ، وكان أعمى وله شعر .

وفي التكملة : له شرح في نحو الكسائي في ستة أجزاء ، حمل عنه ، وسمع منه (٤) .

---

(١) تاريخ العلماء والرواة جـ ٢ ص : ١٤٧ ، بغية الوعاة ص : ٤٠٠
(٢) بغية الوعاة ص : ٣٢ .
(٣) طبقات النحويين واللغويين ص : ٣٠٨ ، بغية الوعاة ص : ٢٥٠ .
(٤) جذوة المقتبس : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، بغية الوعاة : ٢٨٣ ، التكملة ص : ١٠١ .

وقد نقل السيوطي عن دريود عند الكلام على " حبذا " قال[١] :

أ ـ " وقال دريود : ذا زائدة ، وليست اسما مشارا به ، بدليل حذفها في قوله :

وحب دينا

ب ـ وفي الهمع بعد أن ذكر تمام " عسى " ونقصانها ، في مثل : هند عسى أن تقوم أو هند عست أن تقوم قال[٢] : " والتجريد أجود كما قال دريود " .

جـ ـ وفي ارتشاف الضرب[٣] : " اختار ابن خروف جواز التقديم مطلقا في خبر ما زال وأخواتها " ونص دريود على أنه لا يجوز تقديم خبرها مع لم ولن . وليس ذلك بمرضي .

والمرجع الذي نقل عنه السيوطي وأبو حيان غير معروف ، فربما كان كتاب دريود قد وصل الى أبي حيان والسيوطي من بعده ، أو ربما نقل أحدهما عن بعض العلماء الذين أخذوا عن دريود .

وهذه النتف القليلة لا تعطي الباحث فرصة الكلام على شخصية دريود .

١٢ ـ <u>القالي :</u>

وأما أبو علي القالي فان ذكره هنا يخالف ما جرى عليه الزبيدي ، فقد ذكره مرتين : مرة في طبقات النحويين البصريين[٤] ، ومرة في طبقات اللغويين البصريين[٥] ، ومع هذا فلا يمكن الاستغناء عن ذكره في هذا البحث ، ولا بد من ترجمة موجزة له ، لأنه أمضى شطر حياته في الأندلس يعلم ويصنف ويملي ويقف كل جهده على خدمة العلم في هذا الاقليم النائي من بلاد المسلمين ، وربما كانت ترجمة الزبيدي له أصدق التراجم ، لأنها مستقاة من أبي علي نفسه ، وقد رأيت جوانب من هذه الترجمة في شذرات الذهب[٦] ،

---

(١) الهمع جـ ٢ ص : ٨٨

(٢) الهمع جـ ١ ص : ١٣١

(٣) ورقة رقم : ١٦٦

(٤) ص : ١٣٢

(٥) ص : ٢٠٢ ـ ٢٠٥

وفى معجم الأدباء[١] ، وفى نفح الطيب[٢] ، وفى بغية الوعاة[٣] .

وكل أصحاب التراجم يجمعون على أن الرجل " كان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين ... وله التواليف الملاح منها كتاب الأمالى وكتاب البارع فى اللغة ، بناه على حروف المعجم وهو يشتمل على خمسة آلاف ورقة ، وكتاب المقصور والممدود ، وكتاب فى الابل ونتاجها ، وكتاب فى حلى الانسان والخيل وشياتها ، وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب مقاتل الفرسان ، وكتاب شرح فيه القصائد والمعلقات وغير ذلك .. دخل قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ٣٣٠هـ واستوطنها وأملى كتابه الأمالى بها ، وأكثر كتبه بها وضعه ... وتوفى القالى بقرطبة فى شهر ربيع الآخر وقيل جمادى الأولى سنة ٣٥٦ هـ ليلة السبت لست خلون من الشهر المذكور "[٤]

وله فى انباه الرواة ترجمة طويلة[٥] .

وقد بلغت مكانته أعلى درجات التكرمة والاعظام حتى " كان الحكم المستنصر قبل ولايته الأمر بعدها ينشط أبا على ويحثه على التأليف بواسع العطاء ، ويشرح صدره بالافراط فى الاكرام[٦] " وحتى ألف أبو محمد الفهرى كتابا فى نسب أبى على البغدادى ورواياته ودخوله الأندلس[٧] " .

وقد كان لعظم منزلته وعلو مكانته موضع تقدير الشعراء ، حتى مدحوه فى شعرهم قال فى يتيمة الدهر[٨] ، وأنشدت لأبى عمرو يوسف بن هارون الأندلسى المعروف بأبى سبيح يمدح أبا على اسماعيل بن القاسم البغدادى القالى من قصيدة أولها :

من حاكم بينى وبين عذولى   الشجو شجوى والعويل عويلى

---

(١) جـ ٤ ص : ٢٢٩

(٢) جـ ٤ ص : ٧٠ ــ ٧٥

(٣) ص : ١٩٨

(٤) وفيات الأعيان جـ ١ ص : ٢٠٤

(٥) جـ ١ ص : ٢٠٤ ــ ٢٠٩

(٦) نفح الطيب جـ ٤ ص : ٧٥

علم القالي :

أملى القالي كتاب الأمالي في أيام الأخمسة بجامع قرطبة " وكتاب النوادر لأبي علي اسماعيل بن القاسم ، وهو مبار لكتاب الكامل لأبي العباس المبرد ولعمري لئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحوا ، فان كتاب أبي علي لأكثر لغة وشعرا[1] " وكتاب الأمالي والنوادر في مقدمة كتب الأدب العربي ، وفيها كثير من المباحث اللغوية وقليل من مباحث النحو والصرف ومن هذه الأخيرة : مبحث ما تلحقه العرب بآخر الكلمة في الاستفهام الانكاري[2] . ومطلب في الكلمات التي تتعاقب فيها الفاء والثاء[3] . وما في لغات العرب[4] . وما يمد ويقصر من الكلمات[5] . وما يقلب من حروف المضاعف الى الياء[6] . وحروف البدل[7] . والكلام على الاتباع[8] .

وفي كتاب ذيل الأمالي والنوادر عقد بابا في " اعراب ليس الطيب الا المسك " يذكر قصة قول أبي عمرو بن العلاء : " ليس في الأرض حجازي الا وهو ينصب ، وليس في الأرض تميمي الا وهو يرفع[9] " . وأنشد أبيات دماذ التي مطلعها :

تفكرت في النحو حتى مللت ... وأتعبت روحي له والبدن[10]

وله حديث عن " لا جرم " والأوجه الجائزة في اعرابها ومعناها .[11]

وقد علق البكري الأندلسي في كتاب " التنبيه " على باب الاتباع بقوله :
" هذه هذرمة[12] ، وحجاج مقحمة ، أما قوله : ان النون في بسن زائدة كزيادتها في خلبن وعلجن فشاذ لانظير له ، لأن بسنا من ذوات الثلاثة وهي لاتحتمل الزيادة لما كانت أقل الأصول ، وأما قوله : وأحسن من هذا أن تكون النون بدلا من حرف

---

(١) نفح الطيب جـ ٤ ص : ١٦٥ . (٢) الأمالي ٢ : ١٣ ، ١٤
(٣) الامالي ٢ : ٣٤ (٤) الامالي ٢ : ١٣٤
(٥) الامالي ٢ : ١٤٩ (٦) الامالي ٢ : ١٧١
(٧) الامالي ٢ : ١٨٦ (٨) الامالي ٢ : ٢٠٨ — ٢١٦
(٩) ذيل الامالي والنوادر : ٣٩ (١٠) المرجع السابق : ١٨٦
(١١) ذيل الامالي والنوادر : ٢١٠

التضعيف لأن حروف التضعيف تبدل منها الياء مثل : تظنيت وما أشبهه ، فإن تظنيت أبدل لاجتماع ثلاثة أمثال وإنما في بسن مثلان ، فإن احتج محتج بقولهم : أمليت وأحسيت في أمللت وأحسست وأيما في أما فهذا قليل ، وهو مع قلته أتى بالياء ولم يأت بالنون ألبتة فكيف يقاس على مالم يسمع (١) ؟ ».

وكتاب المقصور والممدود مخطوط في دار الكتب يحمل رقم (١٨٤ لغة) وفي مقدمة هذا الكتاب يصرح القالي بأنه ضن بعلمه في المشرق لأنه لم ير أحدا من ولد العباس للعلم طالبا ولا في الأدب راغبا ، ولا لأهلها مشرفا ولا لحاملها معظما " ويمتدح الحكم الذي هيأ له التكرمة وشجعه على التأليف والتصنيف .

وكتاب " فعلت وأفعلت " محاولة لتأليف في الصرف مستقل عن الأدب واللغة .

ومن مؤلفات أبي على القالي كتاب البارع ، وهو بحث لغوي عظيم الفائدة ، عني بالشواهد قال ابن خلكان في ترجمته :

" وله التواليف الملاح ، منها كتاب الأمالي ، وكتاب البارع في اللغة ، بناه على حروف المعجم ، وهو يشتمل على خمسة آلاف ورقة ".

وقد طبع الجزء الموجود من هذا الكتاب في لندن سنة ١٩٣٣م ، وأوله (٢) : قال : والسراب يتهيع أي ينبسط على وجه الأرض ، ويقال : انهاع السراب انهياعا ومهيعة بفتح الميم والياء وسكون الهاء : قريب من الحجفة وهي مفعلة من الأرض الهيمة أي الواسعة ، والهيعة بفتح الهاء وسكون الياء سيلان الشيء المصبوب على وجه الأرض تقول : هاع يهيع هيعا ، وماء هائع ، والرصاص يهيع في الذوب قال غيره : يهيع ويهيع أيضا .

وقد تتابع ذكر أبواب اللغة في هذا الجزء ، مع ذكر الشواهد ، حتى وصل المؤلف الى باب (٣) :

---

(١) كتاب التنبيه : ١١٣.

(٢) صفحة : ١

(٣) صفحة : ١٤٧

التاء والميم والألف والواو والياء في الثلاثي المعتل

يعقوب : مات الرجل يموت موتا ، وهو ميت وميت بالتثقيل والتخفيف كما يقال : هيّن وهين ، وهو ميت من قليل ومائت ، ولا يقال : هو ميّت من قليل ، وقاله الفراء ، وقال ابن دعلا الغساني :

ليس من مات فاستراح بميت ... انما الميت ميت الأحياء

انما الميت من يعيش كئيبا ... كاسفا باله قليل الرجاء

وقال أبو زيد : يقال : هذا رجل ميت غدا بتشديد الياء وكسرها ، ورجل ميت بفتح الميم وسكون الياء مخفف للذى قد مات ، وثقله بعضهم في حال موته قال الراجز :

ومنهل فيه غراب ميت ... سقيت منه القوم واستقيت

كأنه من الأجون الزيت

ويقال : وقع في المال الموتان بضم الميم والواو ساكنة ، في لغة تميم معناه وقع فيها الموت ، وقال الصقر ، وهو رجل من بني تميم : وقع في المال الموتان ، بفتح الميم واسكان الواو ، اذا وقع فيه الموات يعنى الموت ، قال يعقوب : ويقال : اشتر من الموتان ، ولا تشتر من الحيوان ، قال أبو العباس : يعني بالموتان الأرضين والحيوان كل شيء حى يدركه الموت ، والموتان ما سوى ذلك ، قال يعقوب : ويقال : أرض موات وميتة ، اذا كانت خرابا ليست بمعمورة ، يقال : من أحيا مواتا فهو له ، وقال الله عز وجل : " وآية لهم الأرض الميتة أحييناها "[٢] ، وقال أبو زيد : ويقال : مات فلان ميتة سوء بكسر الميم ، وقال : وقع في المال الموات بلغة بعض بنى أسد بضم الميم ، اذا وقع فيها الموت ، وقال الأصمعي : تقول العرب : أخذته الموتة بضم الميم ، وهى غمرة تأخذ الانسان حتى يغشى عليه وأما الموتة بفتح الميم فمصدر مات يموت موتة واحدة ، وفى القرآن " الا الموتة الأولى "[٣] .

ولكن وجوه هذا الباب لم تكمل ، لانتهاء الجزء الموجود من هذا الكتاب بقوله :[١]

---

(١) صفحة : ١٤٨ .
(٢) سورة يس آية رقم ٣٣ .

وقال الخليل : التومة : اللؤلؤة ، وجمعها توم على مثال فعل وأنشد :

كأنني حين تناديني أصم عن الدماليج ومن صوغ التوم

والتومة : القرط فيه حبة ، وأنشد :

يمحى بها ذو تومتين مشمر (قنأت) [1] أنامله من الفرصاد

وفي بيت ذي الرمة : التوم بيض النعام والواحدة تومة قال :

وحتى أتى يوم يكاد من اللظى به التوم في أفحوصه (يتصيح) [2]

هذا ، والقالي يعد في مقدمة بناة مجد العلم في هذه البلاد ، وشخصيته وحدها تستحق أن تفرد ببحث مستفيض .

وقد ترجم له الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي الذي قام بتحقيق كتاب الأمالي والنوادر والتنبيه ، في المقدمة التي صدر بها طبعة دار الكتب بالقاهرة .

١٣ - ابن العريف " الحسن " :

هو الحسن بن الوليد بن نصر أبو بكر القرطبي ، المعروف بابن العريف قال ابن الفرضي : كان نحويا متقدما فقيها في المسائل ، حافظا للرأي خرج الى مصر ، ورأس فيها ، ومات سنة سبع وستين وثلاثمائة . قلت : (أي السيوطي " وضع لولد أبي عامر المنصور مسألة فيها من العربية مائتا ألف وجه واثنان وسبعون ألف ربعة وثمانية وتسعون وجها [3] .

وهذه المسألة وحدها جعلتني أعتبره من مؤلفي النحويين في هذه الفترة وربما كان لأخيه الحسين بن العريف الذي سيأتي ذكره - ان شاء الله - أثر في مكانته العلمية وقدرته الفائقة التي تبدو في مثل هذه المسألة .

---

(١) صححت هذه الكلمة من لسان العرب مادة (فرصد) .

(٢) المرجع السابق : (توم)

١٤ ـ ابن القوطيـــة :

قال الثعالبي في ترجمتـــه (١) : محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابـــن القوطيـة من أعلم أهل زمانـه ، وأرواهم للأشعار والأخبار . وكان مع ذلك حافظا للفقـه والحديث ، من أهل النسك والزهادة ، وله كتاب في الأفعال لم يسبقـه أحد الى مثلـــه وكان أبو علي البغدادي المعروف بالقالي يفضلـه ويعظمـه ويعرف حقـه ويقدمه . أخبرني أبو سعيد بن دوست ، قال : أخبرني الوليد بن بكر الفقيه أن يحيى بن هذيل الشاعـر زار يوما ابن القوطية في ضيعة له ، فألفاه خارجا منها ، فاستبشر بلقائه ، وابتدأ ببيـت حضره على البديهـة ، فقال :

من أين أقبلت يامن لاشبيه له ومن هو الشمس والدنيا له فلـــك

فأجابـه مسرعـا :

من منزل يحجب النساك خلوته وفيه ستر على الفتـــاك ان فتكـــوا

زاد ياقوت في ترجمتـــه (٢) :

وكان مضطلعا بأخبار الأندلس .. ومن تصانيفـه كتاب تصاريف الأفعال وهـــو أول مصنف في ذلك ... مات سنة ٣٦٧ هـ .

وفي شذرات الذهب بعد أن بين نسبة أمه الى قوط وبعد ذكر اسمه قـــال (٣) : " كان رأسا في اللغة والنحو حافظا للأخبار وأيام الناس فقيها محدثا متقنا كثير التصانيف صاحب عبادة ونسك ... وصنف الكتب المفيدة في اللغة منها كتاب تصاريف الأفعـــال وهو الذي فتح هذا الباب فجاء من بعده ابن القطاع وتبعه ، وله كتاب " المقصور والممدود " جمع فيه مالا يحد ولا يوصف ، ولقد أعجز من يأتي بعده وفاق من تقدمـه " .

وفي تاريخ الفكر الأندلسي عندما تحدث عن أوائل النحويين الأندلسيين ومؤلفاتهم قـــال (٤) : " وهناك أيضا " كتاب الأفعال في اللغة " لأبي بكر بن القوطية (نشـــره

---

(١) يتيمـة الدهـر ٢ : ٧٣

(٢) معجم الأدباء جـ١٨ ص: ٢٧٢ ـ ٢٧٥ .

(٣) جـ ٣ ص: ٦٢ .

(٤) ...

جمادى سنة ١٨٩٤م) وقد شرحه وعلق عليه ابن طريف مولى بنى عبيد المتوفى سنة ٣٩٩ هـ " .

وقال القفطى فى ترجمته (١) :

كان اماما فى العربية بالأندلس .. وله كتاب فى الأفعال لم يؤلف مثله .

وقال ابن خلكان بعد أن ذكر اسمه (٢) :

سمع بأشبيلية من محمد بن عبد الله بن القوق وحسن بن عبد الله الزبيدى وسعيد بن جابر وغيرهم ، وسمع بقرطبة من طاهر بن عبد العزيز وأبى الوليد الأعرج ومحمد بن عبد الوهاب بن مغيث وغيرهم . وكان من أعلم أهل زمانه باللغة والعربية .. لايلحق شأوه ، ولا يشق غباره ، وكان مضطلعا بأخبار الأندلس .. وكانت كتب اللغة أكثر ما تقرأ عليه ويؤخذ عنه .. وكان قد لقى مشايخ عصره بالأندلس وأخذ عنهم وأكثر من النقل من فوائدهم " .

وذكر بعد ذلك كتاب تصاريف الأفعال وكتاب المقصور والممدود وتاريخ وفاته كما تقدم .

ومثل ما سبق ذكره السيوطى فى بغية الوعاة (٣) .

وذكره ابن الفرضى فأشاد بمؤلفاته ثم تحدث عن جلوسه اليه يتلقى منه العلم فقال (٤) :

" اختلفت اليه أيام نظرى فى العربية فى سماع الكامل لمحمد بن يزيد المبرد وكان يرويه عن سعيد بن جابر فشهدت منه مجالس ، وتوفى رحمه الله قبل فراغنا منه سنة ٣٦٧ " .

وعلى الرغم من أن كتاب الأفعال لابن القوطية قد خلا من مباحث النحو لا يمكن

---

(١) انباه الرواة جـ٣ ص: ١٧٨

(٢) وفيات الأعيان جـ٤ ص: ٤

(٣) ص: ٨٤ ، ٨٥ .

أغفالـه دون دراسة موجزة لأنه قد طبع وتيسر الانتفاع به ، وظهرت فيه بعض الملامـح الجديدة للدراسات الأندلسية ، كالاعتماد على الأحاديث الشريفة في اثبات اللغة .

كتـاب الأفعال لابـن القوطيـة :

أوله هذه المقدمة التي تصف جانبا مما كان عليه المؤلف من علم (١) :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآلـه ، قال أبو بكر محمـد ابن عمـر بن عبد العزيز رضي اللـه عنه : اعلم أن الأفعال أصول مباني أكثر الكلم وبذلك سمتها العلماء الأبنية ، وعلمها يحتدل على أكثر علم القرآن والسنة ، وهي حركـات مقتضيات والأسماء غير الجامدة والأصول كلها مشتقات منها ، وهي أقدم منها بالزمـان وإن كانت الأسماء أقدم بالترتيب في قول الكوفيين والجامدة التي لا يشتق منها فعل مثل : حجـر وباب وما أشبههمـا ، فانك لا تقـول : حجـر يحجـر ولا باب يبوب والبصريـون يقولون بقدم الأسماء ، وأن الأفعال مشتقة منها ، ولكل وجهـة .

ثم تحدث عن مضعف الثلاثي وصحيحـه ، وما في مضارع كل من أوجه ثم ذكر مصـادر الثلاثي بأوزانها ، وتحدث بعدها عن المصدر الميمي ، ثم عن الأفعال الرباعيـة ومصادرها وذكر الاعتلال واللزوم والتعدي وبين ما يكتب بالياء وما يكتب بالألف من مصادر الثلاثـي المعتل الآخر ، وألم ببعض مواضع قلب الواو ياء ، ثم ذكر أوزان الصفات في الألـوان والجمال والقبح والعلل والأمراض ، وذهب الى أن أقل ما بنيت عليه الأسماء والأفعـال ثلاثـة أحرف ، ثم أوجز أوزان المشتقات ، وبين في خاتمة المقدمـة أن " اعراب الفعـل بالرفع والنصب والجزم ولا يدخله الخفض ، اذ لا يكون الا بالاضافـة ، والاضافة انمـا تكون الى الشيء الثابت والفعل حركـة منقضيـة ، وأيضا فانه دلالـة فكرهوا أن يجمعوا بين دلالتين " .

وقـال بعد ذلـك (٢) :

هذا جملـة ما يحتاج اليه المتأدب في الأفعال وما يتصرف منه ، وبالله العـون ومنه التوفيق ، والحمد لله بجميع محامده ، وصلى الله على نبيه وسلم تسليما " .

(١) صفحة : ١ — ٨ .

وقد اعتمد ابن القوطية المتوفى سنة ٣٦٧ على الاستشهاد بالحديث الشريف في مواضع كثيرة من كتابه اللغوي • وقد خلا هذا الكتاب من الدراسات النحوية اذا استثنينا تلك العجالة التي صدره بها • لكنه من أقدم كتب اللغة التي ألفت في هذا النوع وقد نقل ابن القوطية في كتابه من الكسائي ومن المبرد • وذكر طائفة من الأمثال العربية الصحيحة • وكثيرا من الشعر الذي يحتج به • الى جانب القرآن الكريم والحديث الشريف •

شخصيته :

استعنت في كتابة المقدمة بكتاب " تاريخ افتتاح الأندلس " لهذا الرجل ولكني لم أطب نفسا ببعض ما قرأت في هذا الكتاب • فقد كان الرجل اماما في العربية • تصدر للتعليم — كما سبق — ولكني عثرت في تاريخه على هنوات ليست بهينة • ولا يصح أن تقبل من امام في العربية • تصدر لتعليمها • نبهت عليها في مواضعها •

وقد كان ابن القوطية في تاريخه متحاملا على المسلمين • لا يتورع عن ذكر ما يعيبهم • وقد ينفرد في بعض الحوادث بذكر أشياء تقشعر من هولها الأبدان •

وان المرء ليحار أمام عالم مسلم كابن القوطية • يكتب في تاريخه أحداثا يمكن أن تكون دليلا على الشك في هذا الرجل • بل على الشك في اخلاصه للعرب والمسلمين • فقد رأيت في كتابه (1) :

١ — " ومن أخبار الصميل أنه خطر يوما بمؤدب يؤدب الصبيان وهو يقرأ " وتلك الأيام نداولها بين الناس " فقال الصميل : " نداولها بين العرب " فقال له المؤدب : " بين الناس " فقال الصميل : وهكذا نزلت الآية ؟ فقال له : نعم • هكذا نزلت • قال الصميل : والله اني أرى هذا الأمر سيشركنا فيه العبيد والسفال والأراذل " •

فأول ما يلفت النظر في هذا النص رمي واحد من أبناء الدين بالجهل بالقرآن الكريم ومبادئه • ومحاولة التغيير والتبديل فيه وهذان أمران لهما من الخطورة مالهما في مبادىء الاسلام •

(1) تاريخ افتتاح الأندلس ص: ٦٣

ثم تلك العصبية الثائرة التي تفرق بين المسلمين مع أن الله قد سوى بينهم وجعل التفاضل بالتقوى ، فقال تعالى : " ان أكرمكم عند الله أتقاكم* " وقال الرسول صلى الله عليه وسلم " الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى " .

٢ـ وقد كتب ابن القوطية في موضع آخر من تاريخه يقول (١) :

الأمير عبد الله بن محمد كتب الى ديسم بن اسحق في تدمير ، ليدفع الجباية فتهاون .. وأمر أحد العرفاء بأن يقول : يأهل تدمير فيكم ديسم بن اسحق ؟ فقالوا : نعم ميسمك . فقال له القائد — أبقاه الله — يقول لك : ياكلب يابن الكلب ، بذلك السالفة فأبيت الا العناد ، حتى صرت سببا لذهاب أرواح هذه الجيف المطروحة (وطلب منه ضعف ماكان عليه ، فأطاع وأتاه بالمال في عشاء اليوم) .

فهذه القصة تدل على منتهى الصرامة والقسوة في تحصيل الجباية ، كما تدل على عدم المبالاة بالضحايا في سبيل ذلك ، الى جانب الاهانة البالغة على رؤس الأشهاد مما يتنافى مع ماعرف عن المسلمين من أخذ العفو والأمر بالعرف والاعراض عن الجاهلين واتخاذ الحكمة والموعظة الحسنة دستور حكم لهم .

٣ـ واني لأعجب أشد العجب من تفرد ابن القوطية برواية الحادثة الآتية التي لاتحتاج الى تعليق عليها تلك هي (٢) :

فلما جاوز طارق وصار بحدو الأندلس ، كان أول ما افتتحه مدينة قرطاجنة بكورة الجزيرة فأمر أصحابه بتقطيع من قتلوه من الأسرى وطبخ لحومهم في القدور وعهد باطلاق من بقي من الأسرى فأخبر المنطلقون بذلك كل من لقوه فملأ الله قلوبهم رعبا ثم تقدم فلقى لوذريق .

ولست أدري ألصقت التهمة بالرجل أم هو منها براء ، فان كانت الأولى فأمره مفوض لربه وحسابه على الله ، ومع هذا فاني أضيف الى ذلك ما عددته من طلائع التعصب ضد العرب ما كتبه ابن القوطية في تاريخه اذ يقول (٣) :

---

(١) تاريخ افتتاح الأندلس ص : ١٢٥ ، ١٢٦ * سورة الحجرات آية ١٣
(٢) المرجع السابق ص : ٣٤ ، ٣٥

٤ - " أمية بن عيسى بن شهيد ، فمن أخباره أنه خطر بدار الرهائن المجاورة لباب القنطرة ، ورهائن بني قسي ينشدون شعر عنترة ، فقال لبعض الأعوان : آتني بالمؤدب[(١)] .

فلما نزل في قراش المدينة وأتاه المؤدب ، فقال[(٢)] له : لولا أني أعذرك بالجهل لأدبتك ، تعمد الى شياطين قد شجي بهم الخلفاء فترويهم الشعر الذي يزيدهم بصيرة في الشجاعة ، كف عن هذا ولا ترويهم[(٣)] الا خمريات الحسن ابن هانئ وشبهها من الأهزال " .

١٥ - الزبيدي :

" محمد بن حسن بن عبد الله ينتهي نسبه الى مذحج من اشبيلية ، سكن قرطبة فنال بها جاها عظيما ورياسة .. وقيد اللغة والأشعار عن أبي علي البغدادي ، وكان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة .. وقد قرئ عليه بعض كتب اللغة وعضها ألف ، وتوفي بأشبيلية سنة ٣٧٩[(٤)] "

" من الأئمة في اللغة والعربية . ألف في النحو كتابا سماه " الواضح " واختصر " كتاب العين " اختصارا حسنا ، وجمع في " الأبنية " وفي " لحن العامة " وفي " أخبار النحويين " كتبا مشهورة ، وفي غير نوع من الأدب ، وكان شاعرا كثير الشعر توفي قريبا من سنة ٣٨٠ روى عنه غير واحد منهم ابنه أبو الوليد محمد ، وأبو القاسم ابراهيم بن محمد بن زكرياء الزهري المعروف بابن الأفليلي النحوي[(٥)] "

قال السيوطي عن كتابه طبقات النحويين بعد ترجمته وذكر مؤلفاته[(٦)] : " وهو مجلد لطيف ، رأيته بمكة المشرفة ، وطالعته على هذه الطبقات " .

---

(١) كذا في الأصل والصواب ائتني

(٢) الفاء ليس لها موضع هنا .

(٣) الصواب : ولا ترويهم ، للجزم بلا الناهية .

(٤) تاريخ العلماء والرواة جـ ٢ ص : ٩٢

(٥) جذوة المقتبس : ٤٣ - ٤٥

وقال عنه محققه الأستاذ محمد أبو الفضل فى المقدمة (١) : " وقد ألف فى هذا الموضوع جماعة من العلماء ، منهم أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وابن درستويه ، والصيرفى ، وأبو الطيب اللغوى ، والمرزبانى ، وأبو عبد الله اليمنى ، وأبو البركات عبد الرحمن الأنبارى ، والقفطى ، وابن قاضى شهبة ، والسيوطى ، وغيرهم ، ولكنه لم ينهج واحد منهم نهج الزبيدى ، أو يسلك مذهبه فى تصنيفه وتبويبه ، فقد فصل بين النحويين واللغويين ، وجعل لكل بابا ، ومن جهة أخرى ذكر البصريين وحدهم ثم الكوفيين ، ثم المصريين ثم الافريقيين ، ثم الأندلسيين ورتبهم طبقات طبقة تلى طبقة ، مشيرا الى مدارسهم وشيوخهم موردا أخبارهم على طريق الرواية والنقل ، وكان أمينا فيما يروى أو ينقل من غير حشو أو فضول ".

وقال ابن خلكان فى ترجمة الزبيدى (٢) : " ولم يكن بالأندلس فى فنه مثله فى زمانه ، وله كتب تدل على وفور علمه منها " مختصر العين " و " طبقات النحويين واللغويين بالمشرق والأندلس من زمن أبى الأسود الدؤلى الى زمن شيخه أبى عبد الله النحوى الرياحى ، وله ... كتاب " لحن العامة " وكتاب " الواضح " فى العربية وهو مفيد جدا ، وكتاب الأبنية فى النحو ليس لأحد مثله . واختاره الحكم المستنصر بالله صاحب الأندلس لتأديب ولده .. وقال أبو بكر الزبيدى منه دنيا عريضة ، وتولى قضاء اشبيلية وخطة الشرطة وحصل له نعمة ضخمة ليسها بنوه من بعده زمانا ... وكان قد قيد الأدب واللغة على أبى على البغدادى المعروف بالقالى .. لما دخل الأندلس وسمع من قاسم بن أصبغ ، وسعيد بن فحلون ، وأحمد بن سعيد بن حزم وأصله من جند حمص المدينة التى بالشام .. توفى سنة ٣٧٩ هـ وله ترجمة فى انباه الرواة (٣) .

وقد ذكره المقرى فى ترجمة القالى فقال (٤) : " وممن أخذ عن أبى على القالى أبو بكر محمد الزبيدى صاحب كتاب " مختصر العين " وغيره ، وكان الزبيدى كثيرا ما ينشده :

---

(١) مقدمة طبقات النحويين ص : ٣ ، ٤

(٢) وفيات الأعيان جـ ٤ ص : ٧ (٣) جـ ٣ : ١٠٨ .

الفقر في أوطاننا غربة والمال في الغربة أوطان

والأرض شيء كلها واحد والناس إخوان وجيران

وترجمة الزبيدي واسعة ، وكان مؤدب المؤيد هشام ، وصفه بأنه كان في صباه في غاية الحذق والذكاء رحمه الله تعالى "٠

ثم أعاد المقري ذكره ، فنقل عن الفتح بن خاقان في المطمح (١) :

" قال رحمه الله في ترجمة أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي : امام اللغة والاعراب ، وكعبة الآداب ، أوضح منها في كل ابهام وفضح منها محل الأوهام ، وكان أحد ذوي الاعجاز ، وأسعد أهل الاختصار والايجاز منجم والأندلس في اقبالها والأنس أول تهممها بالعلم واحتبالها ، فنفقت له عندهم البضاعة ، واتفقت على تفضيله الجماعة ، وأشاد الحكم بذكره ، فأورى بذلك زناد فكره ، وله " اختصار العين " للخليل ، وهو معدوم النظير والمثيل " ولحن العامة ، " طبقات النحويين " وكتاب " الواضح " وسواها من كل تأليف مخجل لمن أتى بعده فاضح . وله شعر مصنوع ومطبوع ، كأنما يتفجر من ينبوع "٠

ثم امتدح المقري صنيع الزبيدي بكتاب العين في موضع آخر فقال (٢) :

" .. وكان كتاب " العين " للخليل مختل القواعد ، فامتعض له هذا الامام (أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي) وصقل صدأه كما يصقل الحسام ، وأبرزه في أجمل منزع حتى قيل هذا ما أبدع ، وله كتاب في النحويين " الواضح " وسيره الحكم المستنصر مؤدبا لولده هشام ، وبالجملة فهو بالمغرب بمنزلة ابن دريد في المشرق "٠

ومن شعره الذي وجهه الى الوزير أبي الحسن جعفر بن عثمان المصحفي حين كتب له كتابا فيه " قاضت نفسه " بالضاد مبينا له الخطأ دون تصريح (٣) ..

قل للوزير السني محتده لي ذمة منك أنت حافظها

---

(١) نفح الطيب ج ٩ ص : ٢٤٩

(٢) المرجع السابق ج ٥ ص : ٢٤

ثم قـال :

لاتدعمن حاجتي بمطرحـة ... فان نفسي قد ناظ فانظهـا

فأجابه المصحفي بشعر مدحه فيه وبأنه فريد في الحفاظ على اللغة وبأنه أعظم من الجاحظ والمبرد منه بيان الشاهد . فأجابه الزبيدي وضمن شعره الشاهد على ذلك .(١)

وقد ذكر السيوطي في كتاب " المزهر " هذه الفائدة :(٢)

(قال أبو الحسن الشاري في فهرسته : كان شيخنا أبو ذر يقول : المختصرات التي فضلت على الأمهات أربعة : مختصر العين للزبيدي ، ومختصر الزاهر للزجاجي ، ومختصر سيرة ابن اسحاق لابن هشام ، ومختصر الواضحة للفضل بن سلمة " وقد ترجم له الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر ، ثم قال عنـه :(٣)

وكان الشعر أقل أدواته فما أنشدت له في تكذيب منجم :

يقول المنجم لي : لاتسـر ... فانك ان سرت لاقيت ضـرا

فان كان يعلم أني أسـير ... فقد جاء بالنهي لغـوا وهجـرا

وان كان يجهل سيري فكيف ... يرانى اذا سرت لاقيت شـرا ؟

وله في رثاء شيخه أبي علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي قصيدة جزلة الألفاظ ، كثيرة الغريب ، صاغها صوغ فحول العرب ، وضمنها قطعة من غريب كلامهم وهي قصيدة طويلة أولها :

تاللـه لايبقى لصرف الـدهر ... ذو وحـد في رأس نيق منيـف

شخصيـة الزبيـدي :

كان الزبيدي صاحب شخصية فذة في ذلك التاريخ البعيد ، أجمع المؤرخـون على علو رتبته في ميدان العلوم والآداب ، وأشادوا بماله من فضل على العلم ، حتى

---

(١) نفح الطيب جـ ٥ ص : ١٥٢ (باختصار)

(٢) جـ ١ ص : ٨٧ .

قرروا أنه لم يكن في الأندلس في زمانه مثله ، ولقد كانت هذه الشخصية الفذة سببا في أن اختاره الحكم المستنصر بالله لتأديب ولي العهد هشام المؤيد بالله ، وطبعه بطابع الكمال والمزة ، وكانت هذه الشخصية كذلك سببا في توليه قضاء أشبيلية وخطة الشرطة بها ، ثم كانت مكانته العلمية الممتازة سببا في اتجاه المستنصر بالله اليه ، ولجوئه اليه في تأليف كثير من المصنفات القيمة .

أ - ففي مقدمة كتاب طبقات النحويين واللغويين قال الزبيدي[(١)] :

" وان أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله - رضي الله عنه - لما اختصه الله به ومنحه الفضيلة فيه من العناية بضروب العلوم ، والاحاطة بصنوف الفنون أمرني بتأليف كتاب يشتمل على ذكر من سلف من النحويين واللغويين في صدر الاسلام ثم من تلاهم من بعد الى علم جرا ، الى زماننا هذا ، وأن أطبقهم على أزمانهم وبلادهم بحسب مذاهبهم في العلم ومراتبهم ، وأذكر مع ذلك موالدهم وأسنانهم وعدد أعمارهم وتاريخ وفاتهم على قدر الامكان في ذلك ، وبحسب الادراك له وأجلب جملة من نتف أخبارهم وتاريخ وفاتهم ، والحكايات المتضمنة لفضائلهم ، المشتملة على محاسنهم ، ليكون ذلك شكرا لجميل سعيهم وحميد مقامهم ، اذ كان ذلك من حقهم على من أدوا اليه علمهم ، وأعطوا في صلاحه جهدهم وكان في تقييد أخبارهم ، وتخليد مآثرهم ما يبقى لهم لسان الصدق الذي هو بدل البقاء والخلد ، وقد قال الله عز وجل حكاية عن ابراهيم صلى الله عليه وسلم " واجعل لي لسان صدق في الآخرين "[(٢)] ثم قال الأول :

فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم باحساننا ان الثناء هو الخلد "

ثم ذكر الزبيدي أنه ألف هذا الكتاب وأن أمير المؤمنين أعانه عليه ، وختم المقدمة بالدعاء البليغ له والتنويه بفضله على العلم وأهله .

---

(١) ص : ٩ .
(٢) سورة الشعراء آية رقم : ٨٤ .

ب ــ وفي مقدمة كتاب " مختصر كتاب العين " قال أيضا ، بعد حمد الله ، والصلاة على رسوله وجميع أنبيائه ، والاستهداء بالله والاعتماد عليه قال[1] :

" هذا كتاب أمر بجمعه وتأليفه أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله ــ أطال الله بقاءه ــ عناية منه بالعلم وتهمما به ، ورغبة في نشره والانتفاع بفائدته ، وذهب فيه الى اختصار الكتاب المعروف بكتاب العين ، المنسوب الى الخليل بن أحمد الفراهيدي بأن تؤخذ عيونه ويلخص لفظه ، ويسهل حفظه ، ويخف على الطالب جمعه " .

ثم ختم هذه المقدمة بأنه سيصلح ما في الكتاب من اختلال ، ويرفع للخليل قدره ، اذ نسب الخلل الواقع فيه لغيره .

ج ــ وفي مقدمة كتاب الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية والزيادات على ما أورده فيه مهذبا قال الزبيدي بعد أن سمى الله وحده وصلى على نبي الرحمة وخاتم الرسالة[2] :

" أما بعد فاني رأيت علماء النحو في زماننا هذا وما قاربه قد أكثروا التأليف فيه وأحالوا القول على معانيه فأملوا الناظرين وأتعبوا الطالبين بتكرار معان قد بنيت وركوب أساليب قد نهجت فلم يخل أكثرهم بشهير اعادة ما تقدم اليه والتكثير فيما سبق الى القول عليه وقد كان ينبغي لمن هم بذلك منهم أن يتصفح كتاب عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه فينظر الى مبادئ كتابه وعنوانات أبوابه ويرى لطائف معانيه ودقائق حجاجه الى الايجاز في قوله والايجاب لمراده فيزجره ذلك ان كان ذا حجى عن تكلف ما لا حاجة اليه ويمنعه الاعتناء بما لا معول عليه وقد كنت أيام مطالعتي هذا الكتاب كلفا بما تضمنه من أبنية الأسماء والأفعال التي هي زمام الكلام والسور المضروب دونه والحد المنتهى اليه فاستخرجتها يومئذ مختصرة منه ليقرب حفظها لمن آثر أن يقف على معرفة البناء السوي من الدخيل : اما من مصنوع فولط به أو أعجمي أقحم فيه وكان جلة المشايخ من أهل النحو فيما رأينا منهم يزعمون أن ما ألفه سيبويه منها يستوفي جميع أبنية الكلام ما خلا ثلاثة أبنية شذت عن جميعه فاستقصيت البحث عن ذلك وأمعنت النظر فيه فألفيت نحو الثمانين

---

(1) ورقة : 1

(2) ورقة : 201

بناء لم يذكرها سيبويه في أبنيته ولا دل عليها أحد من النحويين من بعده فرأيت أن أفرد في الأبنية كتابا ألخص ذكرها فيه وأبدأ بما يجب أن يكون صدرا لها ومدخلا اليها مما يشاكلها وينتظم بها بل هو أصل له وهي فرع منه مبنية عليه وذلك أن أبتدئ بذكر أقل أصول الأسماء والأفعال والحروف وأكثر أصولها غير مزيدة وأقصى ما تنتهي اليه بالزيادة ونذكر حروف الزيادة والبدل ثم نعقب من بعد بأبنية الأسماء والأفعال على على حسب ما ذكرها سيبويه بناءا بناء ونعد ما نورد منها في كل باب حتى تأتي احاطة العدد على جميع أبنية الأسماء والأفعال ، ونذكر باثر كل باب منها ما أغفله سيبويه من أصول الأبنية فيه وما خطر عليه من أمثلة النعوت أو الأسماء وندل في خلال ذلك على ما اختلف فيه قوله وما نقض به أصله ثم نشرح بعد كل باب منه ما وقع فيه من غريب الأبنية شرحا مختصرا كافيا وان كان أهل اللغة قد تحاموا شرحها وتفادوا من تفسير غريبها وشهدوا لسيبويه بالتقدم في علم اللغة بما أثبته في كتابه منها حين أيقنوا أنه لم يعن بنقلها الا بعد احاطته بعلمها وتفسير مشكل غريبها وقد أرجأنا منها شرح حروف يسيرة لم ينته الينا علمها فأتينا بها في أوجز الأبواب ولم نيأس بعد من ادراكها عند استقصاء البحث عنها ان شاء الله تعالى .

ولعل عاقلا يتوهم أنا ادعينا مداناة سيبويه في علمه أو موازنته في نفاذه وفهمه بما زدنا عليه من الأبنية التي أغفل ذكرها ولما دللنا عليه من تناقض في بعض قوله أو بمعارضتنا له في اليسير من معانيه فيخالنا أفكا ويظن بنا عجزا ، وأنى لنا بما توهمه : وانما تكلمنا على أصوله وعارضنا بعض قوله ببعضه ، ورددنا عليه من علمه ، والاحاطة على البشر ممتنعة ...".

كان الزبيدي في هذه البلاد أحد الأعلام الذين قامت على أكتافهم نهضتها ، ونمت بجهودهم مكانتها ، فكم له من أثر فيها ، وكم له من طالب علم تتلمذ عليه أو تتلمذ على كتبه .

ومن مقدمة الاستدراك تبدو المعالم واضحة لتلك الشخصية المتكاملة فالتي تعطي سيبويه حقه وتعلي درجته وتبدي تواضع الزبيدي في أدب جم حريص على اذاعة

العلم والانتفاع به على أكمل وجه وقد بدأ أثر الزبيدى واضحا فى كل ما قدم للعلم من أياد .

أثر الزبيدى فيمن بعده :

فقد ذكره السيوطى فى كتابيه : الأشباه والنظائر فى النحو ، والهمع ،
ففى كتاب الأشباه والنظائر قال[1] :

" قال السهيلى : قول عبد المطلب :

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

فيه رد على ابن النحاس والزبيدى ومن قال بقولهما حيث منع اضافة آل الى الضمير ، لأنه يرد الشيء الى أصله ، وأصله أهل . وما وجدنا قط ضميرا يرد معتلا الى أصله الا أعطيتكموه ، وليس من هذا الباب فى ورد ولا صدر " .

وقد ذكر السيوطى مثل ذلك فى الهمع أيضا[2] .

ومما ورد فى الهمع غير ذلك[3] :

أ- " والمختار جواز اضافة ذو بمعنى صاحب الى ضمير ، كما يفهم من كلام أبى حيان أن الجمهور عليه كقوله :

انما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه

.. خلافا للكسائى والنحاس والزبيدى والمتأخرين فى منعهم ذلك الا فى الشعر ، وجزم به الجوهرى فى الصحاح ، وفى رؤوس المسائل بعد نقله المنع عن الثلاثة المذكورين وأجازه غير هؤلاء " .

ب- ونقل عنه من كتاب الأبنية[4] : " .. وفعل : قال سيبويه : لم يجيء منه فى الصفة الا قوم عدى . واستدرك عليه : " دينا قيما "[5] . ولحم زيم ، أى متفرق . و " مكانا سوى "[6] و " طرائق قددا "[7] . وماء صرى ، أى طال مكثه . وابل : قال سيبويه[8] : " ويكون فعلا فى الاسم نحو ابل وهو قليل ، لانعلم

---

(١) ج١ ص : ٢٤٨ (٢) ج١ ص : ٥٠ ، ٥١
(٣) ج١ ص : ٥٠ (٤) همع الهوامع ج١ ص : ١٥٩
(٥) سورة الأنعام آية رقم : ١٦١ . (٦) سورة طه آية رقم : ٥٨

في الأسماء والصفات مقصوره " . واستدرك عليه : اطل . للخصر ، وملص ، للهلوم ،
ولا أنمله أبد الابد ، ورئد وشط واشر : لغات ، وفي الصفة : امرأة بلز ، أي ضخمة ،
وأتان ابد ، أي ولود .

جـ ـ وقال في موضع آخر(١) :

وفعالى بالضم والتخفيف ، ولم يرد وصفا بل اسما نحو : حبارى . لطائر

وجمعا نحو : سكارى . وزعم الزبيدي أنه ورد وصفا نحو : جمل علادى أي شديد ضخم .

وممن نقلوا عن الزبيدي من كتاب لحن العامة البغدادي صاحب الخزانة

قال(٢) :

أ ـ قال أبو بكر الزبيدي في كتاب " لحن العامة " لا يجوز أن تدخل اللام
على ذو ، ولا على ذات في حال افراد ولا تثنية ولا جمع ، ولا تضاف الى المضمرات
وانما تقع مضافة الى الظاهر ، وقد غلط في ذلك أهل الكلام وأكثر النحويين من الشعراء
والكتاب والفقهاء . فأما قولهم في ذي رعين وذي أصبح وذي كلاع : الأذواء وقوله :

ولكني أريد به الذوينا(٣)

فليس من كلامهم المعروف ، ألا ترى أنك لا تقول : هؤلاء أذواء الدار ، ولا مررت بأذواء
المال ، وانما أحدث ذلك بعض أهل النظر كأنه ذهب الى جمعه على الأصل لأن أصل
ذو ذوا فجمعه على أذواء مثل قفا وأقفاء ، وكذلك الذوون كأنه جمعه مفردا وأخرجه
مخرج الأذواء في الانفراد ، وذلك غير معقول لأن ذو لا تكون الا مضافة . وكما لا يجوز
أن تقول هذا الذو والذوان تفرد فكذلك لا تقول الأذواء ولا الذوون ، لأن ذو لا تكون
الا مضافة وكذلك جمعها . اهـ

والصحيح عند سيبويه ومن تبعه جواز جمع ذو في نحو ذي رعين مما هو جزء
علم على الأذواء والذوين كما في شعر الكميت وهو عربي فصيح . ومراد الزبيدي بتغليط
من ذكر أنهم يقولون : الذات وذاته فيدخلون اللام عليه ويضيفونه الى الضمير وهو
مؤنث ذو . وهذا جائز أيضا ، وان توقف فيه أكثر الناس .

---

(١) همع الهوامع جـ ٢ ص : ١٧١
(٢) خزانة الادب جـ ١ ص : ٦٧
(٣) صدر هذا البيت : فلا أعني بذلك أسفليكم .

ب - وفي موضع آخر يقول البغدادي :(١)

" وقال أبو بكر الزبيدي في كتاب " لحن العامة " : ويقولون للحظيرة تكون في الدار : كَيرا ، ويجمعونه : أحيارا ، والصواب حائر ، وجمعه حوران ، وحيران ، وبالبصرة حائر الحجاج معروف في قوله :

صعدة نابتة في حائر أينما الريح تميلها تمل "

ومما نقل عن كتاب " لحن العامة " للزبيدي فيما ذكر آنفا نستنبط أنه كتاب من كتب النحو ، يظهر فيه حرص صاحبه الشديد على سلامة اللغة الفصحى وحياطتها بسياج متين يقيها شر اللحن ويمنع عنها عدوان التغيير والتبديل .

ولكن الزبيدي لم يكن بدعا فيما ألف من " لحن العامة " بل انه " لما كتب أبو بكر الزبيدي كتابه في لحن العامة كان بين يديه كتاب أبي حاتم السجستاني الذي يحمل العنوان نفسه تقريبا : " ما تلحن فيه العامة " ، وقد عاب الزبيدي على السجستاني أنه انحرف عن القصد الذي ألف الكتاب من أجله ، وهو (تقويم ما فسد من أهل عصره) فانصرف الى (تفسير الغريب وتصريف الأفعال وتوجيه اللغات ، فكان الكتاب مؤلفا لغير ما نسب اليه وعرف به) وأراد الزبيدي أن يتجنب هذا الانحراف فقال : ثم نظرت في المستعمل من الكلام في زماننا وأفقنا ، فألفيت جملا لم يذكرها أبو حاتم ولا غيره من اللغويين ، فيما نبهوا اليه ، ودلوا عليه ، مما أفسدته العامة عندنا ، فأحالوا لفظه أو وضعوه غير موضعه ، وتابعهم على ذلك كثرة الخلائق ، حتى ضمنته الشعراء أشعارهم ، واستعمله جلة الكتاب وأهل الخدمة في رسائلهم ، وتلاقوا به في محافلهم ، فرأيت أن أنبه عليه ، وأبين وجه الصواب فيه ، وأن أفرد لما يحضرني منه كتابا أحصره به وأجمعه فيه وأدع اجتلاب ما أفسده دهماؤهم وسقاطهم ، مما عسى ألا يعزب عمن تمسك بطرف من الفهم اذ لو استوعبنا ذلك لطال الكتاب به ، وانما نذكر ما يتوقع الغلط من الخاصة فيه(٢) " .

★ [illegible]

(١) خزانة الأدب ج ١ ص : ٤٥٨

كتـاب الواضـح :

ومن آثار الزبيدي التي كتب الله لها الخلود كتاب الواضح في النحو ، ذكره صاحب كشف الظنون (١) . وقد عثر على نسخة منه في المكتبة المتوكلية اليمنية بالجامع الكبير بصنعاء تحت رقم (١٧١) ، و"منه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية عن الأصل المحفوظ بمكتبة الجامع المقدس بصنعاء" (٢) وهذه الصورة مودعة بدار الكتب تحت رقم (٢٢٠ ميكروفيلم) .

وقد قرأت في فهرس الأسكوريال ما يأتي (٣) :

" الواضح في النحو : أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي .

هذا كتاب منسوخ من كتاب الواضح في النحو : باب أقسام الكلام . أقسام الكلام كله ثلاثة : اسم وفعل وحرف جاء لمعنى فالاسم قولك رجل وفرس وحمار وزيد وعمرو وما أشبه ذلك . وعدد صفحاته (٢٢٤) في كل صفحة (١٩) سطرا .

وقد حاولت الحصول على صورة له من مكتبة الأسكوريال عن طريق معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، منذ أكثر من عامين وأبديت الاستعداد لسداد تكاليف الصورة ، ولكن ...

والعنوان الذي وجد على النسخة اليمنية هو : " الواضح في علم العربية " وفي أولها قبل باب أقسام الكلام قوله : " بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله أولا وأخيرا " وعدد أوراقه (١٧١) وهذه الفروق تجعلنا نقول : إنهما نسختان مختلفتان ، يجب أن تجتمعا لتكونا عونا على تحقيق هذا الكتاب ونشره ، لأنه من خير المختصرات التي يجب أن تستغل للتعليم ، فليس فيه حشو ولا اكثار ولا تعقيد ولا عناية بذكر الخلاف ، فهو كما قال عنه ابن حزم في معرض بيان ما يجب أن يتعلمه كل انسان :

---

(١) المجلد الثاني : ١٩٩٥

(٢) مقدمة طبقات الزبيدي : ٥

(٣) جـ ٢ ص : ١١١٦ ، ١١١٧ .

* أقل ما يجزئ من النحو كتاب الواضح *

وفيما يلى نصوص من هذا الكتاب أنقلها دليلا على ما فيه من سهولة الأسلوب ووضوح العبارة . قال الزبيدى :

١- باب الفعل الذي يتعدى فاعله الى مفعول واحد :

واذا كان الفعل مما يتعدى فاعله الى مفعول يقع به فارفع الفاعل بفعله على ما تقدم وانصب المفعول لوقوع الفاعل عليه فتقول : ضرب زيد عمرا . ضرب فعل ماض ، ورفعت زيد لأنه الفاعل الذى ضرب ، ونصبت عمرا لأنه المفعول الذى وقع عليه الضرب كذلك : شتم أخوك خالدا . شتم : فعل ماض وأخوك : فاعل ، وخالدا مفعول به .(١)

٢- باب الخفض :

الحروف والظروف والأسماء تخفض ما يليها من الأسماء فنحو : خرجت من الدار الى المسجد . خرجت : فعل وفاعل ، ومن : حرف يخفض ، والدار خفض بمن والى حرف يخفض والمسجد خفض بالى . وحدثته بالخبر عن أبيك . حدثت : فعل وفاعل بالخبر يخفض بالباء الزائدة ، وعن حرف يخفض ، وأبيك خفض بعن . وجلست فى الدار على الكرسى . جلست فعل وفاعل . وفى حرف خفض ، والدار خفض بعلى .(٢) وتقول رب رجل أكرمت . رب حرف خفض ، ورجل خفض برب ، وأكرمت فعل وفاعل(٣) ..

٣- باب العطف :

اذا عطفت اسما على اسم حملته عليه وأعربته باعرابه ، وحروف العطف الواو والفاء ثم وأو وبل ولا ، وهى تعطف الأسماء والأفعال بعضها على بعض فأما الواو والفاء وثم فتدخل المعطوف فى معنى ما عطف عليه تقول : جاء زيد وعمرو . جاء فعل ماض . وزيد فاعل . وعمرو معطوف عليه بالواو وداخل معه فى معناه ، ولا تدل الواو على أن مجئ زيد كان قبل عمرو أو بعده أو معه(٤) ...

---

(١) الواضح ورقة رقم : ٥

(٢) الواضح ورقة رقم : ١٠

(٣) كذا فى الأصل وتكملة العبارة لاتخفى .

٤ ـ باب الابتداء وخبره (١) :

اذا ابتدأت اسما تخبر عنه ، ولم توقع عليه عاملا فارفع ذلك الاسم بالابتداء ، فان أخبر عنه بشيء من أسماء أو نعوت فارفعه لأنه خبر الابتداء ، تقول زيد منطلق . زيد مبتدأ ، ومنطلق خبر الابتداء ، وكذلك : أخوك وصاحبك منطلقان ، والمرأتان قائمتان ، واخوتك قادمون ، وأصحابنا قاعدون ، رفعت هذا كله بالابتداء وخبره .

(فصل) فان كان الخبر فعلا أو ظرفا أو اسما مجرورا بحرف تركته على حاله ، وكان في موضع رفع لأنه خبر الابتداء ، ولا بد من أن يكون فيه ذكر من الاسم الأول المبتدأ يرجع اليه ، ويتعلق به تقول زيد (كلام غير واضح) هو والضمير مرفوع لأنه للفعل والفعل واسم الفاعل هو خبر الابتداء به تمام الكلام . ومثله : أخوك خرج ، وصاحبك يقوم وتقول : أخواك انطلقا . أخواك ابتداء ، وانطلقا فعل ماض ، والألف ضمير الفاعلين مرفوع بفعله ، والفعل والألف التي هي ضمير الفاعلين خبر الابتداء ، وكذلك قومك خرجوا . الواو في خرجوا ضمير القوم ، وهو مرفوع بفعله ، وكذلك أصحابك يغزون ، واخوتك ينطلقون .

(فصل) وتقول في الظروف والأسماء المجرورات : زيد في الدار . زيد ابتداء ، وفي الدار خفض بفي ، وخبر الابتداء في الجار والمجرور لأنه تمام الكلام وكذلك قولك : عمرو عندك . عمرو ابتداء ، وعند ظرف ، والكاف خفض وخبر الابتداء في الظرف ، ومثله أخواك في منزلنا ....

٥ ـ باب عسى وكاد (٢) :

اعلم أن عسى فعل ماض ، ولكنه لا يتصرف تصرف الأفعال ومعناه الطمع والترجي لما تستقبله ، تقول : عسى زيد أن يأتي . فزيد رفع بعسى ، وأن يأتي خبر عسى ، وعسى أخواك أن يخرجا ، وعسى اخوتك أن يقوموا ، وعسيت أن تذهب معي ، وعسيتم

---

(١) الواضح ورقة رقم : ١٦

(٢) الواضح ورقة رقم : ٨١

أن تفعلوا كذا ، وإن شئت قلت : عسى أن يقوم زيد ، فأن في موضع رفع بعسى ، وكذلك :
عسى أن تخرجوا معى ، ولا يحسن اسقاط أن من قولك عسى زيد أن يقوم الا في ضرورة
كما قال الشاعر : [هدبة بن الخشرم]

عسى الكرب الذى أمسيت فيه   يكون وراءه فرج قريب(١)

فأما كاد فمعناها المقاربة لشيء تقول : كاد زيد يقوم ، وكاد أخوك يغضب، ولا يحسن
ادخال أن في الفعل الا عند الضرورة كما قال الراجز : [رؤبة]

قد كاد من طول البلى أن يمصحا(١)

وأما لعل فالأحسن الا تأتى معها بأن ، تقول لعل زيدا يقوم ، ولعل أباك يقعد ،
ولا تقول : أن يقوم ، ولا أن يقعد ، الا ان اضطر شاعر فيشبهها بعسى لقرب
معناها منها .

٦ — باب من أبواب أن في العطف(٢) :

تقول : ان زيدا منطلق وعمرا ، تنصب عمرا بالعطف على زيد وتضمر الخبر
كأنك قلت : وان عمرا منطلق ، وان شئت قلت : وعمرو ، ترفعه على الاستئناف
والابتداء تريد : وعمرو منطلق أيضا ، وان شئت رفعت عمرا على العطف
على الضمير الذى في منطلق ، لأن في منطلق ضميرا مرفوعا بفعله ، كأنك قلت : هو وعمرو،
وكذلك تفعل في لكن ، وتقول : ليت زيدا منطلق وعمرا فيجوز في عمرو جميع ما جاز
في ان في المسألة التى ذكرت لك ، الا الرفع على الابتداء فانه لا يحسن في ليت ولا لعل
ولا كأن ، وذلك لأن لها معاني خصصت بها ، فليت للتمنى ، ولعل للتوقع ، وكأن
للتشبيه ، فاذا استأنفت الاسم بالابتداء زال عنه المعنى الذى في الاسم الأول من
التمنى وغيره من المعانى ، وانما المذهب أن تدخل الثانى في مثل معنى الأول فأما
ان ولكن فمعناهما تأكيد الابتداء ، فاذا ابتدأت الثانى لم تخالف الأول
في معناه .

---

(١) من شواهد الكتاب ص: ٤٧٨ جـ ١ .

٧ ـ باب وجوه القوافي (١) :

اعلم أن الشعر انما وضع للغناء والترنم والحداء ، فاذا أرادت العرب الترنم بالشعر ألحقوا بالقافية المجرورة ياء ، وفي المنصوبة ألفا ، وفي المرفوعة واوا ، وذلك اذا كانت القافية مطلقة ، يفعلون ذلك بما ينون وبما لا ينون ، وبما فيه الألف واللام ، وينشدون :

أقلي اللوم عاذل والعتابا (٢)

وينشدون :

سقيت الغيث أيها الخيامو

وكذلك :

هيهات منزلنا بنعف سويقة كانت مباركة من الأيامي

ومن العرب من يجري القوافي مجرى الكلام فيقول :

أقلي اللوم عاذل والعتاب

وذلك اذا لم يرد الترنم ، ومنهم من يدع ذلك على حاله في الترنم ، وهم أهل الحجاز ومنهم من يبدل مكان المد التنوين فيقول :

أقلي اللوم عاذل والعتابن

وقولي ان أصبت : لقد أصابن

وكذلك من العرب من يحذف ياء الأصل اذا كانت بعد القافية مثل ياء يقضي ويفتري ، كما يحذف الياء الزائدة في قوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... (*)

٨ ـ باب من الهجاء في بنات الياء والواو (٣) :

اعلم أن ما كان من هذا الباب من الأسماء والأفعال الثلاثية على وزن فعل مفتوح العين ، وكان أصله الواو كتبته بالألف وان كان أصله الياء كتبته بالياء ، وتعتبر

---

(١) الواضح ورقة رقم : ١٦٢ (٢) من شواهد الكتاب جـ ٢ ص : ٢٩٨ .

(٣) الواضح ورقة رقم : ١٧١ .

ذلك بالتصريف والتثنية والجمع ، فان كان منه مالا يعلم له تصريف ، ولا يجوز فيه تثنية ولا جمع ، فان كانت الامالة لاتجوز فيه كتبته بالألف[1] .. وآخر ما وجد في هذه النسخة قوله[2] :

وتكتب الرحا بالألف والياء لأنك تقول : رحيت الرحا ورحوتها ، وتكتب الرضا بالألف لأن أصلها من الرضوان وتكتب بلى وسوى بالياء لأن الامالة فيهما .

هذا وقد اتبع الزبيدي سيبويه[3] والمبرد[4] فعد ان وأخواتها خمسة فقال[5] : باب الحروف الخمسة التي تنصب الأسماء وترفع الأخبار وهي : ان وليت ولعل وكأن ولكن ".

وجعل حتى واللام من الأدوات التي تنصب الفعل المضارع بنفسها قال[6] :

باب الحروف التي تنصب الأفعال ، وهي أن ، ولن ، واذن ، وكي ، وكيلا ، وكيما ، ولكيما ، ولكيلا ، وحتى ، واللام التي بمعنى كي واللام التي تأتي بعد الجحود ، فهذه الحروف تنصب الأفعال المستقبلة ... أتيت لتقوموا الى عمرو ، تقوموا نصبت باللام التي بمعنى كي ، ونصبه بطرح النون التي في تقومون ... وتقول ما كنت لتضربي أخاك ، تضربي نصب بلام الجحود ... لن أقوم اليك حتى تكلمني ، تكلم نصب بحتى ...

وفي باب الاستثناء وجدت ما يشبه التناقض في كلامه قال[7] : ينصب المستثنى لأنه مفعول به .

اذا استثنيت بالا واحدا من جمع أو قليلا من كثير ، وكان الكلام واجبا لا نفي قبله فانصب الاسم المستثنى لأنه مفعول به ، تقول : جاء القوم الا زيدا ، القوم فاعلون ، والا حرف معناه الاستثناء ، وزيدا نصب بالاستثناء ، وكذلك خرج أصحابك الا عمرا ، وتفرق المال الا أقله ، ومررت باخوتك الا بكرا ، ورأيت جيرانك كلهم الا بشرا نصبت هذه الأسماء كلها لأنها مستثنيات .

---

(١) الواضح ورقة رقم : ١٧١ (٢) المرجع السابق .

(٣) الكتاب جـ ١ ص : ٢٧٩ (٤) المقتضب : ٧٣٣

(٥) الواضح ورقة رقم : ١٩ (٦) الواضح ورقة رقم : ٢٩

وانما قلت ما يشبه التناقض لأن الزبيدى لم يتعرض لعامل النصب فى المستثنى ، وقد نقض تعليل النصب للمستثنى بأنه مفعول به بقوله فى آخر العبارة : " نصبت هذه الأسماء كلها لأنها مستثنيات " ولعل الزبيدى متردد بين رأى سيبويه ورأى المبرد :

يرى سيبويه أن العامل فيما بعد " الا " النصب هو ما قبله من الفعل أو ما فى معناه ، بواسطة الا ، (١) وخالفه المبرد فى ذلك فجعل " الا " بدلا من الفعل فهى العاملة ، لأنها فى قوة قولنا : لا أعنى أو أستثنى . (٢)

وفى حديثه عن حبذا ذكر رأيا مخالفا لرأيه فقال (٣) :

" وأما حبذا فمعناها المدح ، وأصلها حب ذا الشىء ، حب فعل ماض وذا اسم المشار اليه ، ثم كثر استعماله حتى صار حب وذا كلمة واحدة ، وصارت " ذا " كالباء من " ضرب " فارتفع ما بعدها من الأسماء بها ، تقول : حبذا عبدالله ، فعبد الله رفع بحبذا ، وكذلك : حبذا الرجلان ، وحبذا المرأتان ، وزعم قوم أن عبد الله ابتداء وحبذا خبره ، والذى قدمت أحب الى .

وقد يذكر القليل فى كلام العرب ، ولكنه ينبه الى أنه قليل ، ومثال ذلك ما ذكره فى باب الفاعل قال (٤) :

اعلم أن من العرب من يقول : قاما أخواك ، وجاءوا قومك وقامتا المرأتان ، فتلحق الفعل المقدم علامة للاثنين والجمع كما ألحقوا علامة التأنيث حين قالوا : قامت المرأة ، ولا حظ لهذه العلامات فى الاعراب على ما قدمت ذكره ، وذلك قليل فى كلامهم ، ومنهم أيضا من يقول : قام المرأة ، وجاء جاريتك فيكتفى بذكر المؤنث عن علامة التأنيث فى الفعل كما اكتفوا بالتثنية والجمع عن علامتهما فى الفعل ، وهذا فى المؤنث من الحيوان قليل ردىء ، فأما المؤنث من الموات فاسقاط التاء فى فعله كثير كقولك : أضاء الشمس واتقد النار ، والأكثر أن تقول : أضاءت واتقدت .

---

(١) الكتاب جـ ١ ص : ٣٦٩

(٢) المقتضب : ٩٠٤

(٣) الواضح ورقة رقم : ٥٤

(٤) [illegible] ١٢٠ .

وقد تعرض المسألة الخلافية فلا يذكر الا رأيه هو مثال ذلك قوله في باب من النسب لاياء فيه (١) :

قالوا لمن كان صاحب شيء يعالجه نحو : بزار ، وحناط ، وحجار ، ودقاق وربما نسبوه بالياء ... وربما بنوه على فاعل ، قالوا لصانع الدرع : دارع ، ولصاحب الفرس : فارس ، ونابل لذى النبل ، وتامر ولابن لصاحب التمر واللبن .

هذا كتاب الواضح في علم العربية للزبيدي ، عرضته بين يدى القارئ في سرعة وايجاز ، لأنه أقدم مؤلف نحوي عثرت عليه من مؤلفات نحاة الأندلس ، وقد جمع الكتاب أبواب النحو والصرف لم يند منها شيء ، وهو - بعد - جدير بأن يبذل الجهد لتحقيقه والانتفاع به ، لأن فيه مزايا وخصائص تيسر على الدارسين ادراك ما يحتاجون اليه في علم العربية وتقويم اللسان .

١٦ - أحمد بن أبان :

أحمد بن أبان بن سيد اللخمي ، صاحب الشرطة بقرطبة ، يكنى أبا القاسم ، عالم فاضل لغوي .. حدث بكتاب " الكامل " عن سعيد بن جابر ، وأخذ عن أبي علي كتاب " النوادر " وغير ذلك ، وكان ممتلئا بالآداب واللغات وروايتهما وتصنيفهما ، مقدما في معرفتهما واتقانهما . وكان مطلق القلم بالتصنيف فمن تصنيفه كتاب " العالم " في اللغة مائة مجلد على الأجناس - كتاب " العالم والمتعلم " في النحو . كتاب " شرح كتاب الكسائي " في النحو و" شرح كتاب الأخفش (٢) .

وقد ذكر السيوطي ابن أبان في نقل من نقوله ولكني لا أستطيع الجزم بأنه هذا ، قال (٣) :

---

(١) الواضح في النحو ورقة رقم : ١٥٣

(٢) جذوة المقتبس : ٣٨١ ، وانباه الرواة جـ ١ ص : ٣٠ ، الصلة جـ ١ ص : ١٤٠ ، ومعجم الأدباء جـ ٢ ص : ٢٠٢ ، بغية الوعاة ص : ١٢٦ .

(٣) همع الهوامع جـ ١ ص ١٠٣ .

وإذا دار الأمر بين كون المحذوف مبتدأ وكونه خبرا فأيهما أولى ؟ قـــال الواسطى : الأولى كون المحذوف المبتدأ لأن الخبر محط الفائدة . وقال المهدى : الأولى كونه الخبر لأن التجوز فى آخر الجملة أسهل نقل القولين ابن أبان ومثـال المسألة " فصبر جميـل[1] " أى شأنى صبر جميـل أو صبر جميل أمثل من غيره ؟

١٧ ــ ابن العريـف " الحسين "

الحسين بن الوليد بن نصر أبو القاسم بن العريف النحوى الأديب الشاعر أخـو الحسن السابـق .

قال ابن الفرضـــى :

كان نحويا عارفـا بالعربيـة ، مقدما فيها ، أخذ عن ابن القوطيـة الذى سبقت ترجمته ، وغيره[2] ، ورحل الى المشرق ، وسمع من أبى طاهر الذهلى وابن رشيق ، وأقـام بمصـر أعوامـا ، ثم عاد الى الأندلس ، فأدب أولاد المنصور محمد بن أبى عامر وكـان شاعرا ، وله حظ من الكلام ، مات بطليطلـة فى رجب سنة تسعين وثلاثمائـة .

وقال الحميدى فى تاريخ الأندلس :

امام فى العربية ، أستاذ فى الآداب ، مقدم فى الشعر ، وله فى الآداب مؤلفـات وله كتاب فى النحو اعترض فيه على أبى جعفر أحمد بن محمد النحاس فى مسائل ذكرهـا فى كتابه الكافى ، كان فى أيام المنصور أبى عامر محمد بن أبى عامر ، ومن يحضر مجالسه ، واجتماعاته مع أبى العلاء صاعد بن الحسن اللغوى مشهورة[3] .

وقصته الوردة التى جئ بها الى المنصور أبى عامـر ، فى مجلس ضم صاعـدا وابن العريف ، وتكذيب ابن العريف صاعدا فى بيتى الشعر اللذين قالهما ووضعـه أبياتا يستمين بها على الصاق الكذب بصاعد حتى أخجله فى المجلس ، وأثبت عليـه السرقـة وهو منها براء . هذه القصة سبق أن استحضت بها على اثبات سرعة الخاطر وحضور البديهـة للأندلسيين[4] ولكن لا يجوز ترك هذه القصة دون غمز ابن العريف الـذى

---

(١) سورة يوسف آيـة : ٨٣ (٢) ورقـة رقـم : ١٥٧ ــ ١٦٢ .
(٣) جـذوة المقتبـس ص : ١٨٢ ، معجـم الأدبـاء جـ ١٠ ص : ١٨٢ ،

حسد صاعدا على أن يمتحن الحاضرون له بيتين من الشعر ، ثم ماذا كان موقف ابن العريف بعد ذلك بينه وبين نفسه ؟ لا شك أن ضمير العالم الحي قد صحا ، وأن وخز هذا الضمير قد اشتد على صاحبه فكشف للناس أمر هذه الأبيات وحقيقتها .

ثم ان صاعدا هذا قد ابتلى ، فاتهم بالكذب ورفض الناس كتاب " الفصوص " الذى ألفه ونحا فيه منحى أبى على القالى فى أماليه حتى قيل انه ألقى به فى النهر وفى هذا يقول الشاعر :

قد غاص فى النهر كتاب الفصوص ... هكذا كل ثقيل يغوص

فيدافع صاعد عن جهده الذى بذله بقوله :

عاد الى معدنه انما ... توجد فى قعر البحار الفصوص (١)

فما لابن العريف يحيف عليه ويجور ، ويأتى بالزور والكذب ليزهد جرح الرجل ويسىء الى سمعته ويدمغ أحد العلماء بهذه الفرية المفتراة .

ولكن هذه الهفوة لم تكن لتنقص من قدر ابن العريف ، أو تزلزل من كيانه ، فقد أحسن اليه التاريخ بأن حمل الينا شرحه لكتاب الجمل للزجاجى عبر القرون ، وعبر المحن التى تعرضت لقسوتها مؤلفات هذه الأفواج من نحاة الأندلس ومن غيرهم من علماء هذا الاقليم .

وعندما قرأت قول السيوطى فى ترجمة ابن العريف (٢) :

" له شرح على الجمل وقفت عليه " . حسبت السيوطى سيذكر هذا الشرح فى مؤلفاته النحوية ، أو ينقل عنه ، أو ينقد بعض آراء ابن العريف ، ولكن شيئا من ذلك لم يكن .

وكل ما عثرت عليه من أثر لابن العريف فى كتب النحو التى راجعتها هو تسجيل ابن هشام فى المغنى (٣) :

---

(١) الصلة جـ ١ ص : ٢٣٢ ، وفيات الأعيان جـ ٢ ص : ١٨١ ، نفح الطيب جـ ٤ ص : ٧٥ — ٧٨ ، شذرات الذهب جـ ٣ ص : ٤١٧ .

(٢) بغية الوعاة ص : ٢٢٨

(٣) جـ ٢ ص : ٤١ .

" وأما نحو : زيد قام فالجملة اسمية لاغير لعدم ما يطلب الفعل هذا قول الجمهور . وجوز المبرد وابن العريف وابن مالك فعليتها على الاضمار والتفسير . والكوفيون على التقديم والتأخير ".

وقد سبق الصفار شارح كتاب سيبويه بمثل هذا النقل عن ابن العريف في باب الاشتغال ، قال (١) :

" أما ابن العريف فأجاز في : " زيد قام " أن يكون من الاشتغال وأن يرتفع زيد على أنه فاعل ".

ثم قال الصفار يرد على ابن العريف (٢) :

وهذا الذي ذهب اليه فاسد ، لأن الاشتغال قد قلنا في حده : انه لو لم يعمل العامل في الضمير أو السببي لعمل في الاسم ، وهذا لا يعمل فيما قبله أصلا ، لأن الفاعل لا يكون مقدما ، فان كان ثم ما يطلب بالفعل أمكن اذ ذاك الاضمار ، فيسمى اشتغالا . وانما جعلوه اشتغالا ، لأنه يمكن أن يعمل في الموضع ، لكن لم يقو على التفسير لضعفه عن العمل فيه الا بحرف يطلب الفعل ".

ورد الصفار على ابن العريف يدل على أنه يدافع عن مذهب البصريين وينتصر له ، ولا يبالي بامام من أئمتهم قد نحا هذا النحو كالمبرد .

وكذلك نقل أبو حيان عن ابن العريف في الارتشاف رأيه في كلما وانما وربما ، قال (٣) :

" وذهب أبو القاسم حسين بن العريف الى أن كلما وانما وربما مركبة لا بسيطة ".

شرح الجمل لابن العريف :

بدأ ابن العريف شرحه لكتاب الجمل بما اعتاد العلماء أن يبدءوا كتبهم به من الذكر المأثور ، ثم بين قيمة كتاب الجمل للزجاجي ورسم النهج الذي سيسير عليه

---

(١) شرح الصفار ، ورقة : ٦٥

(٢) المرجع السابق .

(٣) الارتشاف ص : ٢٧٩ .

فى تأليفه ، وقد اعتدت الأرضة على بعض كلمات المقدمة فوضعت مكانها رقــــم خالية من الكتابة وهذا نص مقدمة شرح الجمل لابن العريف :

بسم اللـه الرحمن الرحيم ، وصلى اللـه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

يقول الحافظ أبو القاسم بن العريف ـ رحمه الله ـ أول ما أفتتح به حمد اللـه .(١) القوة اليه ، مستعينا به ، معتمدا عليه ، وأتزلف اليه بالصلاة على نبيه المصطفى وأنبيائه عامة . أما بعد فلم أجد كتابا .(١) أصولا ، ولا أفصح فصولا من كتاب .(١) لابى القاسم عبد الرحمن بن اسحاق ... على صغر جرمه ، فشرحت علمه لعظيم .(١) وبينت علله ، وقربت بعيده ، وألنت شديده ، وقربت بيوت شعره .(١) غريب .(١) وأوضحت اعرابه ومعانيه وشاهد كل بيت فيه وسن قائله وما قبله وما بعده اذا ... ولم يكن غفلا مجهولا ، ومعنى الشاهد فيه وتفسيره ، والعلة لدخوله ، بالطف عبارة ، وأحلى اشارة ، وأضفت الى ذلك ما ورد فى معانى الأبيات من الحجاجات والأخبار والكنايات .(١) للملك العالى المنصور محمد بن أبى عامر ، المؤيد بالله ـ أدام الله أيامه (١)... بالسعادة لعلاه ، وجمع به أستار العلم ورفع به منازل العلم "

وهو مخطوط بدار الكتب بالقاهرة بحمل رقم (٤٦٤ نحو) كتب عليه " كتاب فيه شرح الجمل تأليف أبى القاسم بن العريف عفا اللـه عنه وغفر له بمنه وكرمه ، وغفر لكاتبه ولوالديه ولمن نظر فيه أو قرأه آمين يارب العالمين . والحمد للـه وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله وعبده ".

عدد أوراق هذا الكتاب (١٥٥) ورقة ، وبين الورقة رقم (١٣٦) والورقة رقم (١٣٧) نقص ، ومراجعة كتاب الجمل للزجاجى تبين أن الأبواب الناقصة هنا هى : باب لو ولولا . باب ما جاء من المثنى بلفظ الجمع . باب ما يحذف منه التنوين لكثرة الاستعمال . " تكملة " باب أقسام المفعولين وهى خمسة .

---

(١) هذه المواضع لم يظهر ما فيها من كتابة .

ففى آخر الورقة (١٣٦) "باب الوقف" قال أبو القاسم : الوقف في كلام العرب على سبعة أوجه ، وأصل الوقف السكون لأنه انقطاع الكلام وانقضاؤه" .

وتبدأ الورقة (١٣٧) بحديث من تكملة البحث فى المفعول لأجله ، إذ يقول : " ونكرة لأنه ليس بحال ، ويجوز حذف اللام ونصب الذى بعده ، والناصب للمصدر الفعل المذكور ، ولم يكن بنا حاجة الى طلب فعل آخر ، فاذا ألقيت اللام وهى فى موضع نصب بالفعل وصل اليه الفعل فنصب ، وقد تدخل من فى معنى اللام ، لأنه يجوز : خرجت من ابتغاء الخير ، قال الله عز وجل : " حذر الموت "(١) أى لحذر الموت أو من أجل حذر الموت ، ولو قال قائل : فعلت هذا لزيد أو من أجل زيد لم يجز حذف اللام لأنه يقع فيه لبس ، وانما جاز فى المصادر لأنه جواب : " لم ؟ ولا يحسن : لم خرجت ؟ فتقول : لزيد ، لأن " لم ؟ موضعه على شئ مختلف حدوثه ، وليس زيد كذلك "

وكذلك نقص من الشرح فى الآخر : تكملة باب الادغام ، باب الحروف المهموسة عشرة ، باب من شواذ الادغام .

<u>ابن العريف فى شرح الجمل :</u>

يعتبر هذا الشرح أقدم الشروح الأندلسية لكتاب الجمل للزجاجى ، ولهذا فهو شرح موجز بالنسبة لغيره من الشروح ، وقلما يعنى صاحبه فيه بذكر الخلافات النحوية وبسط القول فيها وبيان وجهة نظره كما يفعل الكثير من النحاة ، وتعليلاته تبدو عليها نزعة فلسفية ، وربما تبعد بالبحث عن علم النحو . وقد عنى فى كثير من الشواهد بدراستها من مختلف النواحى ، فيذكر ما يتصل بها من علم العروض ، ثم يشرح ما فيها من الكلمات اللغوية ، وقد يعربها قبل أن يبين المعنى ويعين موضع الشاهد ، ومع هذا لا يخلو الكتاب من أبحاث لغوية ، واستشهاد بالحديث الشريف ، واشارات تاريخية .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩ .

أ - ومن أمثلة الايجاز في هذا الشرح باب " ماذا " وهذا نصــــه (١) :

قال أبو القاسم : اعلم أن ماذا لها مذهبان قوله : ماذا صنعت ؟ فتقول : خـــبر بالرفع والنصب على وجهين : ان شئت جعلت " ما " للاستفهام اسما تاما و"ما "تعدها مرتفعا بالابتداء وخبره " ذا " وهي بمعنى الذى ، وما بعدها صلة لايعمل الفعـــل فيها لأنه كصلة الذى . وان شئت جعلت ماذا جميعا بمنزلة اسم واحد وتكون " ذا " لغوا ، ولم تنصبها بصنعت ، فيكون الجواب بالنصب . والمسألة الأولى بالرفــــع .

وأما قول الشاعر : [لبيد]

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضـلال وباطــــل (٢)

فما ابتداء وخبره " ذا " ويحاول صلة ذا ، والعائد عليه الهاء المحذوفة كأنه قـــال : ماذا يحاوله . وسيبويه ينكر أن تكون ذا لغوا لما قالت العرب : عما ذا تســـأل ؟ (اذ لو كانت " ذا " لغوا ما قالوا : " عما ذا تسأل) ولقالوا : عم ذا تسأل ولكنهم جعلوا " ما " و " ذا " اسما واحدا ، كما جعلوا انّ وما حرفا واحـــدا في قولهم : انما وكأنما وحيثما " .

هذا هو الباب كله ، والمعروف أن الكلام في " ماذا " أوسع مما ذكر كثيرا ، وأن الأدلة والعلل التي دعم بها أصحاب الآراء آراءهم أكثر من أن يحتملها هـــذا المقـــام .

ب - وقد عرض للخلاف بين البصريين والكوفيين في موضوعات من المسائل الــتي اختلفوا فيها ، وها هو ذا ينتصر لمذهب البصريين في بيان أصل الاشتقاق هل هـــو المصدر أو الفعل ؟ قـــال (٣) :

القـــول على أيهما المأخوذ من صاحبـــه والمشتق منه ؟ قال أبو القاسم بن المؤدب واختلف النحويون في المصدر : ان كان مأخوذا من الفعل أو الفعل منه ، فالكوفيون جميعا فيما علمنا يخالفون البصريين ، ويقولون : المصدر مأخوذ من الفعل ، ولا يجــــوز

---

(١) ورقـة رقـم : ٤٢ (٢) من شواهد الكتاب جـ ١ ص ٤٠٥ .

(٣) ورقـة رقم : ١٢ .

عندهم أن يكون الفعل مأخوذا من المصدر . واحتج أبو العباس أحمد بن يحيى على البصريين فقال : الدليل على أن المصدر مأخوذ من الفعل أنه يعتل باعتلاله ، والدليل على ذلك أيضا أن المصدر توكيد للفعل ، وقد اجتمعنا نحن والبصريون على أن التوكيد بعد المؤكد ، فقال : قد وجب وصح أن المصدر بعد الفعل بهذا قال أبو جعفر . وهذا الاحتجاج لا يلزم البصريين شيء منه . أما قولهم : ان المصدر يعتل باعتلال الفعل فانما قالوه تقريبا على المتعلم لأن الفعل يتصرف والاعتلال فيه بين ، ألا ترى أن قام فعل صدر عن القيام فالقيام قد ضعف بذهاب قام منه وخروجه عنه ، وقد يكون الفعل معتلا ولا يعتل المصدر نحو قولك : باع بيعا ، وقام قومة ، وكان أصله بيع وقوم . وأما قولهم ان المصدر توكيد للفعل فلا يلزم أيضا ، لأن المصدر ليس بتوكيد في كل موضع ، ألا ترى أنك لو قلت : قتلك يعجبني ، لم يكن ذلك توكيدا وانما قال البصريون : ان المصدر توكيد في قولك : قمت قياما ، وقعدت قعودا ، وركبت ركوبا ، وليس أيضا يعنون أنه توكيد مثل قولك : جاءني القوم أجمعون ، ولأن فائدته بفائدته ، وانما قالوا : قمت قياما ومعناه قمت قمت . والدليل على أن المصدر ليس بمنزلة قولك : جاءني القوم أجمعون أنه لا خلاف بين النحويين أنه يقال : قياما قمت ولا يقال : أجمعون جاء القوم . فهذا بين حقا ، والحجة للبصريين في أن الفعل مأخوذ من المصدر مثل المكان الذي يصدر عنه . يقال : هذا مصدري أي المكان الذي صدرت عنه ، فالمصدر — على هذا — ما صدر عنه الفعل ، وأيضا فان البعض يؤخذ من الكل ، فالمصدر يقع للأزمنة الثلاثة والفعل يدل على بعضها فوجب أن يكون مأخوذا منه .

قال أبو القاسم بن العريف : والاختيار عندي قول البصريين : ان الفعل مأخوذ من المصدر لأن المصدر على قول الكوفيين ان أخذ من الفعل الماضي فكيف يؤخذ من شيء قد ذهب وتلاشى ، وان أخذ من المستقبل فكيف يؤخذ مما لم يأت ، والحال لا وجود له ".

جـ ـ وقد ذكر في الكلام على الحركات الثلاث أمورا لا صلة لها بعلم النحو، كأنه باحث فلسفي أو قد تأثر بمباحث الفلسفة وعلم الكلام فعقد بابا في " القول في الحركات الثلاث " (١) :

قال أبو القاسم بن المؤدب : الحركات الموجودة في الكلام ثلاث فقط، وذلك ظاهر بين اذا صرف الوهم الى الحركات الطبيعية الموجودة في العالم وهي ثلاث دون حركة رابعة ، وهي الحركة من الوسط والحركة الى الوسط والحركة حول الوسط كما ذكر صاحب الكلام ، وأما الحركة من الوسط فحركة النار المرتفعة من الأرض بطبعها نحو الفلك ، وهذه حركة الرفع لأن الآلة الرافعة للصوت الرفع الذي يدعوه الى العلو ، وأما الحركة الى الوسط فهي الحجر يرمى به في الهواء فيرتفع قسرا بغير طبعه حتى اذا بلغ الغاية التي تناهت اليه القوة الرافعة له هوى مستفلا بطبعه نحو الأرض ، فاذا بلغ اليها سكن ، وهذه الحركة التي يهوي بها الى الأرض سفلا بطبيعته هي حركة الخفض في الكلام ، لأن الآلة الرافعة للصوت الخفض يدفعه في سفل دفعا طبيعيا ، وأما الحركة التي هي حول الوسط فهي حركة الفلك المستدير بتسخير الله عز وجل وهذه الحركة هي حركة النصب في الكلام لأن الآلة الرافعة للصوت النصب تنصب الى الاستدارة ، واذا اعتبرت ذلك في الصوت وجدته فالحركات ثلاث منها طبع مثل حركة الانسان والطائر ومنها كسره كحركة الحجر والنشاب والرحا تدور على قضب ، ومنها طبع كحركة الماء وحركة النار " .

د ـ ثم عقد بابا للمعرب والمبني أدخل فيه تقسيما بعيدا للصوت فانتهى به الى غرضه النحوي (٢) قال :

باب المعرب والمبني قال أبو القاسم : اعلم أن المعرب هو ما تغير آخره بدخول العوامل عليه . قال : والصوت ينقسم قسمين أولين : حيواني وغير حيواني ، فغير

---

(١) ورقة رقم : ١٣

(٢) ورقة رقم : ١١٦ .

الحيواني كصوت العود والمزمار ، والحيواني ينقسم قسمين منطقي وغير منطقي فغير المنطقي كصهيل الخيل ونهاق الحمير وتغريد الطير ، والصوت المنطقي ينقسم قسمين : معرب وغير معرب ، فالمعرب عند العرب خاصة ، وغير المعرب سائر اللغات الأعجمية ، ولغة العرب تنقسم قسمين : منها معرب ومنها مبني كسائر اللغات ، ومعنى الاعراب البيان ، ومعناه الفرق بين المعاني بالعلامات التي تسمى اعرابا أي ما يكفي البيان " ." ثم تحدث بعد ذلك عن عدم كتابة الحركات ، والاستعانة بحروف المد واللين ، وعن العلة الموجبة للاعراب ، ولم كان آخر الكلمة ؟ " .

هـ ـ وقد رأيته يعلل لصيغ الفعل الماضي والمضارع ثم الأمر بتعليلات فلسفية كذلك قال [1] :

" ولما كان الجوهر اذا أحدث العرض لم يخل احداثه له أن يكون في زمان ماض أو مستقبل احتجنا أن نضع من لفظ الحدث وهو المصدر صيغتين مختلفتين أعني مثالين منفصلين يكون كل واحد منهما دالا بصورته على الزمان الذي كان فيه احداث الجوهر للعرض وفعله له وايقاعه اياه ، فصيغ للزمان الماضي ضرب وللزمان المستقبل يضرب فمثالين متباينين غير متشابهين مأخوذين من لفظ احداث الأسماء كما قال سيبويه في كتابه يحدثها بمعنى المصادر التي أسماء الفاعلين فاذ الضرب هو اسم عين العرض ، أقدم من ضرب ويضرب اللذين أخذا منه ، لأنه لا يمكن أن يكون شيء يؤخذ من شيء آخر الا وذلك الشيء الآخر مقدم في الوضع منزل قبله في الوجود ، أعني المصدر ، والا فان الآخر بطل لا محالة ويمتنع ، فاذا الأفعال مأخوذة من الأسماء أعني مشتقة منها ، لا الأسماء من الأفعال فأما أي الصيغتين أقدم فصيغة ضرب لأن الفعل ثلاثة واجب وممكن وممتنع ، فأما الواجب فهو ما خرج الى الكون ، والممكن الذي لم يقع لأنه لا يدري أيكون أم لا ، فالواجب أمكن من الممكن ، كما ذكر أصحاب الكلام ، فأما ما يذكر من فعل الحال الحاضر الذي بعد ضرب تاليها فهو على التقميص والتجوز ، لا على الحقيقة لأن الفعل الحاضر يفصله " الآن " التي لا تنقسم ... وقد جاء في الحديث : " اذهب بهذا

---

(١) ورقة رقم : ٠٣٢

فلان معك " يريد الآن ، والآن الزمان الذى يقع فيه الفعل فهو الفعل المشترك بين الزمانين الماضى والمستقبل ، وهو فصل الحال ، وهو مشتق من آن الشئ اذا ظهر " .

و — ومن أبحاثه اللغوية فى هذا الكتاب باب " القول فى الاعراب " الذى لم يسلم من ذكر كلمتى " العرض والجوهر " (١) :

قال أبو القاسم بن العريف : الاعراب فى لسان العرب البيان وهو العرض الداخل على أواخر الجواهر أعنى الحركات الثلاث ومن ذلك أعرب الرجل عن نفسه اذا بين ، ومنه حديث النبى صلى الله عليه وسلم : " الأيم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تعرب من نفسها " وأعرب المهر اذا بين صهيله ان كان عتيقا أم هجينا ، والخيل العراب هى التى جرت على نتاج العرب وتربيتها والهجان من النوق الكرام بخلاف الخيل ، اذ هى من الخيل الدون ، واختلف فى الجزم فقال النحويون : الجزم اعراب الا الكسائى والأخفش فانهما قالا : ليس الجزم باعراب ، وانما هو عدم الحركات وخلاصها ، ولا يسمى اعرابا الا على المجاز النحوى ، والجزم فى لسان العرب القطع تقول من ذلك : جزمت الشئ اذا قطعته ، واتفقوا فى الحركات الثلاث الضمة والكسرة والفتحة أنها اعراب " .

ز — ولم يفت ابن العريف أن يحدثنا فى كتابه من تاريخ الشكل وأول من وضعه والهيئة التى وضع عليها وعن أصل اشتقاق الشكل قال (٢) :

" وأول من وضع الشكل الخليل بن أحمد وهو مأخوذ من صور الحروف ، فالضمة واو صغيرة ، وهى فى أعلى الحرف لئلا يلتبس بالواو المكتوبة والكسرة ياء تحت الحرف ، والفتحة ألف مسطوحة فوق الحرف ، وجعل للحرف الساكن صورة الخاء بمعنى حرف خفيف وجعل للتشديد صورة الشين بمعنى حرف مشدد . وان كان الحرف منونا أتبعت كل شئ مما ذكرنا مثل خطه ان كانت ضمة فضمة ، أو فتحة ففتحة ، والتنوين حرف ساكن وانما لم يجعل له صورة فى الخط لأنه زائد فى الاسم لا يثبت بدخول الألف واللام ، وأيضا فانه لو جعل له صورة فى الخط لأشبه النون الأصلية نحو نون حسن وقرن ، ولأشبه

---

(١) ورقة رقم : ١٣

(٢) ورقة رقم : ١٤ .

النون التى تأتى لزيادة معنى مثل نون ضيفن ، وهو الذى يأتى مع الضيف ،ومن أجل هذا لم تثبت له صورة فى الخط ،وان كان الحرف مهموزا أثبت بالهمزة كالعين وذلك لقرب مخرجه من مخرجها ،واشتقاق الشكل من قولك شكلت الفرس اذا حبسته وقيدته ،فالشكل ضبط وحرز لأوزان الأفعال والأسماء وتقييد لمعانيها .

ح — وابن العريف يخالف ما سبق أن ذهب اليه من تأييده رأى البصريين فى أن المصدر أصل الاشتقاق لأن عبارته : " واشتقاق الشكل من قولك شكلت الفرس" تنقض قوله السابق وتجعله آخذا بمذهب الكوفيين من أن المصدر مشتق من الفعل .

وكذلك قوله فى اشتقاق كلمة " الآن " : وهو مشتق من آن الشيء اذا ظهر.

ولعل ابن العريف لم يقصد هنا الاشتقاق الاصطلاحى الذى نعرفه فى علم الصرف ،وانما قصد الاشتقاق المعروف عند اللغويين ،وقد نقل ابن خلكان عن المبرد من كتاب الاشتقاق قال[1] : " قال المبرد فى كتاب الاشتقاق :

انما سميت ثمالة لأنهم شهدوا حربا فنى فيها أكثرهم فقال الناس : مابقى منهم الا ثمالة والثمالة البقية اليسيرة " .

فالمبرد فى كتابه يريد بالاشتقاق معنى أعم وأشمل مما هو عند اللغويين .

ط — وهذا حديث ابن العريف عن شاهد من شواهد الجمل قال[2] :وأنشد مثله للفرزدق يمدح عبد الملك بن مروان :

وعض زمان يابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا أو مجلف X

هذا بيت قد أكثر النحويون فيه القول وكان الفرزدق كثيرا ما يأتى بهذه الأبيات الخارجة من القياس ،وقد عيب عليه ذلك ،فقال : علينا أن نقول وعليكم أن تعربوا . وفى رواية أخرى : علينا أن نلحن وعليكم أن تحتجوا — يعنى فى اللحن .

البيت من العروض الطويل ، والضرب المقبوض ،أصله فى الدائرة على ثمانية أجزاء نصفها سباعية ،ونصفها خماسية ، وهكذا استعملته العرب منصفا .

---

(١) وفيات الأعيان جـ ٣ ص : ٤٤٥

(٢) ورقة رقم : ٥٩٨

والقافية في البيت على مذهب الخليل " مجلف " والشاهد في البيت قوله : " مسحتا أو مجلف " أدخله شاهدا على رفع ما هو منصوب في المعنى ، ونصب ما هو مرفوع ، وتفسير ما أتى عليه الشاهد أنه نصب مسحتا في اللفظ وهو في المعنى مرفوع ، اذ تقديره لم يبق الا مسحت أو مجلف .

القول في المعنى : وذلك أن الفرزدق مدح عبد العزيز وشكا اليه أن الدهر أتلف ماله واكتسح ما بيده ، وأنه بقى لا شيء معه .

القول في الغريب : المسحت والمجلف المال القليل الذي قد أذهب الدهر أكثره ويقال : أسحت الرجل ماله اذا أفسده وأهلكه ، قال الله تعالى : " فيسحتكم بعذاب "(١) يقال : أسحت وسَحَت ، وقد قرئ بهما جميعا(٢) ، ويقال : جلفت الشيء أي قطعته وأذهبته ، وجلفه الدهر اذا أتى عليه فالمسحت القليل ، والمجلف الناقص ، وابن مروان هو عبد الملك ، وذلك أنه شكا اليه فعل الدهر من اهلاك ماله وتغيير حاله اذ لم يدع الدهر الا القليل منه .

القول في الاعراب :

وعض مبتدأ ، زمان مضاف ، يابن مروان منادى مضاف ، لم جازم ، يدع جزم بلم ، من المال مجرور ، الا استثناء مسحتا مفعول ، ولم يعطف مجلفا على مسحت بسبب القافية فقطعه منه ورفعه بالابتداء ، وأضمر خبره ، وقد يجوز الرفع أيضا على المعنى لأنه اذا قال : لم يدع ، فكأنه قال لم يبق .

وبهذا العرض السريع نرى ابن العريف قد وفى بما شرطه على نفسه في المقدمة وسيأتي مزيد من هذا عند الكلام على شخصية ابن العريف .

<u>شخصية ابن العريف النحوية :</u>

١ — وقد تظهر المعالم لشخصية ابن العريف النحوية في مثل تناقضه مع نفسه الآنف الذكر ، اذا لم نقصد بالاشتقاق معناه اللغوي .

---

(١) سورة طه آية رقم : ٦١ .
(٢) سحت بالتشديد في القاموس .

ب ـ ثم فى اختياره أن النكرة المنصوبة لايجئ بعدها حال فى نحو :

رأيت رجلا راكبا فراكبا هنا يجب أن تكون نعتا لرجل ، ولو كان فى موضع رجل معرفة لكان " راكبا " حالا[1] .

وهذا الاختيار عند ابن العريف هو مذهب جمهور البصريين ، وكأنه يعلن مخالفته لمن رأى ذلك من الكوفيين .

جـ ـ ولكن ابن العريف يميل الى رأى صاحب الجمل فى تسمية " كان " وأخواتها حروفا[2] ، ويعلل لذلك بقوله :

وانما سمى " كان " وأخواتها حروفا لأنها لاتدل على حدث ، ولا تضارع الفعل المتعدى فضعفت لذلك ، فأشبهت الحروف ، فسماها حروفا لذلك وأما كان فليست بفعل حقيقى وان تصرفت تصرفها ، بل هى عبارة عن حدوث أفعال منقضية فى الزمان ، وقد قدمنا : كم من وجه لها فى صدر الكتاب ؟ "

ومسألة دلالة الأفعال الناقصة على الحدث ليست من المسائل التى ابتدعها ابن العريف انما هى مسألة خالف المبرد فيها سيبويه وتبع المبرد علماء ذكرهم السيوطى بقوله[3] :

" اختلف فى دلالة هذه الأفعال على الحدث ، فمنعه قوم منهم المبرد وابن السراج والفارسى وابن جنى وابن برهان والجرجانى والشلوبين ، والمشهور والمنصور أنها تدل عليه كالزمان كسائر الأفعال " .

ولم يذكر السيوطى ابن العريف مما يؤيد ما ذهبت اليه من أن السيوطى لم يقرأ شرح ابن العريف للجمل .

وقد سبق أن قررت موافقتى هؤلاء المانعين فى رسالتى عن المقتضب وعللت لرأيى ووضحته هناك[4] .

---

(١) ورقة رقم : ٣٥

(٢) ورقة رقم : ٣٦

(٣) همع الهوامع جـ ١ ص : ١١٣ .

د — وقد أقحم ابن العريف نفسه في مسألتين من مسائل النحو : أما الأولى فهي مسألة تأنيث الفعل للفاعل الحقيقي التأنيث قال ابن العريف (١) :

" تقول قامت المرأة وذهبت الجارية ، ولا يجوز قام المرأة ولا ذهب الجارية لأن هذا تأنيث حقيقي الا أنهم قالوا : حضر القاضي امرأة ، وهذا شاذ والشاذ يحكى ولا يقاس عليه ، ومع هذا انهم قد فصلوا بين الفاعل والفعل والمفعول ، فكأنهم يرون ان المفصول الذي قد فصلوا به بينهما عوض من التاء المحذوفة ، وهذا احتيال ، واذا جاء حرف شاذ فاعرفه واحكه ولا تقس عليه ".

ولست أدري تفسيرا لقوله : " وهذا احتيال " الا أن علمه لم يحط بهذه المسألة ولم يطلع على ما نقل صاحب الكتاب عن العرب ، وهو صادق حين يقول : " واذا جاء حرف شاذ فاعرفه واحكه ولا تقس عليه " لكن هذه المسألة التي هو بصددها ليست من الشذوذ في شيء ، وفوق هذا فان ابن العريف متبع غير مبتدع سبقه المبرد الى ذلك في المقتضب ، وخالف امام النحاة سيبويه (٢) .

وقد ذكرت هذا في رسالتي السابقة ، وقلت بعد عرض الرأيين (٣) :

انه يجوز على قلة أن يترك تأنيث الفعل اذا كان الفاعل مؤنثا حقيقي التأنيث كما نقله سيبويه عن العرب لأن السماع خير دليل يركن اليه ، على أن يتحتم التأنيث عند خوف اللبس في مثل : قامت عمرو ، اذا كان عمرو اسم امرأة ، ولم تكن هناك قرينة أخرى غير تأنيث الفعل تدل على أنه مؤنث ".

وأما المسألة الثانية فهي مسألة الناصب للمستثنى ، قال ابن العريف (٤) :

" واختلف النحويون في الناصب للمستثنى فقال سيبويه : انه عمل فيه ما قبله عمل العشرين فيما بعدها ، ومعنى قوله انك لما شغلت الفعل بالاسم الأول لم يكن فيما بعده الا النصب — قال قوم معناه لا أعني زيدا ولكن عمرا ، والمبرد والزجاج يذهبان الى أن النصب في الاستثناء بتقدير أستثني زيدا ونابت الا عن الفعل وقامت مقامه

(١) ورقة رقم : ٤٦ .

(٢) الكتاب جـ ١ ص : ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، المقتضب : ٢٩٢ ، ٦٤٨ ، ٧١٢

(٣) ورقة رقم : ٢٠٢ ، ٢٠٣

وكأنه قال : أتانى القوم أستثنى زيدا وهـذا خطأ ، لأنا نقول : أتانى القوم غير زيد ، ولا يجوز أن تقدر أستثنى غير زيد . والذى يوجبه القياس وقول سيبويه أن ينصب زيدا بالفعل الذى قبل الا ، وذلك أن الفعل ينصب كل ما تعلق به بعد ارتفاع الفاعل على اختلاف وجوه المنصوبات كالمصدر والظرف والحال والتمييز ، فلما كان أتانى " من أتانى القوم الا زيدا " قد ارتفع به فاعله كان ما بعد الا متعلقا به فانتصب ".

والخلاف فى هذه المسألة أيضا سبق اليه ابن العريف ، ولكن ابن العريف يحتج فى الاستدلال على رأيه بمغالطة طريفة مثلك هى قوله : " وهذا خطأ ، لأنا نقول : أتانى القوم غير زيد ، ولا يجوز أن تقدر : أستثنى غير زيد " . لأنه لم يضع الفعل المقدر فى موضع غير كما سبق أن وضعه فى موضع الا بل جمع بين الفعل المقدر وهو أستثنى وبين غير أداة الاستثناء لينتج عكس المعنى المراد ، ويوهم الأغرار قوة حجته .

وهو فى هذه المسألة ينتصر لسيبويه ويدلل لصحة ما ذهب اليه وفق القياس بقول سيبويه فى قوله : " والذى يوجبه القياس وقول سيبويه أن ينصب زيدا " بالفعل الذى قبل الا ... " وقد خالف المبرد سيبويه فى هذه المسألة أيضا ولكن اضطرب النقل عنه كما بينته فى رسالتى السابقة (١) .

هـ - ورأيت ابن العريف يتابع بعض النحويين فى مسألة " كاد المثبتة والمنفية " دون أن يقلب أوجه الرأى فيها كما فعل غيره . قال (٢) :

" وقال بعض النحويين : لا نظير لكاد فى العربية ، وذلك أنه اذا نفيتهما فمعنى الكلام الايجاب ، واذا لم تنفها فمعنى الكلام النفى ، فاذا قلت : ما كاد زيد يفعل فمعناه أنه قد فعل ، واذا قلت : كاد يفعل فمعناه أنه ما فعل ".

ومن المعروف أن فى هذه القضية خلافا ، وأن ما أخذه ابن العريف مسلما غير مطرد ، ويكفى أن نذكر قول الله تعالى : " اذا أخرج يده لم يكد يراها (٣) " فهل " يكد " المنفية هنا معناها الاثبات ؟

---

(١) ورقة رقم : ٢٣٩ ، ٢٤٠

(٢) ورقة رقم : ٩٧

و - وقد اختار اثبات الياء في نداء قاض خلافا ليونس ، واستشهد بالحديث الشريف في غير موضع من كتابه من ذلك قوله[(١)] : " وذكر أن عليا قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض خطبته يقول : " ان الحمد لله رب العالمين" بمعنى نعم . وقد سبق كذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم[(٢)] : " الأيم أحق بنفسها من وليها والبكر تعرب عن نفسها " وقوله عليه الصلاة والسلام[(٣)] : " اذهب بهذا فلان معسنه "

هذا وحق الكتاب ما يزال أمانة في أعناق حماة العربية وحراس هذا التراث التليد الذي يجب أن تشع أضواؤه هدى للعرب في كل مكان . وبما ظهرت جوانب أخرى في شخصية ابن العريف التي تستحق الافراد بالدرس المستفيض . فهو يخلط بين الدراسات النحوية والدراسات الفلسفية والتاريخية والمنطقية . كما يخلط بين آراء البصريين وآراء الكوفيين . ثم يحاول أن يغالط في بعض أدلته على حين أنه في بعض الأحيان يختار الرأي الضعيف. وقد ذكره راوي كتابه بلقب الوزير الصاحب،ولم أجد لذلك سندا من التاريخ الا أن يكون من باب التعظيم .

١٨ - عبد الملك بن طريف :

هو عبد الملك بن طريف اللغوي الأندلسي من أهل قرطبة .. وكان حسن التصرف في اللغة . أصلا في تثقيفها . وله كتاب حسن في الأفعال . وهو كثير بأيدي الناس . هذب فيه أفعال أبي بكر بن القوطية شيخه .. توفي سنة ٤٠٠ .[(٤)]

١٩ - المعافري :

هو سعيد بن محمد المعافري اللغوي من أهل قرطبة . يكنى أبا عثمان . ويعرف بابن الحداد . أخذ عن أبي بكر بن القوطية . وهو الذي بسط كتابه في الأفعال وزاد فيه وتوفي بعد سنة ٤٠٠ شهيدا[(٥)] .

---

(١) ورقة رقم : ٢٣
(٢) ورقة رقم : ١٣
(٣) ورقة رقم : ٣٢
(٤) جذوة المقتبس : ٢٨١ . الصلة جـ ١ ص : ٣٤٠ . انباه الرواة : جـ ٢ ص : ٢٠٨ .
(٥) الصلة جـ ١ ص : ٢٠٩ .

٢٠ ـ ابن جندل :

هو هارون بن موسى بن صالح بن جندل ، القيسي الأديب النحوي القرطبي أبو نصر أصله من مجريط سمع من أبي علي القالي البغدادي ولزمه حتى مات ، ومن غيره ، كان رجلا صحيح الأدب يختلف اليه الأحداث ووجوه الناس في طلب العلم .. روى عنه أبو عمر بن عبد البر وطبقته ، وله تصنيف في تفسير عيون كتاب سيبويه مات بقرطبة في ذي القعدة سنة ٤٠١ هـ (١) .

٢١ ـ ابن وليد :

هو عبد الله بن محمد عيسى بن وليد النحوي الأندلسي ... كان من أهل العلم بالعربية واللغة متحققا بهما ، بارعا فيهما .. وكان قد شرع في شرح كتاب " الواضح " للزبيدي ، ومات قبل اكماله ، وله كلام على أصول النحو ، وكان يختم كتاب سيبويه في كل خمسة عشر يوما رحمه الله " ذكر صاحب كشف الظنون أنه توفي سنة ٤١٠ هـ " (٢) .

٢٢ ـ ابن شجاع :

هو عبد الله بن الحسن بن عبد الرحمن بن شجاع المروزي .. وكان عالما بالعربية على مذهب الكوفيين ، وله تأليف في النحو على مذهبهم سماه " الابتداء " .. توفي سنة ٤٢٤ هـ ، دخل الأندلس وحمل أهلها عنه (٣) .

٢٣ ـ ثابت الجرجاني :

هو ثابت بن محمد الجرجاني المدوي أبو الفتوح النحوي .. وكان اماما في العربية متمكنا من علم الأدب .. رحل بعد تمكنه من العلم الى الأندلس وروى كثيرا من الأدب واللغات وأملى بالأندلس كتابا في " شرح الجمل لأبي القاسم الزجاجي " قتل سنة ٤٣١ ، روى عن ابن جني ، وعلي بن عيسى الربعي (٤) .

---

(١) انباه الرواة جـ ٣ ص: ٣٦٢ ، بغية الوعاة : ٤٠٦ .

(٢) الصلة جـ ١ ص: ٢٥٣ ، انباه الرواة جـ ٢ ص: ١٢٧ .

(٣) الصلة جـ ١ ص: ٢٨٦ ، بغية الوعاة ص: ٢٨٠ .

(٤) انباه الرواة جـ ١ ص: ١٦٥ ، معجم الأدباء جـ ٧ ص: ١٤٧ ، بغية الوعاة : ٢١٠ .

٢٤ ـ الدانـــــــى :

هو أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد القرطبي بن الصيرفي الحافظ المقرئ ، أحــد الأعلام صاحب المصنفات الكثيرة ، توفى سنة ٤٤٤ (١) .

وشهرة أبى عمرو الداني فى مجال القراءات أعظم من شهرته فى مجال العربيـــة والدراسات اللغويــة ، ولا شك فى أن تمكنه من علم القراءات وعلم الرسم وعلم النقط مبنى على أساس متين من الدراسات العربيـة فقد ألف كتاب التيسير فى القراءات وكتاب المقنع فى رسم المصاحف وكتاب المحكم فى النقط ، وهذه الثلاثة قد طبعت .

وقد رأيته فى كتاب المحكم يعلل للاكتفاء بالخاء والشين علامة للمخفف والمشدد فيقـــول (٢) :

وانما اكتفوا فى علامة المخفف والمشدد بالخاء والشين وحدهمـا ، ودلـــوا بهما على خفيف وشديد ، من حيث جرى استعمال العرب لمثل ذلك فى كلامهم ، فلفظـوا بالحرف الواحد من الكلمة ودلوا به على سائرها ، ايجازا واختصارا قال الشاعر :

نادوهم ان ألجموا ألا تــا قالوا جميعا كلهم ألا فــا

يريد : ألا تركبون وألا فاركبوا ، فنطق من الكلمة الأولى بتاء ومن الثانية بفاء ، ودل بالحرفين على الركوب ، فكذلك دل بالخاء والشين على خفيف وشديد وبالله التوفيق "

وقد تقدم الداني لكتاب المحكم بما يدل دلالة قوية على علمه بقياس العربيـــة وأصولها وعلى تحققه بطريق اللغــة موضحا فى ذلك كله العلل والوجــوه ...

وان قارئ هذا الكتاب سينتهى حتما الى أن أبا عمرو الداني كان من النحاة فـــى هذا العصر ، ويدل لذلك قول محقق هذا الكتاب الدكتور عـزة حسن (٣) :

والحق أن لموضوع النقط والشكل شأنا خطيرا ، لأنه يكشف بعض النواحي الـــتى كان يحيط بها الغموض فى مسألة نشأة الكتابة العربيـة والنحو العربي ، ويبين لنا مراحل تطورها فى الأدوار الأولى بصورة خاصة ، ومن هنا كان لكتاب أبى عمرو الداني قيمـــة

---

(١) انباه الرواة جـ ٢ ص : ٣٤١ ، شذرات الذهب جـ ٣ ص : ٢٧٢ .

(٢) المحكـــم ص : ٥٢ .

(٣) مقدمة المحكم ص ٢ .

عظيمة ، لأنه يفسح أمام الدارسين والباحثين مجالا رحبا في موضوعات اللغة وكتابتها ونحوها ، فاللغويون والنحويون والذين يهتمون بموضوع الكتابة العربية سيجدون في هذا الكتاب أشياء كثيرة تفيدهم في دراساتهم وأبحاثهم " .

فالكتاب بعد هذا يمت الى النحو بأوثق الصلات ، وحبذا لو اتجهت عناية دارسي النحو الى الاهتمام بمثل هذه الدراسة ، التي تعتبر اللبنة الأولى في أساس هذا الصرح النحوي المشيد ، وليس بغريب عنا أن المحاولة الأولى لضبط اللسان كانت في نقط المصحف .

٢٥ — ابـن حـــزم :

أبو محمد بن حزم علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأموي مولاهم الفارسي الأصل الأندلسي القرطبي الظاهري صاحب المصنفات ، مات مشردا عن بلده ، من قبل الدولة ببلدته (لبلة) بلدة بالأندلس ... قال ابن صاعد في تاريخه : كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الاسلام وأوسعهم مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار .. من تآليفه نحو أربعمائة مجلد قاله في العبر ، توفي في سنة ٤٥٦ (١) .

وعلى الرغم مما اشتهر به ابن حزم في التاريخ من علم الشريعة وأحكامها ، فقد حاول أحد الباحثين اقحامه على النحو من أجل كلمة قالها ، ومن أجل حدث دار بخلده وربما كان الباعث له على ذلك أنه لم يطلع على ما كتبه ابن حزم عن دراسة النحو وما يبين من رأيه في التعمق في الدراسات النحوية واللغوية .

أما الباحث فهو الأستاذ سعيد الأفغاني عميد كلية الآداب بجامعة دمشق فقد كتب في مقال له تحت عنوان :

هل في النحو مذهب أندلسي ؟ نشرته صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد بعد أن أبدى كثيرا من التردد في اثبات ذلك — كما سأعرض له في موضع آخر — قال (٢) :

---

(١) جذوة المقتبس : ٢٩٠ — ٢٩٢ ، شذرات الذهب ج ٣ ص : ٢٩٩ .
(٢) ص : ٨٠ — ٨٣ .

أرقى صعدا فى تاريخ النحو مائتى سنة قبل وفاة ابن مالك لأمكن فى نص ابن حزم ، فهو امام أندلسى ما رأى المشرق قط ، بل ما جاوز " الزقاق " الى عدوة المغرب - فيما أذكر الآن - وهى منه على قاب قوس ، فهو خالص الأندلسية .

ولا تعجب من وقوفى على ابن حزم ، ولم يذكر له كتاب فى النحو ولا عرف بامامة فيه ، لأنه لا يلزم من اهتمامه بعلوم الشريعة ، وتركه فيها المؤلفات الجليلة الحسان التى سارت بذكرها الركبان ألا يكون من أولى الشأن فى النحو ، بل من أهل الرأى فى أصوله ، ومن غير البعيد لو تركت له الشريعة تركاها أن يترك فى النحو آثارا أصيلة مبتكرة أيضا . وأيا كان فقد عرج عرضا فى كتابه " التقريب لحد المنطق " على أحد الأسس التى بنى عليها النحو ، فوضع تحته هذه المتفجرة الصغيرة :

" وأما علم النحو فيرجع الى مقدمات محفوظة عن العرب الذين نريد معرفة تفهمهم للمعانى بلغتهم ، وأما العلل فيه ففاسدة جدا " .

وهذا ابطال للقياس جملة لأن القياس " حمل غير المنقول على المنقول فى حكم لعلة جامعة بينهما " فاذا كانت العلل فاسدة فسد القياس حتما ، اذ عليها بنى .

وقولة ابن حزم هذه تشريع لنحو جديد ، لو وجد له منظمون .

ومع أنى لا أمثل أبدا نحوا لا قياس فيه وددت لو تضافر بعد ابن حزم نحاة ، حاولوا أن يتركوا لنا مخططا كاملا لنحو " ظاهرى " لا قياس فيه ولا تعليل ، كما فعل هو حين استطاع أن ينفى عن الشريعة القياس والتعليل فترك تراثا ضخما لمذهب متماسك متين ، وفق فيه الى حد بعيد .

وهذا من طبيعة الأشياء للفارق العظيم بين الشريعة واللغة ، فالله قد أكمل الدين ، ولم ينتقل الرسول " عليه الصلاة والسلام " الى الرفيق الأعلى حتى بين للناس كل ما يجب أن يعرفوه من حلال وحرام . أما اللغة فلا سبيل الى حصرها فى جمل ، لا يتعداها الناس الى يوم القيامة ، بل هى متجددة متوالدة كل لحظة ، منذ المتكلم الأول الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولو حاول أحد من الأندلسيين البناء على الأساس الذى ألقاه ابن حزم لصح — مع شىء غير قليل من التسامح والتجوز — أن يكون من ذلك مذهب أندلسى الى حد ما . أما رسالة ابن مضاء فليست هناك .

قلت : (مع شىء غير قليل من التسامح والتجوز) و (الى حد ما) لأن القول بضعف العلل النحوية قديم متعارف فى المشرق حتى جرى به المثل فقيل : " أضعف من حجة نحوى " على ما فى هذا القول من مبالغة وخطأ فى التعميم — وعلماء هذا الشأن أحاطوا بذلك ، وأشاروا اليه وعلموه ، وصرح الخليل بن أحمد (المتوفى ١٧٥) قبل ابن حزم بنحو ثلاثة قرون أنك لاتصل الى ماتحتاج اليه من النحو حتى تتعلم مالا تحتاج اليه . فاستضعاف العلل النحوية قال به كثيرون قبل ابن حزم فليس فيه بسابق ، وانما بالغ ابن حزم حين جعلها فاسدة جدا فعمم واشتط . والحقيقة الهادئة هى عند الذين صنفوا هذه العلل فجعلوا منها المقبول ومنها الضعيف ومنها الخيالى . وفرق كبير بين اطلاق ابن حزم ومن قلده كابن مضاء ، ومن تجرد للبحث والاستقراء بأناة وصبر فجمع الأمثلة والشواهد بين يديه ، يمحص فيها ويفلسفها حتى انتهى الى " أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه اليها ، وحملناه عليها " .

ثم يستنبط الأستاذ الأفغانى بعد ذلك أن " الشك فى العلل النحوية اذا ليس من صادرات الأندلس ، بل تعاوره فى أسلوب علمى جهابذة مشارقة منذ عهد الخليل فليس فيه ما يسمى مذهبا أندلسيا من قريب ولا بعيد " .

وفاته عند ذلك أن الشك يتفاوت فقد يزيد الشك حتى يصل الى أعلى درجاته ، ثم يتحول يقينا فيثبت أو ينفى .

ثم يقول متماديا فيما ذهب اليه من نسبة ابن حزم الى تشريع نحوى " وهل سكوت المصادر عن كتاب مطول لابن حزم فى النحو قاطع على أنه لم يوجد ؟

وقد كان من رأيى ألا أعرض لابن حزم فى هذا الباب الذى عقدته للنحاة المؤلفين فى المرحلة الأولى من مراحل هذه الدراسة ، ولكن كلمة الأستاذ الأفغانى عنه جعلتنى أرجع الى ما كتبه ابن حزم نفسه عن النحو ومن دراسته وما يكفى الانسان منه ومن رأيه

فى التعمق فى الدراسات النحوية ، وفيمن طلبوا علوم العرب فأزدروا على سائـــر العلـــوم :

قال ابن حزم بعد أن تحدث عن تربية الناشئ[١] :

" فاذا نفذ فى الكتابة والقراءة كما ذكرنا فلينتقـل الى علم النحو واللغـة ومعناه ومعنى النحو : هو معرفـة تنقـل هجاء اللفظ ، وتنقـل حركاته الذى يدل كل ذلـــك على اختلاف المعانى كرفع الفاعل ونصب المفعول ، وخفض المضاف ، وجزم الأمر والنهـى ، وكالياء فى التثنيـة والجمع فى النصب وخفضهمـا ، وكالألف فى رفع التثنية ، والواو فـــى رفع الجمع وما أشبه ذلك فان جهل هذا العلم عسر عليه علم ما يقرأ من العلم .

ثم يقول بعد ذلك[٢] : " وأقـل ما يجـزئ من النحو كتاب الواضح " للزبيـــدى أو ما نحا نحوه (كالموجز) لابن السراج . وما أشبه هذه الأوضاع الخفيفة . وأمـــا التعمق فى علم النحو ففضول لا منفعـة بها ، بل هى مشغلة عن الأوكـد ، ومقطعـــة دون الأوجب والأهم ، وانما هى تكاذيب ، فما وجه الشغل بما هذه صفته ؟ وأمـــا الغرض من هذا العلم فهى المخاطبـة وما بالمرء حاجـة اليه فى قراءة الكتب المجموعـــة فى العلوم فقط ، فمن يزيد فى هذا العلم الى احكام كتاب سيبويـه فحسن ، الا أن الاشتغال بغير هذا أولى وأفضـل ، لأنه لا منفعـة للتزيد على المقدار الذى ذكرنا الا لمن أراد أن يجعلـه معاشا ، فهذا وجه فاضل لأنه باب من العلم على كل حـال " .

ومن هذه الفقرة نتعرف رأى ابن حزم فى التعمق فى دراسـة النحو ، فكيف يحتمـل بعد هذا أن يكون ابن حزم ممن ألفوا كتابا مطولا فى النحو ، ثم من هو ابن حزم حـــتى يغفـل التاريخ عن تقييد مؤلفاتـه وتدوين انتاجـه ؟

ثم يقـول بعد ذلـــك[٣] [٤] : " ووجدنـا قومـا طلبوا علوم العرب فأزدروا علـــى سائر العلوم كالنحو واللغة والشعر والعروض . فكان هؤلاء بمنزلـة من ليس فى يده مـــن

---

(١) رسائل ابن حزم : ٦٤

(٢) المرجع السابق ص : ٦٥

(٣) نفس المرجع ص : ٨٧ .

(٤) [illegible]

الطعام الا الملح ، وليس معه من الصلاح الا الصقلة ، يجلى بها السلاح ، وكان فائتا عن علم الشريعة التى لا معنى لخروجنا الى هذا العالم غيرها ".

هذا هو ابن حزم يحدثنا فى رسائله حديثا صريحا يدعونا الى الجزم بأنه قد انصرف طول حياته الى العلوم الشرعية التى تضمن له أداء الرسالة فى هذه الحياة ، وتقربه من الفوز والنجاة يوم يلقى الله .

٢٦ ـ ابن سيده :

على بن أحمد بن سيده ، اللغوى ، النحوى ، الأندلسى ، أبو الحسن ، الضرير وقيل اسم أبيه محمد ، وقيل اسماعيل ، كان حافظا لم يكن فى زمنه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها ، متوفرا على علوم الحكمة روى عن أبيه وصاعد بن حسن البغدادى ، قال أبو عمر الطلمنكى : دخلت مرسية ، فتشبث بى أهلها ليسمعوا على غريب المصنف ، فقلت لهم : انظروا من يقرأ لكم ؟ فأتوا برجل أعمى يعرف بابن سيده ، فقرأ على من أوله لآخره من حفظه فعجبت منه ، صنف المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة ـ شرح اصلاح المنطق ، شرح الحماسة ، شرح كتاب الأخفش وغير ذلك مات سنة ثمان وخمسين وأربعمائة عن نحو ستين سنة ، ذكر فى جمع الجوامع (١) .

وقد كتب الأستاذ محمد على النجار فى المقدمة التى كتبها عند تحقيقه لكتاب الخصائص قال (٢) : " على أنه أتيح له لغوى كبير أغار على فوائده ومحوثه اللغوية ، ذلك هو ابن سيده على بن أحمد المتوفى سنة ٤٥٨ هـ وهو كثيرا ما يغفل العزو اليه فى كتابه " المحكم " ويأتى صاحب اللسان فينقل ما فى ابن سيده ، وينسبه اليه ، وهو لابن جنى ، وهذا بحث يحتاج الى بسط واستقصاء ".

ولكنى أخالف الأستاذ النجار فى ذلك كل المخالفة بعد أن عرفت المقدرة النادرة التى حبى بها ابن سيده ـ على الحفظ والاستظهار وما روى له فى ذلك من أمور تستثير

---

(١) بغية الوعاة ص : ٣٢٧ ، معجم الأدباء جـ ١٢ ص : ٢٣١ ، انباه الرواة

العجب أمرها ما ذكره السيوطي عنه آنفا وأجمعت عليه كتب التراجم من قبل السيوطي فاذا عرفنا ذلك وقدمناه لم يعد شأن الرجل فيما ذكره الأستاذ النجار أحد أمور ثلاثة :

أ ـ لقد حفظ ابن سيدة ما حفظ من أمهات الكتب ، وازدحمت ذاكرته بما وعى ، ثم هضم الأصول وتمثلها ، فلما استحثه داعي العلم أخرجه للناس ألماما ، وألفه علما مشاعا ينتفع به .

ب ـ ومن يضير العالم أن ينتفع بمن سبقه من العلماء ، أو يضيره أن يتوارد خاطره على خاطر من سبقه من الكلمة الفضلاء ؟

جـ ـ على أن مسائل اللغة والنحو ، أكثرها مكرر موروث سبقنا اليه الأوائل ، فهل يعتبر قولنا " ان الفاعل مرفوع " مثلا سرقة أوعدوانا أو افتراء على ماقال به الأولون من هذه القاعدة المجمع عليها ؟

<u>نحـــو ابن سيـــده :</u>

نقلت كتب الطبقات أن ابن سيده ألف شرحا لكتاب الأخفش في النحو ، ولكن هذا الشرح لم يصل الينا ، وقد ذكر ابن سيده في مقدمة كتابه المحكم ما يدل على مكانته في علم النحو اذ قال عن أغرب ما يتضمنه هذا الكتاب :

" ومنه أني لا أذكر أفعال التعجب فيه البتة لاطراد صيغها ، وأنه اذا كانت صيغة فعل أمكن التعجب منه ، اما بوسيط واما بغير وسيط على ما أحكمته صناعة الاعراب ، فأما ان كان فعل التعجب مأخوذا من غير فعل فاني أذكر ذلك الفعل الذي للتعجب ، نحو ماحكاه سيبويه من قولهم : هو أحنك الشاتين ، وآبل الناس ، فانهما لافعل لهما عنده قبل التعجب ، فأما اذا كان فعل لاتعجب منه ، فاني أذكر أن ذلك الفعل لاتبنى منه صيغة تعجب ، نحو ما حكاه سيبويه من أنهم لم يقولوا : ما أجوبه استغنوا بقولهم : ما أحسن جوابه ... ومن ذلك التنبيه على مالا يستعمل الا ظرفا نحو ذات مرة ، وصيدات بين ، وجميع ماحكاه سيبويه من ذلك ... وأما ما ضمناه كتابنا هذا من كتب اللغة ... وجميع مااشتمل عليه كتاب سيبويه من اللغة المطلقة

وزينه ، وجماله ، وهينه ، مع ما أضفته اليه من الأبنية التي فاتت كتاب سيبويه معللة معربة كانت أو دخيلة ، ولا أنكر في كل ذلك أن تختل قضية بين خمسة آلاف ... وذلك لأني أجد علم اللغة أقل بضائعي وأيسر صنائعي ، اذا أضفته الى ما أنا به حقيق من علم النحو وحوشي العروض وخفي القافية "..

وابن سيده في هذه المقدمة يتواضع حين يتوقع اختلال قضية بين خمسة آلاف ، ولكنه يضع نفسه في الموضع اللائق بها حين يذكر أن علم اللغة أقل بضائعه اذا أضافه الى ما هو به حقيق من علم النحو ...

وقد قام الأستاذ مصطفى السقا وآخر بتحقيق جزء من كتاب " المحكم " لابن سيده ولكنهما عفا الله عنهما ـ لم يشيرا الى المواضع التي نقل عنها ابن سيده من كتاب سيبويه في أكثر المواضع ، ثم انهما لم يعلقا على كثير من المواضع التي يجب على المحقق أن يعلق عليها لمزيد من التوضيح للنص الذي يقيمه ، وقد قرأت هذا الجزء فوجدته لا يخلو من المسائل النحوية التي تمتلئ بها الكتب ومن هذه المسائل قوله (١) :

أ ـ في مادة قمقع ... فلان لا يقمقع له بالشنان ، أنشد سيبويه (١) :

كأنك من جمال بني أقيش   يقعقع بين رجليه بشن

أراد : كأنك جمل فحذف الموصوف وأبقى الصفة ، كما قال (١) :

لو قلت ما في قومها لم تيثم   يفضلها في حسب وميسم

أراد من يفضلها ، فحذف الموصول وأبقى الصلة .

وقال (٢) : قال سيبويه : وقالوا أرسلها العراك ، أدخلوا الألف واللام على المصدر الذي في موضع الحال ، كأنه قال : اعتراكا أي معتركة ، وأنشد قول لبيد :

فأرسلها العراك ولم يذدها   ولم يشفق على نغص الدخال

وقال : وذهب محمد بن يزيد الى أن المعجم مصدر بمنزلة الاعجام ، كما تقول أدخلته مدخلا ، وأخرجته مخرجا أي ادخالا واخراجا ، وحكى الأخفش أن بعضهم قرأ :

---

(١) المحكم جـ ١ ص : ٢٢ ، الكتاب جـ ١ ص : ٣٧٥ .

(٢) المحكم جـ ١ ص : ١٦١ ، الكتاب جـ ١ ص : ١٨٧ .

" ومن يهن اللـه فما له من مكرم " (*) بفتح الراء أي من اكرام ، فكأنهم قالوا : هذه حروف الاعجام .

وقد نقل ابن سيده عن الأخفش في غير هذا الموضع من كتابه ، وربما كانت هذه النقول من كتاب الأخفش أو من شرحه لهذا الكتاب .

وقد استشهد ابن سيده بالحديث في مواضع عديدة من كتابه قال (١) : وتشمشع الشهر : تقضى الا أقله حكاه أبو عبيد في حديث عمر رضي الله عنه " ان الشهر قد تشمشع فلو ضمنا بقيته " .

وقال (٢) : الضمضمة : الخضوع والتذلل : وفي الحديث : " ما ضمضع امرؤ لآخر يريد به عرض الدنيا الا ذهب ثلثا دينه " .

وقال (٣) : سمع بالرجل أذاع عنه عيبا وأسمع الناس اياه وفي الحديث : " من سمع بعبد سمع الله به " .

وكذلك رأيت السيوطي قد نقل عن ابن سيده في أكثر من موضع قال (٤) :

قال في المحكم : ما فتئت أفعل وما فتأت أفتأ فتأ وفتوا ، وما افتأت الأخيرة تميمية .

وقال (٥) : ومنها مفعلان في المدح والذم ذكر الأكثر أنه مسموع لا يقاس على ما جاء منه والذي سمع منه ستة ألفاظ : مكرمان للعزيز المكرم وملأمان ومخبثان وملكعان ومطيبان ومكذبان ، وذكر بعض المغاربة أنه منقاس ، وأنه يقال في المؤنث بالتاء . وحكى ابن سيده : رجل مكرمان وملأمان ، وامرأة ملأمانة .

وقال (٦) : وذكر ابن سيده وابن مالك أنه ربما نفي بقد فنصب الجواب بعدها ، وحكى بعض الفصحاء : قد كنت في خير فتعرفه بالنصب ، يريد : ما كنت في خير فتعرفه .

(*) سورة الحج ، آية رقم ١٨ .

(١) المحكم جـ ١ ص : ٢٧ — (٢) المحكم جـ ١ ص : ٢٩ .

(٣) المحكم جـ ١ ص : ٣٢٠ — (٤) همع الهوامع جـ ١ ص : ١١٢

(٥) همع الهوامع جـ ١ ص ١٧٨ — (٦) همع الهوامع جـ ٢ ص : ١٢ .

وقد أعاد صاحب الهمع ذلك في موضع آخر[1] .

وعند ما ذكر السيوطي اختصاص أو العطف بعطف المراد فمثل : " يشتى وحزني " (*) ومثل : كذبا ومينا ـ قال[2] : وقال ابن مالك : قد يشاركهما في ذلك أو نحو : " ومن يكسب خطيئة أو اثما " (*) وسبقه اليه ثعلب فيما حكاه صاحب المحكم عنه في قوله : " عذرا أو نذرا " (*) قال : العذر والنذر واحد .

وغير خفي أن بعض هذه النقول تنتمي الى البحوث اللغوية ، وبعضها ينتمي الى مباحث النحو ، فقد أخذ ابن سيده بأوفى نصيب من العلمين معا . ومما لا يحتاج الى تنبيه أن ابن سيده هو صاحب كتاب المخصص في اللغة وهو كبير ، وكتاب الأنيق في شرح الحماسة في ست مجلدات[3] .

٢٧ ـ الأصفر :

هو سعيد بن عيسى الأصفر الأندلسي ، ساكن طليطلة ، أبو عثمان . كان عالما بالنحو واللغة والأشعار ... وله " شرح الجمل " للزجاجي . وفي الصلة أنه توفي نحو سنة ٤٦٠ هـ[4] .

٢٨ ـ الأعلم :

هو أبو الحجاج يوسف بن عيسى بن سليمان ، الأعلم النحوي ، رحل الى قرطبة وأخذ عن جماعة ، ورحل اليه الناس من كل وجه ، وكان عالما باللغات والعربية ومعاني الأشعار حافظا لجميعها ، كثير العناية بها ، حسن الضبط لها . شرح جمل الزجاجي . وقد قام أبو الحجاج يوسف بن عيسى المتوفى سنة ٤٧٥ أو سنة ٤٧٦ بشرح ما في كتاب سيبويه من الشعر ونقد نحوه .

هذا وشرح الأعلم أبيات سيبويه أشهر من أن يتحدث عنه ، أما نقده لنحو سيبويه فانه لم يك الا توضيحا لهذا النحو ، وتمسكا بما يراه سيبويه ، مع الرد على كل مخالف ، ومن يقرأ تعليق الأعلم على شاهد أو أكثر يجد تحقيق هذا الرأي .

(*) سورة يوسف : ٨٦ . (*) سورة النساء : ١١٢ . (*) سورة المرسلات : ٦ .
(١) همع الهوامع جـ ٢ ص : ٧٣ . (٢) المرجع السابق جـ ٢ ص : ١٢٩
(٣) وفيات الأعيان جـ ٣ ص : ١٧ (٤) الصلة جـ ١ ص : ٢١٨ ،

وقد ذكر اسم كتابه في مقدمته ، كما بين أنه أمر بتأليفه ، ووضع خطته التي سيسير عليها فقال[1] : بسم الله الرحمن الرحيم ولا اله الا الله . الحمد لله حمداً يبلغ رضاه ، ويوجب المزيد من مواهبه وعطاياه ويؤدي حق نعمته ، ويتكفل بالزلفة لديه في جنته ، وصلى الله على محمد نبيه المصطفى ، ورسوله المنتخب المنتقى .. هذا كتاب أمر بتأليفه وتلخيصه وتهذيبه وتخليصه ، المعتضد بالله ، المنصور بفضل الله أبو عمرو عباد بن محمد بن عباد .. عناية منه بالأدب وميلا اليه ، وتهمما بعلم لسان العرب وحرصا عليه . أمر ـ أدام الله عزه .. ـ باستخراج شواهد كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر رحمة الله عليه ، وتخليصها منه ، وجمعها في كتاب يخصها وينفضها عنه ، مع تلخيص معانيها ، وتقريب مراميها ، وتسهيل مطالعها ومراتبها ، وجلاء ما غمض وخفي منها من وجوه الاستشهادات فيها ، ليقرب على الطالب تناول جملتها ، ويسهل عليه حصر عامتها ويجتني من كثب ثمر فائدتها ، فانتهيت الى أمره العلي ... وأمليته على ما حد .. وألفته على رتبة وقوع الشواهد في الكتاب وأسندت كل شاهد منها الى بابه أولا ، ثم الى شاعره ان كان معلوما آخر (وسميته بكتاب تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب) ليكون اسمه مطابقا لمعناه وترجمته دالة على ما حواه ، ولم أطل فيه اطالة تمل الطالب الملتمس للحقيقة ، ولا قصرت تقصيرا يخل عنده بالفائدة ...

ولا يتسع هذا البحث لعرض أمثلة كثيرة تبرز تأييد الأعلم لمذهب سيبويه ، ويكفي أن أضرب مثلا لذلك بكلام الأعلم[2] في اعمال فعيل وفعل ، قال : وقد خولف سيبويه في تعدي فعل وفعيل لأنهما بناءان لما لايتعدى كبطر وأشر وكريم ولئيم ، وسيبويه ـ رحمه الله ـ لا يراعي موافقة بناء مالايتعدى اذا كان منقولا عن فاعل المتعدي للتكثير وهو القياس ، مع اثباته بالشاهد ، وان كان قد رد عليه استشهاده بالبيت ، وجعل مصنوعا ، ونسب الى أبي الحسن الأخفش ، وزعم الراد منه أنه قال : سألني سيبويه عن تعدي فعل ، فوضعت له : " حذر أمورا لاتخاف " وان كان هذا صحيحا فلا يغير ذلك سيبويه ، لأن القياس يعضده ، وقد ألفت في بعضها رأيت لزيد الخيل بن مهلهل الطائي بيتا في تعدي فعل وهو :

أتاني أنهم مزقون عرضي ... جحاش الكرملين لها فديد

فقال : مزقون عرضي كما ترى ، واجراه مجرى ممزقين ، وهذا لايحتمل غير هذا التأويل فقد تمت صحة القياس بهذا الشاهد القاطع .

وقد رأيت الأعلم يذكر كتاب النكت في غير موضع ، واستنبطت من هذا أنه يعني في كتاب النكت بالخلافات والآراء ، كما يعني فيه بذكر الأدلة والتعليلات ، وهذا الاستنباط يستأنس له بما قال عنه ابن مضاء : " وكان الأعلم - رحمه الله - على بصره بالنحو مولعا بهذه العلل الثواني ، ويرى أنه اذا استنبط منها شيئا فقد ظفر بطائل (١) .

٢٩ - الطائي :

هو الحسن بن علي بن محمد بن محمد بن عبد العزيز الطائي ، من أهل مرسية يكنى أبا بكر ، ويعرف بالفقيه الشاعر لغلبة الشعر عليه ، روى عن أبي عبد الله بن عتاب ، وأبي عمران القطان ، وأبي محمد بن المأمون وأبي بكر بن صاحب الأحباس ، وأبي العباس العذري ، وابن بدر ، وابن مغيث ، وابن رافع رأسه ، وغيرهم . وكان مشاركا في علوم قائلا في الشعر وله كتاب في النحو سماه المقنع في شرح كتاب ابن جني ، وغير ذلك من تأليفه ، وتوفي في رمضان سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، ومولده سنة اثنتي عشرة وأربعمائة (٢) .

زاد القفطي (٣) :

" وكان نحويا متحققا بالنحو " .

٤ - طائفة النحاة في سطور :

هذه آثار الرعيل الأول من نحاة الأندلس ، وهذه مؤلفاتهم التي ضن الزمان عليها بحق البقاء والخلود ، ومن يدري لعل بعض هذه الأسفار من بين تلك التحف النادرة التي تزخر بها مكتبات المغرب العربي ، وتستمسك بها يد الضنانة في هذه المكتبات العامة والخاصة ، ولعل الزمن يتيح لها فرصة الظهور على مسرح الدراسات النحوية ، فيكشف الجوانب النحوية التي لم تظهر بعد ، من اتجاهات الأندلسيين في بكرة التاريخ .

---

(١) الصلة ج٢ ص: ٤٦٣ ، شذرات الذهب ج٣ ص: ٤٠٣ ، تاريخ الفكر الأندلسي : ١٨٦ ، الرد على النحاة ص: ١٦٠ .

(٢) الصلة ج١ ص: ١٣٧ ، بغية الوعاة ص: ٢٢٥ .

وإذا كان لنا أن نصنف هذه المؤلفات تصنيفا يوضح خصائص التأليف في ذلك الحين فإننا نرى أن جمهرة هذه التآليف كانت شروحا لكتب لم تؤلف في هذه البلاد ، فقد شرح كتاب الكسائي كل من : البغل ، الجوفي ، دريود ، أحمد ابن أبان ، وشرح كتاب الأخفش هذا الأخير ، وقد سبقه زيد البارد ، فجمع الأبواب في كتاب الأخفش ، وكذلك شرح على بن سيده كتاب الأخفش .

وأما كتاب الجمل في النحو لأبي القاسم الزجاجي فقد شرحه الحسين بن العريف ، وأملى ثابت الجرجاني بالأندلس كتابا في شرح الجمل لأبي القاسم الزجاجي وكذلك شرحه سعيد بن عيسى الأصفر وكذلك شرحه الأعلم ولابن العريف الحسين كتاب الرد على أبي جعفر النحاس ، ولهارون بن جندل تفسير عيون سيبويه ، وللأعلم الشنتمري شرح شواهده ، وقد ألف الحسن الطائي كتابا في النحو سماه المقنع في شرح كتاب ابن جني .

وبعض هذه المؤلفات كانت تهذيبا أو شرحا لكتب ألفت في الأندلس ، فقد تناول كتاب الأفعال لابن القوطية عالمان من علماء الأندلس هما عبد الملك بن طريف وسعيد المعافري (١) بالتهذيب والشرح ، كما شرح عبد الله بن عيسى بن وليد في شرح كتاب " الواضح " في النحو الذي ألفه الزبيدي ولكنه مات قبل تمامه .

وليس لنا أن نغمط علماء هذه الحقب حقهم في الابداع والتأليف فقد كان جودي ابن عثمان وابن أبي غزالة وأبو بكر بن خاطب والأحدب والأبيض هؤلاء الخمسة كانت لهم مؤلفات نحوية قال المؤرخون عن بعضها : انها كانت بأيدي الناس أو ان الناس أخذتها عن أصحابها .

وهناك اثنان من رجال هذا العلم لابد من الاشادة بمقدرة كل منهما الفائقة أما الأول فهو موسى بن أصبغ الذي نظم ثمانية آلاف بيت في المبتدأ ، وأما الثاني

---

(١) وقد كان لابن القطاع المصري الدار والوفاة " كتاب الأفعال " أحسن فيه كل الاحسان وهو أجدى من الأفعال لابن القوطية ، وكان ذاك قد سبقه اليه : شذرات الذهب جـ ٤ ص : ٤٥ .

فهو الحسن بن الصريف أخو الحسين ، فقد وضع مسألة فيها ما عثنا ألف وجه واثنان وسبعون ألف وجه وثمانية وتسعون وجها .

ومن هولاء العلماء من كان له " كلام على أصول النحو " كعبد الله بن محمد ابن عيسى بن وليد . كما أن منهم من ألف على مذهب الكوفيين وذلك هو عبد الله المروزى الذى ألف كتاب " الابتداء " ووصفته كتب التراجم بأنه تأليف فى النحو على مذهب الكوفيين .

وقد لا أكون غالطا حق بعض النحاة اذا قلت : ان أعلام هذه الفترة هم : القالى . الزبيدى . الحسين بن الصريف . ابن سيده . الأعلم الشنتمرى .

٥ ـ غير المؤلفين من نحاة هذا العصر :

وقبل أن انتقل الى العصر التالى أرى لزاما على أن أوجز الحديث عن بعض نحاة العصر الأول من غير المؤلفين ، عن طرقهم وخصائص بعضهم ، ولعل خير ما أصدر به هذا الحديث هو ما قاله الزبيدى (1) :

حدثنى محمد بن عمر ، حدثنى أبو هارون فقيه نكور قال : قدم علـى أبو جعفر محمد بن هارون البغدادى عند دخوله الأندلس ، ثم قدم على عند خروجه عنها ، فقلت له : كيف تركت الأندلس ؟ فقال لى : والله لقد رأيت بها عالم أشتهى أن أراه ، مع نأى دارها ، لقد رأيت فقها وشعرا ونحويين وأدباء ، ولقد رأيت رجلا لو حدثت أن فى الأرض مثله ما صدقت ، فبادرته ، فقلت : أيوب بن سليمان ؟ فقال لى : نعم . فقلت له من أين نظرت اليه بهذه العين ؟ فقال لى : نعم ، الناس عندنا كل ذى فن منفرد بفنه ، وهذا رجل يتكلم مع أهل الفنون كلهم فى فنونهم ، وكان أصله من جيان .

وأيوب هذا هو أيوب بن سليمان المعافرى وكان فقيها على مذهب مالك رحمه الله ، وكان متفننا فى النحو والشعر والعروض وضروب الآداب وتوفى يوم الخميس لتسع بقين من المحرم سنة ٣٠٢ .

هـذه وثيقـة من وثائق الفخـر للأندلسيين ، دونت بيد رجل من رجـال المشرق زار هذه البلاد ، ثم خرج عنها ، وهو لا يبغى بها جزاء ولا شكورا .

وقد كان العالم منهم اذا نبغ ذاع صيتـه وعظمت شهرته فى أنحاء البلاد كلهـا ، وقد ضربوا المثل فى الفصاحـة ببعض علماء النحـو .

أ ــ فكان الناس اذا استفصحـوا رجلا قالوا : ماهذا الا أبو حرشن ، وأبو حرشـن هذا هو عبد الله بن رافع مولى رسول اللـه صلى الله عليه وسلم وكان عالما باللغـة والعربيـة ، وأخذ من جودى النحوى (١) .

ب ــ وكان بكر الكنانـى من أهل العلم باللغـة وكان النابهـة فى الفصاحـة حـتى ضرب به المثل فقيـل : " أفصح من بكر الكنانى (٢) " . وكان شاعرا مجيدا .

جـ ــ وكذلك كان سعيد الرشاش من أهل الروايـة للشعر والحفظ للغـة ، وكان يضرب أيضا به المثل فى الفصاحـة فيقال : " أفصح من الرشاش (٣) " .

د ــ ولـما مات عبد الملك بن حبيب السلمى الذى جمع الى علم الفقـه والحديث علـم الاعراب واللغـة والتصرف فى فنون الأدب ، والذى وضع كتابا فى اعراب القرآن وفى شرح الحديث ــ لما مات روى عن سحنون بن سعيد أنه قيل له : مـات عبد الملك بن حبيب الأندلسى ، فقال : مات عالم الأندلس ، بل والله عالم الدنيا .

وقال محمد بن عمـر بن لبابـة : " فقيـه الأندلس يحيى بن دينار ، والعالم عبد الملك بن حبيب ، وعاقلها يحيى بن يحـيى (٤) .

هـ ــ وقد تحدث التاريخ عن ثابت بن عبد العزيـز السرقسطى وابنـه قاسم بمفخـرة خالدة عند رحلتهما الى المشرق ، اذ " هما أول من أدخـل كتاب العـين بالأندلـس (٥) " .

---

(١) طبقات النحويين واللغويـين ص : ٢٨١ .

(٢) المرجـع السابق ص : ٢٨٣ .

(٣) طبقات النحويـين ص : ٢٨٤ .

(٤) المرجع السابق ص : ٢٨٢ .

(٥) نفس المرجـع ص : ٣٠٩ .

وكذلك " جلب منذر بن سعيد القاضي كتاب العين رواية عن أبي العباس ابن ولاد "(١).

وقصة منذر بن سعيد مع أبي جعفر بن النحاس ، ومنعه كتاب العين ولجوئه الى ابن ولاد قصة معروفة(٢) .

وقد اشتهر من هؤلاء علماء بالمذاكرة والسؤال ولهم في ذلك قصص كثيرة تمتلئ بها كتب التراجم .

أ - كان أبو الحكم المنذر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المنذر بن عبد الرحمن بن معاوية رضي الله عنه ، يعرف بالمذاكرة لأنه كان اذا لقي رجلا من اخوانه قال له : هل لك في مذاكرة باب من النحو؟ فلهج بهذه الكلمة وأكثر منها حتى نبز بها(٣) .

قال الزبيدي(٤) : وحدثني بعض الأدباء قال : سأل المنذر بن عبد الرحمن محمد بن مبشر الوزير في بعض مجالسه : كيف تأمر المرأة بالنون الثقيلة من " غزا يغزو " ؟ فأجال ابن مبشر فيها فكره فلم يتجه له جوابها فقال له : يا أبا الحكم ما رأيت أشنع من مسألتك . الله يأمرها أن تقر في بيتها وأنت تريد أن تأمرها بالغزو .

ب - وكان أبو وهب عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرؤوف قد ولي الوزارة ، وكان لايزال يورد على أصحابه من الوزراء مسائل من عويص النحو حتى برموا به ، واستعفوه من ذلك .

وهو القائل - وكان سناطا :

ليس لمن ليست له لحية بأس اذا حصلته ليسا
وصاحب اللحية مستقبح يشبه في طلعته التيسا
ان هبت الريح تلاعبت به وماست الريح به ميسا(٥)

(١) طبقات النحويين واللغويين ص : ٣١٩

(٢) معجم الأدباء جـ٤ ص : ٢٢٦ .

(٣) طبقات النحويين واللغويين ص : ٣١٠ .

(٤) طبقات النحويين ص : ٣١١ .

جـ - وقد تمكن هارون بن موسى من حل رموز كتاب المثال من العروض للخليل ابن أحمد ، وأدرك منه علم العروض ، بعد أن أتى بكتاب الفرش ، فوصله الأمير عبد الرحمن بثلاثمائة دينار وكساه[1] .

وقد ظهرت لبعضهم خصائص علمية اشتهروا بها وعرفت عنهم ، ومن هؤلاء :

أ - أبو محمد عبد الله بن حرب بن ابراهيم بن عبد الملك بن يحيى بن ادريس الكذبي المعروف بجنون ، كان من أهل العلم بالنحو دقيق النظر ، صحيح القياس على مسائله وكان منجها في المتأدبين عنده[2] ، وتوفي في شهر رمضان سنة ٣٣٤ هـ

ب - هاشم بن سعدان ، كان فقيها بصيرا بالحديث ، حافظا للمسائل ، عالما بالرجال واسع الرواية ، جيد الخط غاية في الضبط والتصحيح ، وكان جماعة للكتب متقنا لها ، متفوقا فيها ، وكان له بصر تام بالنحو واللغة[3] ، وتوفي سنة ٣٤٧ .

جـ - وكان محمد بن يحيى الرباحي ، دأبه الغوص على دقيقة يستخرجها ولطيفة يثيرها ، وشاردة يقيدها ، وأصل يفرعه ... ولم يكن عند مؤدبي العربية ولا عند غيرهم ممن عني بالنحو كبير علم حتى ورد محمد بن يحيى عليهم ، وذلك أن المؤدبين انما كانوا يمانون اقامة الصناعة في تلقين تلاميذهم العوامل وما شاكلها وتقريب المعاني لهم في ذلك ، ولم يأخذوا أنفسهم بعلم دقائق العربية وغوامضها والاعتلال لمسائلها ، ثم كانوا لا ينظرون في امالة ولا ادغام ولا تصريف ولا أبنية ولا يجيبون في شيء منها - حتى نهج لهم سبيل النظر وأعلمهم بما عليه أهل هذا الشأن في المشرق من استقصاء الفن بوجوهه ، واستيفائه على حدوده ، وانهم بذلك استحقوا اسم الرياسة[4] " .

---

(١) طبقات النحويين ص: ٢٩١

(٢) المرجع السابق ص: ٣١٢

(٣) نفس المرجع ص: ٣٢٧

(٤) طبقات النحويين ص: ٣٢٦ ، ٣٢٧ .

د — وأحمد بن يوسف بن حجاج بن عمر بن حبيب بن عمير كان من أعلم الناس بالنحو وأحفظهم لمسائله ، وكان كتاب سيبويه بين يديه لا يني عن مطالعته في حال نوافه وشغله ، وصحته وسقمه ، وكان من أحذق الناس بعلم العروض وأحفظهم له ، وكان شاعرا مجودا ، وكان له حظ من علم الموسيقى ، وبسبب ذلك كان يصغى الى الملاهي وتوفى سنة ٣٣٦ هـ (١)

وكان بعض هؤلاء النحاة يميل الى مذهب الكوفيين كسعيد بن قدامة الهلوسي الذي قال عنه الزبيدي :

كان مؤدبا عالما بالعربية ، وكان يميل الى مذهب الكوفيين ، وكان ذا سمت ووقار . (٢)

كما كان منهم من انحرف عن قصد السبيل ، وترك الجادة في دراسة النحو وتحصيله كابن الحصار الذي ذكره الزبيدي بقوله :

هو أبو عمرو أحمد بن مضاء كان نحويا ذكيا ، حسن القياس ، جيد التلقين وكانت له أوضاع في النحو زل في كثير منها ، وذلك أنه كان قليل الدراسة لكتب النحويين تاركا لمطالعتها ، وكان يعول على قياسه وتعليمه ، فكان كثيرا ما يعلل المسألة فيخطئ في اعتلاله . (٣)

وقد كان المعلم منهم يتقاضى الأجر على التعليم " ذكر محمد بن عمر بن لبابة أن رجلا حاكم بعض المؤدبين في الحذقة (*) ، فنعمها المؤدب ، فناظره في ذلك وتعصب له المؤدبون بقرطبة ، وأشفقوا أن ينفتح عليهم باب منع ، فأتوا غازي بن قيس فقالوا : يا سيدنا — تعريضا له بالتأديب — عرض غرض لنا كيت وكيت . فقال : يخرمها صاغرا قميئا ، وقضى لهم بذلك اذ هو ما جرى عليه أمر الناس . (٤)

---

(١) طبقات النحويين ص : ٣٢٤

(٢) المرجع السابق ص : ٣٢٣ .

(٣) طبقات النحويين واللغويين ص : ٣٣١

(٤) ال... ص : ٢٧٨ .

وكذلك كانت لهم قدرة على الاقناع والمناقشة فى مجال الدرس والتعليم كما كان فيهم حرص على اقامة اللسان وسلامته وسلامة اللغة من كل لحن ، قال الزبيدى (١) :

أخبرنى محمد بن عمر ، أخبرنى غير واحد ممن شهد ابراهيم بن حجاج وقد قال له أبو محمد الأعرابى الماصرى ، شاكرا على شئ اصطنعه اليه : تالله ما سيدتك العرب الا بحقك ، فقال أبو الكوثر الخولانى — وكان حاضرا — يا أبا محمد ، العلماء عندنا بالعربية يقولون : سودتك ، فقال : السواد : السخام يخطئون ويصحفون فانتهره ابراهيم وقال : تتسور على الأعراب فى لغاتهم .

فكتب أبو الكوثر الى يزيد بن طلحة " العبسى المتوفى سنة ٣٠٢ بالخبر فأجابه :

المعروف " سودتك " بالواو ، ولعل ما ذكر أبو محمد لغة لبنى عامر فلما وردت المجابة على أبى الكوثر قال (٢) :

يا أبا محمد ، أنكر الأستاذ ما ذكرت ، وحكى له قوله ، فصاح الأعرابى وهاج وبحث ابراهيم فى يزيد ، فلما حضر خرج عليه فقال : أتتسور على الرجل فى كلامه ؟ فقال له ابن طلحة : ان العلم ليس من جهة المغالبة ، ولكن من جهة الانصاف والحقيقة ، فليجبنى أبو محمد عما أسأله عنه .

فقال له : سل ، فقال يزيد : كيف تقول العرب ساد يسود أو ساد يسيد ؟ فقال الأعرابى : ساد يسود ، فقال يزيد : هذه الواو هنا فى الفعل ، فكيف تقول العرب : السودد أو السيدد ؟ فقال : السودد ، فقال يزيد : هذه الواو ثابتة فى الاسم ، ثم قال : أى منزلة عندكم عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الفصاحة ؟ فقال الأعرابى : فوق كل منزلة ، قال يزيد : فقد ثبت عندنا أنه قال : " تفقهوا قبل أن تسودوا " وهذا حديث لم يطعن فيه أحد من علماء اللغة ، كما صنعوا فى سائر الأحاديث التى وقع فيها الغلط ، فلسن الأعرابى وقال : يأهل الأمصار ، ماذا صنعتم بالكلام " .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص : ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

وقد ظهر فى هذه الفترة من تاريخ الأندلس علماء أدباء من النحاة ومن غيرهم ، وربما يكون أحمد بن عبد ربه القرطبى المتوفى سنة ٣٢٨ من خير يمثلهم ، فقد ألف كتاب العقد الفريد ، وهو من أجود ما أنتجته القرائح فى هذه البلاد ، فقد جمع فنون الأدب وضروب العلم وألوان الحكمة ، الى جانب كثير من الأخبار والأمثال والنوادر فى عبارة فصيحة وخيال رائع خصيب[1] .

وهو يبارى كتاب " عيون الأخبار " لابن قتيبة ، أو " الكامل " للمبرد وقد كان للنحو فيه نصيب[2] ولكن الكتاب فى جملته يحوى الكثير من الأدب الرفيع .

وفى هذا القدر كفاية والى عصر جديد .

---

(١) وفيات الأعيان جـ ١ ص: ٩٢ - ٩٤

(٢) الجزء الثانى ص: ٤٨٠ وما بعدها من العقد الفريد .

العصر الذهبي للنحو الأندلسي

الحالة السياسية

أثر هذه الأحوال في النشاط العلمي

أعلام هذا العصر :

١- ابن السيد

٢- ابن الطراوة

٣- ابن مضاء

٤- ابن خروف

٥- الصفار شارح الكتاب

٦- الشلوبين

٧- الجزولي

٨ - ابن عصفور

العصر الذهبي للنحو الأندلسي :

رأينا أن الفترة السابقة في القرون الأربعة الأولى للفتح العربي كانت فترة يسيطر عليها النهم العلمي ، وتسودها الرغبة الصادقة الملحة في التحصيل والاستزادة من العلوم ، ويكثر فيها الجهاد والدأب في سبيل الاغتراف من معين العلم العذب ، وقد كانت أنظار العلماء وطلاب العلم الأندلسيين متجهة دائما نحو بلاد الشرق الاسلامية ، تأخذ عنها بالدرس والرواية ، وتحاكي ما تأخذه ، أو تحاول شرحه أو اختصاره أو معارضته ونقده ، أو التعليق عليه .

ولم يغرب أن تكون بلاد الشرق قبلة يؤمها العلماء والمتعلمون من أبناء الأندلس فمنها شع ضوء الهداية ، ومنها انبثق في نفوسهم نور الاسلام ، ولقد كان العالم منهم يرحل ابتغاء العلم ، ولكنه لاينسى أن يعقد الموازنة بين بلاده وبلاد الشرق يستحث بهذه الموازنة همم أبناء بلاده ، ويدعوهم الى الأخذ من الآداب بأوفى نصيب فهذا " عبد الملك بن زيادة الله بن علي بن حسين ... كان اماما في اللغة ، رحل الى مصر وكتب الى ابنه منها :

يا أهل أندلسيا عندكم أدب بالمشرق الأدب النفاح بالطيب

يدعى الشباب شيوخا في مجالسهم والشيخ عندكم يدعى بتلقيب" (١)

وواضح أن الأدب الذي عناه عبد الملك هذا انما ~~عبد الملك هذا انما~~ هو الأدب بمعناه العام الذي يشمل سائر علوم العربية على ما عرف في ذلك العصر من عدم تحديد الأدب بما خصص به بعد . وهذان البيتان تعبير صادق يصور ما شهد الرجل رأي العين من نهضة علمية في الديار المصرية .

وقد كان كل أندلسي يغادر بلاده لطلب العلم يسعى ليسجل لنفسه مفخرة وقد سبقت الاشارة الى من أدخل الموطأ ومن أدخل كتاب العين ومن أدخل مذهب الأوزاعي ومذهب مالك ومذهب الشافعي ، والى من أدخل كتاب الكسائي وكتاب سيبويه ، والى الطريقة التي وصل بها كتاب الأغاني وغيره من مؤلفات أبي الفرج

---

(١) الصلة جـ ١ ص ٣٤٣ .

الى الأندلس . وما لم أذكره من أخبار الكتب والعلماء أكثر مما ذكرت ، اذ أن البحث لا يحتمل الاستفاضة في هذا الحديث ، نعود الى التاريخ .

وسأتحدث فيما يلي عما كانت عليه الأحوال السياسية في القرنين السادس والسابع الهجريين ، وأثر هذه الأحوال في النشاط العلمي ، والاتجاهات المختلفة في دراسة النحو ، عند ترجمة أعلام النحاة في هذا العصر ، وبيان ما انفرد به كل علم منهم .

الحالـــة السياسيـــة :

" وفي أواخر القرن الخامس " في سنة ٤٧٨ هـ أخذ الأذفنش ـ لعنه الله ـ مدينة طليطلة من الأندلس ، بعد حصار سبع سنين تعاقب وتمرد ، وحملت اليه ملوك الأندلس الضريبة ، حتى المعتمد بن عباد ، ثم استعان المعتمد على حربه بالملثمين ، وأدخلهم الأندلس(١) " .

وفي بدء القرن السادس كان علي بن يوسف بن تاشفين قد خلف أباه في الحكم سنة خمسمائة ، وقد سبق كلام صاحب المعجب عنه أنه لم يكن يحظى عنده الا من علم علم الفروع ، وأنه بالغ في ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان لهذا السلوك الديني تأثير في المغرب العربي " الى أن ظهر محمد بن تومرت مهدي الموحدين في صدر المائة السادسة فرحل الى الشرق وأخذ من علمائه مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ومتأخري أصحابه من الجزم بعقيدة السلف مع تأويل المتشابه من الكتاب والسنة وتخريجه على ما عرف من كلام العرب من فنون مجازاتها وضروب بلاغتها مما يوافق عليه النقل والشرع ، ويسلمه العقل والطبع ، ثم عاد محمد بن تومرت الى المغرب ودعا الناس الى سلوك هذه الطريقة وجزم بتضليل من خالفها بل بتكفيره ، وسمى أتباعه الموحدين تعريضا بأن من خالف طريقته ليس بموحد ...

---

(١) نفح الطيب جـ ٣ ، ٣٥٧ .

وقد كان عبد المؤمن بن علي وبنوه من بعده قد محوا الناس من التقليد في الفروع وحملوا الأئمة على أخذ الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة مباشرة على طريقة الاجتهاد المطلق[1] "

دخل الموحدون الأندلس سنة ٥٤٥ هـ " ولما كانت سنة ٥٥٠ هـ أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي باصلاح المساجد وبنائها في جميع ممالكه ، وتغيير المنكرات ما كانت ، وأمر مع ذلك بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى قراءة كتب الحديث واستنباط الأحكام منها وكتب بذلك الى جميع طلبة العلم من بلاد الأندلس والعدوة[2] " .

وساد الدولة نشاط ديني موجه ، استمر حتى " توفي عبد المؤمن سنة ٥٥٨ هـ[3] "

وخلفه بعد ابنه يوسف (٥٥٨ — ٥٨٠ هـ) وكان " أعرف الناس كيف تكلمت العرب ، وأحفظهم لأيامها ومآثرها وجميع أخبارها في الجاهلية والاسلام ، صرف عنايته الى ذلك أيام كونه باشبيلية واليا عليها في حياة أبيه ولقى بها رجالا من أهل علم اللغة والنحو والقرآن منهم الأستاذ اللغوي المتقن أبو اسحق ابراهيم بن عبد الملك المعروف عندهم بابن ملكون[4] " .

ثم " كان الأمير أبو يوسف يعقوب يشدد في الزام الرعية باقامة الصلوات الخمس وقتل في بعض الأحيان على شرب الخمر ، وقتل العمال الذين تشكو الرعايا منهم ، وأمر برفض فروع الفقه[5] " .

" وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث ، وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده الا أنهما لم يظهراه وأظهره يعقوب هذا ... وكان عنده طلبة العلم مالم ينالوا في أيام أبيه وجده[6] " وتوفي يعقوب سنة ٥٩٥ هـ بمراكش[7] " .

---

(١) الاستقصا جـ ١ ص : ١٤٥ ، ٤٦ (٢) الاستقصا جـ ١ ص : ١٥٠

(٣) وفيات الأعيان جـ ٤ ص : ٤٠٤ (٤) المعجب ص : ١٧٠

(٥) وفيات الأعيان جـ ٦ ص : ١٢٠ ، ١٣١ (٦) المعجب ص : ٢٠٣

(٧) وفيات الأعيان جـ ٦ ص : ١٣١ .

" ولما كانت الخلافة للناصر لدين الله بن يعقوب سنة ٥٩٥ هـ استفحل أمر الفونس ملك قسطيلة ، واستنجد بالبابا ، وأرسل الرسل لحث الناس من فرنسا وغيرها وأثار على الأندلسيين حربا هائلة ، تقابله الخليفة الناصر ، واقتتل الجيشان فانهزم الأندلسيون ، وتعقبهم الأوربيون ولكنهم لم يفرحوا بنصرهم ، حتى قابلهم زكريا بن أبي حفص أحد قواد الناصر فهزمهم شر هزيمة حوالى سنة ٦٠٩ هـ"(١)

" ولما تولى يعقوب بن الناصر أكب على لهوه ، فانتصر الأوربيون على الأندلسيين انتصارا باهرا سنة ٦١٤ هـ "(٢) وفي سنة ٦٣٣ هـ أخذ الفرنج قرطبة واستباحوها"(٣) " وفي سنة ٦٦٣ هـ كانت ملحمة عظمى بالأندلس التقى النفش - لعنه الله - وأبو عبد الله ابن الأحمر غير مرة ، ثم انهزمت الملاعين ، وأسر النفش ثم أفلت وحشد وجمع ونازل غرناطة فخرج ابن الأحمر فكسرهم وأسر منهم عشرة آلاف وقتل المسلمون فوق الأربعين ألفا وجمعوا كوما هائلا من رؤوس الفرنج وأذن عليه المسلمون ، واستعادوا عدة مدائن من الفرنج "(٤).

ولكن حكام المسلمين كانوا على خلف مستمر ، حتى دفع ذلك غير واحد منهم الى الاستعانة بملك الفرنج على اخوانهم من ملوك المسلمين واستمر الاضطراب يسود البلاد والحروب تهدد المسلمين ، وفي كل وقت ينتقص الحد وجزءا من أرض الاسلام ، وانتهى القرن السابع وفي الأندلس حكم اسلامي ضعيف .

أثر هذه الأحوال في النشاط العلمي :

استمر تشجيع الحكام للعلماء على البحث والدرس وعلى عقد حلقات العلم وعلى التأليف والانتاج في مختلف العلوم والفنون ، اذا استثنينا علم الفروع الذي قامت الدولة الجديدة بدعوة عنيفة لمقاومته .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين مجلد ١ ص: ٦٥٩ ، ٦٦٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) شذرات الذهب جـ ٥ ص: ١٥٩ .

وساد هذين القرنين نشاط علمى واسع ، كان ثمرة لتلك الجهود الموفقة التى بذلت من قبل فبرز رؤساء فى مختلف الفنون والآداب ، وأخذ النحو فى هذين القرنين أبلغ العناية ، وكان فى كل صقع من أصقاع الأندلس علماء من النحاة يقرئون الناس ويعلمونهم اقامة اللسان العربى ويهتمون بتقييد نتاج قرائحهم فى مؤلفات نفعت الناس فى زمنهم وربما كتب لبعضها أن تصرع الخطوب والأحداث لتصل الينا .

ولم يكن لهذه الاضطرابات السياسية والتحركات العسكرية آثار سيئة على الانتاج العلمى الا فى رحيل بعض هؤلاء العلماء الى بلاد الاسلام الأخرى ، ويكفى أن يقول صاحب المعجب عن يوسف بن عبد المؤمن ثانى أمراء الموحدين : " صح عندى أنه كان يحفظ أحد الصحيحين — الشك منى — اما البخارى أو مسلم ، وأغلب ظنى أنه البخارى ، وكان له مشاركة فى علم الأدب واتساع فى حفظ اللغة ، وتبحر فى علم النحو ، ثم طمح به شرف نفسه وعلو همته الى تعلم الفلسفة ، وأمر بجمع كتبها ، فاجتمع له قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الأموى ... ولم يزل يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب ويبحث عن العلماء ، وخاصة أهل علم النظر ، الى أن اجتمع له منهم مالم يجتمع لملك قبله ممن ملك المغرب ، وكان ممن صحبه من العلماء المتقنين أبو بكر محمد ابن طفيل أحد فلاسفة المسلمين ولم يزل أبو بكر هذا يجلب اليه العلماء من جميع الأقطار وينبهه عليهم ، وهو الذى نبهه على أبى الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد "(١) .

هذا مثل لما كان عليه هؤلاء الحكام من حب للعلم وتقدير لأهله ، ورغبة فى جمع المؤلفات فى كل فن وفى كل علم ، ولما انفرط عقد الدولة التى أقامها الموحدون لم يهن شأن العلماء ولم ينقض مجدهم ، ولم يتأثر الانتاج العلمى المتطور فى هذه البلاد بل سارت شئون التعليم وخاصة فى علوم العربية الى الأمام ، وظهر فى هذين القرنين أئمة أعلام ، يستحق كل امام منهم أن يفرد ببحث مستقل ، يغوص الباحث فيه فى بحار علمه الفياضة ويستنبط منها خصائص نحوه وفضل علمه ، وحسبى أن أقتصر الحديث هنا على جماعة منهم ١ — ابن السيد ٢ — ابن الطراوة ٣ — ابن مضاء ٤ — ابن خروف ٥ — الصفار ٦ — الشلوبين ٧ — الجزولى ٨ — ابن عصفور .

---

(١) ...

١ـ ابـن السيــد :

أ ـ اسمــه :

هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد بكسر السين البطليوسي بفتح الموحدة والطاء وضم التحتانية وسكون اللام والـــواو (١) . نزيل بلنسيــة (١) .

ب ـ صفتــه :

كان عالما باللغات والآداب ، متبحرا فيها . انتصب لاقراء علوم النحو واجتمــع اليه الناس وله يد في العلوم القديمة ، ذكره في قلائد العقيان وبالغ في وصفـــه (١)

وقال ابن بشكوال بعد ذكر اسمه وبلـــده (٢) :

كان عالما بالآداب واللغات متبحرا فيهما ، مقدما في معرفتهما واتقانهما وزاد القفطي على ما تقـــدم (٣) :

" من أهل بطليوس (مدينة من مدن الأندلس) سكـن بلنسية " وزاد في شذرات الذهــب (٤) :

" وكان الناس يجتمعون اليه ويقرؤون عليه ويقتبسون منه ، وكان حسن التعلــيم جيد التفهيــم " .

وزاد ابن خلكـــان (٥) :

" وكان حسن التعليم جيد التفهيم ، ثقة ضابطــا " .

اذن فقد أجمعت المراجع على فضل الرجل وكماله وعلى تقدمه في المعرفــة والاتقان ، وعلى أنه كان من المعلمين الذين يجتمع الناس اليهم ويأخذون عنهم ، وأيدت كذلك أنه كان حسن التعليم جيد التفهيم ، وهو مع كل هذه الفضائل رجل موثوق بعلمـــه اطمأن الطلاب الى دقته وضبطــه .

---

(١) وفي معجم البلدان ووفيات الأعيان (بفتح الموحدة والطاء والتحتانية وسكون الــلام والواو .

(١) بغيــة الوعاة ص : ٢٨٨

(٢) الصلــة جـ ١ ص : ٢٨٢

(٣) انباه الرواة جـ ٢ ص : ١٤١

(٤) جـ ٤ ص : ٦٤ .

وقد روى له السيوطي شعرا يدل على رسوخ قدمه في العلم وتمجيده لأهلـــه وطلابـــه ، وكراهيته للجهل والجهال ، قـــال[1] :

" ومن شعـــره :

أخو العلم حي خالد بعد موته ⁂ وأوصاله تحت التراب رمـــيم

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى ⁂ يظن من الأحياء وهو عديـــم "

هذا ، وقد ذكرت في ترجمته قصة سأتركها دون تعليق عليها تلك هي أنه " كـــان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس صورة : عزون ، ورحمون ، وحسون فأولع (ابن السيد) بهم وقال فيهم :

أخفيت سقمي حتى كاد يخفيني ⁂ وهمت في حب عزون فعزوني

ثم ارحموني برحمون فإن ظمئت ⁂ نفسي الى ريق حســون فحسوني

ثم خاف على نفسه فخرج من قرطبـــة .

وحسب القارئ أن يؤمن بأن النقصان من صفات الانســان .

ج ــ تلاميـــذه :

لقد أم مجلس ابن السيد طلاب العلم ، واجتمع اليه الناس ، لأنه المعلم الثبت الثقة الذي آمن الناس بمقدرته على أن يفيدهم فقصدوا مجلسه رجاء العلم والفهم . ولقد تحدث السيوطي عن بعض النابهين من تلاميذه وذكرهم فيمن ذكر من النحاة فكان منهـــم :

١ــ عبد الملك بن سلمة بن عبد الملك الوشقي البلنسي أبو مروان يعرف بابن الدقين قال ابن الزبير : كان أستاذا نحويا فاضلا ، روى عن أبي محمد ابن السيد وتأدب به ، وروى عنه أبو عمر يوسف بن عبد الله بن سعيد بن أبي زيد ، وكان حيا سنـــة ثلاثين وخمسمائـــة[2] .

٢ــ علي بن عبد الله بن موسى بن طاهر الغفاري السرقسطي أبو الحسن البرجي ، قال ابن الزبير : كان عارفا بالنحو واللغة والأدب بارع الخط ، حسن الوراقة جيـــد

---

(١) بغية الوعاة ص : ٢٨٨ .　　(٢) بغية الوعاة ص : ٣١٤ .

الشعر ذا رواية ودراية ، روى عن أبي علي الصدفي وجماعة ولم يكن شعره بالكثير روى عنه غالب بن محمد وهشام العوفي ، ومات بوادي آش في حدود الأربعين وخمسمائة . وقال ابن عبد الملك : كان لغويا أديبا ذا حظ صالح من رواية الأدب . أقرأ في حياة شيخه ابن الوراق ، وروى عن أبي محمد بن السيد وأبي علي بن سكرة ، وروى عنه أبو مروان بن الصقلي ، ويحيى بن ابراهيم التغلبي ، وجول في أقطار الأندلس ، واستقر بآخر في وادي آش وأقرأ بها ، وذبح بها سنة خمس أو ست وثلاثين وخمسمائة .(1)

٣ ــ طاهر بن عبد الرحمن بن سعيد بن أحمد الأنصاري الأندلسي الداني أبو الحسين وأبو بشر بن سبيطة ، أستاذ نحوي ، روى عن أبي محمد بن السيد واختص به ، وكان من كبار تلاميذه ، وكان من أهل الذكاء والنبل والفهم ، تصدر لتدريس العربية والآداب ، وألف . مات بدانية بعد الأربعين وخمسمائة . ذكره ابن الزبير وابن عبد الملك .(2)

٤ ــ مسعود بن محمد بن خالص الأمروحي ، أبو بكر . قال ابن الزبير : أستاذ نحوي لغوي روى عن أبي محمد بن السيد . وكان من أحفظ أهل زمانه بأخبار العرب وسيرها وأنسابها ، عمر كثيرا فقرأ عليه الآباء والأبناء ، وكان أهل شلب يتبركون بالقراءة عليه لفضله مات بعد سنة سبع وأربعين وخمسمائة .(3)

٥ ــ أحمد بن محمد بن عيسى بن زكين التجيبي ثم الداني أبو العباس المعروف بالأقليشي النحوي ، أخذ العربية والأدب عن أبي محمد البطليوسي وسمع الحديث من أبيه وابن العربي وأبي الوليد بن الدباغ ورحل وحج وجاور وسمع من الكروخي وحدث ، وكان عالما بالحديث واللغة والعربية ... قال ابن الأبار : مات بقوص في عشر الخمسين وخمسمائة ، وقد نيف على الستين وجزم

---

(1) بغية الوعاة ص : ٢٤٠

(2) المرجع السابق ص : ٢٧٢

(3) نفس المرجع ص : ٣٩١ .

الصفدي بأنه مات سنة خمسين . وقال الملفي والأدفوي : مات بمكة في رابع رمضان سنة تسع وأربعين . (1)

٦ـ عمر بن محمد بن أحمد بن علي بن عديس أبو حفص القضاعي البلنسي اللغوي قال الصفدي : حمل عن أبي محمد البطليوسي الكثير وصنف المثلث عشرة أجزاء ضخمة ، دل على تبحره وسعة اطلاعه . وشرح الفصيح ومات في حدود السبعين وخمسمائة . (2)

هؤلاء هم بعض طلاب العلم الذين أخذوا عن ابن السيد ، وقد كان في كثير منهم نبوغ وتقدم ، وكان لأكثرهم تصدر وتآليف قيمة ، وعلى كل نفع الله به الكثيرين .

٧ـ وقد جمع بين الجلوس إلى ابن خلصة وابن السيد على الرغم مما كان بينهما من مناقشات وأحوال " أحمد بن عبد العزيز بن الفضيل بن الخليع الأنصاري الشريوني القيسي أبو العباس الذي سكن بلنسية . وقال عنه ابن عبد الملك : كان متحققا بالعربية بارعا في الأدب شاعرا محسنا ، أخذ العربية والآداب عن أبي عبد الله بن خلصة وأبي محمد بن السيد البطليوسي . وجال في بلاد الأندلس ، وكان أنيق الوراقة بديعها ، معروفا بالاتقان والضبط ، يتنافس في خطه ... ولد قبل سنة ٥٠٠ ، وقتل صبرا باشبيلية سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة . (3)

فالتنافس بين ابن خلصة وابن السيد لم يمنع طالب العلم من الاختلاف إليهما والأخذ عنهما ، كما جمع كثير من علماء المشرق من قبل بين الأخذ عن ثعلب والمبرد زعيمي مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة ، على ما كان بينهما من تنافس .

---

(1) بغية الوعاة ص: ١٧١

(2) المرجع السابق ص: ٣٦٣

(3) نفس المرجع ص: ١٤٠ .

د - مؤلفاتــــه :

١- شرح أدب الكاتب ، وسماه الاقتضاب ، ولهذا الكتاب حديث لابد من ذكره : وذلك أن ابن خلصة النحوي نسب هذا الكتاب الى " أحمد بن محمد بن أحمد المرسي أبي العباس بن يخلف ، قال ابن عبد الملك : كان عالما بالنحو واللغة والأدب ، وله شرح الغريب المصنف ، وشرح الاصلاح لابن السكيت ، أفاد بذلك كله وأحسن ما شاء ، وزاد ألفاظا في الغريب ، وكان يقرئ العربية والآداب ، وعليه قرأ المظفر عبد الملك " نسبه اليه ابن خلصة ، وذكر أن ابن السيد البطليوسي أغار عليه وانتحله ، مات هذا قريبا من سنة ستين وأربعمائة[1] ".

وابن خلصة يدعي دعوى ، ولكنه لم يقم عليها الدليل ، واذا أعوز المدعي الدليل سقطت دعواه ، لاسيما اذا كان متهما في دعواه بسبب التنافس بينه وبين خصمه ولا سيما اذا انفرد بالصاق التهمة ببرئ ذكره الجميع بالضبط والثقة والتبحر في العلوم والآداب .

وابن خلصة هذا هو : " محمد بن عبد الله بن خلصة الأندلسي ، أبو عبد الله قال ابن الزبير : كان من أهل المعرفة والنحو والأدب ، بارعا في النظم والنثر ذاكرا للغريب ، أخذ عن أبي الحسن بن سيده ، وسكن بلنسية وأقرأ بها مدة ، وبدانية وانتقل أخيرا الى المرية ، الى أن مات بها سنة ٥١٩ ، وكان مشكور الشمائل ، وبينه وبين معاصره أبي محمد بن السيد منازعات وأهوال ، ألف فيها كل واحد منهما ردا على صاحبه . روى عنه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مطرف التطيلي المقرى ، وقال فيه : الأستاذ الشاعر الكفيف[2] ".

ولو أن ماكان بينه وبين ابن السيد كان مقصورا على المنازعات لحسبنا ذلك هينا واعتبرناه أمرا ينتهي الى خلاف في الرأي أو منافسة على المنزلة التي يود كل منهما أن تكون له وأن يكون هو صاحبها ، ولكن ماكان بين ابن السيد ومعاصره ابن خلصة كان

---

(١) بغية الوعاة ص: ١٥٧.

(٢) المرجع السابق ص: ٥٢.

أ هوالا أعقبت المنازعات حتى اقتضى ذلك أن يؤلف كل منهما ردا على صاحبه • ويكفي هذا تأييدا لتلك الدعوى • فاذا أضفنا الى هذا أن الثقات من المؤرخين قد نسبوا كتاب الاقتضاب لابن السيد أصبحت هذه الدعوى كأن لم تكن •

نسب الاقتضاب لابن السيد ابن خلكان(١) • كما نسبه اليه ابن العماد(٢) والسيوطي(٣) • وكذلك ذكره الراوية الموثوق به أبو بكر محمد بن خير الاشبيلي فقال(٤) :

" كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب تأليف أبي محمد بن السيد - رحمه الله - حدثني به الفقيه المحدث أبو الحسين عبد الملك بن محمد بن هشام القيسي اجازة • والفقيه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن سعيد العبدري مناولة منه لي قال : حدثنا به أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي • مؤلفه رحمه الله " •

وبهذا تصح نسبة هذا الكتاب لصاحبه • ويبرأ قدره من الزيف والانتحال ثم يضاف الى من أخذوا عن ابن السيد علم من أعلامهم هو عبد الله بن أحمد بن سعيد العبدري • ولست أدري سببا لاختيار ابن خلصة هذا الرجل لينسب اليه كتاب الاقتضاب الا أن يكون اختيارا عشوائيا •

٢ - شرح الموطأ • ذكروه في ترجمته •

٣ - قال في شذرات الذهب(٥) :

وشرح سقط الزند لأبي العلاء المعري شرحا استوفى فيه المقاصد • وهو أحسن من شرح أبي العلاء صاحب الديوان •

وقال ابن خلكان(٦) :

شرح سقط الزند أجود من شرح أبي العلاء نفسه " ضوء السقط "

---

(١) وفيات الأعيان جـ ٢ ص : ٢٨٢

(٢) شذرات الذهب جـ ٤ ص : ٦٤

(٣) بغية الوعاة ص : ٢٨٨

(٤) فهرسة الأشبيلي ص : ٣٤٤

(٥) جـ ٤ ص : ٦٤ •

(٦) وفيات الأعيان جـ ٢ ص : ٢٨٢ •

٤ـ شرح ديوان المتنبي : ذكروه في ترجمته كذلك .

٥ ـ المثلث ، قال ابن خلكـــان (١) :

" ألف ابن السيد كتبا نافعة ممتعة ، منها كتاب المثلث في مجلدين أتى فيه بالعجائب ، ودل على اطلاع عظيم ، فان مثلث قطرب في كراسة واحدة ، واستعمل فيه الضرورة وما لا يجوز ، وغلط في بعضه " .

ومن مثلثات ابن السيد قطعة بدار الكتب المصرية تحمل رقم (٣ مجاميع ش) في (٥٩ ورقة) وفيها خرم وبتر ، وقد كتبت بخط مغربي ، وأول ما وجد فيها :

فذن على القوم صار أميرا ، وأمرت الشيء وآمرته كثرته ، قال الله تعالى : " واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها " (*) وأمر الشيء بكسر الميم أمرا وأمرة فهو أمر اذا كثر ، قال زهير :

والاثم من شر ما يُصال به ... والبر كالغيث نبتُه أَمِرُ

ويقال : أمر الرجل بضم الميم ، اذا تعجب من إمرته .

وفي الورقة الثامنة والخمسين منه :

عبد بفتح الباء ذل وخضع وأطاع ، وعبد من الشيء بكسر الباء أنف وعبد غضب قال الله تعالى : " قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين " (*) أي أنا أول من يغضب لذلك ويأنف منه . قال الفرزدق :

وأعبد أن تهجى كليب بدارم

وقرأ بعض القراء : " وعبد الطاغوت " (*) بضم الباء ورفع الطاغوت أي صار يعبد من دون الله تعالى .

وآخر ما في هذه القطعة :

عصرت الناقة بابنها : رفعته ، والرجل بيده : رفعها للضرب ، قال النابغة :

وقد عصرت من دونهم بأكفهم ... بنو عامر عصر المخاض الموانع

وعسر الرجل بكسر السين عسرا : صار أعسر . وعسر (بضم السين) عسرا وعسارة قل سماحه وخاف خلقه . واليوم : اشتد ، والناقة .

---

(١) جـ ٤ ص : ٦٤ ، وفيات الأعيان جـ ٢ ص : ٢٨٢ .

ومن هذه الأمثلة التي نحدد بها معالم الكتاب نرى أن البحث لغوى ليس للنحو فيه نصيب ، وانما ذكر وفاء بحق صاحبه ٠

٦ـ المسائل المنثورة فى النحو ٠ قال الاشبيلى[1] : كتاب فيه مسائل فى العربية وفى غيرها لأبى محمد بن السيد البطليوس النحوى رحمه الله منها : مسألة سحنون ، ومسألة التشميت ، والفرق بين التوابع الخمسة قرأت ثلاثتها على الشيخ الفقيه أبى محمد عبد الله بن أحمد بن سعيد العبدرى رضى الله عنه ، وناولنى سائر المسائل فى سفر ، وحدثنى بذلك كله عنه ٠

وقد نقل السيوطى عن هذا الكتاب فقال[2] :

قال الامام أبو محمد بن السيد البطليوس فى كتاب المسائل والأجوبة : جمعنى مجلس مع رجل من أهل الأدب نازعنى فى مسألة من مسائل النحو ، ثم درست الأيام ، ودرجت الليالى ، وأنا لا أعيرها فكرى ولا أخطرها على بالى ، ثم اتصل بى أن قوما يتعصبون له ويقرظونه ، ويعتقدون أنى أنا المخطئ فيها دونه فرأيت أن أذكر ماجرى بيننا فيها من الكلام وأزيد مالم أذكره وقت المنازعة والخصام ليعلم من المزجى البضاعة وبالله التوفيق ٠

كان مبتدأ الأمر أن هذا الرجل المذكور قال لى : ان قوما من نحويى سرقسطة اختلفوا فى قول كثير :

وأنت التى حببت كل قصيرة ... الى وما تدرى بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم أرد ... قصار الخطا شر النساء البحاتر

فقال بعضهم : البحاتر مبتدأ وشر النساء خبره ، وقال بعضهم : يجوز أن يكون شر النساء المبتدأ والبحاتر خبره ، وأنكرت أنا هذا القول ٠ لايجوز الا أن يكون البحاتر هو المبتدأ وشر النساء هو الخبر ٠٠

---

(١) فهرسة الاشبيلى ، ٣١٦ ٠

(٢) الاشباه والنظائر ٣ : ٤٤ ٠

وقد أفاض ابن السيد في ذلك وبين أوجه القول في حديث طويل وهناك نقول أخرى كثيرة عن هذا الكتاب منها :

في المسائل لابن السيد البطليوسي : (اللهم علم للباري وليس بمأخوذ من الاله كما قال المازني).

وفي المسائل : (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد بعض النحويين ينكر عطف الصلاة على البسملة ويسقطون الواو ... لاختلاف الجملتين . الأولى خبرية والثانية دعائية والعلتان ساقطتان ... وقد أثبت سيبويه والمبرد في الكامل هذه الواو وخطب البلغاء دليل على صحة العطف[1]).

٧ – كتاب سبب اختلاف الفقهاء ، وقد ذكر ابن خير هذا الكتاب فقال[2] : كتاب التنبيه على الأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين في عقائدهم ومذاهبهم ، مع الكلام في الاسم والمسمى ، تأليف أبي محمد عبد الله بن محمد ابن السيد البطليوسي النحوي – رحمه الله – حدثني به الشيخ الامام الفقيه الحافظ أبو محمد ... العبدري – رضي الله عنه قراءة عليه في منزله ، قال : حدثني به أبو محمد البطليوسي مؤلفه رحمه الله .

وقد ذكر السيوطي هذه الكتب جميعها في ترجمة ابن السيد .

٨ – وله كتاب في الحروف الخمسة وهي السين والصاد والضاد والظاء والدال جمع فيه كل غريب ، ذكره ابن خلكان ، وابن العماد ، في ترجمته .

٩ ، ١٠ – اصلاح الخلل الواقع في الجمل ، والحلل في شرح أبيات الجمل .

وقد سبق تقريظ صاحب كشف الظنون لشرح ابن السيد بقوله : "أحسنها شرح الأستاذ أبي عبد الله محمد بن السيد البطليوسي" وقد ذكره ابن خير فقال[3] :

كتاب اصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل لأبي القاسم الزجاجي ، وكتاب الحلل في شرح أبيات الجمل له أيضا ، تأليف أبي محمد البطليوسي – رحمه الله وحدثني

---

(١) الاشباه والنظائر بتصرف : ٣ : ٢٢٣

وهناك مسائل أخرى في صفحة : ٢٢٩ ، ٢٤٤

به الشيخ المحدث أبو الحسن عبد الملك بن محمد بن هشام القيسي ، وغير واحد من شيوخنا رحمهم الله عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي النحوي مؤلفه - رحمه الله .

ومن هذين الكتابين نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحمل رقم (١١١٠ نحو) وقد كتبت هذه النسخة بعد وفاة ابن السيد ، وذكره كاتبها بالثناء ، فقال : " قال الفقيه الأستاذ الأوحد - رضي الله عنه " .

ولم يكن تأليف ابن السيد هذا الا استجابة لسؤال طالب العلم ، فقد بدأ تقديم كتابه بقوله :

سألتني - سدد الله سهامك الى أغراض مطالبك ، وأناف بك على أقاصي آمالك ومآربك - ايضاح معاني كتاب الجمل واصلاح ما وقع فيه من الخلل " .

ثم ذكر ابن السيد رأيه في كتاب الجمل وفي هدف صاحبه منه ، فقال :

وهو لعمري كتاب قد أنجد وأغار ، وطار من الآفاق كل مطار ، وواضعه - رحمه الله - قد نزع به المنزع الجميل ، فانه حذف الفضول ، واختصر التطويل غير أنه مع تركه سبيل الاطالة والاكثار قد أفرط في الايجاز والاختصار ، ورمى بالكلام على عواهنه ، غير منتقد لمساوئ القول ومحاسنه ، ولم يفكر في اعتراض المعترضين وانتقاد المنتقدين وتعقب المتعقبين ، فتجده في كثير من كلامه بعيد الاشارة سيء العبارة ، ونحن وان تعقبنا بعض ألفاظه واعترضنا في نكت من مقاصده وأغراضه معترفون له بالبراعة وأنه من أئمة هذه الصناعة " .

ثم اعترف ابن السيد بفضل كتاب الجمل عليه فقال : فاننا بكتابه قد افتتحنا النظر في هذا العلم ، وهو الذي رسخ بصائرنا لما منحنا من الفهم " .

كما اعترف ابن السيد بأن غيره قد سبقه الى الاعتراض على الزجاجي وتخطئته في بعض ما نحا اليه ، ثم اعتذر عنه وبين قدره بقوله : " وليس اختلال بعض عباراته مما يخل بمحله في العلم ومكانته ، فقد قال الحكماء : من ألف فقد استهدف ، فان أحسن فقد استعطف وان أساء فقد استقذف ، وباختلاف المختلفين ظهرت المعاني

للناظرين وفطرة الانسان مبنية على النقصان ، إن أصاب في معنى أخطأ في معنى وان كمل من جهة نقص من أخرى ، وانما الكمال الذى لا نقص فيه لخالق الأشياء ، الذى لا تغيب عنه غائبة في الأرض ولا في السماء ".

ويبين ابن السيد أن غرضه من تأليفه ليس سرد مالم يذكره الزجاجي من أنواع هذا العلم ، وانما هو التنبيه على أغلاطه والمختل من كلامه والنظر في أصوله التي لا تصح ، وفيما اختار من آراء ضعيفة ، وما وقع في كلامه من التناقض والخفاء قال ابن السيد :

وأبدأ بذكر أغلاطه والمختل من عباراته ، ثم أثنى بالكلام في أبياته فأتكلم في اعرابها ومعانيها وما يحضرني من أسماء قائليها ، وأذكر ما يتصل بالشاهد من بعده أو من قبله ، ليكون زائدا في فهم القارئ ونبله وأنا أسأل الله عونا على ما أنويه ، انه ولى الفضل ومسديه "....

الكتاب الأول :

بدأ ابن السيد كتابه بنقد تعريف الزجاجي للاسم والفعل والحرف ، وبين أن في كل منها أنواعا من الخلل ، وذكر آراء كثيرين من متقدمى النحاة في ذلك فقد قال الزجاجي يعرف الاسم (١) :

" الاسم ما جاز أن يكون فاعلا أو مفعولا ، أو دخل عليه حرف من حروف الخفض "

قال ابن السيد (٢) :

وأما تحديد الاسم فانه لا يصح على الاطلاق لأنا نجد من الأسماء مالا يكون فاعلا ولا مفعولا ، ولا يدخل عليه حرف خافض ، وهى الأسماء التى ذكرها أبو القاسم في قوله في باب مالا يقع الا في النداء خاصة ولا يستعمل في غيره ، من ذلك قول العرب : ياهناه أقبل : لا يستعمل الا في النداء ، لا يقال : جاءني هناه ،

---

(١) ورقة رقم : ١

ولا رأيت دمشاه ، ولا مررت بهنساه ، لأنه للنداء خاصة . هذا نص كلام أبي القاسم وهو يناقض ما صدر به كتابه ، وكذلك نجد من الأسماء ما لا يكون فاعلا ، وذلك الأسماء التي يستفهم بها ، والأسماء التي يجازى بها ، وكذلك جير وعوض ولعمري وأيمن الله ، ونحو ذلك كلها خارجة من هذا التحديد ومثل هذا لا يسمى حداه انما يسمى رسما ، لأن الحد انما هو قول وجيز يستغرق المحدود ويحيط به ، ولذلك سماه المتكلمون الجامع المانع ، أرادوا بقولهم جامع أنه جمع المحدود حتى لا يشذ عنه شيء ، وأرادوا بقولهم مانع أنه يمنع من أن يدخل في المحدود شيء ليس منه ويخرج عنه شيء هو منه .

والعذر لأبي القاسم في هذا شيئان " أنه لم يسمه حدا فهو رسم وأن كثيرين من النحويين فعلوا مثل فعله ".

وقد ذكر ابن السيد بعد ذلك أقوال الأئمة في تعريف الاسم كابن السراج والسيرافي والفراء وهشام الضرير من مشايخ الكوفيين ، والرياشي وأبي عبد الله الطوال والفارسي وغيرهم ، وبين أن جميع ما ذكروا لا يصح أن يكون حدا للاسم ، انما هو رسم وتقريب ، ثم تناولها قولا قولا بالتوضيح والبيان والنقد والتجريح ، وهكذا فعل في تعريف الفعل وتعريف الحرف .

واليك مثالا لشيء مما ذكر ابن السيد[1] :

" فأما أبو العباس المبرد فانه قال في المقتضب : كل ما دخل عليه حرف من حروف الجر فهو اسم ، فان امتنع من ذلك فليس باسم وحكى عنه علي بن سليمان الأخفش أنه قال : الاسم ما أخبر عنه . وأما أبو الحسن الأخفش سعيد بن مسعدة فقال : اذا وجدت شيئا يحسن له الفعل والصفة نحو قولك : زيد منطلق ، ثم وجدته أيضا يثنى ويجمع نحو قولك : زيد وزيدان وزيدون ، ثم وجدته أيضا يمتنع من التصرف علمت أنه اسم . وقال أيضا : ما حسن فيه نفعني وضرني ".

---

(١) ورقة رقم : ٥٢ .

بعض مسائله :

وتناول ابن السيد عبارات أبي القاسم بالتصحيح أحيانا ، بالتكميل أحيانا والتأويل كذلك في باب معرفة علامات الاعراب[(1)] ، وفي باب الأفعال[(2)] ، وفي باب الفاعل والمفعول به[(3)] .

وفي باب ما يتبع الاسم في اعرابه[(4)] نقرأ لابن السيد ما يأتي :

قال أبو القاسم : وهي أربعة أشياء : النعت والعطف والتوكيد والبدل .

قال المفسر : هذا كلام مختل ، لأنه جعل التوابع أربعة وهي خمسة وأسقط عطف البيان الذي هو خامسها ، فلم يذكره ، وكأنه جعله غير خارج عن التقسيم الذي قسمه ، وذلك غير صحيح ، لأن عطف البيان حكمه أن يكون بالمعارف دون النكرات وله مواضع يشارك فيها النعت ومواضع يشارك فيها البدل ومواضع ينفرد بها ، ومن أجل هذه المواضع التي ينفرد بها احتيج اليه وأكثر ما يكون عطف البيان في رد الأعلام على الكنى ، ورد الكنى على الأعلام (فمثل : رأيت زيدا أبا عمرو صفة أو بيان أو بدل ، ومثل : بعثت اليك بالثوب الخز صفة أو بيان ، ومثل : رأيت أبا عمرو زيدا بدل أو عطف بيان ورأيت زيدا زيدا توكيد لفظي أو عطف بيان) وأما المواضع التي ينفرد بها عطف البيان ، ومن أجلها احتيج اليه فهي ثلاثة : أحدها باب النداء والآخر باب المبهمات والثالث باب اسم الفاعل ... (مثل يا أخانا زيدا ...

اني وأسطار سطرن سطرا ٭ لقائل يا نصر نصرا نصرا) ؟

وأما المبهمات فنحو قولك : مررت بهذا الرجل ، ولقيت هذا الغلام ، والنحويون يتسامحون في هذا فيسمونه نعتا ، لأنه يبين كما يبين النعت ، وانما هو في الحقيقة عطف بيان .

---

(١) ورقة رقم : ٨

(٢) المرجع السابق : ١٠

(٣) نفس المرجع : ١٢

(ومثل : هذا الضارب الرجل زيد بخفض زيد عطف بيان ولا يصح أن يكون بدلا) .

ب - وفي باب أقسام الأفعال في التعدي خطأ الزجاجي في عده "تفاعل" من الأفعال التي لاتتعدى فقال (١) :

" ذكر في هذا الباب مالا يتعدى من الأفعال ، وذكر في الجملة تفاعل نحو : تضارب القوم . وقد يجيء تفاعل متعديا فقالوا : تداولنا الشيء ، وتناولنا الماء وتجاوزت المكان ، وتقاضيت الدين ، وتعاطيت الشيء ، وتعاهدت ضيعتي ، ومن ذلك قول امرئ القيس :

تجاوزت أحراسا وأهوال معشر ... على حراصا لو يشرون مقتلي

وقوله :

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت ... هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

وقال أبو حية النميري :

اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة ... تقاضاه شيء لايمل التقاضيا "

ج - ولم يترك ابن السيد هذا الباب الا بعد أن بين وجه الصواب في كلمة اختلفت فيها بعض النسخ قال (١) :

مسألة : قال أبو القاسم في هذا الباب : وفعل لايتعدى الا بحرف خفض نحو قولك : دخلت الى أخيك ومررت بزيد وركنت الى أبيك . قال المفسر : وقع في بعض النسخ ركنت بالباء ، وفي بعضها ركنت بالنون ، والأشبه أن يكون بالنون كقوله تعالى : " ولا تركنوا الى الذين ظلموا " (٢) ، وأما ركبت بالباء فانما تحتاج الى حرف الجر اذا دخل على مالا يركب ، كقولك : ركبت الى الأمير واذا كان مما يركب لم يحتج الى حرف جر كقولك : ركبت الفرس وركبت البعير ، فانما يحتاج الى الحرف اذا عدي الى مفعولين ، فليس بمنزلة مررت وغضبت ونحوهما مما لايوجد متعديا الا بحرف .

---

(١) ورقة رقم : ٢٠ .
(٢) سورة هود آية : ١١٣ .

د - وقد رأينا ابن العريف يدافع عن تسمية الزجاجي كان وأخواتها حروفا ويعلل لذلك . ولكن ابن السيد لم يرض هذه التسمية هو وكثير بعد ذلك قوله (١) :

" سمى أبو القاسم هذه العوامل حروفا وليست بحروف ، وهذا ما تعقبه الناس عليه ، وقالوا : انما هي أفعال ناقصة ، ونقصانها لا يخرجها عن الفعلية " .

هـ - وكذلك رد ابن السيد استشهاده على زيادة " كان " بقول الشاعر :

فكيف اذا رأيت ديار قوم وجيران لنا كانوا كرام (٢)

ثم بين أن أول من قال : ان " كان " في بيت الفرزدق زائدة الخليل ابن أحمد ، حكى ذلك عنه سيبويه ، ورده أبو العباس محمد بن يزيد (٣) " .

وهذا بيان من ابن السيد بأن الزجاجي ليس أول من رد هذا الاستشهاد وأنكره .

الكتاب الثاني :

أعاد ابن السيد في بدء هذا الكتاب ذكر الغرض منه ، فقال - رحمه الله (٤) -

" لما فرغت من الكلام في الخلل الواقع في الجمل أردت أن أتبع الكلام في اعراب أبياته ومعانيها وما يحضرني من أسماء قائليها ، وغرضي أن أصل كل بيت فيها بما يتصل به ليكون أبين لغرض قائله ومذهبه " .

وقد وفى ابن السيد وعده ، فنسب أكثر الشواهد لقائليها ، وبين موضع الاستشهاد في كل منها ، وشرح معانيها وذكر ما يتصل بها من أبيات ، وفيما يلي أمثلة من هذا الكتاب .

---

(١) ورقة رقم : ٢٦

(٢) وفي شرح ابن عقيل وشرح الأشموني :

(٣) ورقة رقم : ٣١ ، المقتضب : ٧٣٩ . فكيف اذا نزلت بدار قوم ....

(٤) ورقة رقم : ٧٦ .

أ ـ قال ابن السيد (١) :

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب (باب كان وأخواتها) :

قفي قبل التفرق يا ضباعا   ولا يك موقف منك الوداعا

هذا البيت للقطامي ، واسمه عمير بن شييم التغلبي ، وعمير اسم منقول فان شئت جعلته تصغير عمر وهو القرط ويكون الحياة ويكون طوق الكم ويكون مابين الأسنان من اللحم ، وان شئت جعلته تصغير قولهم : رجل عمر وهو الكثير الاعتمار ، وان شئت كان مصغرا مرخما من عامر أو معمر ، وأما شييم بضم الشين وكسرها فمنقول من تصغير أشيم وهو الذي به شامة ، والقطامي منقول من الصقر ، لأن الصقر يقال له : قطامي وقطامي بفتح القاف وضمها وهو مشتق من القطم وهو شهوة اللحم وشهوة النكاح يقال : فحل قطم اذا هاج للضراب ، وهو لقب غلب عليه لقوله :

يصكهن جانبا فجانبا   صك القطامي القطا القواربا

والشاهد في هذا البيت رفع الموقف وهو نكرة ونصب الوداع وهو معرفة وسهل ذلك أن اسم كان وخبرها واحد ، وأن قوله : منك في مكان رفع على الصفة لموقف كأنه قال : موقف كائن منك والنكرة اذا وصفت قويت بالصفة وقربت من المعرفة ، فلما قويت النكرة بالصفة ، وكان تعريف الألف واللام ضعيفا ليس له قوة غيره من التعريف صار الوداع وموقف كأنهما قد تكافآ ، وقد روى : " ولا يك موقفي " بالاضافة ، وهذا لا نظر فيه وضباعة التي شبب بها هي ضباعة بنت زفر بن الحارث الكلابي وهو الذي مدحه بهذا الشعر ولذلك قال بعد هذا البيت :

قفي اني أسيرك ان قومي   وقومك لا أرى لهم اجتماعا

وكيف تجامع مع ما استحلا   من الحرم العظام وما أضاعا

ألم أخبرك أن حبال قيس   وتغلب قد تباينت انقطاعا

ويقال : وداع بفتح الواو ووداع بكسرها ، وكأن الوداع بكسر الواو مصدر وادعته وكان الوداع بالفتح هو الاسم .

---

(١) ...

ب ــ ثم ذكر ما أنشده الزجاجي في باب ما يجوز تقديمه من المضمر على الظاهر وما لا يجوز وهو :

جزى ربه عنى عدى بن حاتم ⁂ جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ثم قال ابن السيد (١) :

هذا البيت لا أعلم قائله ، واستشهد به أبو القاسم على تقديم المضمر على الظاهر صورة ، وقد تأوله قوم على أن الضمير في : ربه عائد على الجزاء الذى دل عليه جزى كما يقال : من كذب كان شرا له ، وجزاء الكلاب العاويات أن تضرب وتهان . ونظير قوله : " وقد فعل " قول المتنبي :

وهذا دعاء لو سكت كفيته ⁂ لأنى سألت الله فيك وقد فعل

ج ــ وعلى الرغم من أن ابن السيد يذكر في هذا الكتاب كثيرا من آراء النحاة فان كتابه يعتبر تحقيقا أدبيا لكثير من الشواهد يربطها بقائليها ومناسباتها ، ويعين على فهمها بذكر ما قبلها أو ما بعدها . قال ابن السيد (٢) :

وأنشد في باب التصريف :

ألم يأتيك والأنباء تنمى ⁂ بما لاقت لبون بنى زياد

هذا الشعر لقيس بن زهير العبسى قاله فيما كان شجر بينه وبين الربيع بن زياد العبسى ، وذلك أن أحيحة بن الجلاح كان وهب لقيس بن زهير درعا يقال لها ذات الحواشى فأخذها منه الربيع بن زياد ، وأبى أن يردها عليه ، فأغار قيس على ابل الربيع بن زياد وأخذ له أربعمائة ناقة وقتل رعاتها وسار الى مكة ، وباعها من حرب بن أمية وهشام بن المغيرة بخيل وسلاح ، وقال في ذلك :

ألم يأتيك ...

ومحبسها على القرشى تشرى ⁂ بأدراع وأسياف حداد

جزيتك يا ربيع جزاء سوء ⁂ وقد يجزى المقارض بالأياد

---

(١) ورقة رقم : ١٠٠ [والبيت في الشواهد منسوب لأبي الأسود الدؤلي]

(٢) ورقة رقم : ١٤٨ .

وما كانت بفعلة مثل قيس … وان تك قد غدرت ولم تقاد

أخذت الدرع من رجل أبي … ولم تخش العقوبة في المعاد

ولولا صهرنا حتى لكانت … به المنشرات في شعر المعاد

قوله : والأنباء تنمي أي تزيد شهرتها في الناس حتى تعم ، يقال : نمى الـخبر ينمي . واللبون الابل ذوات اللبن وهو اسم مفرد أراد به الجنس . والباء في قوله : بما لاقت زائدة ، كزيادتها في قوله تعالى : " كفى بالله شهيداً " (*) وأجرى يأتيك مجرى الأفعال الصحيحة تحذف الضمة للجزم ، لأنه لو اضطر في غير جزم لحركها بالضم . وقول أبي القاسم انها لغة خطأ ، وقد ذكرت ذلك " (١)

د — ولم يخل كتاب ابن السيد من اشارات تاريخية هقتضى توضيح الشاهد ذكرها ، لئلا يضن بها من ذلك قوله في هذا الشاهد (٢) :

فما سبق القيسي من سوء سيرة … ولكن طفت علماء قرلة خالد

هذا البيت للفرزدق ، يحمله كثير من الناس على أنه أراد بالقيسي عمر بن هبيرة ، وكان عزل عن العراق ، وولى مكانه خالد بن عبد الله القسري ، فذكر أن عمر لم يغلب لسوء سيرته ، وانما غلبه خالد لخساسته ، لأن خساس الناس من شأنهم أن يظهروا على أفاضلهم كما قال :

أرى زمنا نوكا اسعد أهله … ولكنما يشقى به كل عاقل

مشى فوقه رجلا والرأس تحته … فكب الأعالي بارتفاع الأسافل

وذكر : يطفو على الماء ، لأن من شأن الجيف والأقذار أن تعلو فوق الماء ، ومن شأن الدر أن يرسب تحت الماء فهو ينظر الى قول الآخر :

زمن علا قدر الوضيع به … وغدا الشريف يحطه شرفه

كالبحر يرسب فيه لؤلؤه … سفلا وتطفو فوقه جيفه

(*) سورة العنكبوت : ٥٢ .

(١) ورقة رقم : ٧٦

(٢) ورقة رقم : ١٤٩ .

وخص النصرانية بالذكر ، لأن أم خالد كانت نصرانية ، وكان هو تظهر بالاسلام غير معتقد له ، ويروى أنه كلف جماعة من المسلمين أن يبنوا كنيسة لأمه ، فاستعفوا من ذلك ، وقالوا : كيف يليق بمسلم أن يبنى كنيسة ؟ فقال : قبح الله دين النصارى ، ان كان شرا من دينكم ، فقال الفرزدق فى ذلك :

ألا قبح الرحمن ظهر مطية   أتتنا تهادى من دمشق بخالد

وكيف يؤم الناس من كانت أمه   تدين بأن الله ليس بواحد

بنى بيعة فيها الصليب لأمه   ويهدم من كفر منار المساجد

... وزعم بعض المتأدبين أن العرب كانوا يمتحنون ذكرة المولود وأنوثته اذا ختن بأن يلقوا غرلته فى الماء فان رسبت قالوا : انه يكون ذكرا ، وان طفت غرلته قالوا : انه يكون مؤنثا لا خير فيه . وهذا يرجع الى غلبة الأجنبى[1] للأفضل على ماتقدم .

وقال أبوعلى الفارسى : أخبرنى أبوبكر بن السراج قال : أخبرنى محمد بن يزيد قال : أخبرنى المازنى أنه رأى هذا البيت بخط سيبويه فى آخر كتابه عند رجل من بنى هاشم يقال له : عبدالسلام بن جعفر قال : وقال المازنى : هذا البيت للفرزدق قاله فى رجلين استبقا أحدهما من قيس والآخر من عنز فسبق العنزى وكان اسمه خالدا وهذا التفسير يوجب أن يروى : من سوء سيره " لأنه مصدر سار يسيره وهذا غير موافق للبيت لأنه لا وجه فيه لذكر الغرلة الا على التفسير الثانى . ووقع فى نسخة سيبويه التى رواها أبوبكر مبرمان على رواية أخرى وهى :

وما غلب القيسى من ضعف قوة   ولكن طفت علماء غرلة قسبر

ولم يذكر أنه للفرزدق .

ولم أجد هذا البيت فيما طالعته من شعر الفرزدق فأقف منه على حقيقة ".

وهذا العرض السريع لهذين الكتابين لايغنى عن العودة اليهما للبحث والتحقيق والنشر ، لأنهما من التراث العزيز على نفوس المسلمين فى كل مكان ، ولأنهما قد اشتملا على كثير من كنوز العلم النافعة .

شخصيـــة ابن السيـــد :

لم يتردد أحـد ممن كتب عن ابن السيد في أن يثبت له الامامة والتصدر للاقـراء والاتقان والاجـادة في التأليف الا ابن خلصـة الذي نسب كتاب الاقتضاب لغيره ، وادعى أن ابن السيد أغار عليه وادعاه لنفسه ، وقد سبق تفنيد هذه الدعوى واقامة الدليـل على بطلانها وقد ذكر ابن السيد كتاب الاقتضاب وكتاب المثلث في كتاب " الحلـل " عند الكلام على قـول الشاعـر :

قد كـاد من طول البلى أن يمصحـا

قال : هذا البيت ينسب الى روبة بن العجاج ، ولم أجده في شعر روبة وروبـة اسم منقول وله أحـد عشر معنى قد ذكرتها في كتاب الاقتضاب وكتاب المثلـث (١) .

فابن السيد بهذا يربط بين مؤلفاته ، ويعتز بما أودع فيها من علم وثقافة ، ثـم هو ثقـة مطلع حين يقـول : انه لم يجد هذا البيت في شعر روبة ، وكذلك قـال عن روايـة هذا البيت كما سبق :

وما غلب القيسي من ضعف قوة ....

وربمـا وجد ابن السيد شاهدا يروى لشاعرين فلا يجهده البحث والتحـري من أجل الوقوف على الحقيقة بل يكتفي بالتردد والشك ، قـال (٢) :

" وأنشد في باب ما لا يستعمل الا في النداء خاصـة :

وقد رابني قولها : ياهنـاه ويحك ألحقت شرا بشـر

هذا البيت يروى لامرئ القيس بن حجـر ، وكان الأصمعي يروي هذا الشعر لرجـل من النمر بن قاسط ، يقال له ربيعـة بن جشم ، ومعنى ذا أنه شككني ، ومعنى ياهناه : يارجـل ، وهي كلمـة تقال لمن يحتقر ويتبرم به ، ومعنى ألحقت شرا بشر : أني كنت عند الناس متميزا وقد زدت الآن باقبالك الى تهمـة على تهمـة " .

وفي بحثـه وتقصيه نراه يعرض الآراء في المسألـة من مسائل العلم وينسبها لأصحابها وقد لا يستبين له وجـه الصواب في رأي بعض الأئمـة فلا يتردد في وصفـه بالاضطراب

(١) ورقـة رقم : ١٢٣ و البيت في ديوان رؤبة وفي الصحاح
(٢) ورقـة رقم : ١١٢ .

في كلامه ، من ذلك قوله في باب الابتداء(١) :

" ... وزعموا أن المبتدأ يرتفع لمضارعته للفاعل ، وهو الظاهر من كلام أبي القاسم ... واضطرب ذلك في كلام أبي العباس محمد بن يزيد فقال في المقتضب : انما كان الفاعل رفعا لأنه هو والفعل جملة يحسن السكوت عليها ، وتجب بها الفائدة للمخاطب ، فالفعل والفاعل بمنزلة المبتدأ والخبر اذا قلت : قام زيد ، فهو بمنزلة قولك : القائم زيد . وقال أبو جعفر بن النحاس : سمعت ابن كيسان يقول : كان المبرد يقول : رفعت المبتدأ بوقوعه موقع الفعل ، كما رفعت الفعل بوقوعه موقع الاسم . أراد أن المبتدأ للخبر كالفعل للفاعل . قال أبو جعفر : حكى لي عنه علي بن سليمان : رفعته لأنه أشبه الفاعل . فهي القول الذي حكاه علي بن سليمان جعل المبتدأ بمنزلة الفاعل . وقال في المقتضب : الرافع تعريه من العوامل . والى هذا ذهب أبو عمر الجرمي وأبو سعيد السيرافي وكثير من البصريين . وذكر الفراء أنه مذهب الخليل وناقضه ، وأصحابه لا يعرفون هذا .

والنصان اللذان نقلهما ابن السيد عن المقتضب لم يذكرهما المبرد في حديثه عن رافع المبتدأ ، وانما كان النص الأول تعليلا لرفع الفاعل ، بأنه تتم به مع الفعل الفائدة ، كما تتم بالمبتدأ والخبر . وأما النص الثاني وهو قول المبرد في المقتضب : " الرافع تعريه من العوامل " فذاك هو الابتداء ، قال الصبان في تعريف الابتداء(٢) :

" اعلم أن الابتداء في اللغة الافتتاح ، وفي الاصطلاح قيل : كون الاسم معرى عن العوامل اللفظية ، وقيل جعل الاسم أولا ليخبر عنه " . وكذلك قال المبرد في المقتضب(٣) :

فاذا قلت : عبد الله قام ، فعبد الله رفع بالابتداء وقام في موضع الخبر ، وضميره الذي في قام فاعل " .

---

(١) ورقة رقم : ٢٣
(٢) حاشية الصبان جـ ١ ص : ١٥٨
(٣) صفحة : ٧٤٦ .

وعلى هذا فليس في كلام المبرد اضطراب ، كما زعم ابن السيد ـ عفا الله عنه .

ولم يتخل ابن السيد عما يجب أن يكون عليه العلماء من توقير لغيرهم واعتراف بفضل السابقين ، فقد أطرى كتاب الجمل وأثنى عليه ، ومال في كثير من مواطن النقد الى تبرئة صاحبه فنراه يقول في باب الاغراء (١) :

" وقع في نسخ هذا الكتاب : " ولا يجوز أن تغرى بغائب وذلك غلط من واضع الكتاب أو من الناقل ، لأن الغائب يغرى به ، ألا ترى أنك اذا قلت : عليك زيدا ، جاز أن يكون زيد حاضرا أو غائبا وانما الممتنع أن تغرى الغائب بغيره كقولك : عليه زيدا ، ودونه الثوب " .

وربما كانت عبارة الزجاجي " ولا يجوز أن تغرى الغائب " فغيرت بيد الناسخ وفي هذا تظهر دقة ابن السيد في توضيح المراد وتحديد القاعدة السليمة ، ولكنه لا يصف الكلام بالخلل كما وصفه بذلك في أكثر من موضع .

فعندما ذكر قول أبي القاسم (٢) : " واعلم أن كل شيء كان خبرا للمبتدأ فانه يكون خبر هذه الحروف من فعل وما اتصل به وظرف وجملة " ـ توجه اليه بالنقد وبيان ما فيه من خلل فقال : في هذا الكلام خلل من وجهين أحدهما أنه أخرج الفصل وما تعلق به من الجمل وجعله نوعا آخر ، والوجه الثاني أن هذا الذي قال لا يصح على الاطلاق ، لأن المبتدأ يخبر عنه بالاستفهام كقولك : زيد هل لقيته ؟ وعمرو كم رأيته ، ويخبر عنه بالأمر والنهي ... والتحضيض ... والدعاء ... ولا يجوز أن تخبر عن كان وأخواتها بشيء من ذلك " .

والذي يظهر لي أن كلام الزجاجي مبني على الايجاز والاختصار ، وكان يحسن بابن السيد أن يحمل ذكر الجملة بعد ذكر الفصل وما اتصل به على ذكر العام بعد الخاص ، وهذا كثير . ثم ان وقوع الخبر طلبيا أو انشائيا أمر مختص بالابتداء ، وهو معروف لعامة النحاة ، فكيف بامام من أئمتهم !

وقد جاء ابن مالك بعد الزجاجي بقرون فقال (٣) :

---

(١) ورقة رقم : ٥٨ . (٢) ورقة رقم : ٢٩

(٣) ألفية ابن مالك : ١٩ .

ترفع كان المبتدا اسما والخبر تنصبه ككان سيدا عمر

وعلق على ذلك الصبان بقوله(١):

(والخبر تنصبه) أى فيه أيضا للجنس ، فان منه مالا تدخل عليه كالخبر الطلبى فلا يقال : كان زيد اضربه ، والانشائى فلا يقال : كان عبدى بعتكه ، على قصد الانشاء ، لأن هذه الأفعال ان كانت خبرية فهى صفات لمصادر أخبارها فى الحقيقة اذ معنى : كان زيد قائما : لزيد قيام له حصول فى الزمن الماضى ، ومعنى : أصبح زيد قائما : لزيد قيام له حصول فى الزمن الماضى وقت الصبح ، وقس على هذا سائرها وكون الخبر طلبيا أو انشائيا ينافى حصوله فى الماضى فيناقض آخر الكلام أوله ".

وقد ظهرت شخصية ابن السيد فى هذا التأليف كما ظهرت غزارة علمه ، فهو يخطىء صاحب الجمل فى باب ما يجمع من الجمع اذ يقول(٢):

" قال أبو القاسم فى هذا الباب : " وقالوا أصيل للعشى ، ثم جمعوا فقالوا : أصل ، ثم قالوا فى جمع الجمع : آصال ، فشبهوه بعنق وأعناق ثم جمعوا جمع الجمع فقالوا : أصائل جمع جمع الجمع ".

قال المفسر : وقع فى بعض النسخ أصائيل بياءين ، وفى بعضها أصائل بياء واحدة ، ولا يصح فى واحدة منهما أن تكون جمعا لآصال ، لأن فاء الفعل من آصال همزة وأصلها أأصال بهمزتين : الأولى همزة الجمع التى فى أفعال ، والثانية فاء الفعل استثقل اجتماعهما فخففت الثانية ، فقياس جمعها اذا جمعت أآصيل ، لا أصائل ، الا أن يزعم أنها جمعت ثم قلبت ، فيكون وزن أصائيل على مذهبه أعافيل مقلوبة عن أفاعيل والصحيح فى أصائل أنها فعائل جمع أصيل .

وهو يرد على الزجاجى من كلامه حين جعل احدى الضرورات لغة فى بعض عباراته . وهذه عبارة الزجاجى(٣):

---

(١) حاشية الصبان جـ ١ ص: ١٨٥.

(٢) ورقة رقم : ٧٢ .

(٣) ورقة رقم : ٧٦.

" ومن العرب من يجرى المعتل من هذا الجنس مجرى الصحيح فيرفعه فى موضع الرفع ، ويفتحه فى موضع النصب ، ويسكنه فى موضع الجزم وعلى هذه اللغة قال الشاعر:

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد "

قال المفسر: هذا الذى قاله صحيح الا أن مثل هذا لايجعل لغة كما قال : انما يسمى لغة ماكان مستعملا فى الكلام ، وأما ماينفرد به الشعر فانما يسمى ضرورة ، وقد جعل أبو القاسم الحاق المعتل بالصحيح من ضرورة الشعر فيما تقدم وجعله ههنا لغة كما ترى .

ويكفى أن أذكر هنا كلام ابن السيد عن الزجاجى فى باب ما يجوز للشاعر أن يستعمله فى ضرورة الشعر دون تعليق عليه ، لأن فيه بيانا يدل على حرص ابن السيد على تجلية الحقائق وضرب الأمثلة قال (١) :

ذكر أبو القاسم فى هذا الباب أشياء عدها من ضرورة الشعر ، وهى مستعملة فى الكلام المنثور ، وأشياء تكون ضرورة على وجه ، ولا تكون ضرورة على وجه آخر وأشيا فيها خلاف بين النحويين ، ولم يفصل ذلك ولم يبينه ولم يمثل شيئا مما ذكره بمثال ، كما فعل سيبويه وغيره ممن تكلم فى هذا الباب ، وأنا أبين ما يعد ضرورة من هذا الباب وما لا يعد ، وما فيه خلاف بين النحويين ، وأمثل كل صنف من أصناف الضرورة بمثال يتم فائدة هذا الباب ان شاء الله " .

وقد شرح ابن السيد ذلك كله غاية الشرح وبينه ، فليرجع اليه المستزيد .

وقد رأيت فى ابن السيد غيرة عظيمة على علم النحو وحرصا شديدا على كرامة النحاة ، ودليل ذلك قصته التى رواها فى كتابه اصلاح الخلل قال (٢) :

" قال أبو الحسن الأشعرى ، وهو يفتخر بعلم الجدل ، ويعيب صناعة النحو كما عاب غيرها من العلوم ، فذكر أنه شاهد نحويا ، وهو يقرأ عليه : الكلام ينقسم ثلاثة أقسام :

---

(١) ورقة رقم : ٧٣ .

(٢) ورقة رقم : ٥٧ .

اسم وفعل وحرف جاء لمعنى . قال : فقلت له : أليس الاسم والفعل جاء لمعنى كالحرف ، فما اختصاصك بذلك للحرف دونهما ؟

قال أبو الحسن : فقال لي : انما أعني بذلك : جاء لمعنى في غيره لأن الاسم والفعل جاءا لمعنى في أنفسهما ، والحرف ليس كذلك ، لأنه لا معنى له الا باسم أو فعل ينضم اليه ، أرأيت لو قلنا : زيد ، لدل على شخص ما غير محدود ، ولو قلنا : ضرب لدل على ضرب كان في الزمن الماضي ، الا أنه غير منسوب الى موضوع ، ولو قلنا : من ، لم تدل على شئ حتى يقترن به موضوع يدل . هذا على أن قوله : جاء لمعنى ، انما يعني به في غيره لا نفسه ، وان كان ليس في الكتاب كذلك .

قال أبو الحسن : فقلت له : ان اخراج الأشياء عن ظواهرها وصرفها عما تدل عليه ، لا بد في ذلك من حجة تخصص أحدهما دون الآخر ، والظاهر من هذا الكلام " جاء لمعنى " وليس في الكتاب " في غيره " فما الدليل على تأويلك دون قول من قال : انما عنى بذلك جاء لمعنى ، وأراد الأشياء الثلاثة ، ويعبر عن الجميع وهذا كلام العرب ، قال الله تعالى : " هم العدو فاحذرهم[1] " فعبر عن الجماعة بالفرد والعدو اسم مفرد لا اسم مجموع .

قال أبو الحسن : ثم قلت له : ألست تجد في الأسماء ما لا يدل على معنى في نفسه كوجوده في الحروف ، فالواجب عليك أن تلحقه بالحروف دون الأسماء .

قال : فقال لي : ان ذلك لا يوجد في الأسماء ألبتة بوجه من الوجوه فان كنت ترى ذلك فهاته .

قال أبو الحسن : فقلت له ...

(واستمرت المحاورة ، واستمر الجدال الى أن قال الأشعري :

فعميت عليهم الأنباء وانقطع)

قال ابن السيد : وهذا الذي قاله الأشعري لا يجب به الطعن على صناعة النحو ، لأن في كل علم المتقدم والمتأخر والقوي والضعيف ولو ناظر في هذا ذا جلالة ومصر بصناعة النحو لكان الأشعري هو المنقطع دونه ، لأن صناعة النحو ليست من صناعة

(١) سورة المنافقون : ٤ .

الجدل ، وان كانت بين الصناعتين مقايسة من بعض الجهات ، ولكن الأشعرى يعترض في كل صناعة بما أمكن من حق وباطل . وقد روى أن الباقلانى تكلم في شيء من النحو ، فرد عليه النحويون وقال له بعضهم : ليست هذه الصناعة لك بصناعة فاتركها لأهلها فحملته الأنفة على أن تعاطى شرح كتاب سيبويه فما تشاغل بشرحه أحد ، ولا رأينا منه حرفا الى عصرنا هذا " .

وأنا أقول :

رحمهم الله جميعا ، وعفا عما سلف ، وجزى ابن السيد عن النحو وعن النحاة خير الجزاء ، ومنا لمؤلفاته سبيل التحقيق والنشر .

هذا وقد " ولد ابن السيد سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، ومات في رجب سنة احدى وعشرين وخمسمائة ببلنسية "(١) .

ولقد كان لابن السيد شأن عظيم جعل وزراء زمانه يحفلون به ويعظمونه ويكتبون عنه ويصفون مجالسه مع المأمون بن ذى النون ، وهذا المقرى يتحدث عن الوزير أبى الفضل ابن طاهر فيذكر أنه وصف ابن السيد في غير موضع ، ثم يذكر أنه ألف كتابا أفرده لترجمة ابن السيد ، ففى نفح الطيب(٢) :

وقال (الوزير أبو الفضل بن طاهر) في ترجمة العلامة الكبير الأستاذ أبى محمد عبد الله بن السيد البطليوسى شارح أدب الكتاب وسقط الزند وغيرهما ... في الكتاب الذى أفرده لترجمة ابن السيد ما صورته : فمن ذلك أنه حضر مع القادر بالله المأمون بن ذى النون بمجلس الناعورة بطليطلة ، في المنية المتناهية البهاء والاشراف الباهية للزوراء المراق ، التى ينفح شذاها العطر ...

وهذا دليل على أن ابن السيد كان من علية العلماء ومن مجالسى الحكام والأمراء ، وممن يتزلف اليهم الكبار والوزراء ، ومع هذا الشرف الكبير لم أهتد الى أحد من شيوخ ابن السيد .

ورب غلام علم المجد نفسه كتعليم سيف الدولة الطعن والضربا

---

(١) بغية الوعاة ص : ٢٨٨

(٢) حـ ٥ ص : ٢٦٥ — ٢٦٨ طبعة الحلبى .

٢ — ابن الطراوة :

تعريفه :

هو أبو الحسن سليمان بن محمد بن عبد الله السبائي المالقي ابن الطراوة .(١)

قال ابن عبد الملك(٢) :

كان نحويا ماهرا ، أديبا بارعا ، يقرض الشعر ، وينشئ الرسائل .

وقال ابن الأبار(٣) : كان أعلم أهل وقته بالعربية وتجول في بلاد الأندلس معلما وكان أستاذا في معرفة سيبويه ، وله شعر حسن أخذ عنه أئمة الأندلس في العربية .

أخلاقه :

" كان معروفا بدين وفضل وسنة(٤) " ولكنه الى جانب ذلك قد ذم فقهاء مالقة ، وأنحى عليهم باللوم والتعنيف واتهمهم بأكل الحرام والرشوة فذلك ما ذكره السيوطي بقوله : " ومن شعره في فقهاء مالقة(٥) :

اذا رأوا جملا يأتي على بعد مدوا اليه جميعا كف مقتنص
أو جئتهم فارغا لزوك في قرن وان رأوا رشوة أفتوك بالرخص

واذا كان الفقهاء في كل أمة هم سدنة الشرع وحملة الأمانة ومعلمو الأمة ، واذا كان ابن الطراوة معروفا بالدين والفضل والسنة فلماذا يتهكم بهم ويهجوهم ويتهمهم !

ربما كان سبب ذلك ماشاع في هذا العصر من عدوان على علم الفروع .

أساتذته :

قال ابن الأبار(٦) : " روى عن أبي الحجاج الأعلم ، وأبي بكر المرشاني الأديب وأبي مروان بن سراج . أخذ عنهم كتاب سيبويه ، سمعه على الأعلم بقراءة أبيه سنة خمس

---

(١) التكملة : ٧٠٤ .
(٢) بغية الوعاة : ٢٦٣ .
(٣) التكملة : ٧٠٥
(٤) المرجع السابق .
(٥) بغية الوعاة : ٢٦٣
(٦) التكملة : ٧٠٥ .

وستين ، وعلى ابن سراج بقراءة أبي علي الغساني سنة ثمان وستين ، ولازم الأعلم " .

وفي بغية الوعاة[1] :

" سمع على الأعلم كتاب سيبويه ، وعلى عبد الملك بن سراج ، وروى عن أبي الوليد الباجي وغيره " .

وقد سبق التعريف بأبي الحجاج الأعلم . وذكر ابن سراج من قبل فيمن قاموا على كتاب سيبويه ، فقد عكف عليه ثمانية عشر عاما لا يعرف سواه . وهذه بقية ترجمته[2] :

" ... درس الجمهرة فاستظهرها ، واستدرك الأوهام على المؤلفين ، وطال عمره مع البحث والتنقير ، وكان يقول : طرحتني في كل يوم سبعون ورقة .

وقال في المغرب : أديب فاضل شاعر عالم باللغة وهو من ذرية سراج بن قرة الكلابي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الصفدي : كان امام اللغة ، وقور المجلس ، لا يجسر أحد على الكلام به مهابة له ، روى عن جماعة . ومات يوم عرفة سنة تسع وثمانين وأربعمائة . قال في المغرب : ورثاه أبو عبد الله محمد بن محمد الناصري بقوله :

وكم من حديث للنبي أبانه وألبسه من حسن منطقه وشيا

وكم مصعب للنحو قد راض صعبه فعاد ذلولا بعد ما كان قد أعيا

تلاميذه :

" أخذ عنه أبو القاسم بن دحمان ، ولازمه حتى سمع منه كتاب سيبويه مرتين وأخذ عنه السهيلي أكثر الكتاب ، وأبو بكر بن سمحون " . " وروى عنه السهيلي والقاضي عياض وخلائق " .

هؤلاء هم الذين ذكروا في ترجمة ابن الطراوة في التكملة[3] والبغية[4] ، ولكن هناك آخرين أخذوا أو رووا عنه ، وهذا تعريف بعدد ممن أخذ عن ابن الطراوة .

---

(١) صفحة : ٢٦٣ (٢) بغية الوعاة : ٢١٢

(٣) صفحة : ٧٠٥ (٤) صفحة : ٢٦٣ .

١ـ عبد الله بن قائد بن عبد الرحمن المكي اللخمي ، أبو محمد ، كان لغويا نحويا ماهرا جليلا فاضلا ورعا ، أخذ عن ابن الطراوة وغيره ، ودرس اللغة والعربية والقرآن بمالقة ، وخطب بجامعها ، وكان متقنا في العلوم ، روى عنه ابنه أبو الحسن ، وابن الفخار ، ومات في ذي الحجة سنة ستين وخمسمائة[1] .

٢ـ أحمد بن حسن بن سيد الجراوي المالقي أبو العباس ، من كبار النحاة والأدباء بالأندلس ، درس النحو والأدب كثيرا ، وكان شاعرا كاتبا بليغا ، روى عن ابن الطراوة ، ومحمد بن سليمان ابن أخت غانم ... أدب بني عبد المؤمن ، فسما قدره ، وعظم صيته ، ومات بعد الستين وخمسمائة بيسير .

وليس هذا باللص ، وإن استويا في الاسم والكنية والنسب ، فإن هذا متقدم الوفاة نبه عليه ابن الأبار[2] .

٣ـ أبو بكر بن سليمان بن سحنون الأنصاري القرطبي النحوي .

قال ابن الزبير : أستاذ نحوي أديب ، شاعر بليغ عارف بالحساب ، أخذ عن ابن الطراوة وغيره ، وروى عنه أبو القاسم بن بقي وغيره مات بقرطبة سنة أربع وستين وخمسمائة ، ومن نظمه :

أربعة تزيد في نور البصر إذا رنا فيها وتابع النظر
المصحف المتلو بالآي الكبير والماء والوجه الجميل والخضر[3]

٤ـ محمد بن موسى بن الوليد الأصبحي القرطبي أبو بكر ، يعرف بالفالشي قال ابن الزبير : أستاذ نحوي مقرئ فاضل ، روى عن ابن الطراوة وغيره ، وقرأ عليه وروى عنه سليمان بن الطيلسان وغيره ، وكان من مشاهير الأستاذين الجلة ، مات في حدود سبعين وخمسمائة[4] .

---

(١) بغية الوعاة : ٢٨٦ .

(٢) بغية الوعاة : ١٣٠ ، وفي صفحة : ١٤٩ ، ١٥٠ ترجمة اللص المشار إليه وتعليل تسميته بكثرة سرقته أشعار الناس . مات سنة ثمان وسبعين وخمسمائة . ختم كتاب سيبويه مرتين على ابن الرماك .

(٣) بغية الوعاة : ٢٠٤ (٤) بغية الوعاة : ١٠٩ .

٥ ـ القاسم بن عبد الرحمن بن القاسم بن عبد الرحمن بن القاسم بن مسعدة ابن عثمان بن اسماعيل بن عثمان بن مطرف بن دحمان الأوسي المالقي ، أبو محمد .

قال ابن دحية في المطرب من أشعار أهل المغرب :

صاحب لواء العربية ، ومن ذوي الأنساب السوية ، لقيته بمالقة ، فسمعت عليه وأجاز لي ولأخي ، وأخبرني أن مولده سنة خمس وثمانين وأربعمائة ببلنسية ، وقرأ القرآن على أبي عبد الله المعزازي والعربية على ابن الطراوة واختص به ... وقرأ عليه شيخنا أبو القاسم السهيلي ... مات بمالقة يوم الاثنين الثاني من ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وله ثنتان وتسعون سنة[(١)] .

٦ ـ محمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن هشام بن عبد الرحمن بن غالب ابن نصر الخشني المالقي ، أبو عبد الله ، يعرف بابن المهيص .

قال ابن الزبير : كان أستاذا مقرئا نحويا فاضلا ، روى عن أبي عبد الله النفزي وابن الطراوة وأخذ عنه ، وعن أبي الحسن بن الصفار وجماعة . وروى عنه ابنا حوط الله وابن بريدج ، ومات يوم السبت تاسع عشر شوال سنة ست وسبعين وخمسمائة[(٢)] .

٧ ـ عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن حبيش بن سعدون بن رضوان بن فتوح ، الامام أبو زيد السهيلي الخثعمي الأندلسي المالقي الحافظ[(٣)] .

وقد سبقت ترجمته فيمن شرحوا جمل الزجاجي ، وذكر فيها أنه روى عن ابن الطراوة .

٨ ـ علي بن اسماعيل بن سعيد ... بن حزم الخزرجي الشارقي الأندلسي النحوي ــ وشارقة حصن بقرب سرقسطة من مدن الأندلس ــ قرأ النحو على ابن الطراوة المالقي[(٤)] .

٩ ـ أبو الفتح السهيلي المالقي . قال ابن الزبير : أستاذ نحوي أديب من معاصري ابن الطراوة ، روى عنه القاسم بن دحمان[(٥)] .

---

(١) بغية الوعاة ص : ٣٧٧ (٢) المرجع السابق : ٧٢ .

(٣) بغية الوعاة ص : ٢٩٨ ، ٢٩٩ . (٤) انباه الرواة جـ ٢ ص : ٢٢١

(٥) بغية الوعاة ص : ٣٧٢ .

١٠ ـ أحمد بن علي بن مجاهد التجيبي أبو جعفر ، قال ابن عبد الملك : كان نحويا ماهرا ، درس النحو وقتا ، وروى عن ابن الطراوة (١) .

١١ ـ زنبور بن يعسوب الحضرمي ، أبو شهوة . قال ابن مكتوم في تذكرته : نحوي من أصحاب ابن الطراوة ، له كلام مع الحسن بن الباذش في مسألة نحوية نقضها عليه . أنشدني ذلك شيخنا أبو حيان ، ولم يعرف من حاله الا ما ذكرته (٢) .

١٢ ـ عبد الله بن حسن بن عشير المهدري اليابسي النحوي أبو محمد . قال السلفي في معجم السفر : كان متصدرا في جامع الاسكندرية لاقراء الناس القرآن والنحو ، وله شعر كثير ، وكان أخذ النحو عن ابن الطراوة (٣) .

هؤلاء بعض من جلسوا الى ابن الطراوة ، يدرسون عليه ويأخذون عنه ، ومنهم من مشاهير العلماء وأعلامهم ، ومنهم الأساتذة المقرئون والنحاة الفضلاء ، ومنهم من أدب أبناء الخلفاء ومن تفنن في مختلف العلوم ، وكثرتهم من الأدباء المتازين الذين أحسنوا القول في الشعر والنثر .

وحسب ابن الطراوة أن يكون صاحب مدرسة لها خصائصها التي عرفت بها ، ورجالها الذين تتلمذوا عليه .

مؤلفاته :

١ ـ كتاب المقدمات على كتاب سيبويه .

٢ ـ كتاب الترشيح في النحو ، وهو مختصر المقدمات على كتاب سيبويه .

وقد أخبرني العالم المغربي الأستاذ علي المراكشي (٤) بأنه رأى كتاب الترشيح لابن الطراوة ضمن مخطوطات مكتبة جامعة القرويين ، ووعدني بارسال صورة منه وعلى الرغم من الالحاح في الطلب فانني لم أتلق منه ردا حتى كتابة هذه السطور .

٣ ـ مقالة في الاسم والمسمى .

---

(١) بغية الوعاة ص : ١٤٩

(٢) المرجع السابق ص : ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٣) نفس المرجع ص : ٢٨٠ .

(٤) رجل من المهتمين بنشر المخطوطات العربية التقيت به في موسم الحج بمنى ثم في بيت الشيخ محمد غازي سفير المغرب بالسعودية وعنوانه : الدار البيضاء ٦ زنقة

آراؤه :

قال فيه ابن الزبير(1) " صاحب الاختيارات الشاذة " .

ونقل السيوطي عنه ما يأتي(2) :

" وله آراء في النحو تفرد بها ، وخالف فيها جمهور النحاة ، وعلى الجملة كان مبرزا في علوم اللسان نحوا ولغة وأدبا ، لولا ارتكابه لتلك الآراء ، فمن مثن عليه بالامامة والتقدم في الصناعة ، كأبي بكر بن سحنون فانه كان يغلو في الثناء عليه ، ويقول : ما يجوز على الصراط أعرف منه بالنحو ، ومن غامز بجهله وينسبه الى الاعجاب بنفسه كابن خروف .

هذا وقد سبق ذكر محمد بن طلحة المتوفى سنة ٦١٨ فيمن درسوا كتاب سيبويه قال ابن الأبار في ترجمته(3) :

كان أستاذ حاضرة اشبيلية غير مدافع ... وانتفع به الشلوبين . وكان من اجادة الالقاء ، وحسن الافادة ، وسهولة العبارة على غاية . وكان يميل في عربيته الى مذهب ابن الطراوة ثم غلب عليه ذلك فشرد عن الجمهور " .

وقال السيوطي في ترجمته(4) :

" وكان يميل الى مذهب ابن الطراوة ويثني عليه ، ولد بيابرة سنة ٥٤٥ هـ ، ومات باشبيلية منتصف صفر سنة ٦١٨ هـ " .

ومن هذا نرى أن ابن طلحة قد ولد بعد وفاة ابن الطراوة بزمن طويل لكنه وجد له مذهبا في النحو تمشقه وأحبه ، ومال اليه وأثنى عليه وترك الجمهور من أجله ، ولكن كيف السبيل الى معرفة أصول هذا المذهب :

ان ابن مرزوق الخطيب يقول في ترجمة أبي حيان(5) :

" كان أمير المؤمنين في النحو ... ظهر آراء ... ابن الطراوة لم يكن نحوه طريا "

---

(1) التكملة ص: ٧٠٥

(2) بغية الوعاة ص: ٢٦٣.

(3) التكملة ص: ٣١٩

(4) بغية الوعاة ص: ٥٠

(5) نفح الطيب جـ٣ ص: ٢٩١.

واننا قد نستطيع أن نستنبط من هذه الآراء المتناثرة السر في وصف اختياراته بالشذوذ والمرفي وصف من مال الى مذهبه بالشروذ عن الجمهور .

١- من هذه الآراء ما ذكره السيوطي في الاقتراح قال (١) :

قسم ابن الطراوة الألفاظ الى واجب وممتنع وجائز . قال : قالوا جب رجل وقائم ونحوهما مما يجب أن يكون في الوجود ولا ينفك الوجود عنه والممتنع لا قائم ولا رجل اذ يمتنع أن يخلو الوجود من أن يكون لا رجل فيه ولا قائم ، والجائز زيد وعمرو لأنه جائز أن يكون وألا يكون . قال : فكلام مركب من واجبين لا يجوز نحو : رجل قائم لأنه لا فائدة فيه . وكلام مركب من ممتنعين أيضا لا يجوز نحو : لا رجل لا قائم ، لأنه كذب ولا فائدة فيه ، وكلام مركب من واجب وجائز صحيح نحو : زيد قائم ، وكلام مركب من ممتنع وجائز لا يجوز ، ولا من واجب وممتنع نحو : زيد لا قائم ، ورجل لا قائم لأنه كذب ، اذ معناه لا قائم في الوجود . وكلام مركب من جائزين لا يجوز نحو : زيد أخوك لأنه معلوم ، لكن بتأخيره صار واجبا فصح الاخبار به ، لأنه مجهول في حق المخاطب . فالجائز يصير بتأخيره واجبا . ولو قلت : زيد قائم صح ، لأنه مركب من جائز وواجب . ولو قدمت وقلت : قائم زيد لم يجز ، لأن زيد صار بتأخيره واجبا ، وصار الكلام مركبا من واجبين فصار بمنزلة قائم رجل " .

وقد علق أبو حيان على ذلك بقوله (٢) :

وهذا مذهب غريب ، وما قاله من أن الجائز يصير بتأخيره واجبا ممنوع ، لأن معناه مقدما ومؤخرا واحد " .

وفي الهمع (٣) : وذهب ابن الطراوة الى جواز : زيد أخوك ، دون قائم زيد بناء على مذهب له غريب مخارج عن قانون العربية ، وقد أشرت اليه في كتاب الاقتراح في أصول النحو (٤) ، وتركته هنا لسخافته " .

---

(١) صفحة : ١٤ (٢) المرجع السابق .

(٣) جـ ١ ص : ١٠٣ (٤) صفحة : ١٤ .

٢ـ أجاز ابن الطراوة أن ينصب خبر ان ويرفع اسمها ، وذلك ما حكـاه اللورقـي في قول الشاعـر:

ان الربيع الجود والخريفـا   يدا أبي العباس والضيوفـا

قـال[1] : كان ابن الطراوة قد زعم أن الربيع خبر ان ، ويدا أبي العباس في اسم ان . فقيل له : فكيف نصب خبر ان ورفع اسمها ؟ فقـال : ان لا ترفع ما يليها ولا تنصب ما ينفصل عنها ، وانما يكون ما يليها منصوبـا وما ينفصل عنها مرفوعـا ، فلما قـدم الخبر وأخر الاسم ضرورة نصبت ما يليها ، ورفعت ما انفصل عنها ، فيأتي كلام العـرب منطبقـا على مذهب ابن الطراوة في هذا الموضع ...

وقول ابن الطراوة في البيت ليس بشيء ، لأنه زعم فيه أن ان تنصب الخبر وترفع الاسم ، وهذا غير المعروف من كلامهم . ودعوى ما ليس في كلام العرب مع امكان حمله على كلامهم تخلف من قائلـه .

ويمكن في هذا البيت ألا يكون الخبر مقدمـا والاسم مؤخرا ويكون المنصوب اسم ان والمرفوع خبر ان على المألوف والمعروف . فان قلت لكن يؤدي الى عكس المعنى ، وهو تشبيه الربيع والخريف بيد أبي العباس والمعنى على العكس . قلت : وما ينكر أن يريد الشاعر تشبيههمـا بيد أبي العباس مبالغـة في تشبيه أبي العباس بهما ، فان ذلـك من كلامهم ، أعني أنهم اذا أرادوا أن يبالغوا قلبوا ، كقول الآخـر :

ورمل كأوراك العذارى قطعتـه

وهو باب معروف . وقد أشبع ابن جني الكلام فيه في الخصائص وهذا أولى من قول ابـن الطراوة لما فيه من المبالغـة ، ولا مبالغـة على ما ذكره ابن الطراوة مع ما فيه من الخروج عن كلام العـرب ".

واللغـة المشهورة في ان معروفـة " وحكى قوم منهم ابن سيده أن قوما مـن العرب تنصب بها الجزأين معا من ذلك قولـه : عمر بن أبي ربيعة

اذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن .:. خطاك خفافا ان حراسنـا أسـدا

---

(١) شرح الجزولية : للورقـي : ورقـة رقم : ٢٢٦ ، (خ)

وقولـــــه :

يا ليت أيام الصبا رواجعــــا

وقولـــــه : المعاني

كأن أذنيه اذا تشوفـــــا قادمة أو قلما محرفــــــا .

أما ما قالـه ابن الطراوة ففي غاية الشذوذ ، والبيت لا يصلح شاهدا كما بينه اللورقي ، وسيأتي اتباع ابن الطراوة لمن قال بنصب الجزأين بعدها والذي يستنبطه الباحث من ذلك أن ابن الطراوة لا يقيم للعامل وزنـا .

٣ــ بعد أن ذكر الصفار نص سيبويه على أن " يفعل " للاستقبال ، قال :(١)

" وأبو الحسين بن الطراوة يقـول :

لا يكون أبدا الا حالا وان سمع : يقوم غـدا ، من كلام العرب فانما هو على معنى : ينوي الآن القيام غدا ، أو يعتقـد ، لأن قولك زيد يقـوم غدا خطأ ، لأنه لا يدري أحـد ما يكون غدا ، ولهذا لا يحفظ من كلامهم : " زيد سيقوم " لأنه مستقبل فلا يتصـــور الاخبـار به لأنه غير متحقق الوجـود .

وهذا الذي ذهب اليه باطل ، لأنه قد ورد السماع به ، قال النمر بن تولب :

فلما رأته أمنا هان وجدهــا وقالت أبونا هكذا سوف يفعـــــل

وفي هذا البيت أيضا رد آخر عليه وعلى تلميذه أبي القاسم السهيلي حيث قالا : ان سـوف لا يتقدمها معمول فعلها وكذلك السين وهما عندهما من حروف الصدور . وأما انكـــار الاخبار بما لا يتحقق وجوده فهذيان لأنه يخبر بما يغلب على ظنـه ، وذاك التقديـر الذي قدر لا يحارب لـه . ألا ترى أن قولـه تعالى : " وما تـدري نفس ماذا تكسـب غـدا "(*) لا يتصور أن يكون معناه : ماذا تنوي كسبه غدا ، لأنه يكون كذبا ، لأن النفس تدري ما تنوي الآن ، فمذهبـه فاسـد " .

وقد ذكر السيوطي رأي ابن الطراوة هذا في الهمـــع(٢) .

---

(١) شرح الصفـار ورقـة رقم : ٢ .

(٢) جـ ١ ص : ٧ .

(*) سورة لقمان آيـة : ٣٤ .

٤ ـ الابتداء الناصب :

" وأما أبو الحسين بن الطراوة فالتزم أن الابتداء هنا بمعنى المبتدأ ، وزعم أن ثم ابتداء ناصبا ، وهو : زيد خلفك ، تزيد عنده ناصب لخلفك ، وزعم أن هذا مذهب سيبويه (١) " .

قال سيبويه رحمه الله : " واعلم أن الاسم أوله الابتداء ، وانما يدخل الرافع والناصب ـ سوى الابتداء ـ والجار على المبتدأ (٢) " .

ومذهب ابن الطراوة هذا شبيه بقول الكوفيين منصوب على الخلاف (٣) .

٥ ـ الواحد ليس بعدد عنده :

" قال سيبويه ـ رحمه الله : " كما كان الواحد أول العدد " .

قال ابن الطراوة : أخطأ لأن الواحد لا يسمى عددا .

قلت : لو أخذ أول العدد بمعنى مبدأ العدد لم يكن فيه اعتراض ، كما تقول : هذا أول الثوب أي مبدؤه . والذى أنكر من جعل الواحد عددا مسموع خلافه عن العرب ، وإن رغم أنفه ، ألا ترى قوله : [جرير]

لقد سرنى ألا تعد مجاشع   من المجد الا عقر نيب بصوأرا (٤)

فقال : انها لا تعد الا عقر النيب ، وهو متحد فقد تبين أن الواحد عدد من كلام العرب (٥) .

٦ ـ الفعل مبنى للحدث :

قال الصفار بعد ذكر نص سيبويه على أن الفعل بنى للزمان (٦) :

وزعم ابن الطراوة أنه انما بنى للحدث ، وانجر الزمان لأن من ضرورة الحدث أن يكون فى زمان فانما كان بناؤه للزمان بالانجرار ، وأما ان قصد أن (الفعل)

---

(١) شرح الصفار ورقة رقم : ١٧   (٢) المرجع السابق : ١٦ .

(٣) الانصاف فى مسألة رقم : ٢٩

(٤) ماء لكلب فوق الكوفة مما يلى الشام ، كما فى معجم البلدان ، والبيت فى ديوان جرير

(٥) شرح الصفار ورقة رقم : ١٧ .

(٦) المرجع السابق : ٣٩ .

بني للزمان تلا ، لأنه قد ثبت الفعل غير مبني للزمان ،وذلك : " خلق الله الزمان "

قال : والمعنى أن الزمان خلق ،ولا يتصور أن يكون هذا الخلق في زمان لأنه لم يكن

ثم زمان انما كان الزمان بعد .

وهذا موضع ربما يستهوي من لابصيرة له ، وهي أغلوطة وذلك أن خلق الزمان

مقارن للزمان بلا شك ، كما أن فعل كل شيء مقارن له فالخلق وقع بالزمان في الزمان

فالزمان مفعول به مفعول فيه ،كما أن ضربت زيدا كذلك مفعول به الضرب مفعول فيه الضرب

فلا بد أن يكون الفعل مقارنا للمفعول ، وهذا أولى من دعواه . لأنا وجدناه يدل على

الزمان . وهو يقول ذلك . فمن أين يدعي أن ذلك انما كان بالانجرار بل ينبغي

أن يكون مقصودا .

٧ — يرى ابن الطراوة أن الخبر هو الحاصل أبدا .

قال الصفار (١):

" فان كان الاسمان معرفتين ، فالذي يقدره مجهولا عند المخاطب كان الخبر ،

فتقول : كان زيد أخاك ، ثم تقدره لايعرف الأخ . وكان أخوك زيدا ،ثم تقدره يجهل

أنه زيد . ولا فرق بينهما أكثر من هذا .

وزعم ابن الطراوة أن الخبر هو الحاصل أبدا لأنه وجد هذا في بعض المواضع

فغالط نفسه في كل موضع ، وحمل المسائل على شيء لا ينبغي أن يحمل عليه ، وذلك

أنه وجد من كلام عبد الملك بن مروان بن الحكم مخاطبا لبعض عماله :

" أما بعد ،فلولا ابقائي عليك لأتاك من نكيري مالا بقية لك معه ،ولكن تذكرت

رحمك فكفتني عنك ، وقد جعلت عقوبتك عزلتك " قال : فالذي حصل هو العزلة

لأنه أراد أن القائم مقام العقوبة العزلة . ولو قال : وقد جعلت عزلتك عقوبتك

كانت العقوبة حاصلة ،فالخبر أبدا هو الحاصل . قال : وكذلك قوله :

فكان مضلي من هديت برشده فلله غاو عاد بالرشد آمرا

فالهداية حاصلة لأنه اهتدى على يد مضله ، قبل ذلك ، والحكاية شهيرة جدا

ذكرها القالي في أماليه .

---

(١) شرح الصفار ورقة رقم : ٥٨ ، ٥٩ .

قال : وانما ذكرت هذا ، فان الناس يخلطون فيه كثيرا ألا ترى أن المتنبي على فصاحته أراد أن يمتدح فذم ، وهو لا يدري بذلك ، وذلك قوله :

ثياب كريم ما يصون حسانها   اذا نشرت كان الهبات صوانها

قال : فالخبر حاصل أبدا ، فالذي يقوم له مقام الهبات انما هو الصون لها ، فهو قد ذمه بالبخل ويرى أنه مدحه ، فانما كان يكون المدح لو قال : كان الهبات صوانها لأن الحاصل الهبات فأخذ يغالط نفسه في جميع المسائل ، ويجعل كان زيد أخاك مخالفا سماه لكان أخوك زيدا ، لأن معنى : كان علي هاديّ ليس معنى : كان هاديّ علي ، فاذا نصبت الأخ فالأخوة حاصلة واذا نصبت زيدا فالزيدية حاصلة .

وهذا المذهب في نهاية التخلف لأنه انما كان ذلك فيما أورد لأن الاسمين غيران ، والعرب اذا قالت : زيد زهير فالأول هو المشبه بالثاني ، واذا قالت : زهير زيد ، فالأول كذلك مشبه بالثاني ، وهنا اذا قلبت انعكس المعنى ، فالمقوسة غير المنزلة ، فالذي يقدمها يكون المعنى معها مخالفا لمعنى التأخير ، وكان قوله : كان علي من حديث ، جعل الشخص الواحد ذا الصفتين بمنزلة شخصين فحسن له هذا ، وأما كان الهبات صوانها فحسن جدا لأنه جعل نفس الهبة هو الصون لا غيره فأيهما قدم فهو على معناه مؤخرا ، وكذلك كان زيد أخاك وكان أخوك زيدا لا فرق بينهما .

وفي الهمع خلاصة لذلك .

٨ ـ الغاء كان :

قال الصفار[1] : " ثم قال سيبويه ـ رحمه الله : وتقول : ماكان أخاك الا زيد . قلت أجاز سيبويه رفع الأول ونصب الثاني وعكسه . وزعم ابن الطراوة أنه لا يجوز أن يكون الأول الا منصوبا ، وذلك أن الذي ينفى هو الخبر من كل باب ، والذي يوجب يكون الخبر وغيره فاذا قلت : ماكان القائم الا زيد ، فما بعد الا معلوم أنه غير منفي فالأول منفي ضرورة فهو الخبر لأنه يلي النفي ، فلا يجوز فيه الرفع .

قلنا له : فما تصنع بقراءة من قرأ : " فما كان جواب قومه الا أن قالوا " فزعم أن كان ملغاة .[2]

(١) شرح الصفار ورقة رقم : ٦٣ .

وهذا خطأ فاحش لأن الفعل الذي يلغى انما هو ظننت وأخواتها ، وتكون مع الفاعل لتعلم أن الخبر في ظنك ، وأما هذا فلفظه مفرد ليس فيه فاعل ، فـلا يتصور الغاؤه ، ونهايته أن يقول : هو زائد ، ولم تزد قط أولا ، فهذا الذى ذهب اليه فاسد ".

٩ ـ وصل ضمير النصب بكان هو الفصيح .

قال الصفار(١) : " وزعم ابن الطراوة أن هذا هو الفصيح أعنى اتصال الضمير بها : فكناهم أحسن من كنا اياهم ، لأنه وجد كناهم ، والا تكنهم فمن ذا يكونهم ، وقوله :

فالا يكنها أو تكنه

وقوله صلى الله عليه وسلم : " كن أبا خيثمة فكانه " فزعم أن الضمير انما يكون معها حسنا اذا اتصل .

وسيبويه قد زعم أن فصله أحسن ، نص على ذلك فى أبواب المضمرات ، وزعم أن ليس اياى واياها أحسن .

ووجد ابن الطراوة : " عليه رجلا ليسنى " فقوى له مذهبه .

والصحيح ما ذهب اليه سيبويه أن العرب انما نقل عنها الفصل كقول عمر :

لئن كان اياه لقد حال بعدنا عن العهد والانسان قد يتغير

وأما قوله : " كن أبا خيثمة فكانه " فمعناه أنه رآه من بعيد فلم يدر من هو ، فلما عرفه كان هذا المرئى الآن ذلك الذى لم يتحقق من بعد .

وقوله : " فالا يكنها " بين لأنه نفى بمنزلة : ليست هى بل هى مثلها .

وفى الحديث الشريف تكلمة من الراوى هى قوله : " فكانه ".

١٠ ـ ابن الطراوة ينكر المفعول المطلق :

قال أبو حيان(٢) : " المصدر ان كان من لفظ الفعل جاريا عليه انتصب بالفعل مهما كان أو مختصا نحو قعد قعودا ، وزعم ابن الطراوة أنه مفعول به ، والتقدير : فعل قعودا فهو منصوب بفعل مضمر لا يجوز اظهاره ".

وفي الهمع مثل ذلك[1] .

١١ — وقال ابن الطراوة[2] : لا يجوز أن يضاف الى أن ومعمولها لأن معناها التراخي ، فما بعدها في جهة الامكان وليس بثابت ، والنية في المضاف اثبات عينه بثبوت عين ما أضيف اليه ، فاذا كان ما أضيف اليه غير ثابت في نفسه فان ثبوت غيره محال .

وهذا خلف لأنه قد ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى : " قبل أن تقوم من مقامك ... قبل أن يرتد اليك طرفك[3] "

١٢ — جواز وصف المعرفة بالنكرة اذا كان الوصف خاصا بالموصوف :

قال في الهمع[4] : " وجوز أبو الحسين بن الطراوة وصف المعرفة بالنكرة اذا كان الوصف خاصا بالموصوف ، لا يوصف به غيره كقوله :

في أنيابها السم ناقع

قال : ناقع صفة للسم .

وأجيب باعرابه بدلا .

١٣ — ضمير الشأن حرف عند ابن الطراوة :

" ولا خلاف في أنه (أي ضمير الشأن) اسم يحكم على موضعه بالاعراب على حسب العامل الا ما ذهب اليه ابن الطراوة من زعم أنه حرف ، فانه اذا دخل على ان كفها عن العمل ، كما يكفها ما ، وكذا اذا دخل على الأفعال الناسخة كفها وتلغى كما تلغى في باب ظن ، ومال أبو حيان الى موافقته[5] " .

١٤ — زيادة أن :

قال أبو حيان[6] : " ومما جاءت فيه ان وأن مخففة قول العرب : أما ان جزاك الله خيرا ، فالكسر على أنها لاتعمل جاءت بعدها جملة الدعاء ، والأصل انه ، وقيل : ان زائدة ، والفتح على أن الأصل أنه فلما خففت كان اسمها ضمير الشأن

---

(١) جـ ١ ص : ١٨٧ (٢) همع الهوامع جـ ٢ ص : ٣

(٣) سورة النمل آية رقم : ٤٠ . (٤) جـ ٢ ص : ١١٧ .

محذوفا والخبر قول محذوف ، وجملة الدعاء محكية به ، ولا تكون الخبر لأنها جملة لا تحتمل الصدق والكذب .

وزعم ابن الطراوة أن ان زائدة لا غير . وجوزه ابن مالك * .

١٥ — منع الاضمار فى باب ظن مطلقا عند التنازع .

قال السيوطي (١) :

ومنع ابن الطراوة الاضمار فى باب ظن مطلقا فى هذه المسألة وغيرها (نحو ظنانى وظننت الزيدين قائمين اياه) فلم يجز ما أدى اليه من مسائل التنازع ، واستبشع من النحويين اجازة ذلك ، لأنه ليس للمضمر مفسر يعود عليه ، ألا ترى أنك اذا قلت : ظننته وظننت زيدا قائما لم تكن الهاء عائدة على قائم ، اذ يصير المعنى : وظننى ذلك القائم المذكور ، وليس هو اياه لأن القائم هو زيد .

وأجيب بأنه يعود على قائم من حيث اللفظ لا المعنى ، وذلك شائع فى لسان العرب كما قالوا : عندى درهم ونصفه أى نصف درهم آخر ، فأعاد ذكره على الدرهم المذكور من حيث اللفظ فقط .

١٦ — اذا كان التابع بلفظ الأول يتعين للبدلية دون عطف البيان .

(يشترك عطف البيان مع النعت مثل : جاء زيد أبو عمرو ، ومع البدل نحو : جاء أبو محمد زيد . ومع التأكيد نحو : جاء زيد زيد) .

قيل : ويتعين للبدلية اذا كان التابع بلفظ الأول نحو : " وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها " (*) قاله ابن الطراوة ، وتبعه ابن مالك لأن الشيء لا يبين نفسه (٢) .

وقد قال الصبان تعليقا على قول الأشموني (٣) : أنه (أى عطف البيان) لا يكون بلفظ الأول بخلاف البدل ، فانه يكون بلفظ الأول بشرطه الذى ستعرفه فى موضعه . هكذا قال الناظم وابنه وفيه نظر " . علق على قوله (بشرطه ...)

---

(١) همع الهوامع جـ ٢ ص : ١١٠ .   (٢) المرجع السابق : ١٢٢ .

(٣) حاشية الصبان جـ ٣ ص : ٨٦ .   (*) سورة الجاثية : ٢٨ .

فقال : هو كون الثاني معه زيادة بيان كما في قراءة يعقوب : " وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها " بنصب كل الثانية ، فانه قد اتصل بها ذكر سبب الجثو" وعلق على قوله " هكذا قال الناظم وابنه " فقال : أى تبعا لابن الطراوة ، واحتجوا بأن الشيء لايبين نفسه ، وعلق على قوله : " وفيه نظر " فقال : وجهه أن كلا من البدل وعطف البيان مبين لمتبوعه ، وان كان التبيين في البدل غير مقصود بالذات وحاصلة لكونه على تقدير العامل ، وفي عطف البيان مقصودا بالذات ومفرد . وحينئذ فلا مانع من كون عطف البيان بلفظ المتبوع اذا كان معه زيادة كالبدل "

وبهذا أبطل الصبان كلام ابن الطراوة ومن تبعه .

١٧ — قال أبو حيان(١) :

" وذهب ابن الطراوة وتلميذه السهيلي الى أن تصبب زيد عرقا ، وتفقأ زيد شحما انتصب على الحال لا على التمييز ، وقد أفصح سيبويه بلفظ الحال في قوله :

ذهبن كلا كلا وصدورا ، انتهى من الروض الأنف للسهيلي "

الناقل عن السهيلي أبو حيان ، وهذا مخالف لما عليه النحاة .

١٨ — تاء لات داخلة على الحين عند ابن الطراوة :

قال أبو حيان(٢) :

وذهب ابن الطراوة الى أن التاء ليست للتأنيث ، انما هي زائدة على الحين واتبع في ذلك أبا عبيدة . وكتبت في المصحف منفصلة عن الحين ، ووقف جمهور القراء عليها بالتاء اتباعا للرسم ، وعن الكسائي : الوقف بالتاء وبالهاء .

١٩ — منع نحو أحمد من الصرف لكونه معدولا في الأصل :

قال أبو حيان(٣) :

والغالب أيضا يمنع مع العلمية نحو أحمد . خلافا لابن الطراوة اذ زعم أنه انما منعه من التنوين كونه معدولا في أصله ، اذ أصله الفعل ، وزعم أن العرب لايحفظ من كلامهم منع صرف أفكل مسمى به "

---

(١) الارتشاف : ٢٤٢ (٢) المرجع السابق ص : ١٧٣ .

٢٠ـ وذهب ابن الطراوة الى أنك اذا أردت الابتداء فى الزمان والانتهاء فى المكان أتيت بمن والى (١) .

٢١ ـ وفى النسب الى حلوة وركوة :

ذهب ابن الطراوة الى أنه تحذف الواو ويترك ماقبلها على الضم فيقال : حلى وركبى (٢) .

٢٢ ـ ترد همزة الوصل قطعا اذا سمى باسم كانت فيه نحو انطلاق عند ابن الطراوة (٣) .

٢٣ ـ استغفر تتعدى الى الذنب بنفسها :

قال الصفار (٤) :

قال سيبويه : ومثله قول الشاعر :

أستغفر الله ذنبا لست محصيه   رب العباد اليه الوجه والعمل

جاء به على أنه قد حذف من مفعوله حرف الجر ، والأصل : أستغفر الله من ذنب كذا قال الناس كافة ، الا أبا الحسين بن الطراوة ، فانه زعم أن هذا مما يتعدى بنفسه ، لأن معناه يقتضى ذلك ، ألا ترى أن المعنى : طلبت أن يغفر الله ذنبى ، فالذنب يقتضيه لابحرف فهو مما يصل بنفسه ، فدخوله فى هذا الباب خلف.

قلنا له : وكيف تصنع بأستغفر الله من ذنبى ، فقال : هذا جاء على التضمين ، وكأنه قال : أستتيب الى الله من ذنبى . وهذا الذى قال خلف ، لأنه لايلزم اذا أتت العرب بالسين والتاء أن تبقى تعديه الى ماكان يتعدى ، ولا يلزم أن يتعدى على ذلك النحو . والدليل على صحة ما قلناه نقل سيبويه أن بعض العرب هو الذى يقول : استغفرت الله ذنبى . والجميع هو الذى يقول : استغفرت الله من ذنبى ، فلو كان الأصل أن يتعدى بنفسه لكثر ولقل تعديه بمن .

فما أكثر تخلف هذا الرجل !

---

(١) الارتشاف ص : ٢٥٩ (٢) همع الهوامع جـ ٢ ص : ١٩٥ .

(٣) المرجع السابق ص : ١٥٥ . (٤) شرح الصفار ورقة رقم : ٤٢ .

سيبويه ينادى : وليس " أستغفر اللــه ذنبا " بأكثر فى كلامهم جميعا وانما
يتكلم به بعضهم ، وهذا يعكس الأمر . [كثير]

وقد أسمعت لو ناديت حيــــا ولكن لا حيــاة لمن أنـــادى ★

٢٤ — حذف حرف الجر مع الفعل اللازم :

قال الصفــــار(١) :

" ومن ذلك : ذهبت الشام ، لأن الشام مكان مخصوص ، فكان حقــه أن يصـــل
اليه بفى ، لكن حذفتــه العرب ، وشبهته بالمبهم ، لأنه مكان ، ونحن نقول : ان
العرب شذت فى " ذهبت " مع " الشام " خاصــة ، ولا يقال : ذهبت العراق ولا ذهبت
بغــداد .

ابن الطراوة : انما كان الشذوذ مع " ذهبت " خاصــة ، لأن المبعوث يومئـــذ
انما كانت تذهــب الى الشام ، فيقــال : ذهبت الى الشام حتى كثر ، فأوجب ذلـــك
حذف حرف الجــر ، وهذا الذى قال برسمه . ★

سيبويه يتكلم فى حذف " فــى " وهو يأخــذ فى تعليل حذف " الى " فان كان
مذهبه أنه انما يقــال : ذهبت الشام ، فى معنى : الى الشام ، فأمر لم ينقله أحد الا هو ،
وانما يقــال : ذهبت الى الشام ، ولا يقــال ذهبت الشام الا على معنى : ذهبت فــى
الشام ، كذا نقل سيبويه وجميع النحويين . وان كان قصده أن يعلل حذف " فـــــى "
فجزاه اللــه خيرا فى هذه الأعجوبــة التى أتى بها : " أساء سمعا فأساء جابــة " .

٢٥ — اهمال العامــل وعــدم الاهتمــام بــه :

قــال الصفـــــار(٢) :

" وزعم أبو الحسين بن الطراوة أن زيدا ضربتــه ، لما نبه عليه وأنه مفعـــــول
مــن جهــة المعنى انتصب " .

وهذا الذى قال لم يثبت فى النواصب ، فيقال به ، فالصحيح أنه منصوب باضمار فعل .

★ هذا البيت فى ديوانه كثير: لقد أسمعت لو ناديت حيا ، ولكن لا حياة لمن تنادى
★ هذيان

(١) شرح الصفــار ورقــة رقم : ٤٠ ، ٤١ .

" وفي نحو : زيد رأيته وعمرا كلمته " زعم أبو الحسين بن الطراوة أن الأول مرفوع على الاشتغال ... "(١)

وهذا الذي ذهب اليه من الرفع على الاشتغال لم يقل به أحد .

ونحن اذا أمعنا النظر في قول ابن الطراوة بالنصب على المعنى والرفع على الاشتغال بدا لنا أنه كان قد سبق ابن مضاء الى التفكير في اهمال العامل وعدم الاهتمام به ، وكان لنا بعد ذلك أن نقول : ان الذين نسبوا الغاء العامل الى ابن مضاء قد صنعوا ذلك دون روية ودون تعمق في البحث عن جذور هذه المسألة وان عليهم أن يعيدوا النظر فيما صنعوا حتى تنسب كل فكرة الى صاحبها ، ولو كان فيها تأييد لمن قال عن ابن الطراوة : " انه صاحب الاختيارات الشاذة " وأى شذوذ بعد هذا !

<u>تقليد فوق الشذوذ :</u>

هذا وقد رأيت ابن الطراوة يتبع الكوفيين أحيانا ويتبع غيرهم أحيانا فوق ما تقدم من شذوذه البين وفيما يلي أمثلة لذلك :

١ـ البصريون على اشتراط تنكير التمييز .

وذهب الكوفيون وابن الطراوة الى أنه يجوز أن يكون معرفة كقوله :

وطبت النفس يا قيس عن عمرو (٢)

٢ـ " ومذهب سيبويه والجمهور أن النكرة أصل والمعرفة فرع . وخالف الكوفيون وابن الطراوة . قالوا : لأن من الأسماء مالزم التعريف كالمضمرات وما التعريف فيه قبل التنكير كمررت بزيد وزيد آخر (٣) .

٣ـ مسألة في الفعل المبني للمجهول .

الجمهور على أن فعل المفعول مغير من فعل الفاعل فهو فرع عنه وقال الكوفية والمبرد وابن الطراوة : أصل ونسبه في شرح الكافية لسيبويه للزومه في أفعال (٤) .

---

(١) شرح الصفار ورقة رقم : ١٠٧ .

(٢) همع الهوامع جـ ١ ص : ٢٥٢ .

(٣) المرجع السابق ص : ٥٥ .

(٤) نفس المرجع جـ ٢ ص : ١٦٤ .

٤ـ وزعم الكوفية وابن الطراوة أنها (أى رب) اسم مبنى لأنها فى التقليل مثل كم فى التكثير ، وهى اسم باجماع ، وللإخبار عنها فى قوله :

ان يقتلوك فان قتلك لم يكن عارا عليك ورب قتل عار

فرب عندهم مبتدأ ، وعار خبره .

قال : وتكون معمولة بجوابها كاذا ، فيبتدأ بها فيقال : رب رجل أفضل من عمرو ، وتقع مصدرا ، كرب ضربة ضربت ، وظرفا كرب يوم سرت ، ومفعولا به كرب رجل ضربت ... ومنع ذلك البصريون (١) .

٥ـ (المصدر المعرف بأل يعمل كقوله :

ضعيف النكاية أعداءه ...

وأنكره كثيرون ، وقيل : يجوز على قبح)

ورابعها ان عاقبت أل الضمير عمل نحو : إنك والضرب خالدا لمسيء الهمه ،

والا بأن لم تعاقبه فلا يجوز اعماله نحو : عجبت من الضرب زيد عمرا .

وهو قول ابن طلحة وابن الطراوة واختاره أبو حيان (٢) .

٦ـ (زعم الكوفيون والزجاج أن كأن اذا كان خبرها جامدا كانت للتشبيه ، وان كان مشتقا كانت للشك)

ووافق الكوفيين على ذلك ابن الطراوة وابن السيد وصرح ابن السيد بأنه اذا كان الخبر فعلا أو جملة أو ظرفا فكما اذا كان صفة (٣) .

٧ـ قال السيوطى عند الكلام عن حذف حرف الجر :

وجوزه الأخفش الصغير على بن سليمان وابن الطراوة ووالدى رحمه الله فقالوا : يحذف حرف الجر فى كل مالا لبس فيه بأن يتعين هو ومكانه نحو : بريت القلم السكين قياسا على تلك الأفعال ، فان فقد الشرطان أو أحدهما بأن لم يتعين الحرف نحو : رغبت ، أو مكانه نحو : اخترت اخوتك الزيدين — لم يجز لأن كلا منهما يصلح لدخول " من " عليه .

---

(١) همع الهوامع جـ ٢ ص : ٢٥ (٢) المرجع السابق ص : ٩٣ .

ومـا نقلتـه عن والدى ذكـره فى رسالـة فى توجيـه قـول المنهـاج : ومـا ضيـب بذهـب ... ٠(١)

٨ - (فى مثل لا أبالك أقوال : مضافـة واللام زائدة عند الجمهور - أسمـاء مفردة غير مضافـة ، عوملت معاملـة المضاف فى الاعراب والمجرور باللام صفـة) الثالث أنها مفردة جاءت على لغـة القصر ، والمجرور باللام هو الخبر وعليـه الفارسى وابن يسعون وابن الطراوة ٠ وانما اخترتـه لسلامتـه من التأويـل والزيادة والحذف ، وكلها خلاف الأصـل ٠ وكان القياس فى هذه الألفـاظ : لا أبالك ، لا أخ لـك(٢) ...

٩ - وسمع من العرب نصب الجزأين بعدها (أى بعد ان وأخواتها) فقيل هـو مؤول وعليه الجمهور ٠ وقيل : سائغ فى الجميع ، وأنه لغـة وعليه أبو عبيـد القاسم بن سلام وابن الطراوة وابن السيد ٠٠ (مثل :

ان حرا سنـا أسـدا

ان المجوز خسـة جـروزا

ألا ليتنى حجـرا بـواد

ياليت أيام الصبا رواجعـا (٣)

وقد تقدم ذكر رأى ابن الطراوة فى عمل ان مكسورا هو معروف ٠

١٠ - وزعم انه (أى سحـر) مبنى على الفتح لتضمنـه معنى حرف التعريف كمـا أن أمس بنى على الكسر لذلك ٠ والى هذا ذهب صدر الأفاضـل ناصر الديـن المطرزى وابن الطراوة ونصره أبو حيان فقال : الفرق بين سحر وأمس متعـدى يحصـر ٠(٤)

وغير هذا كثير مما يدل على أن ابن الطراوة كان فى كثير من اتجاهاته متبعا آثار سابقيه وأنه كان أميل الى مذهب الكوفيين ، بعد شذوذه الذى جرى مجرى المثل ، وتشفى بابطال آرائه والرد عليها السابقون من النحـاة ٠

---

(١) همع الهوامع جـ ٢ ص : ٠٨٢ (٢) المرجع السابق جـ ١ ص : ١٤٥

(٣) المرجع السابق ص : ١٣٤ (٤) نفس المرجع ص : ٠٢٨

وقد خطأ ابن الطراوة النحويين فى فهمهم الشاهد فى قول ساعدة بن جوية :

لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب (١)

يريد فى الطريق ، فأوصل الفعل بنفسه شذوذا ، ولا يجوز شىء من هذا فى الكلام

" وزعم أبو الحسين بن الطراوة أن النحويين لم يفهموا عن سيبويه هذا الموضع وأن مذهبه فى الطريق أنه ظرف مبهم وقول سيبويه : ومثل ذلك قول ساعدة بن جوية " " يريد : ومثل : ذهبت المذهب البعيد ، لا مثل : ذهبت الشام ، قال : والدليل على ذلك قولهم : أبعده الله وأسحقه ، وأطلق نارا أثره ، فوصل الى الأثر بنفسه وهو الطريق ، ومن ذلك قوله : ~~يهوى~~ (أبو كبير الهذلى)

يهوى مخارمها هوى الأجدل ★

والمخارم الطرق فى الجبال ، وكذلك قوله :

وقد قعدوا أنفاقها كل مقعد

والنفق الطريق ، وقد وصل اليه قعد ، وكلام العرب يدل على أن الطريق مبهم .

وهذا الذى قال خلف ، فان الطريق لا يطلق الا على شىء بعينه ذى هيئة مخصوصة ، فهو بمنزلة الدار والمسجد ، ولم يسمع من كلامهم تعدى الفعل بنفسه اليه الا فى الشعر ، ونهاية هذا الذى أورده أن وجده فى الشعر ، وأما قوله : أطلق نارا أثره فليس مما أورد لأن معناه أطلق نارا خلفه ووراءه فاستدلا له بمثل هذا ... "

وقد انتقلت اتجاهات ابن الطراوة وآراؤه الشاذة الى تلميذه أبى القاسم السهيلى فزاد فيها وتخيل فى مسائل النحو ما شاء له التخيل .

قال أبو حيان (٢) :

من غريب الخلاف فى " لا " التى للنهى والدعاء ما ذهب اليه أبو القاسم السهيلى من أنها " لا " التى للنفى ، قال : لأن الناهى يطلب نفى الفعل وتركه ، كما يطلب الآمر وجوده ، وقد تدخل " لا " النافية بين الجار والمجرور نحو : جئت بلا زاد ،

---

(١) شرح الصفار ورقة رقم : ٤١ ★ البيت لأبى كبير الهذلى وروايته :
(٢) الأشباه والنظائر جـ ٣ ص : ١١ - وإذا رميت به الفجاج رأيته

وبين الناصب والمنصوب نحو : أخشى أن لاتقوم ، فكذلك دخلت بين الجازم والمجزوم ،
وهو لام الأمر لكنها أضمرت كراهة اجتماع لامين في اللفظ ، كما قالوا : ظلت ، يريدون :
ظللت ، فكان الأصل اذا نهيت : للاتذهب ، كما تقول في الأمر : لتذهب ، فأضمرت
اللام لما ذكرت .

قال أبو حيان :

وهذا الذي قاله في غاية الشذوذ لأن فيه ادعاء اضمار علم يلفظ به قبله ،
ولأن فيه اضمار الجازم وهو لايجوز الا في ضرورة . ولا يصح تشبيهه بقولهم : جئت
بلا زاد ، وأخشى أن لاتقوم ، فانه هنا لفظ بالعامل يوما قط ، فلا يحفظ من لسانهم : وفي ذلك لم يلفظ بالعامل
للا تذهب ، لا في نثر ولا في نظم . فهذه كلها دعاوى لا برهان عليها . وأيضا فقد
سبق اجماع النحويين كوفيهم وبصريهم على أن " لا " تفيد معنى النهي عن الفعل ، وأن
الجزم بها نفسها ولا نعلم أحدا خالف في ذلك قبل هذا الرجل . وهذا الرجل كان
شاذ المنازع في النحو ، وان كان غير مدفوع عن ذكاء وفطنة ومعرفة ، وانما سرى اليه
ذلك من شيخه أبي الحسين بن الطراوة ، فانه لم يأخذ علم النحو الا عنه ، وابن
الطراوة كما علمه النحاة كثير الخلاف لما عليه النحويون . وقد صنف كتبا في الرد على
سيبويه ، وعلى الفارسي وعلى الزجاجي . ورد عليه الناس ورموه عن قوس واحدة "

وقد غلب الشذوذ على ابن الطراوة حتى احتج بألفاظ أهل زمانه . قال ابن
الضائع بعد ذكر :

(زعم ابن الطراوة أنه لايجوز أصلا رد الاستفهام المقرر في مثل " ألست بربكم "
بنعم ، وابن عمار يرى أن نعم هنا كفر[(١)] " ويدل على ذلك من كلام العرب :

أليس الليل يجمع أم عمرو وايانا فذاك بنا تدانـي
نعم وترى الهلال كما أراه ويعلوها النهار كما علاني

قلت : يقال لابن الطراوة : هل يجوز أن يقول المجيب عن سؤال : ألست قد علمت :
نعم قد علمت ذلك . فان قال : لايجوز له هذا خالف ما هو كالمركوز في الطباع ، فانه

---

(١) شرح الجمل لابن الضائع مجلد ٢ ورقة رقم : ١٣ .

جواب صحيح معلوم بضرورة العقل ، وكيف لايكون هذا حجة عليه ، ومن مذهبه الاحتجاج بألفاظ أهل زمانه كثيرا واذا علم جواز ذلك لزم الاقتصار على " نعم " اذا كان الدليل على المعنى فى درجة النطق بقد علمت . وسيبويه انما سأل بألست قد علمت ؟ عن شئ لايقول به أحد ، وقد علم أن نعم هنا معناه : نعم قد علمت فأما جواب : " ألست بربكم " فلا يجوز الا أن يكون " بلى " ، لأن السؤال انما ورد على تفاهم العرب ، والا فالله تعالى عالم بما فى ضمائرهم . وفى كلام العرب لايجوز لمن يتهم بالمخالفة أن يقول : نعم فى جواب التقرير ، فقول ابن عباس رضى الله عنه صحيح من كل وجه " .

وقد ظهر فى كثير مما تقدم وقوف الصفار ضد آراء ابن الطراوة ورده عليه وابطالها ، غير أنه قال عنه فى مسألة (١) :

" والى هذا ذهب أبو الحسين بن الطراوة فى هذه المسألة ، وهى حسن ليس شم ما يؤخذ الا به " .

وهذه المسألة هى بيان العامل فى " العلم اليقين " من قول سيبويه : "أعلمت زيدا هذا قائما العلم اليقين اعلاما " ، فقد ذهب الفارسى الى أن العامل فيه فعل من لفظه مضمر ، وكان شيخ الصفار أبو الفتوح بن ناضر يرد هذا القول ، بأن الفعل المضمر فى الخبر لا بدله من دليل ، والا لم يضمر ، وقال الصفار ان الفعل يطلب العلم اليقين على أنه مصدر مبين ، ويطلب الاعلام على أنه مؤكد ، فهو طالب لهما من وجهين ، والى هذا ذهب أبو الحسين ابن الطراوة ...

هذا وقد كان كل ناقل عن ابن الطراوة يتولى الرد عليه ، ويفند رأيه ويبطله ويقيم الحجج ضده ويدلل على فساده ، وشذوذه وخروجه على قوانين العربية التى سار عليها جمهور النحاة .

ولعل فى هذا مبررا لترك مناقشة آراء ابن الطراوة والرد عليها فقد كفانى ذلك جلة أكفاء من سابقى النحاة كالصفار شارح الكتاب، وابن الضائع شارح الجمل ، والشلوبين شارح الجزولية وأبى حيان زعيم نحاة الأندلس فى المشرق .

---

(١) شرح الصفار ورقة رقم : ٤٩ .

شخصية ابن الطـــــراوة :

تتضح جوانب كثيرة من معالم هذه الشخصية بمراجعة آراء ابن الطراوة ، فقـــد كانت لديه جرأة جاوزت حد الاعتدال ، جملته لايكاد يبحث على أصل أعله هو وابتكـــره فالكوفيون كانوا اذا سمعوا شاهدا واحدا اتخذوه أصلا لقاعدة جديدة وبنوا عليها ، وربما كان لهم اتجاه صائب فى ذلك ، فهم لايريدون أن يخطئوا أسلوبا صح وروده عن أصحـــاب اللغـة وثقاتها . أما هذا الرجل فقد تردد أو تجرأ فى كثير من آرائـه فاذا استمدنا فى الذاكرة مسألـة واحدة كمسألـة عمل ان وأخواتها رأيناه يثبت لها عكس عملها المعروف، ثم يتبع غيره من القائلين بأنها تعمل النصب فى الجزأين ، ثم هو لا يستطيع أن ينكر عملها فى نصب المبتدأ ورفع الخبر الذى تواترت عليه الشواهـد ، وكثر وروده فى القرآن الكريم .

وقد كان قادرا على تعليل ما يبتكر من آراء وعلى الرد على مخالفيها والتصـــدى للدفاع عنها ، كما يظهر ذلك فيما تقدم من أمثلـة لآرائـه ، وربمـا ذكر العلة الضعيفـة الواهيـة كقولـــه[1] : " ان السين انما زيدت هنا لأن تصريف الكلمة قد ثبت فيـــه زيادة السين وهو استطاع واسطاع ، ويستطيع ويستيع ومستطيع ومستيع " . وهذا التعليـل ليس بشىء ، لأن سيبويه قد علل زيادة السين بأنها عوض من حذف السين فى اسطاع .

وكذلك ظهر فساد العلـة عندما تحدث عن مانع التعجب من أجابه قال الصفار[2] :

" واعتل ابـن الطراوة لأجاب فقـال : انما لم يقولوا : ما أجوبـه ، لأنه لا يتصـور التعجب منه ، لأنه لا يزيد ولا ينقص ، ألا ترى أنه معلوم على قدر السؤال ، فلا يتعجـب منـه .

وهذا خطأ لأن الانسان يجيب عن كل ما يسأل عنـه فيمكن أن يتعجب منه لأن من الناس من لايجيب عن جميع ما يسأل عنه ، فهذا يزيد تارة ، وينقص أخرى ، فالتعجـــب منـه جائـــز " .

ومسألـة التعجب من الزائد على ثلاثـة اذا كان على وزن أفعل مسألـة خلافيـة ،

" فقيـل : يجـوز مطلقـا وهذا رأى سيبويـــه واختـاره ابن مالـك فى التسهيـل

---

(١) شرح الصفار ورقة رقم : ١٩ .

(٢) [illegible] ١٤٣ .

وشرحه ، وقيل : يمتنع مطلقا ، وقيل : ان كانت الهمزة لغير النقل جاز نحو ما أظلم هذا الليل ! وما أقفر هذا المكان[(١)] " .

وهو غير مبال بمخالفة الجمهور ، واذا قال رأيا قاله بأسلوب الواثق مما يقول وقد سبق كلامه عن زمن الفعل المضارع اذ قال :

لايكون أبدا الا حالا ، وان سمع : يقوم غدا من كلام العرب فانما هو على معنى : ينوى القيام غدا ...

ويغلب على الظن أن ابن الطراوة كانت لديه القدرة الفائقة على اجتذاب طلاب العلم اليه حتى اتسعت حلقته ، وكانت مواهبه وبراعته فى الحديث والتعليم سبب ذلك ، وربما كان للشذوذ مدخل ، وقد ترك فى طلابه آثارا كثيرة ، وليس أبو القاسم السهيلى الا مثالا لهؤلاء الطلاب وقد تقدم حديث أبى حيان عن السهيلى وعن شذوذه وعن نسبة هذا الشذوذ الى تأثره بابن الطراوة ، فيما رواه السيوطى فى كتاب الأشباه والنظائر فى النحو :

<u>وفاتـــه</u> :

وقد اتفق على أن ابن الطراوة مات فى رمضان[(٢)] أو شوال سنة ٥٢٨ عن سن عالية[(٣)] .

<u>أثره فى الدراسات النحوية</u> :

هذا وان أثر ابن الطراوة فى تطوير النحو وفى ارساء أسسه المتينة لايقل عن أثر أولئك الذين مكنهم من الرد عليه ومن معارضة شذوذه ، فقد فتح لهم بابا واسعا من أبواب البحث والدراسة ، وان فى بعض ماقاله لدليلا على عقلية مدركة لو أنها لم تنحرف عن جادة السبيل .

قال ابن الطراوة[(٤)] : " الايهام الذى يفسره التمييز اما فى الجنس نحو : عشرون رجلا أو البصر نحو : أحسن الناس وجها ، أو الحال نحو : أحسنهم أديا ، أو السبب نحو : أحسنهم عبيدا " .

---

(١) شرح الأشمونى وحاشية الصبان : ٣ : ١٧   (٢) التكملة : ٧٠٥

(٣) بغية الوعاة ص : ٢٦٣ .   (٤) الأشباه والنظائر جـ ٢ ص ٢٠ .

" قال أبو الحسين بن أبي الربيع في (شرح الايضاح) لا أعلم خلافا بين النحويين أن ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثث ، وظرف المكان يكون خبرا عن الجثث والمصادر ، الا أن ابن الطراوة رد على جميع النحويين في هذا ، وقال : هما سواء يكونان خبرين عن الجثث والمصادر .

هذا وقد عثرت على نقل للسيوطي من كتاب المقدمات لابن الطراوة ، سأجعله خاتمة للحديث عنه رحمه الله وغفر له ، قال السيوطي :

قال ابن الطراوة في (المقدمات) في قول سيبويه باب ما يحمل الاسم فيه على مرفوع ومنصوب (1) :

كلامه في هذا الباب صحيح ، وعارضوه بأوهام كثيرة ، وقفت عليها على بعضها من كتب الشارحين ، وانما أوقع لهم الشك توهمهم أن الواو عاطفة ، ولم يعرفوا للجامعة بحرف ، وقد أشرت اليها في قوله : ما مثل زيد ولا أخيه يقول ذاك ويقولان ذاك ، على معتقدي في الواو . وأظرف ما رأيت من هذا الجهل : قالوا : والجامعة شيء نصه الفسوي في (الايضاح) فانه بسط القول في التأنيث والتذكير ، فكان فيما ذكر أن التاء تحذف مع المؤنث من غير الحيوان ، وعدد منه ضروبا الى أن قال : "وجمع الشمس والقمر" (2) فأدخله في باب ما يحذف منه التاء ، والأصل استعمالها ، ولم يفطن لما هو بسببه من الواو الجامعة ، وأن التاء لا تجوز هنا ألبتة . وانما اختبرتك بهذا لتعلم أن هذه الأصول التي أغفلت من أوكد الواجبات احكامها والأخذ بما يتوهم فيه نقضها وابرامها وهذه الحال نفسها هي أوقعت خواص أهل الأندلس في طرح الواو من قولك : وصلى الله على محمد ، اذ توهموها عاطفة ، فاختلفت آراؤهم فيها وضعوا مكانها واتفقوا على اسقاطها ، تقصيرا بالسلف ، وتمرسا بالخلف ، مع العجب بأنفسهم ، والغفلة عما تورطوا فيه من جهلهم ، ومن الحق على من لا يعلم أن يقتدي بمن تقدمه ، ولا يرسل في الباطل قدمه ، لاسيما فيما نقلته الكافة ، وأطبقت عليه الأمة " .

وليس لي من تعليق على هذا الا أن ابن الطراوة قد خالف ما نص به غيره في مواضع كثيرة ، وأعود فأسأل الله له الرحمة والغفران .

---

(1) الأشباه والنظائر جـ ٣ : ١٢٢ ، ١٢٤ .

(2) سورة القيامة : ٩ .

ابن مضاء :

اسمه :

هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعد بن حريث بن عاصم ابن مضاء اللخمي ، قاضي الجماعة ، يكنى أبا جعفر وأبا القاسم (1) .

صفته :

" أحد من ختمت به المائة السادسة من أفراد العلماء ، ولي قضاء فاس وغيرها ، فأحسن السيرة ، وعدل نعظم قدره ، وصار رحلة في الرواية ، عمدة في الدراية ، وقال ابن عبد الملك :

كان مقرئا مجودا ، محدثا مكثرا ، قديم السماع واسع الرواية ، عارفا بالأصول والكلام والطب والحساب والهندسة ، ثاقب الذهن ، متوقد الذكاء ، شاعرا بارعا كاتبا (2) .

وقد كان ابن مضاء يسير في ركاب الموحدين ، اذ أنهم أسندوا اليه منصب القضاء في بعض بلدانهم في فاس وبجاية ، ولم يلبث يوسف بن عبد المؤمن أن جعله قاضي الجماعة في الدولة كلها ، وقد استمر في هذا المنصب الذي قلده اياه يوسف حتى توفي في عهد ابنه يعقوب سنة اثنتين وتسعين عن سن عالية اذ كان مولده سنة ثلاث عشرة وخمسمائة (3) .

وقد كانت في ابن مضاء ثورة ضد النحو المشرقي ، اذ ألف فيه كتبه ، ولكن هذه الثورة قد ولدت ميتة ، فلم يسمع بها كثير من معاصريه الا ما ألفه ابن خروف ردا عليه ـ كما سيأتي ـ ويكفي أن تخلو كتب النحو الأندلسية التي وصلت الينا من ذكر لابن مضاء ومناقشة لآرائه ، وكذلك ظلت ثورة ابن مضاء في سباتها العميق حتى قام الدكتور شوقي ضيف ببعثها من مرقدها .

وعلى الرغم من أن العصر الذي عاش فيه كان عصر الكراهية للتقليد والمقلدين كان ابن مضاء في رده على النحاة مقلدا ، اذ أن كل ما أتى به في الرد ليس من ابتكاره ولا من ابداعه ، بل كان لغيره فضل السبق به ، ان كان في ذلك فضل .

---

(1) روضات الجنات : 82 ، بغية الوعاة : 139

(2) بغية الوعاة : 139 .

(3) الديباج المذهب : 48 .

وقد كتب الأستاذ سعيد الأفغاني عن ابن مضاء فقـــال[1] :

" أما رسالـة ابن مضاء فليست هناك . وقد كانت وفاة ابن حزم سنة (٤٥٦هـ) ووفاة ابن مضاء تتأخر (١٣٦ سنة) ورسالته في الرد على النحاة نشرها الدكتور شوقـي ضيف سنة (١٩٤٧م) . عمد فيها الى ما وضعه الأقدمون من صيغ للتقريب على المتعلمين فجعل يدقق فيها تدقيقـا حرفيا ، حين يرد عليهم قولهم مثلا : ان العامل في رفع (زيد) من قولنا : ضرب زيد هو فعل (ضرب) ــ بأن هذا غير صحيح ، والذى رفع (زيـد) هو المتكلم ، وأن القول : ان الألفاظ يحدث بعضها بعضا باطل عقـلا وشرعا لا يقـول به أحد من العقلاء !! (ص٨٧) وأفاض في فلسفـة هذه البديهيـة بما لا طائل تحتـه . والا فهل يخفى على أحـد أن المتكلم هو الذى يرفع وينصب على الحقيقـة ، وأن اسنـاد ذلك الى العامل اللفظي مجاز وتقريب على المتعلمين . وهذا أسلوب شائع في جميـع العلوم لا في النحو فقط . وهذه البديهيـة ذكرها عرضا ابن جني ، ونقلها عنه ابـن مضاء نفسه في الصفحـة المذكورة فهل تلك بديهيـة لكل مزاولي النحو تعلما وتعليما .

وفي الرسالـة بعد نظرات جزئيـة في مسائل بعضها سائغ ، لكنه انتهى به الأمر الى أن ناقض نفسه وامامه ابن حزم فقال بالعلل الأولى ونفى العلل الثواني والثوالث ".

وما من شك في أن دراسـة ابن مضاء النحويـة كانت ضحلـة ليس فيها أى عمـق ولا تمعن ، لأن قارئ رسالته في " الرد على النحاة " لا يحس أنه يقرأ لعالم متمكن مـن علم النحو ، انما يقرأ قشورا جوفـا .

دراسته وأساتذتـه :

" أخذ عن ابن الرماك كتاب سيبويه تفهما ، وسمع عليه وعلى غيره من الكتب النحوية واللغويـة والأدبيـة مالا يحصى . وكان له تقدم في علم العربيـة واعتناء ، وآراء فيهـا ومذاهب مخالفـة لأهلها ، روى عن عبد الحـق بن عطية ، والقاضي عياض وخلائـــق[2] "

---

(١) صحيفـة معهد الدراسات الاسلاميـة بمدريـد : ٨٢ .

(٢) بغيـة الوعـاة : ١٣٩ .

وقد عد ابن فرحون من أساتذته في العربية ابن بشكوال وابن سحنـــون (١) .

وكان ابن مضاء مقبلا على العلم يرحل اليه ويخف الى طلبه ، فقد ترك بلـــده قرطبــة وهاجر الى اشبيليــة حيث كان أستاذه ابن الرماك ، وكذلك هاجر الى سبتـــة حيث كان القاضي عياض أكبر محدثي المغرب وفقهائــه في عصره ، وما زال يعنى بالحديث حتى صار رحلــة في الروايــة ، ويقول ابن فرحون : " انه كان واسع الروايــة ، عاليها ، ضابطا لما يحــدث به " (٢) .

ويقول الدكتور شوقي ضيف في تقديمه لكتاب الرد على النحـــاة :

" وأكبر الظن أنه (أي ابن مضاء) قرأ كتبا نحويــة أخرى كثيرة ، وهذا طبيعي لشخص يهاجم النحو العربي " .

وأنا أقول : ان ابن مضـــاء قد قرأ كتاب سيبويــه على ابن الرماك ، وربما يكـــون قد قرأ غيره من الكتب وحده ، أو على غير ابن الرماك من أمثال ابن بشكوال وابن سحنـــون ولكنه لم ينتفع بما قرأ ، أو لم يهيىء الله عقلــه ليعي ما قرأ ويدرك ما فيه من أسرار ، وانـي لاضن على ابن مضاء أن يكون مهاجمـا للنحو العربي - كما يصوره الدكتور - لأنــه في رأيي رجل عجــز عن الانتصار في ميدان الدراسات النحويــة فولى الدبر ، ووقف بعيــــدا عن الحلبــة يذر التراب في العيون حتى لاتكشف جهلــه الفاضح ، ثم أخذ يتشبث بخيوط أو هن من خيوط العنكبوت لينقذ نفسه من وهــدة الجهل التي حفرها لنفسه .

ا - ومن أساتذته في الشذوذ والخروج على مذاهب العربيــة أبو القاسم السهيلي الذي أخذ عن ابن الطراوة واختصر به ، وشارك ابن مضاء في الأخذ عن عبد الحق كمــــا سيأتي ، وقد سبق حديث أبي حيان عن السهيلي وعن شذوذه .

وقد ذكر ابن مضاء أبا القاسم السهيلي فقـــال (٣) :

" وكان الأعلم - رحمــه الله - على بصره بالنحو مولعا بهذه العلل الثواني ، ويرى أنه اذا استنبط منها شيئا فقد ظفر بطائل .

---

(١) الديباج المذهب : ٤٨

(٢) المرجــع السابق .

(٣) الــرد على النحـــاة ص : ١٦٠ .

وكذلك كان صاحبنا الفقيه أبو القاسم السهيلي على شاكلته ـ رحمه الله ـ يولع بها ويختومها ، ويعتقد ذلك كما لا في الصنعة وبصرا بها "*

٢ ـ وقد سجل التاريخ الصلة العلمية الوثيقة التي كانت تربط السهيلي بشيخه وأستاذه ابن الطراوة ، وليس من العسير بعد ذلك أن نصل الى أن ابن الطراوة كان من أساتذة ابن مضاء في نحوه الذي ثار به على المشرق ، ورفعه به دعاة التجديد الى مصاف العلماء .

٣ ـ وأما أستاذه ابن الرماك المتوفى سنة ٥٤١ هـ فقد سبق التعريف به فيمن درسوا كتاب سيبويه[1] .

٤ ـ ومن أساتذته " محمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن ابراهيم التميمي المازني السرقسطي يعرف بابن الأشتركوني ، أبو الطاهر . قال ابن الزبير : كان لغويا أديبا شاعرا ، وكان معتمدا في الأدب فردا متقدما في ذلك في وقته ، روى عن أبي علي الصدفي وأبي محمد بن السيد وابن الباذش وابن الأخضر وأخذ عنه أبو العباس بن مضاء . قال : وعليه اعتمدت في تفسير كامل المبرد لرسوخه في اللغة والعربية ، وله المقامات اللزومية الشهيرة ، وشعره كثير ، مات بقرطبة يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، ومن شعره :

وبنعم الأعطاف معسول اللمى ... ما شئت من بدع المحاسن فيه

لما ظفرت بليلة من وصله ... والصبح غير الوصل لا يشفيه

أنضجت وردة خده بتنفسي ... وظللت أشرب ماءها من فيه[2]

٥ ـ ومنهم " عبد الحق بن غالب بن عبد الرحيم ، وقيل عبد الرحمن بن غالب ابن تمام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية الغرناطي ، صاحب التفسير ، الامام أبو محمد الحافظ القاضي ، قال ابن الزبير :

---

(١) ورقة رقم : ١٢١

(٢) بغية الوعاة ص : ١٢٠ .

كان فقيها جليلا عارفا بالأحكام والحديث والتفسير ، نحويا لغويا أديبا بارعا ، شاعرا مفيدا ، ضابطا سنيا فاضلا ، من بيت علم وجلالة ، غاية في توقد الذهن وحسن الفهم وجلالة التصرف ، روى عن أبيه الحافظ أبي بكر وأبي على الغساني والصفدي ، وعنه ابن مضاء وأبو القاسم بن حبيش وجماعة ، وولي قضاء المرية ، يتوخى الحق والعدل وألف تفسير القرآن العظيم وهو أصدق شاهد له بإمامته في العربية وغيرها وخرج له برنامجا ، ولد سنة احدى وثمانين وأربعمائة ، وتوفي بأورقة خامس عشرين رمضان سنة ثنتين ، وقيل : احدى وقيل : ست وأربعين وخمسمائة ،

وذكره في قلائد العقيان ووصفه بالبراعة في الأدب والنظم والنثر ، وأورد له في الفحم :

جملوا القرى للقر فحما حالكا	قدح الزناد به فأورى نارا
فبدا دبيب المقط في جنباته	كالبرق في جنح الظلام أنارا
ثم انبرى لهب وصار كأنه	في الحرق ذو حرق يطالب ثارا
فكأنه ليل تفجر فجره	نهرا فكان على المقام نهارا (١)

٦- ومنهم " أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال بن يوسف ابن داحة بن داكة بن نصر بن عبد الكريم بن واقد الخزرجي الأنصاري القرطبي فكان من علماء الأندلس ، وله التصانيف المفيدة منها كتاب " الصلة " الذي جعله ذيلا على تاريخ علماء الأندلس تصنيف القاضي أبي الوليد عبد الله المعروف بابن الفرضي ، وقد جمع فيه خلقا كثيرا ، وله تاريخ صغير في أحوال الأندلس ربما قصر فيه ، وكتاب " الغوامض والمبهمات " ذكر فيه من جاء ذكره في الحديث مبهما فعينه ، ونسج فيه على منوال ابن الخطيب البغدادي الذي وضعه على هذا الأسلوب ، وجزء لطيف فذكر فيه من روى الموطأ عن مالك بن أنس رضي الله عنه ، ورتب أسماءهم على حروف المعجم فبلغت عدتهم ثلاثة وسبعين رجلا ...

---

(١) بغية الوعاة ص : ٢٩٥ .

قال ابن دحيـــــة :

نقلت من خط شيخنا - يعني ابن بشكوال - أنه فرغ من تأليف " الصلة " فـــي جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وخمسمائـة .

وكان مولده يوم الاثنين ثالث وقيـل ثامن ذي الحجـة سنة ٤٩٤ .

وتوفى ليلـة الأربعاء لثمان خلون من شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسمائـــة بقرطبـة ، ودفن يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر بمقبرة ابن عباس بالقرب مـن قبر يحـــيى ابن يحيى - رحمهما الله تعالـــــى (١) .

هؤلاء هم الذين ينتهي اليهم ابن مضـاء في نسب العلم ، وترتبط بينه وبينهـــم أواصر المعرفـة اذا أضفنا اليهم ابن سحنـــون .

والذي أحب أن أقرره من دراسـة ابن مضـاء أنه لم يكن متفرغـا للدراسة النحويـــة وأنه في رسالته التي نشرت لم يكن مبتكرا ، بل كان مقلدا ، أخذ الأصل الأول الذي دعـا اليه من الغاء العامـل من ابن الطراوة بواسطـة تلميذه السهيلي ، وأن المطلع علـــى آراء ابن الطراوة السابقـة مثـل :

أ- الفـــاء كان

ب- النصـب على المعنى

جـ- الرفـع على الاهمـال

د - التردد والاضطراب في عمل ان وأخواتهـا

يستنبط منها في يسر وسهولـة الأساس الذي بنى عليه ابن مضـاء فكرتـه فـــي الغاء العامـل .

ثم ان هؤلاء الذين جلس اليهم ابن مضاء لم يشتهر أحد منهم في مجال الدراسة النحويـة مثل ما اشتهر السهيلي الذي امتلأت كتب النحو بآرائـه ، وحذا ابن مضـــاء حذوه في كثير من اتجاهاته - كما سيأتي بعد - .

ويمكن القول بأن ابن مضاء لم يكن عالم النحو الذي عرفت له الامامـة والتصـــدر وسداد الرأي وانما كان قاضيا ثم قاضي الجماعة ، وكانت مهام هذه الوظيفة وحدها تكفـــي لشغل وقته كلـه .

وأنا أعتقد أنه كره التعليل في النحو لعجزه عنه ، وقد رأيناه يعلل بعض آرائه ، ويناقض نفسه .

أما ابن الاشتركوني فانما كان له ذكر بجلوسه الى الصدفي وابن السيد وابن الباذش وابن الأخضر ، كما أن ابن مضاء نفسه قد أثنى عليه بقوله(١) : " وعليه اعتمدت في تفسير كامل المبرد لرسوخه في اللغة والعربية " .

وان كان لعبد الحق بن غالب امامة وقدر فانما كان ذلك لأنه صاحب تفسير القرآن المعلوم(٢) ، وهذا أصدق شاهد له بامامته في العربية وغيرها ، وليس له صيت ذائع أو شهرة نحوية .

وابن بشكوال رجل مؤرخ اتجه الى الكتابة عن علماء الأندلس على اختلاف نزعاتهم حتى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة(٣) ، وقد توفي ابن بشكوال قبل ابن مضاء كما سبق . ولم يكن لابن بشكوال تصدر في النحو ولا في دراسته ، ولم أعثر له على رأي في كتاب .

شخصية ابن مضاء :

لم يكن ابن مضاء في رأيي الا كما توقع هو أن ينظر اليه الناس حين تمثل بقول الشاعر(٤) :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وان من يقرأ قوله في مستهل كتابه(٥) :

وأما من اقتصر كل الاقتصار على المعارف التي لا تدعو الى جنة ولا تزجر عن نار كاللغات والأشعار ودقائق علل النحو وعمليات الأخبار فقد أساء الاختيار ، واستحب العمى على الابصار :

---

(١) بغية الوعاة ص: ١٢٠
(٢) المرجع السابق ص: ٢٩٥
(٣) وفيات الأعيان جـ ٢ ص: ٥١٣
(٤) الرد على النحاة ص: ٨٣

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره   اذا استوت عنده الأنوار والظلم "

من يقرأ هذا الكلام يجد كلام ابن مضاء صدى لصوت ابن حزم الذى كره التعمق فى دراسة النحو الا لمن يتخذه معاشا — كما سبق ذلك — (١) .

وليس من المستساغ أن نسلم بقول ابن مضاء : " وأما من اقتصر .... " اذ لا يمكن أن يقع ذلك فى الوجود . ففى دراسة اللغات والنحو دراسة للدين وخدمة لمستنبطى الأحكام من الكتاب والسنة . ومن المسلم به أن أحدا لا يجوز أن يقدم على شرح احدى آى القرآن الكريم دون أن تتكامل له الأسباب ، من معرفة تامة باللغة والاعراب وبنية الكلمات ، ودراية بالأساليب والآداب وأسرار هذه اللغة الكريمة .

وقد نالت شخصية ابن مضاء شيئا من تقدير الأستاذ أحمد أمين — رحمه الله — فقال عنه (٢) :

" وكان ابن مضاء يريد انشاء نحو جديد على أساس جديد . ولكن يكفيه فخرا أنه هدم وان لم يبن . فكان النحو محتاجا الى يد جديدة ، تبنى بناء جديدا بعد هدم القديم ، وفى كتابه الذى نشر حديثا يشير الى أحجار قيمة توضع فى البناء الجديد ولكن مع الأسف كانت دعوته الى نحو جديد كدعوة أبى نواس فى المشرق الى شعر جديد ، فكلتاهما كبتت ولم تتحقق " .

وليس هناك شك فى أن مكانة الأستاذ أحمد أمين تجل عن أن يقول : " يكفيه فخرا أنه هدم وان لم يبن " ، فمتى كان الهدم مفخرة ؟ ومتى كان الحاق العيب بالكامل شيئا يحمد صاحبه ؟ ثم أين هذه الأحجار القيمة التى تصلح لتوضع فى البناء الجديد ؟ أهى خرق ابن مضاء لاجماع علماء المسلمين من زمن على بن أبى طالب وأبى الأسود ومن عاصرهما — رضى الله عنهم — الى زمنه ؟ أم هى نقله نثارا من آراء السابقين وتشبثه بها واعتبار ذلك قصدا من القصود الجديدة ؟

ان كتاب الرد على النحاة الذى يشير اليه الأستاذ أحمد أمين لم يسلم لابن مضاء منه شئ ، وقد أفاض العلماء والباحثون فى تفنيده والرد عليه .

---

(١) أى رأى ابن حزم فى التوسع فى دراسة النحو .

(٢) ظهر الاسلام جـ ٣ ص ٩٦ .

ربما استهوى الأستاذ أحمد أمين ما استهوى غيره عند نشر الكتاب من الجرى وراء كل ناعق . وقد سمعت من الأستاذ عبد السلام هارون أن الدكتور شوقي ضيف قد أعلن على رؤوس الأشهاد أنه قد رجع عن كل حرف كتبه في تقديم كتاب " الرد على النحاة " لابن مضاء القرطبي .

ولعل الأستاذ أحمد أمين قد بدا له رأي في ابن مضاء غير الذي دونه في كتابه ظهر الاسلام ، اذ لم يكن من طبعه ـ رحمه الله أن يسكت عمن أمسك بالمعول يحاول أن يهدم هذا الصرح المتين .

أثر هذه الشخصية في كتب النحو :

وليس لشخصية ابن مضاء أثر يذكر في كتب النحو ودراساته اذا استثنينا الدراسات المعاصرة . لقد قرأت كتاب الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي فلم أعثر له على أثر ، ثم وجدت السيوطي ذكره في الهمع مقتفيا آثار غيره مقلدا لسابقيه فليس له أصالة الا في النادر :

١ـ ففي مسألة حذف الفاعل قال السيوطي (١) :

وذهب الكسائي الى جواز حذف الفاعل لدليل كالمبتدأ والخبر . ورجحه السهيلي وابن مضاء .

وفي باب التنازع اذا أعمل الثاني أضمر المرفوع في الأول نحو :

جفوني ولم أجف الأخلاء انني .:.

قال السيوطي أيضا (٢) :

وقال الكسائي وهشام والسهيلي وابن مضاء بحذفه بناء على رأيهم من اجازة حذف الفاعل . وحسنه هنا الفرار من الاضمار قبل الذكر الذي هو خارج عن الأصول .

فابن مضاء في هذا الرأي مسبوق اليه ، ولعله متأثر برأي صاحبه الفقيه أبي القاسم السهيلي أكثر من تأثره بأي رأي .

---

(١) همع الهوامع جـ ١ ص : ١٦٠ .

٢ــ وعندما تحدث السيوطي عن " لاسيما " قال[1] :

" عد الكوفيون وبعض البصريين كالأخفش وأبي حاتم والفارسي والنحاس وابن مضاء من أدوات الاستثناء " لاسيما " ووجهه أنك اذا قلت : قام القوم لاسيما زيد ، فقد خالفهم زيد في أنه أولى بالقيام منهم ، فهو مخالفهم في الحكم الذي ثبت له بطريق الأولوية " .

وليس لابن مضاء أصلا في هذه المسألة أيضا .

٣ــ " وفي العطف على معمولي عاملين أقوال : منع سيبويه العطف مطلقا في المجرور وغيره ... ورابعها : يجوز ان تقدم المجرور المعطوف سواء تقدم في المعطوف عليه أم لا ، بخلاف ما اذا تأخر ، وهو رأي الأخفش والكسائي والفراء والزجاج وابن مضاء[2] " .

٤ــ والرأي الذي انفرد به ابن مضاء على ماذكر السيوطي ، هو اسمية الكاف ، قال في الهمع[3] :

وقال أبو حيان : تقع اسما اختيارا قليلا ، قال : لأنه تصرف فيها بكثرة ورودها فاعلة واسم كان ومفعولة ومبتدأة ومجرورة بحرف واضافة ، وهكذا شأن الأسماء المتصرفة يتقلب عليها وجوه الاسناد والاعراب .

وقال أبو جعفر بن مضاء :

هي اسم أبدا ، لأنها بمعنى مثل وماهو بمعنى اسم فهو اسم ، ورده الأكثرون بمجيئها على حرف واحد ولايكون على ذلك من الأسماء الظاهرة الا محذوف منه أو شاذ وورود زيادتها ولا تزاد الا الحروف .

وابن مضاء هنا يعلل لاسمية الكاف ، فيناقض نفسه فيما يدعو اليه من ترك التعليل .

---

(١) همع الهوامع جـ ١ ص : ٢٢٤ .

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص : ١٣٩ .

٥ ـ ثم هو يناقض نفسه أيضا فيما يدعو اليه من ترك التقدير ، اذ أنه اقتفى أثر الكوفيين والسهيلي في " أن مذ ومنذ ظرفان مضافان لجملة حذف فعلها وبقى فاعلها ، والأصل في نحو : منذ يومان : مذ كان يومان أو مضى يومان "(1)

تلاميذه :

هذه آثار ابن مضاء المتواضعة في الدراسات النحوية ، لم تزد عن ما ذكرت وأما أثره في المعاصرين فانه يحتاج الى بحث طويل ، يرد اليهم آراءهم ، وينقد سخافاتهم . وقد تحدث التاريخ عمن جلسوا الى ابن مضاء فدرسوا عليه أو رووا عنه أو أجاز لهم فكان منهم :

١ ـ غالب بن عبد الرحمن بن محمد بن غالب الأنصاري القرطبي أبو بكر وأبو تمام ابن الأستاذ أبي القاسم الشراط . قال ابن عبد الملك : كان من جلة المقرئين ونبلاء المحدثين ومهرة النحويين محافظا للغة ، ذاكرا للآداب ، مع الفضل والزهد التام وحسن المحاضرة تلا على أبيه وغيره وسمع من ابن بشكوال وابن مضاء . وروى عنه ابن أخته أبو القاسم بن الطيلسان ، وله شعر لا بأس به وأقرأ كثيرا في حياة أبيه وبعده ، وأسمع الحديث ودرس العربية والآداب ، ولد ليلة الثلاثاء ثاني عشر جمادي الآخرة سنة ... تسع وخمسين وخمسمائة ، ومات ليلة السبت سادس ربيع الآخر سنة ستمائة(2) .

٢ ـ علي بن الحسن الصدفي (سبق ذكره لأنه قرأ كتاب سيبويه على أبي بكر ابن طاهر(*)) . وروى عن ابن مضاء وعبد الحق صاحب الأحكام ، وعنه القاضي أبو عبد الله الأزدي ، وكان صاحب رواية ودراية . مات بعد ستمائة(3) .

٣ ـ الطيب بن محمد بن الطيب بن هارون بن الطيب الكناني المرسي أبو القاسم النحوي من بيت علم مشهور ، كان متقدما في طلبه متفننا ، يتعاطى درجة الاجتهاد ، وأجاز له السهيلي وابن مضاء وابن بشكوال ، وولي قضاء مرسية ، وأخذ عنه النحو أبو عبد الله بن أبي الفضل المرسي . مات سنة ثمان عشرة وستمائة ، ذكره ابن الزبير وغيره(4) .

---

(1) همع الهوامع جـ ١ ص : ٢١٦ .
(2) بغية الوعاة ص : ٣٧١ .
(3) بغية الوعاة ص : ٣٣٥ .
(4) المرجع السابق ص : ٢٧٣ .

٤ ـ سهل بن محمد بن سهل بن أحمد بن مالك الأزدي الغرناطي أبو الحسن ،
قال ابن عبد الملك : كان من أعيان مصره ، وأفاضل عصره ، تفننا في العلوم ، وبراعة في المنثور والمنظوم ، محدثا ضابطا عدلا ثقة ثبتا مجودا للقرآن ، متقدما في العربية ، وافر النصيب من الفقه والأصول كاتبا ، مجيد النظم ، متين الدين تام الفضل ، روى عن خاله أبي عبد الله بن عروس ، وأبي الحسن بن كوثر ، والسهيلي ، وأبي العباس بن مضاء وغيرهم ... صنف في العربية كتابا مفيدا على ترتيب كتاب سيبويه ، وله تعاليق على المستصفى ، ولد سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، ومات بغرناطة في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وستمائة ، وقال الذهبي : سنة أربعين ، وله :

ينغص العيش لا يأوي الى دعة	من كان ذا بلد أو كان ذا ولد
والساكن النفس من لم ترض همته	سكنى مكان ، ولم تسكن الى أحد (١)

٥ ـ أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد القيسي القرطبي ، أبو جعفر النحوي المقرئ الزاهد ، يعرف بابن أبي حجة ، قال ابن عبد الملك : كان من كبار الأستاذين ، مقرئا متقدما نحويا محققا محدثا حافظا ، مشهورا بفضل ، من أهل الزهد والورع والتواضع ، يتعاطى نظم شعر ساقط ، أخذ القراءات عن أبي القاسم بن الشراط وروى عن أبي محمد بن حوط الله ، وابن مضاء ، وأبي الحسن نجبة بالسماع ، ولم يجيزوا له ، وأقرأ القرآن والنحو وأسمع الحديث بقرطبة ، ثم خرج عند تغلب العدو عليها الى اشبيلية ، وولي القضاء والخطابة بها ، وألف : تسديد اللسان في النحو ، والجمع بين الصحيحين ، وغير ذلك ، وركب البحر الى سبتة ، فأسر هو وأهله ، وحمل الى منورقة بالدين ، ففداه أهلها ، فمكث ثلاثة أيام ومات ، وقيل : مات على ظهر البحر قبل الوصول بهم الى منورقة وذلك سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، ومولده سنة ثنتين وستين وخمسمائة (٢) .

وان الناظر فى تراجم هولاء لايجد لواحد منهم صيتا ذائعا أو شهرة عظيمة ، بين نحاة عصره ، ولعل فى هذا دليلا على أن ابن مضاء لم ينجب ، وعلى أنه كان من النحاة المغمورين الذين لم تنعقد لهم حلقة ، ولم يعظم الاقبال على مجالسهم . وقد اعترف من ترجموا لابن مضاء بأنه كان رحلة فى الرواية عاليها ضابطا لما يروى . ونحن نرى من هولاء أربعة قد رووا عنه ، كما نرى واحدا قد أجاز له ابن مضاء وان الباحث ليستطيع أن يستنبط من ذلك أن الرجل كان راوية ، ولم يك عالما ، واذا سلم ذلك فان الذى لاشك فيه أن ابن مضاء كان قد تخصص فى رواية الحديث الشريف ، ذلك أن العصر الذى عاش فيه كان عصرا أرغم الناس فيه على ترك كتب الفروع ، والرجوع الى الحديث الشريف بعد القرآن الكريم ، وعلى ذلك نستطيع أن نجهر بأن ابن مضاء لم تكن له بدراسة النحو صلة وثيقة .

مؤلفاته :

كان من آثار ابن مضاء أنه صنف " المشرق فى النحو " ـ " الرد على النحويين " " تنزيه القرآن عما لايليق بالبيان " ، وناقضه فى هذا التأليف ابن خروف بكتاب سماه : " تنزيه أئمة النحو عما نسب اليهم من الخطأ والسهو ، ولما بلغه ذلك قال : نحن لانبالى بالأكباش النطاحة وتعارضنا أبناء الخرفان[1] " .

كان ابن مضاء اذا معاصرا لابن خروف النحوى الأندلسى الذى تصدى للوقوف فى وجهه ، ولم يستطع ابن مضاء أن يصمد أمامه فى مجال النضال العلمى ، فاتجه الى مالا يحسن من أمثاله فهجا ابن خروف بتلك الكلمة التى تدل من وصفه بالعدالة وتصويبه ، توقيل أن تعيب ابن خروف ، الذى حال بينه وبين ما يعتفى من انتقاص أئمة النحو والنيل منهم بنسبة الخطأ اليهم والسهو ، وأقل ما يوصف به قاضى الجماعة فى ذلك أنه خالف قول الله : " ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب[2] " كما أنه غفل عن قوله : " ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد[3] " .

---

(١) بغية الوعاة ص: ١٣٩ . (٢) سورة الحجرات: آية رقم : ١١ .

ومما تحدث به عنه الدكتور شوقي ضيف قوله[1] :

" والغريب أنه لم يعن بتأليف كتاب ضد فقه المشرق ، وانما عني بالتأليف ضد النحو المشرقي ، فقد صب عنايته كلها على النحو ، اذ ألف فيه ثلاثة كتب .... "

والواقع أن هذا ليس غريبا على رجل عرف أن فقه المشرق قد حرقت كتبه ، وأن الدولة القائمة تقف في وجهه وتعارضه ، ثم انه قد أراد لنفسه قسطا من الشهرة بما كتب عن النحو وعن النحاة ، ولكن شهرته في عصره لم تتجاوز رد ابن خروف عليه — فيما علمت — وذلك دليل على أن بقية النحاة في عصره كانوا أحد رجلين : رجل بلغه ما صنع ابن مضاء ، فلم يجد فيه شيئا ذا بال ، فأهمله ولم يقم له وزنا لأنه :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ورجل لم يبلغه شيء مما صنع ابن مضاء ، وهؤلاء ما عليهم من سبيل .

وقد تمعنت في قول السيوطي : " وناقضه ابن خروف في هذا التأليف " وتساءلت : أين مرجع الاشارة في قوله هذا ؟ هل الاشارة ترجع الى أقرب مذكور ؟ فيكون رد ابن خروف هذا على كتاب ابن مضاء " تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان " ؟ وقد فهم ذلك الدكتور شوقي ضيف اذ قال :

أما الكتاب الثاني فاسمه " تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان " وليس في اسم هذا الكتاب ما يدل على أنه ألف خصوصة للمشرق ونحاته ، غير أن صاحب البغية يقول : ان ابن خروف ناقضه في هذا التأليف بكتاب سماه : " تنزيه أئمة النحو عما نسب اليهم من الخطأ والسهو " ومعنى ذلك أن هذا الكتاب ألف أيضا معارضة لنحاة المشرق وآرائهم في النحو[2] ".

وقد ترجع الاشارة الى الكتب الثلاثة ، لأنها هي التأليف الذي ألفه ابن مضاء ومرجح هذا الاحتمال عندي العنوان الذي وضعه ابن خروف لكتابه ، لأن ابن مضاء قد نسب الخطأ الى النحاة في " الرد على النحاة " الذي وصل الينا ، ومن أمثلة ذلك :

---

(١) مقدمة الرد على النحاة : ١١ ، ١٢ .

١ — خطأ ابن مضاء النحويين فى اعتبار العوامل النحوية ذات أثر فى ضبط أواخر الكلمات ، وأنكر هذه العوامل بقوله[1] :

" وأما العوامل النحوية فلم يقل بعملها عاقل ، لا ألفاظها ولا معانيها لأنها لا تفعل بارادة ولا بطبع " .

وكلام ابن مضاء هذا غير مقبول من رجل ينفى صفة العقل من أعلام الأمة فى كل عصر وفى كل مصر من النحاة . فقد قال بأثر العامل جمهرة النحاة وعلى رأسهم سيبويه فنقرأ فى كتابه فى " باب أواخر الكلم من العربية[2] :

" وهى تجرى على ثمانية مجار : على النصب والجر والرفع والجزم ، والفتح والكسر والضم والوقف ، وهذه المجارى الثمانية يجمعهن فى اللفظ أربعة أضرب فالنصب والفتح فى اللفظ ضرب واحد ، والجر والكسر ضرب واحد ، وكذلك الرفع والضم ، والجزم والوقف ، وانما ذكرت لك ثمانية مجار لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل ، وليس شىء منها الا وهو يزول عنه ، وبين ما يبنى عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شىء أحدث ذلك فيه من العوامل التى لكل عامل منها ضرب من اللفظ فى الحرف ، وذلك الحرف حرف الاعراب ، فالنصب والجر والرفع والجزم لحروف الاعراب ، وحروف الاعراب للأسماء المتمكنة وللأفعال المضارعة " .

ثم نرى ابن مضاء يعلل لرأيه بأنها لا تفعل بارادة ولا بطبع ، وهذا التعليل يدل على قصر نظره وعلى محاولة ادخال البحث الكلامى فى أفعال العباد هنا فى علم النحو .

والعوامل النحوية هى التى تغير أواخر الكلم عند ادراك المتكلم بها لأسباب الضبط الصحيح ، فهى تعمل بالمقارنة أو بالاتصال أو بالتركيب مع غيرها من المعمولات على رغم أنف ابن مضاء .

٢ — ابن مضاء يخرق اجماع النحاة ، وهو ليس أهلا لذلك ، ويستأنس لرأيه بما نقل من كلام ابن جنى فى كتابه عن الخصائص ، ولكنه أخذ جانبا منه وأهمل جانبا

---

(١) الرد على النحاة ص : ٨٨ .

آخر ،فقد أخذ بقول ابن جني[1] : " فكل من فرق له عن علة صحيحة ، وطريق نهجة كان خليل نفسه " وغفل ابن مضاء أو تغافل عن تكملة كلام ابن جني الذى نقله فى كتابه وهو[2] :

" الا أنا مع هذا الذى رأيناه وسوغنا مرتكبه لانسمح له بالاقدام على مخالفة الجماعة التى قد طال بحثها ، وتقدم نظرها ، وتتالت أواخر على أوائل ، واعجازا على كلاكل ، والقوم الذين لايشك فى أن الله سبحانه وتقدست أسماؤه قد هداهم لهذا العلم الكريم ، وأراهم وجه الحكمة فى الترحيب له والتعظيم ،وجعله ببركاتهم وعلى أيدى طاعاتهم خادما لكتابه المنزل ، وكلام نبيه المرسل وعونا على فهمهما ، ومعرفة ما أمر به أو نهى عنه الثقلان — الا بعد أن يتفهمه اتقانا ، ويثبته عرفانا ، ولا يخلد الى سانح خاطره ،ولا الى أول نزوة من نزوات تفكيره " .

فابن جنى بهذا يضع شروطا يجب أن تتوافر فيمن يجوز له خرق الاجماع الذى أطبق عليه النحاة ، وهذه الشروط موجزة فى قوله : " أن يتفهمه ... "

والذى أراه أن ابن مضاء لم تجتمع له هذه المقومات المشروطة ، فرده على النحاة ليس الا نزوة من نزوات تفكيره ،وسانح خاطر أراد به الذكر وكتابته فى الرد على النحاة تجرده من التثبت فى العرفان ، والتفهم مع الاتقان ، وفوق هذا فقد غض من الس[illegible] وأنحى عليهم باللوم فيما صنعوا لخدمة هذا العلم .

٢- وقد رأى ابن مضاء أن الفعل يدل بلفظه على الفاعل ، فلا حاجة اليه ،مخالفا بذلك أقوال النحاة اذ يقول[3] :

" الا ترى أنك تعرف من الياء التى فى (يعلم) أن الفاعل غائب مذكر ، ومن الألف فى (أعلم) أنه متكلم ، ومن النون فى (نعلم) أنه متكلمون ، ومن التاء فى (تعلم) أنه مخاطب أو غائبة . وقع الاشتراك هنا ، كما وقع فى يعلم وما أشبهه بين الحال والاستقبال ، وتعرف من لفظ (علم) أن الفاعل غائب مذكر ،

---

(١) الرد على النحاة ص: ٩٤

وعلى هذا فلا تعبير لأن الفعل يدل بلفظه عليه ، كما يدل على الزمان ، فلا حاجة بنا الى ضمائر " .

وكلام ابن مضاء هنا لا يقبله عقل ، لأن الفعل اذا كان يدل على الفاعل كما يدل على الزمان ، فلماذا يذكر في كل كلام ؟ ثم لماذا أجمع العقلاء على أن كل فعل لا بد له من فاعل ؟ ثم لماذا قال ابن مضاء نفسه بحذف الفاعل ؟ والحذف انما يكون لشئ يصح أن يذكر ولو تقديرا .

ان ابن مضاء ليس بالأصيل ولا ذي الرأي الجديد في هذه المسألة فقد سبقه الكسائي وهشام والسهيلي على ما تقدم .

٤ - وهو يجعل كلام النحاة غير مفهوم في اضمار أن التي تنصب الفعل المضارع قال : (١)

ومما قالوا فيه ما لم يفهم ، وأضمروا فيه ما يخالف مقصد القائل أبواب نصب الفعل وقد تكلمت منها على باب الفاء والواو ، ليستدل بهما على غيرهما ، ويعلم أن ما أضمروه لا يحتاج اليه في اعطاء القوانين التي يحفظ بها كلام العرب " .

والمعروف أن كلامه هذا ليس بجديد لأن الكوفيين قد منعوا الاضمار ونصبوا المضارع بهذه الحروف (٢) . ولم يزد ابن مضاء في هذا الباب على أن أتى بالشواهد المأثورة من كلام العرب ، دون مناقشة أو توضيح ، فقال (٣) :

" الفاء ينتصب بعدها الفعل اذا كانت جوابا لأحد ثمانية أشياء : الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والنفي ، والعرض ، والتمني ، والتحضيض ، والدعاء ، يقال في الأمر : أعطني فأشكرك ، قال أبو النجم :

يا ناق سيري عنقا فسيحا الى سليمان فنستريحا .... "

وابن مضاء الذي ينكر العامل يعترف به وبأثره في هذا الباب .

---

(١) الرد على النحاة : ١٤٢

بعد ذكر هذه الأمثلة يمكن الجزم بأن ابن خروف قد رد على ابن مضاء جميع آرائه الشاذة التى حاول بها أن ينتقص قدر النحو ، وأن يخفض من مكانة السابقين من النحاة رد عليه فى جميع مؤلفاته وشنوذ ابن مضاء على ابن خروف دليل على ذلك .

هذا ، وقد ختم ابن مضاء رسالته بمثل ما بدأنا به من دعوة الى حذف كل ما يمكن الاستغناء عنه فى دراسة النحو فقال[1] :

وما يجب أن يسقط من النحو الاختلاف فيما لا يفيد نطقا كاختلافهم فى علة رفع الفاعل ونصب المفعول ، وسائر ما اختلفوا فيه من العلل الثوانى وغيرها مما لا يفيد نطقا كاختلافهم فى رافع المبتدأ وناصب المفعول ، فنصبه بعضهم بالفعل ، وبعضهم بالفاعل وبعضهم بالنص والفاعل معا ، وعلى الجملة كل اختلاف فيما لا يفيد مطلقا ".

وربما كان فى بعض ما يدعو اليه ابن مضاء شىء من حكمة ، ولكنه على الجملة خارج من الخوارج ، عجز عن التصدر والامامة فى دراسة العربية فدفعه هذا العجز الى الخروج والطعن على ذوى الفضل الذين مهدوا سبل الدراسة له ولغيره ، وقد استهوى هذا الخروج بعض المعاصرين فاندفعوا من ورائه كان منهم الأستاذ أحمد أمين[2] ، والأستاذ ابراهيم مصطفى[3] والدكتور شوقى ضيف[4] ، والأستاذ عبد المتعال الصعيدى[5] ، وقد تصدى للرد عليهم كثير من العلماء الأعلام ، مما لا يتسع المقام للافاضة فيه .

وقد سبق أن أشرت الى أن هذا الجدل الذى أثير حول آراء ابن مضاء مما يستوجب الافراد ببحث تتجلى فيه الغوامض وتتضح فيه الحقائق الثابتة الدعائم .

---

(١) الرد على النحاة ص : ١٦٤ .

(٢) ظهر الاسلام جـ٣ ص : ٩٥ — ٩٨ .

(٣) احياء النحو : ١٩٥ .

(٤) مدخل الرد على النحاة : ١ — ٧٦

مولده ووفاته :

ولد بترابة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، مات باشبيلية سابع عشرين جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين (*) .

٤ — ابن خروف :

ا — اسمه :

هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد ، نظام الدين المعروف بابن خروف الأندلسي النحوي ، الرندي التهمي القرطبي القيذاني الشاعر (١) .

وقد كانت شهرته بهذا الاسم مما جر عليه بعض المتاعب ، وقد مر بنا قول ابن مضاء عنه ، حين ألف كتابا في الرد عليه (٢) : " ما تبالي بالكباش النطاحة وتبارز لنا أبناء الخرفان " وقد كان ابن مضاء في ذلك الحين قاضي القضاة وكثيرا ما تلاعب ابن خروف باسمه ، فكتب مرة لقاضي القضاة يستعفيه من الاشراف على عمل ، لأن بوابه اسمه السيد وهو الذئب فقال :

مولاي مولاي أجرني	أصبحت في دار الأسى والحتوف
وليس لي صبر على منزل	بوابه السيد وجدي خروف (٣)

ولم أجد تعليلا لهذه الشهرة التي عرف بها ابن خروف ، وليس من العلم في شيء أن نتلمس الأسباب لمعرفة علة هذه التسمية ، وربما كان هناك سبب لم أصل إليه وكذلك لم أستطع الوصول الى أول من عرف بهذه الشهرة : هل هو العالم النحوي علي ابن محمد الذي نتحدث عنه ، أو أنه أحد أجداده ، استنادا الى قوله السابق : " وجدي خروف " ؟

٢ — حياته :

" كان ابن خروف خياطا اذا اكتسب شيئا قسم ما يحصل له نصفين بينه وبين أستاذه (٤) " فلم يكن الرجل ممن يعتمد في معاشه على العطايا والمنح أو على الصدقات والهبات

---

(١) بغية الوعاة : ٣٥٤ ، ومعجم الأدباء ١٥ : ٧٥ ، ونفح الطيب جـ ٣ ص : ٣٦٥ .

وانما كان من أرباب الحرف ، وكانت حرفته تأتي له بما يكفيه وما يعطيه أستاذه .

وقد كان هذا في أيام الطلب على ما يفهم من ظاهر هذا الكلام ، ثم استغنى عن هذه الحرفة حين تصدر وتقاضى من تلاميذه أجرا على التعليم ، وقد كان له مورد آخر ذكره ياقوت في قوله (١) :

" ولم يتخذ بلدا موطنا ، بل كان ينتقل في البلاد في طلب التجارة "

والظاهر أن ابن خروف لم يكن فيه ما يهيئ له طيب المقام من الصفات ، لأنه " كان في خلقه زعارّة وسوء عشرة " وقد منعه هذا الخلق من أن يكون رب أسرة حتى أنه " لم يتزوج قط ، وكان يسكن الخانات " (٢) ولعل هذا كان من الأسباب التي جعلته لا يستقر في موطن واحد وأرغمته على الرحلة ، فقد " تنقل بين رندة واشبيلية وقرطبة وفاس وسبتة ومصر وحلب " (٣) فكان كلما ضاقت به أرض ، أو ضاق ذرعا بأرض ابتغى غيرها وارتحل عنها .

وقد عاش ابن خروف حياته بعيدا عن ذل المسألة ، وضائقة البخل ، الا أنه شكا الفقر لأستاذه ابن طاهر فلم يعره التفاتا — كما سيأتي — وحين " ألف شرح كتاب سيبويه حمله الى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار (٤) " ولم تكن نهايته محمودة ، فقد ابتلي في آخر حياته " وكان قد تغير عقله ، حتى مشى في الأسواق مكشوف الرأس بادي العورة " .

٣ — علمه وأساتذته :

كان ابن خروف " اماما في صنعة العربية ، مدققا ماهرا مشاركا في علم الكلام وأصول الفقه ... وكانت العربية بضاعته وصناعته (٥) " .

---

(١) معجم الأدباء جـ ١٥ ص : ٧٥ .

(٢) بغية الوعاة : ٣٥٤ ، معجم الأدباء جـ ١٥ ص : ٧٥ .

(٣) ذيل الصلة : ١٢٢ .

" أخذ العربية عن أبي اسحاق بن ملكون وغيره"(١) قال ابن خلكان : تأدب في النحو على ابن طاهر الأندلسي الخدب"(١) . وفيما يلي من عرفت من أساتذته :

أ- ابن الرماك المتوفى سنة ٥٤١ ، وهو عبد الرحمن بن محمد ، وقد سبق التعريف به لأنه كان " قيما بكتاب سيبويه"(٢) ، وقد ذكره ابن خروف في كتابه " تنقيح الألباب بشرح غوامض الكتاب فقال(٣) :

" وسأل الأستاذ أبو بكر فيها شيخنا أبا القاسم بن الرماك (يعني في قوله تعالى : " أم أنا خير"(٤)) فقال : لم جعلها سيبويه منقطعة وقدرها تقدير المتصلة ، فهلا كانت متصلة ؟ فوافقه في ذلك ، فلم يحر جوابا ، فجمع كتبه في وقتها وأنشد :

واذا جفوت قطعت عنك لبانتي والدّر يقطعه جفاء الحالب

وانصرف عن المجلس غاضبا ، وبقي جمعة لم يقرئ أحدا ، حتى استعطفه فرجع الى اقرائه فقال : فما وافقته بعد ذلك ".

ب- داود بن يزيد ، أبو سليمان الغرناطي السعدي ، من أهل قلعة يحصب ، قال ابن الزبير : بقية النحاة بالأندلس الأستاذ الفاضل ، الورع الزاهد صدر النحويين في عصره وبقية الزهاد في دهره ، روى عن ابن الباذش وأخذ عنه ولازمه الى أن مات وكان أجل أصحابه ، وتصدر للاقراء في حياته ، وكان يجله ويؤثره بلطائفه من طلبته ، وكتب له اجازة طنانة وصفه فيها بالتحقيق وجلالة المرتبة في العربية ، وقد ذكرنا عيونها في الطبقات الكبرى ، وكان يقرأ العربية والأدب واللغة ويستفتح مجلسه بأم القرآن تبركا ، ويسمع الحديث في رمضان بدلا من كتب الأشعار وكان غزير الدمعة كثير الخشية عند قراءة القرآن والحديث ، وكان يأكل الشعير ، ولم يأكل لحما من الفتنة الأولى لأجل المغانم والمكاسب ، انتقل من غرناطة الى باغة من أجل أن السلطان دعاه

---

(١) وفيات الأعيان جـ ٣ ص : ١٢٤ ، التكملة : ٦٢٦ ، وبغية الوعاة : ٣٥٤ .

لاقرأ بنيه فتان : والله لا ألقيت العلم ولا مشيت الى الديار ، ثم انتقل الى قرطبة ، وكان يسأل الله تعالى الموت بها فمات بها سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ومولده بعد الثمانين وأربعمائة ببيير ، وكان آخر النحاة بغرناطة والزهاد بها روى عنه ابن خروف وغيره (١) .

ج — ابن ملكون :

ابراهيم بن محمد بن منذر بن سعيد بن ملكون الحضرمي الاشبيلي أبو اسحاق ، قال ابن الزبير : أستاذ نحوي جليل ، روى عن أبي الحسن شريح ، وأبي مروان بن محمد ، وأجاز له القاسم بن بقي ، روى عنه ابن حوط الله وابن خروف والشلوبين ، وألف : شرح الحماسة ، النكت على تبصرة الصيمري ، وغير ذلك ، ومات سنة أربع وثمانين وخمسمائة له ذكر في جمع الجوامع (٢) .

د — الخدب :

وقد سبق ذكر الخدبّ فيمن لهم تآليف على كتاب سيبويه ، وهذه ترجمته كما ذكرها السيوطي في بغية الوعاة (٣) :

محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري الاشبيلي أبو بكر المعروف بالخدب والخدب الرجل الطويل بكسر الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة وتشديد الموحدة ، قال ابن الزبير : نحوي مشهور حافظ بارع اشتهر بتدريس الكتاب فما دونه ، وله على الكتاب طرر مدونة مشهورة اعتمدها تلميذه ابن خروف في شرحه ، وله تعليق على الايضاح وغير ذلك ، وكان يرحل اليه في العربية ، موصوفا فيها بالحذق والنبل ، صاحب اختيارات وآراء ، أخذ الكتاب عن ابن الرماك وابن الأخضر ، وكان يقرئ بفاس ، ويتعانى الخياطة ، وكان من حذاق النحويين وأئمة المتأخرين ، أجل من أخذ عنه ابن خروف ومصعب الخشني وعبد الحق بن خليل السكوني ، وأطنبوا في الثناء عليه ، مات في عشر الثمانين وخمسمائة . قلت (أي السيوطي) : وقفت على حواشيه على الكتاب بمكة المشرفة .

قال ياقوت في ترجمة ابن خروف (١) :

وحدثني ببدء اشتغاله أبو القاسم عبد الرحمن بن يخلف السلاوي " مدينة بالمدق من المغرب " قال : انه أول يوم دخل على ابن طاهر شكا اليه الفقر وقال : انك لتأخذ مني أكثر مما تأخذ من الأعيان . فقال : شرك أعظم من شرهم على نفسي المجلس "٠

وكان يأمرني بنقل الماء الى المسجد اذا احتاج الى استعماله ، فأقول له في ذلك فيقول : لا أحب أن تجلس بغير شغل "٠

ويبدو من هذا الحديث أن ابن طاهر كان يرى في تلميذه ابن خروف فضل طاقة ، وكان يعرفه تهش أن يجلس اليه ، وكان يحب ألا يصرف هذه الطاقة الزائدة في عبث أو نزاع ، فيشغله بما فيه مصلحة . وقد يكون شره على الأستاذ آتيا من هذه الناحية أو من ناحية المسألة وكثرة المناقشة في الدرس ، أو من غير هاتين الناحيتين . ولعل من شكوى الفقر من أول يوم ، ورد الأستاذ ابن طاهر عليه بذلك فيها دليل على سابق المعرفة بينه وبين أستاذه .

هـ — وقد كان من أساتذة ابن خروف أبو جعفر الحميري المؤدب المتوفى سنة ٦١٠ عن ست وتسعين سنة قال صاحب المعجب (٢) :

" وسمعته من شدة انصافه — رحمه الله (يعني شيخه أبا جعفر المذكور) يستحسن بيتين هجاه بهما صاحبنا علي بن خروف — رحمه الله . وذلك أن الأستاذ — رحمه الله وعفا عنه — كان يلقب بالوزغي ، وكان عنده شاب يقرأ عليه يلقب بالبرنسوق — وهو اسم عندهم للكركي ، والفصيح فيه غرنيق — فكان بعض الطلبة يتهمون الأستاذ بالميل الى ذلك الشاب ، وذلك خلق قد أعاذه الله منه ، ونزهه بفضله عنه ، فقال ابن خروف في ذلك — سامحه الله :

أحقا سام أبرص ما سمعنا ... بأنك قد تعشقت ابن ماء

وكيف وأنت في الحيطان تمشي ... وذاك يطير في جو السماء

فأبعده الأستاذ — رحمه الله — وأنهى خبره الى القاضى أبى الوليد ابن رشد فأوجعه ضربا ، وامتنع الأستاذ من قراءته عليه ، فحرمه الله بهذين البيتين فوائد علمه ، وأبعده عن مربع جنابه ، وولاه الأستاذ خطته ، وألقى حبله على غاربه ، فلم يفلح ابن خروف بعدها ، ولا حصل على شئ من العلم ، وانما كان يعتمد فيما يأتى به على طبعه خاصة " .

وليس فى هذه القصة ما يدعو الى الشك فى صدقها ، لأن صاحب المعجب معاصر لهما ، واذا صح اعتداء ابن خروف على أستاذه الحيرى وهجاؤه اياه فان ذلك يفسر لنا نادرة أستاذه ابن طاهر اليه اذ قال له[(١)] : " شرت أعظم من شرهم على فى المجلس " وكذلك يثبت لنا ما تقدم من أن ابن خروف لم يكن أنموذجا عاليا فى صفاته وأخلاقه ، ولم يكن يقدر أستاذه حق قدره ، وكفاه ذلك مذمة وسوء تقدير .

٤ — <u>تلاميذه</u> :

أشرت من قبل الى أن ابن خروف لم يستقر فى مكان واحد ، وانما تنقل فى بلاد كثيرة ، وقد " أقرأ الناس بعدة بلاد[(٢)] " ، وقال ابن الزبير فى ترجمته[(٣)] :

أقرأ العربية عمره ، ونفع الله به ، لحسن تعليمه ومعرفته ، أقرأ بريدة وباشبيلية وقرطبة وفاس وسبتة ، وأخذ عنه كتاب سيبويه جلة وأقرأوا بعده ، ونفع الله بهم " .

وعلى الرغم مما كان فى الرجل من شرود وان على بعض أساتذته فقد التف حوله جمع كبير من المتعلمين ، استفادوا منه ورووا عنه فى مختلف البلاد التى ارتحل اليها ، وكان من هؤلاء :

١ — محمد بن يحيى بن ابراهيم بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن ثابت الأنصارى الخزرجى الغرناطى أبو عبد الله يعرف بالجلاء بالجيم قال فى تاريخ غرناطة : كان مقرئا مجودا متحققا بالنحو ، محدثا حافظا فقيها فاضلا خيرا صالحا ، زاهدا منقبضا على الناس تلا على جده ، وأبى على الغسانى ، وروى عن

(١) معجم الأدباء جـ ١٥ ص ٧٦ . (٢) [illegible] ٣٠٥ .

أبى بكر بن عطية وغيره ، وأجاز له ابن خروف وأبو ذر الخشنى وعبد المنعم بن الفرس وخلق ، روى عنه أبو على بن أبى الأحوص ، مولده بغرناطة فى ذى القعدة سنة تسع وسبعين وأربعمائة ومات بها فى المحرم سنة ست وثلاثين وخمسمائة (١) .

وهذا يعنى أن ابن خروف قد تصدر وأجاز ومنه حوالى ست عشرة سنة .

ب — عمران بن موسى بن ميمون الهوارى السلاوى أبو موسى ، قال ابن الزبير : كان مفسرا أديبا نحويا ، أقرأ العربية بغرناطة ، وكان أخذها فيما أظن عن ابن خروف ، وروى عن أبى القاسم بن سمحون وأبى عبد الله بن الفخار المالكى ، وعنه ابن فرتون ، ومات فى حدود سنة أربعين وستمائة (٢) .

ج — محمد بن يحيى بن هشام الحضرمى أبو عبد الله الأنصارى الخزرجى الأندلسى من أهل الجزيرة الخضراء ، ويعرف بابن البرذعى ، كان رأسا فى العربية عاكفا على التعليم ، أخذها عن ابن خروف وصحب الرندى ، والقراءات عن أبيه وأخذ عنه الشلوبين وصنف : فصل المقال فى أبنية الأفعال ، المسائل النخب ، الافصاح بفوائد الايضاح ، الاقتراح فى تلخيص الايضاح ، شرحه ، غرر الاصباح فى شرح أبيات الايضاح ، النقض على الممتع لابن عصفور ، وله نظم ونثر وتصرف فى الأدب ، ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، ومات بتونس ليلة الأحد رابع عشر جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وستمائة (٣) .

د — على بن جابر بن على ، الامام أبو الحسن الدبيج بفتح المهملة وتشديد الموحدة والجيم آخره ، الاشبيلى اللخمى النحوى ، قال ابن الزبير : كان نحويا أديبا مقرئا جليلا فاضلا ، قرأ النحو على ابن خروف ، وأبى ذر بن أبى ركب ، والقرآن على أبى بكر بن صاف وجماعة ، وتصدر لاقراء النحو والقرآن نحو خمسين سنة ، روى عنه ابن أبى الأحوص وغيره ، وقال له نطق النواقيس وخرس الأذان ، لما دخل الروم اشبيلية فلم يزل يتأسف ويضطرب الى أن مات فى الحادى والعشرين من شعبان سنة ست وأربعين وستمائة ، ومن شعره :

رحبت كفالي رتبة ومهشة ... نلت أمامي موجرا ووجيهـــــا
ومن جر أثواب الزمان طويلة ... فلا بد يوما أن سيعثـــر فيهـــا[١]

هـ — يحيى بن محمد أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أرقم النميرى الوادى آشى ، أبو بكر ، قال فى تاريخ غرناطة : من بيت علم وحسب ، كان صدرا مبرزا من أهـــل العلم والفضل ، اعتنى بعلم العربيـــة ، وأخذ عن أبى على الرندى وابن خروف والشلوبين وأقرأ ببلده مدة ، ومات سنة ثمان وأربعين وستمائـــة[٢] .

و — عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ، الأستاذ أبو القاسم بن رحمون المصمودى النحوى ، قال ابن الزبير : أخذ العربية عن ابن خروف ، وكان ذا لسن وفصاحـــة ، وكان يقرأ كتاب سيبويـــه ، وله صيت وشهرة ومشاركـــة فى فنون ، ومعرفـــة جيدة بالنحو مات بسبتـــة فى صفـــر سنـــــة[٣] ٦٤٩ .

ز — محمد بن يحيى بن محمد العبدرى ، أبو عبد الله الفاسى ، يعـــرف بالصدفى قال ابن الزبيـــر : امام فى العربيـــة ذاكر للغات والآداب متكلم أصولى فقيـــه متقن حافظ ماهر عالم عامل زاهد ورع فاضل حسن الاقراء ، جيد العبارة ، متين الديـــن شديد الورع ، متواضع جليل من أجل من لقيتـــه وأجمعهم لفنون المعارف ، وكان الحفظ أغلب عليه سريع القلم اذا كتب أو قيد ، أخذ العربيـــة والأدب عن ابن خروف وغيرهما وأقرأ العربيـــة وغيرها بفاس ، وكان يقول : ما سمعت شيئا من نكت العلـــــم الا قيدته ، وما قيدت شيئا الا حفظتـــه ، وما حفظت شيئا فنسيتـــه . وكان على حـــال من الزهد والورع ، والتقشف ميغض أن يشار اليه فى علم أو دين مع مكانته فيهما ، دخـــل الأندلس واشبيليـــة ، وكان لا يرى الاجـــازة وكان يسأل الله تعالـــى الشهادة ، فدخـــل العدو مرسيـــة فقاتل ، حتى قتل شهيدا وذلك سنة احدى وخمسين وستمائـــة[٤] .

---

(١) بغيـــة الوعـــاة ص : ٣٣١ .
(٢) المرجع السابـــق ص : ٤١٥ .

ح ـ أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف الفهري اللبلي بسكون الموحدة بين لامين أولاهما مفتوحة . الأستاذ أبو جعفر النحوي اللغوي المقرئ . أحد مشاهير أصحاب الشلوبين أخذ عنه وعن الدباج وأبي اسحق البطليوسي والأعلم وسمع الحديث من ابن خروف وأبي القاسم بن رحمون وأبي عبد الله بن أبي الفضل المرسي والمنذري وجماعة بمصر ودمشق والمغرب . وأخذ المعقولات عن الشمس الخسروشاهي وطوف البلاد . روى عنه الوادي آشي وأبو حيان وابن رشيد . وصنف شرحين على الفصيح . البغية في اللغة . مستقبلات الأفعال . وله كتاب في التصريف ضاهى به الممتع . مولده بلبلة سنة ثلاث وعشرين وستمائة ومات بتونس في المحرم سنة احدى وتسعين .(١)

وسماع اللبلي هذا من ابن خروف غير صحيح لأن ولادته بعد وفاة ابن خروف .

٥ ـ مؤلفاته :

كان ابن خروف الى علمه أديبا لطيفا وشاعرا مجيدا ومن شعره اللطيف في صبي مليح :

أقاضي المسلمين حكمت حكما   أتى وجه الزمان به عبوسا
حبست على الدراهم ذا جمال   ولم تحبسه اذ سلب النفوسا (٢)

وله في نيل مصر :

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله   في ضفتيه من الأشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع   تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا   وانما هي أرزاق وأرواح (٣)

وله في الكأس :

أنا جسم للحميا   والحميا لي روح
بين أهل الظرف أغدو   كل يوم وأروح (٤)

---

(١) بغية الوعاة ص : ١٧٦ .

وإذا كان الشعر مرآة تنعكس عليها حياة صاحبه ، وإذا كان القارئ يستطيع أن يستنبط من شعر ابن خروف شيئا عن صفاته وحياته فانى لأرجو أن تكون حقيقة أمره مخالفة لذلك ، وأن يكون من هؤلاء الذين " يقولون مالا يفعلون ".

وقد يكون لابن خروف ديوان جمع فيه شعره ، ولكن أخبار هذا الديوان لم تصل الينا . ومن مؤلفاته :

أ — شرح جمل الزجاجي ، وهذا الشرح لم يصل الينا ، وانما تحدث به العلماء وذكروه فى ترجمة ابن خروف ، فقال عنه ياقوت (١) : " وله كتاب فى شرح الجمل فى جلد واحد ".

وكذلك أشار اليه صاحبه فى شرحه كتاب سيبويه ، فقال فى " باب الوقف فى أواخر الكلم المتحركة فى الوصل (٢) " : " قد ذكرت فى شرح الجمل نحوا من أربعين وجها ، عاشها فى كتاب سيبويه ".

وقد كان السيوطى ممن نقلوا عن " شرح الجمل " لابن خروف فى كتاب الأشباه والنظائر فقال (٣) :

" وقال ابن خروف فى " شرح الجمل " : أنشد الأستاذ أبو بكر بن طاهر فى العلل المانعة من الصرف :

موانع الاسم عشر فهاكها ملخصة ان كنت فى العلم تحرص
لجمع وتعريف وعدل وعجمة ووصف وتأنيث ووزن مخصص
وما زيد فى علقى وعمران فانتبه وأشرها التركيب هذا ملخص"

وقال ابن الأبار (٤) : " وله شرح على جمل الزجاجى ".

وقال ابن الزبير (٥) : " وشرح كتاب الجمل شرحا مفيدا ".

---

(١) معجم الأدباء جـ ١٥ ص : ٧٦

(٢) لوح رقم : ٢٤٧ .

(٣) جـ ٢ ص : ٢٨ ، ٢٩ .

(٤) التكملة ص : ٦٧٦ .

ب- كتاب في الفرائض[1].

جـ- كتاب الرد في العروبة على أبي زيد السهيلي وعلى جماعة[2].

د- وله رد على أبي المعالي الجويني، ولم يصب في رده[3].

هـ- كتاب تنزيه أئمة النحو عما لايليق بهم من الخطأ والسهو، في الرد على ابن مضاء القرطبي[4].

و- شرح كتاب الايضاح، وقد انفرد بذكره ابن الزبير[5].

ز- وله مناظرات مع السهيلي[6]، وقد دون هذه المناظرات الشيخ تاج الدين بن مكتوم، ونقل السيوطي عن هذه التذكرة في كتاب الأشباه والنظائر في باب وضع له هذا العنوان[7]:

" المسائل التي جرت بين السهيلي وابن خروف رحمهما الله تعالى، منقولة من تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم ".

ومن المحتمل أن تكون هذه المناظرات غير الكتاب الذي رد فيه على أبي زيد السهيلي، وأن تكون المجالس النحوية قد عقدت لهذه المناظرات وشهدها العلماء وغيرهم ممن كانوا يحبون أن يشهدوا مثل هذه المساجلات العلمية، وليس هناك مانع من التقائهما فقد كانا متعاصرين اذ أن السهيلي مات سنة (٥٨١ هـ) وابن خروف مات في أوائل القرن السابع الهجري عن خمس وثمانين سنة أي بعد وفاة السهيلي بما يزيد على عشرين سنة، وعلى هذا يكون السهيلي قد مات وابن خروف في حوالي الستين من عمره.

ومن هذه المسائل[8]

---

(١) التكملة: ٦٧٦، نفح الطيب جـ ٣ ص: ٢٩٦، بغية الوعاة: ٣٥٤.
(٢) المرجع السابق. (٣) التكملة: ٦٧٦
(٤) بغية الوعاة: ١٣٩. (٥) ذيل الصلة: ١٢٢
(٦) بغية الوعاة ص: ٣٥٤ (٧) الأشباه والنظائر جـ ٣ ص: ٩١
(٨) المرجع السابق.

نذر بعض الناس محجوبين في عقد لم يتضمن ذكوراً وإناثاً ، فاحتاج في خلال العقد الى ذكر أنثى منهم فقال : احدى المحجوبين ، فمنع من ذلك السهيلي وقال : قول الشاعر : (احدى بني الحارث) هو قول النابغة : (احدى بلى[1]) وقول الآخر : (احدى ذوي يمن) وليس في شيء منها شاهد لمن زعم أنه يجوز : احدى المسلمين ، وأنت تعني مسلماً ومسلمة أو احدى المسلمين ، وأنت تعني مسلمة ومسلمين ، لأن الجمع الذي على حد التثنية هو بمنزلتها ، ولو جاز هذا لجاز أن تقول في حمار وأتان : هذه احدى الحمارين ، وما تقدم من الأبيات انما هو على حذف المضاف كما قال الله تعالى : " فله عشر أمثالها[1] " فأنث لأنه أراد عشر حسنات ، ولو قال أيضاً : في أحد قريش أو أحد بلى لم يمتنع ، وأما الذي لابد فيه من لفظ أحد فما تقدم من قوله : أحد المسلمين ، وأنت تعني كذلك ، وشاهد ذلك قوله عليه السلام للمتلاعنين : " أحدكما كاذب فهل من تائب " ولو كانوا ثلاثة لقيل : أحدهم امرأة ، لأن لفظ التذكير قد شملهم فحكم الجزء اذا حكم الكل ، ولا سيما اذا كان ذلك الجزء لا يتكلم به الا مضافاً ، والأصل في هذا النفي العام ، تقول : ما في الدار أحد ، فيقع على الذكر والأنثى ، وانما قالت العرب : أحد الثلاثة ، لأنك أردت معنى النفي ، كأن المعنى لا أعين أحداً منهم دون آخر ، ويدل أيضاً على ذلك أن تغليب المذكر على المؤنث وتغليب من يعقل على ما لا يعقل باب واحد وتغليب المذكر أقوى في القياس لأن لفظ المذكر أصل ، ثم يدخل عليه التأنيث ، وليس كذلك لفظ من يعقل ، وقد تعدى تغليب من يعقل الجملة الى جزئها قال الله تعالى : " فمنهم من يمشي على بطنه[2] " لما كان جزءاً من الجملة التي غلب فيها من يعقل في قوله تعالى :

" فمنهم " واذا جاز هذا هنا فأحرى أن يجوز في احدى أربعة أوجه :

أحدها : أن أحداً يقع على الذكر والأنثى لكونه في معنى النفي كما تقدم في قولك : أحد الثلاثة .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم : ١٦٠ .

والآخر أن تغليب المذكر أقوى من تغليب من يعقل لأن المذكر والمؤنث جنس واحد فمن نوع واحد ، تميز أحدهما بصفة عرضية ، ألا ترى أنه لا يسبق الى الوهم تحليل الخنزيرة الأنثى لأجل ذكره في القرآن مذكرا ، وما لا يعقل مخالف لجنس من يعقل .

والثالث أن المضاف والمضاف اليه كالشيء الواحد .

والرابع أن أحدا مع أنه مضاف لا يستعمل منفصلا ، لا يقال : هذه المرأة احدى ، ولا رجل أحد .

قال ابن خروف :

احدى المحجورين صحيح يعضده السماع والقياس ، قال تعالى : " قالت أخراهم لأولاهم(١) " فجمع بين تذكير وتأنيث في مضاف ومضاف اليه وهو بعضه . واحدى المحجورين أخرى لأن تأنيث الآية غير حقيقي . ويشبهه قوله سبحانه : " هي حسبهم(٢) " وقوله(٣) : (ما هذه الصوت) ، وقوله(٤) : " وهي فرع أجمع " فذكر بعض الجملة ، وأنث بعضا ، وهما جميعا شيء واحد . ومن ذلك قولهم : أربعة بنين ، وثلاثة رجال ، فأنثوا المضاف والمضاف اليه مذكر . وقالوا في أربعة رجال وامرأة : خمسة ، فاذا أشاروا الى المرأة قالوا : خامسة خمسة .

ومما يدل عليه أنا وجدنا العرب راعت المعنى المؤنث ولم تراع اللفظ المذكر في كثير من كلامها قال(٥) :

---

(١) سورة الأعراف آية : ٣٨ .

(٢) سورة التوبة آية : ٦٨ .

(٣) في لسان العرب مادة (صوت) فأما قول رويشد بن كثير الطائي :

يأيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت

فانما أنثه لأنه أراد به الضوضاء والجلبة على معنى الصيحة أو الاستغاثة . قال ابن سيده : وهذا قبيح من الضرورة .

(٤) تكملة البيت من اللسان مادة (فرع)

أرعى عليها وهي فرع أجمع وهي ثلاث أذرع واصبع

تقول : هزيز الريح مرت بأثاب .

وقوله[1] : (تواضعت سور المدينة) ومثله كثير . فهذا ونحوه روعى فيه المعنى فهو أشد مما نحن بصدده ، واحدى بلى وأمثاله لايحتاج فيه الى حذف مضاف كما زعم السهيلى ، لكن لما كانت قبائل تجمع الذكور والاناث جاز ذلك فيها ، واجازته: هى أحد قريش ، وهى أحد بلى عطف . ولو قيل : أحد المحجوبين على قوله سبحانه : " لستن كأحد من النساء "[2] لم يجز ، لأنه فى الآية الكريمة بعد النفى ، والمراد به نفى العموم ، ثم بين بقوله : " من النساء " وأما استشهاده بقوله فى المتلاعنين : " أحدهما كاذب " فغفلة ، لأن القصد هنا أحدهما لا بعينه ، ولو عنى المؤنثة لأنث فهو كقوله سبحانه : " اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما[3] ". ومنع من افراد أحد واحدى ، وقد قال سبحانه : " قل هو الله أحد ".

وقالوا : أحد وعشرون واحدى وعشرون . وقوله : الا يسبق الى وهم أحد تحليل الخنزيرة الأنثى قد ذهب الى ذلك طوائف من أهل الفساد ، ولم يدل عندنا على تحريمها الا فحوى الخطاب وكون الألف واللام للجنس .

قال السهيلى :

لا دليل فى قوله سبحانه : " قالت أخراهم لأولاهم " لأنه لم يجتمع فى الآية مؤنث ومذكر فغلب المذكر بمعنى أن آحاد الأمم مؤنثات من حيث الأم جمع أمة ، وليس فى جمع أمة على أمم نقل مؤنث الى مذكر ، ولكن هذا هو باب جمع هذا المؤنث ، فاذا قلت أخراهم فلم ينقل ، كما فعلته فى احدى المحجوبين لأنك فى احدى المحجوبين نقلت مؤنثا الى مذكر ، وجعلت محجوبة محجوبا كأنه شىء محجوب . فاذا فعلت ذلك فواجب عليك أن تقول : أحد من حيث قلت فيه : محجوب . وقد يتعقب هذا بأن ضميرهم ضمير مذكرين نساء ورجال فوجه الجمع بين احدى المحجوبين وبين أخراهم أن لفظ " هم " لم يستعمل حتى صير من كان ينبغى أن يقال فيه : هى ، يقال فيه : هو ، كما نقلت

(١) من اللسان مادة (سور) : وقول جرير يهجو ابن جرموز :

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع

مجـورة الى مجـرور فانظـــره .

وأيضا فان أولى وأخرى قد يستعملان منفصلتـين بخلاف احدى . وقوله سبحانه : " هى حسبهم " وقول الشاعر : (وهى ترح أجمح) لا دليل فيهما ، وليسا فى شئ مما نحن بصدده بل يشبهان قولك : هى أحد المسلمين . فانا نقول : هى ، ثم نقول : احدى ،وقوله تعالى : " هى حسبهم " كقولك : امرأة عدل ، وقوله : " وهى تســـرح" كقولك للمرأة : انسان . وأما قوله : " ما هذه الصوت " ؟ فلا حجة فيه وليس ممـــا نحن فيه فى شئ ، وانما اضطر فأنث لارادة الصيحـة . واستدلالـه أيضا بثلاثة بنـــين وأربعــة رجال ليس من الباب فى شئ ، واستدلالـه بخامسة خمســة كذلك ،لأن خامسة من باب اسم الفاعل كقائمــة وقاعــدة ، واسم الفاعل يجرى على أصله ان كان لمذكر فهـــو مذكر ، وان كان لمؤنث فهو مؤنث فقولهـ : خامسة خمسة ،كقولك : ضاربـة الرجل .

قال ابن خروف فى هـذا :

اذا كان اسم الفاعل ينبغى أن يجرى على أصله فكذلك أحد واحدى ، واللبـــس الذى كان يدخل فى اسم الفاعل لو لم يؤنث هو اللبس الذى يدخل فى احدى .

قال السهيلـى :

وأما استشهاده بنحو : " هزيز الريح " والأبيات التى أنشدها سيبويه فلا حجة فى شئ من ذلك . وأما قوله : " واحدى بلى " وأمثاله لايحتاج فيه الى حذف مضاف " فانمـا قصدت أنه لا يلزم على وجود " احدى بلى " أن تقول : احدى المحجورين ،فـان بينهما فرقا ، وهو أن المحجورين لايشتمل على جملة نسـاء ، كما يشتمل عليها القبيلــــة وأما رده على فى قوله عليه السلام : " أحدهما كاذب " فهذيان ، لأنه لم يستشهــــد بالحديث الا على تغليب المذكر خاصـة . وأما رده المنع من افراد أحد واحدى واستشهاده بقوله سبحانه : " قل هو اللـه أحـ(١)ـــد " فليست الآية مما نحن فيه ، وأما قولـه قد ذهب الى تحليلها دون الذكور طوائف من أهل الفساد فتعقب سخيف .

قال ابن الحاج : ورد ابن خروف هذه الفصول كلها بما لايشفى وأبان أنه لـــم يفهم من السهيلى شيئا ، ولم يذكر ابن الحاج الرد .

ومن هذه المسائل أيضــا (١) :

" أكل كــل ذى ناب من السباع حــرام "

قال ابن خروف للسهيلى : فى هذا الحديث من سوء التأويل والهذر والافتئات على رسول اللــه صلى اللــه عليه وآلــه وسلم مالا خفاء به أعاذنا اللــه مما ابتلى بــــه ، وانها لزلــة عظيمــة ، يجب استتابــة قائلها ، وذلك أنه قال : يجوز أن يحمل الحديث على أصل راجح وهى المضارعة ، فان اللــه تعالى اذا حرم شيئا حرمت الشريعــة مايضارعه ، كما حرم ما يضارع الزنا مضارعــة قريبــة ، وكره ما يضارعــه من بعد كالنظر ، والقعـــود فى موضع امرأة حتى تبرد ، وروى ذلك عن عمر رضى الله عنه ، والتلذذ بشم الطيب على امــرأة ونظائره كثيرة ، فلما حرم الله الخنزير حرم رسول اللــه صلى اللــه عليه وآلــه وسلــــم ما يضارعه ويشاركه فى الناب والصفة الخنزيريــة فحرم الله سبحانه الأصل وحرم رسولـــه الفرع ، والكل من عند اللــه ، كما حرم الله الجمع بين الأختــين ، وحرم رسول اللـــه الجمع بين العمــة وابنــة أخيها وبين الخالــة وابنة أختها ، وبين العمتين والخالتـــين بناء منه عليه السلام على الأصل الثابت فى كتاب الله تعالى ، والتفاتا اليه ، كذلك حـــرم كل ذى ناب بناء على الأصل الثابت من تحريم الخنزير استنباطا منه ونظرا اليه .

قال ابن خــروف :

فهذا الرجل يخبر أن رسول اللــه صلى الله عليه وآلــه وسلم يحرم شيئا بالاستنباط من غير أن يؤمر بتحريمــه ، وقوله : والكل من عند الله " كلام ملبس ، اذ لا يجتمـــع مع ما قبله ، ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البراءة والتنزيــه مما نسب اليه .

قال السهيلــى :

ما أجهل هذا الجاهل : ، حيث ينكر مالا ينكره أحد ، وهو مسطور فى مختصـــر الطليطلى ، لأن مؤلفــه ذكر أنه صلى الله عليه وآلــه وسلم يستنبط الشرائع ، وهذا الجاهل من جفاة المقلدين ، فليقنعه على طريقــة التقليد كلام الطليطلى ، واستنباط رسول اللــه صلى اللــه عليه وآله وسلم صحيح ، لا مدفع فى ثبوته ، ولا ينكره الا جلف جاف وكل مــا ورد

عنه صلى الله عليه وآله وسلم مما لا ينطق به القرآن وإن كان متضمنا لكل شيء فهو على هذا المنحى . وإذا لم يستنبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن ذا يستنبط ؟

(مسألة) قال السهيلي (١) :

في قوله تعالى : " وجعل منهم القردة والخنازير (٢) " : الألف واللام يدلان على معنى الاتعاظ والاعتبار .

وفهم ابن خروف منه أنه يثبت للألف واللام معنى ثالثا أو رابعا وهو معنى الاتعاظ.

فرد عليه بأنه قال مالم يقله أحد .

قال السهيلي رادا عليه :

انما أردت أن الله سبحانه لما خاطب أهل الكتاب بهذا فأشار الى الجنس المعروف من القردة والخنازير التي مسخ من سلف من الأمم على هيئتها وصورتها لم يكن بد من الألف واللام الدالتين على تعيين الجنس حين دخل الكلام معنى الاتعاظ والاعتبار والتخويف ، ولو قال : " قردة وخنازير " لم يكن فيه ذلك .

هذه ثلاث مسائل ، علق ابن الحاج على المسألة الأولى برأيه فيما قال ابن خروف ، ولكنه لم يفصل بين وجهتي النظر . والمعروف أن تغليب المذكر على المؤنث أمر مسموع في اللغة ، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم بخطاب " الذين آمنوا " والاجماع على أن الخطاب فيها يشمل الذكور والاناث لكن اذا قصد فرد بالحديث زال عنه حكم التغليب ووجبت مراعاته تذكيرا وتأنيثا .

وأما المسألة الثانية فالأمر فيها لايحتاج الى تعليق ، ولكن واحدا من الرجلين لم يلتزم أدب المناظرة ، ولم يتحل بما يجب أن يتحلى به العلماء من الرد الجميل .

وفي المسألة الثالثة شبهة لابن خروف ، والاتعاظ والاعتبار أمر مفهوم من سياق الآية الكريمة ، والألف واللام ليسا للجنس كما يزعم وانما هما للعهد .

.

اذ قد ذكر ذلك مرتين بالتكرير في سورتي البقرة[1] والأعراف[2] .

ح — شرح كتاب سيبويه :

قال ابن الزبير[3] : وشرح كتاب سيبويه شرحه المشهور ".

وقال ابن الأبار[4] : وله شرح لكتاب سيبويه جليل الفائدة ".

وقد سبقت الاشارة الى أنه لما " حمله الى صاحب المغرب أعطاه ألف دينار[5] "

وقد استعان ابن الضائع علي بن محمد الكتاني المتوفى سنة ٦٨٠ هـ بشرح ابن خروف لكتاب سيبويه ، كما استعان بشرح السيرافي له ، حين تصدى لشرح كتاب سيبويه ، فانه قد شرحه شرحا " جمع فيه بين شرحي السيرافي وابن خروف باختصار حسن[6] " .

ويفهم من هذا كله أن ابن خروف قد شرح كتاب سيبويه كله شرحا كانت له الشهرة عند العلماء والطلاب والمؤرخين ، وكان هذا الشرح جليل الفائدة ، كما قال ابن الزبير وابن الأبار . واذا سلمنا بأن ابن خروف قد شرح الكتاب كله — كما يمكن أن يستنبط مما سبق — فان هذا الشرح لم يصل الينا ، وانما وصل الينا ،

ط — " تنقيح الألباب بشرح غوامض الكتاب "

وقد رجعت الى بغية الوعاة ونفح الطيب وذيل الصلة والتكملة فلم أجد لهذا العنوان ذكرا فيها . والجزء الموجود من هذا الكتاب صورة فوتوغرافية تحمل رقم (٤٦٩٤ هـ) بدار الكتب المصرية ، كتب عليها : " ملك الفقير صالح بن محمد الفلاني العمري ، ومن المرجح أنه هو الشرح المذكور من قبل . وأول ما وجد منه[7] :

---

(١) سورة البقرة آية رقم : ٦٥

(٢) سورة الأعراف آية رقم : ١٦٦

(٣) ذيل الصلة : ١٢٢ .

(٤) التكملة : ٦٧٦ .

(٥) معجم الأدباء جـ١٥ ص : ٧٦ ، بغية الوعاة ص : ٣٥٤ .

(٦) كشف الظنون : ١٤٢٨ ، بغية الوعاة : ٣٥٤ .

(٧) لسوم وتم : ١ .

" ويقال : حققت الشيء وحققته بمعنى تحقيقه ، وقول الشاعر :

أكاشره وأعلم أن كلانا   على (ماساء صاحبه حريص)(١)

وعلى هذا خففت ، ويقع بعدها المبتدأ والخبر من غير فصل ، ولذلك وقع بعدها يمينا مرتفعا بالابتداء ، تكذلك يقع بعدها الشرط والجزاء " .

وهذا الكلام تكملة لحديث ابن خروف في شرح كلام سيبويه في : " باب ما تكون فيه الأسماء التي يجازى بها بمنزلة الذي " وهذا كلام سيبويه(٢) : " وذلك قولك : ان من يأتيني آتيه ، وكان من يأتيني آتيه ، وليس من يأتيني آتيه ، وانما أذهبت الجزاء من هاهنا لأنك أعملت كان وان ولم يسغ لك أن تدع كان وأشباهه معلقة لا تعملها في شيء ، فلما أعملتهن ذهب الجزاء ، ولم يكن من مواضعه ، ألا ترى أنك لو جئت بان ومتى ، تريد : انّ ان ، وانّ متى كان محالا فهذا دليل على أن الجزاء لا ينبغي له أن يكون ههنا بمن وما وأي ، فان شغلت هذه الحروف بشيء جازيت ، فمن ذلك قولك : ان من يأتنا نأته ، وقال عز وجل : " انه من يأت ربه مجرما فان له " وكنت من يأتني آته ، وتقول : كان من يأته يعطه ، وليس من يأته يحببه ، اذا أضمرت الاسم في كان أو في ليس لأنه حينئذ بمنزلة لست وكنت ، فان لم تضمر فالكلام على ما ذكرنا وقد جاء في الشعر : ان من يأتني آته ، قال الأعشى :

ان من لام في بني بنت حسا   ن ألمه وأعصه في الخطوب

وقال أمية بن أبي الصلت :

ولكن من لا يلق أمرا ينوبه   بعدته ينزل به وهو أعزل

وزعم الخليل أنه انما جازى حيث أضمر الهاء ، وأراد انه ولكنه ، كما قال الراعي :

فلو أن حقّ اليوم منكم اقامة   وان كان سرح قد مضى فتسرعا

أراد فلو أنه حق اليوم ، ولو لم يرد الهاء كان الكلام محالا ، وتقول : قد علمت أن من يأتني آته من قبل أنّ أن ههنا فيها اضمار الهاء ولا تجيء مخففة ههنا الا على ذلك كما قال :

أكاشره واعلم أن كلانا على ما ساء صاحبه حريص " ..

هذا ، ولم ينته بعد كلام سيبويه فى هذا الباب ، وانما سقت جزءا منه دليلا على أن قدرا كبيرا قد فقد من هذا الشرح ، الذى ذاع صيته بين العلماء على مر التاريخ .

واللوح الأخير فى هذا الشرح رقمه (٣٠٤) وقد كتب فيه :

باب فى الزيادة . الزيادة فيه من غير حروف الزيادة ، ولزمه التضعيف هكذا عند الرباحى . وفى الشرقية : هذا باب ما الزيادة فيه من غير كذا ...

باب علم مواضع الزوائد : جعل القولين سواء فى قول الخليل وفى قول غيره حين لم يوجد لهما نظير فيحملان عليه . وكذلك راء اقشعر ، وما أشبه ذلك .

قال الفارسى : يريد بقوله : " وكلا القولين صواب " الباء من قرشب .

قلت : والظاهر أنه يريد جميع ما ذكر فيه الخلاف . وقد فسرت ألفاظ اللغة التى هنا ، وأما همّرش فذكره فى المضاعف فى الرباعى ، ويكون على فعّلل ، وهو قليل قالوا : الهمرش . وقال فى الخماسى وما لحقه من الأربعة : همّرش . وقوله هنا : " لأنه " عذر لما ذكره هنا مع ما قدمه من فعّلل ، فكأنه قال : وهذا سائغ أيضا فيها ، وهذه علة مطردة فيه . وقوله : ويبين أنها غير ميم ، معطوف على تخرجها ، يريد أن الحرف المدغم فى همّقع ميم مدغمة فى ميم فهو فعّلل وليس نون لأنه ليس فى الكلام فعلل فيلحق همقع به .

باب نظائر ما مضى من المعتل :

هذه الترجمة لأبواب . ثم ابتدأ فقال : هذا باب ما كانت الواو فيه أولا وكانت فاء ، فترجم على بعض ذلك . الهمز فى الواو المضمومة .

هذا آخر ما وجد منه ، وهذه الصورة ليست واضحة كل الوضوح ، ومصطلحات الرسم فيها وقواعده لم تطرد على طريقة واحدة . وقد رأيت أن ابن خروف لم يتعرض هنا لشرح الكتاب كله ، وهذا يرجح الأخذ بما فى فهرس المكتبة التيمورية عن هذا الكتاب من قوله : " تنقيح الألباب بشرح غوامض الكتاب ، المسمى شرح ابن خروف على كتاب سيبويه ، ولم يكتب الا غامضه . نسخة تنقص من أولها وآخرها . وأول ما فيها : " باب ما يذهب فيه

الجزء من الأسماء " ، وآخرها : " باب نظائر ما مضى من المعتل " وتحمل رقم (٥٣٠ نحو تيمور)،

وهذه المعالم تدل على أن الصورة المشار إليها من قبل ، والتي تحمل رقم (٧٦٩٤ هـ) قد أخذت عن هذه النسخة ، وفي أولها فهرس بخط حديث .

٦ — ابن خروف في هذا الكتاب :

لقد أحسن ابن خروف بهذا الكتاب الى علم النحو كل الاحسان ، لأنه حرص فيه على تحقيق أعظم فائدة لطلاب النحو ، كما حرص على أن يربط قارئه بكتاب سيبويه ربطا وثيقا ، اذ أن القارئ لايحس قيمة شرح ابن خروف ومنزلته بين كتب النحو الا اذا كان كتاب سيبويه حاضرا بين يديه ، يقرؤه ويكتشف أسراره ، ويدرسها فيه ويعرف شواهده ، مستعينا بشرح ابن خروف .

أ — سار ابن خروف في شرحه على أساس عقد الصلة القوية بينه وبين الكتاب فقد يشير ابن خروف الى شاهد من شواهد سيبويه دون أن يذكره ، قال ابن خروف في الحديث عن القسم (١) :

" وقد يحذف الفعل ويبقى المقسم به ، ويحذف الفعل والمقسم به ويدل الجواب على القسم ، قال الله تعالى : " لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف " (*) وهو كثير ، وبيت امرئ القيس يبين ، وشاهده فيه دخول اللام على الماضي ، وحلفة فاجر مصدر مؤكد لا مقسم به ، وقوله : " لاتدخل على فعل قد وقع " يريد فعلا ماضيا ومعنى البيت الثاني بين ، وشاهده فيه حذف لا مع النفي ، ولا الأولى للتأكيد ، واعلاما بأن القسم على النفي ".

فابن خروف في هذا يشير الى بيتين أولهما قول امرئ القيس :

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صالي

---

(١) لـوح رقم : ٥١١

ويقول من هذا البيت : " وشاهده فيه دخول اللام على الماضي " وهذا دليل على أن البيت من شواهد الكتاب ، ولكنه غير موجود في النسخة التي بأيدينا وانما وجد البيت الثاني الذي استشهد به على حذف لام النفي ، وهو قول الشاعر:

فحالف فلا والله تهبط تلعة من الأرض الا أنت للذل عارف

وقد كتب الأعلم من هذا البيت (١) :

" وأنشد في باب ترجمته : هذا باب الأفعال في القسم :

فحالف فلا والله تهبط تلعة من الأرض الا أنت للذل عارف

الشاهد فيه حذف لا ، وجاز ذلك لأن الموجب تلزمه اللام والنون فلم يشكل حذفها ، ويقوى الحذف هنا ذكر " لا " في صدر البيت ، والتلعة ما انحدر من الأرض ، وهي أيضا ما ارتفع ، يقول : حالف من تمتز بحلفه والا عرفت الذل حيث توجهت من الأرض " .

وواضح أن حديث ابن خروف من هذا الشاهد لا غناء فيه .

ب - وكثيرا ما تعرض لبعض عبارات سيبويه فأجاد شرحها في كتابه قال (٢) :

وقوله " واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم " (٣) الآية - غرضه فيها الكلام على اللامين ، جعل الأولى لام التوطئة التي في قولهم : لئن فعلت ، والثانية كالتي في الجواب الذي هو : لأفعلن ، وعليه نص كلامه .

وذهب يحيى الى أنها لام اليمين ، ويجوز أن تكون مكررة كالتي في قولهم : انسى لبحمد الله لصالح ، ثم عجل بها ، ثم عاودها في محلها وكذلك : " لمن تبعك منهم لأملأن (٤) " اللام الأولى معرفة بأن الموضع للقسم ، ثم جاء بلام الجواب ، وهو كثير في القرآن وفي الكلام .

وأذكر هنا في الآية رسما يعلم منه اعرابها ومعناها ان شاء الله . قلت : قرأها أبيّ وابن مسعود : " واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب " وقرأها حمزة :

---

(١) الكتاب جـ ١ ص : ٤٥٤ .

(٢) لوح رقم : ١٢ ، ١٣ .

(٣) سورة آل عمران آية رقم : ٨١ .

" لما آتيتكم " بكسر اللام والتوحيد . وقرأ سعيد بن جبير : " لمّا " بالتشديد وفتح اللام . أخذ الميثاق هو الاستحلاف . واضافته الى النبيين فيه أقوال :

أحدها أن يكون على ظاهره ، وفيه بعد ، لأن النبيين لم يكن أحد منهم فى زمن النبى فيؤخذ منه الميثاق فى نصرته .

والثانى أن يكون الميثاق مضافا اليهم على جهة الفاعلية كقوله : ميثاق الله عهد الله فكأنه قال : واذ أخذ الله الميثاق الذى وثقه الأنبياء على أممهم .

والثالث أن يكون على حذف مضاف ، أى ميثاق أبناء الأنبياء ، وهم بنو اسرائيل .

والرابع أن يراد بالنبيين أهل الكتاب جاء اللفظ على جهة التهكم بهم بقولهم : نحن أولى بالنبوة من محمد ، لأنا أهل الكتاب ومنا كان النبيون ، كقوله تعالى : " ذق انك أنت العزيز الكريم (١) " ، ويؤيد هذا القول قراءة أبىّ وابن مسعود

وأما " ما " فيحتمل أن تكون الشرطية والموصولة ، فان كانت الشرطية فهى مفعولة بآتيناكم ، وآتيناكم فى موضع جزم بها ، واذا كانت الموصولة فهى مبتدأة ، والعائد على " ما " محذوف ، أى آتيناكموه ، وعطف على فعل الشرط والصلة جملة أخرى بثم ، لأنها متأخرة عنها بالزمان المتطاول ولا بد فيها من ضمير يربطها بالجملة الأولى اذا كانت صلة ، أوبما اذا كانت شرطا ، والذى يقوم مقام الضمير قوله تعالى : " لما معكم " لأن الذى معهم هو الذى أوتوا من الكتاب والحكمة ، وهو ظاهر فى موضع مضمر فكأنه قال : ثم جاءكم رسول مصدق به ، فليس فيه أكثر من وقوع ظاهر فى موضع مضمر لدلالة المعنى فصار كقوله تعالى : " والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها (٢) " وقوله : " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا (٣) " ومثله كثير فى الحمل على المعنى ، وأما اللام الأولى فموطئة للقسم كقولهم : لئن زرتنى لأحسنن اليك " لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين " الا أن هذه اللام تدخل على حرف الشرط ، ولا تدخل على أسماء الشرط الا اذا كانت مبتدآت

---

(١) سورة الدخان آية رقم : ٤٩ .

(٢) سورة الأعراف آية رقم : ٤٢ .

(٣) سورة الكهف آية رقم : ٣٠ .

و " ما " هنا مفعولة بالفعل المشروط ، واللام الثانية لام الجواب والضمير في " به " راجع لما ، والذى فى " تنصرنه " راجع الى الرسول ، وقيل يرجعان الى الرسول ، والأول أظهر لفظا ومعنى أى أخذنا الميثاق عليكم لتؤمنن بالذى آتيناكم ولتنصرن الرسول ، ومعنى مصدق لما معكم : موافق له غير مخالف ، والوجه فى " ما " أن تكون موصولة ، واذا اجتمع القسم والابتداء فالمعاملة مع المتقدم فى السمة ، ومن كسر اللام جعلها لام السبب والصلة ، واللام الأخيرة على ما كانت عليه ، وعطف بثم صلة على صلة ، وما مصدرية أو بتقدير الذى ويحتاج الى ضمير ، والأول لا يحتاج اليه أى لايثاق اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجئ رسول مصدق لما معكم به ، وهو الذى آتيناكم كما تقدم ، وتقدم السبب لعود الضميرين على مرجوعهما والمعنى : أخذ الله ميثاقكم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أنى آتيتكم بعض الكتاب والحكمة وأن الرسول الذى أمرتكم بالايمان به موافق لكم غير مخالف .

وأما من شدد الميم فانه جعلها حرف وجوب ، وقدمها على جواب القسم لاعادة الضميرين على مذكورين وحذف جوابها ، فتقديره والله أعلم : لما كان كذا وجب الايمان به ونصرته ، ومن كتاب وحكمة مفعول بآتيناكم ، ومن زائدة فى هاتين القراءتين للتبعيض ، وهى فى الأولى زائدة للتبيين ، وقيل : يجوز أن يكون الأصل " لمنْ ما " دخلت " من " على " ما " وأدغمت النون فى الميم فاجتمع ثلاث ميمات ، فحذفت الأولى وهو قول ضعيف لا دليل عليه .

واللام لام التوطئة ، و" من " بمنزلة اللام فى قراءة حمزة للصلة ، ومعناهما واحد ، و" ما " فى هذه القراءة بمنزلتها فى قراءة حمزة ، والله أعلم بما أراد " .

وهذا كلام جيد ولكنى آخذ على ابن خروف فيه ثلاثة أمور : الأول أنه ذكر الآية الكريمة على رواية من قرأ : " لما آتيناكم من كتاب " والذى فى نسخة الكتاب رواية من قرأ : " لما آتيتكم من كتاب " ، ويمكن أن نعتذر عنه فى ذلك بأن النسخة التى كانت بين يديه قد روت الآية الكريمة على تلك الصورة .

والأمر الثانى أنه أخطأ فى آية من آيات القرآن الكريم وهى قول الله تعالى :

كتابه بقوله : " انا لانضيع أجر المحسنين " وهذا لم يرد فى القرآن الكريم وانما ورد ما يشبهه وذلك قول الله : " نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين " وقوله : " ان الله لايضيع أجر المحسنين " وقوله : " واصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين " وقوله : " انه من يتق ويصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين " (*) والآية التى استشهد بها ابن خروف هى الآية الثلاثون من سورة الكهف .

وهذا التهاون فى ضبط النص القرآنى معيب عند جمهرة العلماء . والأمر الثالث أنه قال : " من زائدة فى هاتين القراءتين للتبعيض ، وهى فى الأولى زائدة للتبيين " . وقد اعتاد العلماء أن يقولوا عن مثل هذه الحروف انها صلة .

جـ - وقد أبدع ابن خروف فى ترجمته " باب ما ينصرف وما لا ينصرف " كما أبدع فى التعليق على هذه الترجمة ، وذلك فى قوله (١) :

من الأسماء مالا ينصرف فى التكبير والتصغير ، وما لا ينصرف فى التكبير وينصرف فى التصغير ، نحو سحر ، ومنها ماينصرف فى التكبير ولا ينصرف فى التصغير نحو تضارب .

هذه الترجمة يدخل تحتها جميع أبواب الصرف وترك الصرف ، وهو من أبدع أبواب العربية واضبطها لما صرفت العرب وما لم تصرف ، وبينه بابا بابا ، وأتى فى أكثرها بعجائب لايستقل بفهمها الا من نور الله بصيرته الى هذا العلم ولحق بالمحسنين فيه . ولضيق باع بعضهم فيه اعترض على سيبويه وأوهن حجته بزعمه ، وتعقب كثيرا منها بالنقض بلا معرفة ولا انصاف . ولا بد من ذكر مقدمة هنا يستعان بها على فهم أغراض الأئمة ، وصدق قولهم فى هذا الباب وغيره من أبواب العربية ، وسقوط الاعتراضات عليهم ، وقد تقدم أكثرها فى أول الكتاب .

وذلك أن الأئمة — رحمهم الله — لما نظروا كلام العرب ووجدوه متسعا لاتضبطه الحدود ولا يحصره القياس ، أعملوا أنفسهم فى حصر ما أمكن منه ورده الى قوانين يحصل عليها ، فيعلم بذلك من كلام العرب مالا يمكن ضبطه بالحفظ ، فمن هنا احتاجوا الى الكلام فى أكثر العلل وما لم يدخل لهم تحت قياس أثبتوه فى كتب للحفظ لايقاس عليه .

(١) لوح رقم : ٥٢ وما بعده .

ولا علة له ، فصار النوع الذى يدرك بالقياس وهو الذى يسمى النحو والعربية أعظم في نفوسهم ، وأضبط لمعارفهم ، وأنبه للخواطر ، وأنفع للناظر فيه وفى غيره — من النوع الذى يسمى اللغة ، ويستوى فى حمله العالم والجاهل اذا قيد الألفاظ ، ولذلك قال ابن الجنى (١) : قال لى أبوعلى الفارسى :

" لأن أعلم مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس " .

وقال : قال لى بحلب سنة بضع وأربعين وثلثمائة :

" لأن أخطىء فى خمسين مسألة من اللغة ، ولا أخطىء فى مسألة واحدة من القياس أحب الى " .

قال المفسر :

وبالقياس ضبط كلامهم ، وبالتفتيش والنظر لحقت أغراضهم ، وعلم حقيقتهم ومجازهم ، وحصر أكثر ذلك ، فجمعوا الكثير الذى لا يضبطه الحفظ فى القليل بالقياس ، فما يستغنى من أخذ عنهم ومن أتى بعدهم بحفظ قوانينهم وأكثر عللهم ، وما قيد وبذلك — عن حفظ مالا ينحصر اذ قد فاتهم الأخذ عن العرب فثبت بذلك للأئمة الفضل والزلفى عند الله تعالى لحقا قصدوا جمع الكثير من الكلام الذى لاينحصر ولا يدخل تحت الحفظ فى النزر بالقياس ، وهذا الباب الذى نحن فيه .

وذلك أنهم — رحمهم الله — لما رأوا مالا ينصرف يقارب فى الكثرة ما ينصرف نظروا فى الأصل منهما فرأوا مالا ينصرف يفتقر الى موجب بمنعه الصرف ، وما ينصرف لا يفتقر الى موجب للصرف — علموا أن الأصل الصرف فبحثوا عن الموجبات لمنع الصرف فوجدوها عشرة ...

وبهذا الذى ذكر الأئمة قرب حصر الباب وسهل حفظه واستغنى به عن حفظ جميع ما تشتمل عليه هذه الأنواع التى لايمكن حصرها بالحفظ فلا فرق اذن بين قولك : كل اسم اجتمع فيه علتان من هذه العلل الموصوفة لاينصرف ، وبين قولك : كل فاعل ومبتدأ مرفوع ، وكل مضاف اليه مخفوض ، فهذه علل موجبة عند العرب مطردة ، فاذا علم

---

(١) انفرد ابن خروف بادخال " ال " وسيأتى تعليق على ذلك .

أحدنا جاز له أن يتجاوزه الى غيره ، ويبحث عن أصول تلك العلل ، ولأى شيء صارت عللا ؟ فاذا وفق لذلك وعرفها كان أعظم فائدة وأكثر تصرفا وأنبه خاطرا وأبعد من الزلل وأعرف بحكمة العرب من الأول ، وكلاهما متبع ما وجد من كلامهم ، وقد قالت الحكماء : من التمس البرهان على كل شيء فهو أبله ، لأنه لا فرق بين من التمس من المهندس اقناعا ، ومن التمس من الخطيب برهانا ، وأن كل واحد منهما أبله . فمن التمس من المهندس برهانا فى صناعته فهو عالم حكيم ، وهمته الحق ، ومن التمس من الخطيب اقناعا على أن زيدا عفيف فهو عالم حكيم همته الحق وأعطى كل شيء حقه ...

ونظم أبو بكر بن طاهر الأبيات التى قيلت فى موانع الصرف وزاد فيها علة وهى ألف الالحاق فقال :

موانع صرف الاسم عشر فهاكها ** ملخصة ان كنت فى العلم تحرص

فجمع وتأنيث وعدل وعجمة ** ووصف وتعريف ووزن مخصص

وما زيد فى علقى وعمران فانتبه ** وآخرها التركيب هذا ملخص

والواقع أن ابن خروف قد برع فيما دبج فى هذا الباب ، ولولا خشية الاطالة لنقلت للقارىء هذا الباب برمته امتاعا لفكره ، هذا والأبيات الثلاثة التى رواها ابن خروف عن أستاذه ابن طاهر قد ذكرها أيضا فى شرحه لجمل الزجاجى وسبقت الاشارة اليها (١) .

د — وقد رأيت ابن خروف ينتصر لصاحب الكتاب على المبرد ، ويرد عليه كثيرا من اعتراضاته على سيبويه ، كما سبقه الى ذلك ابن ولاد ، ومسائل الخلاف بين المبرد وسيبويه من الموضوعات التى خصص لها جانب فى رسالتى السابقة " الكتاب المقتضب دراسة وتحليل ونقد " وهى بعد من الموضوعات التى يجب أن تنال حظا أوفى من البحث المستقل ، ولو أن المبرد قد رجع عن كثير منها ، وسأكتفى بسوق أربعة أمثلة انتصر فيها ابن خروف لسيبويه ، ورد على المبرد ، وربما نال منه :

١ـ قال ابن خروف (١) : وتأول المبرد عليه (أى على سيبويه) أنه جعل يضربون بمنزلة ضربين فى كل حال ، ورد عليه ، وأخطأ عليه وعلى نفسه ، لأنه تأول خطأ ورد به .

ونص سيبويه : " وكذلك يضربون فى هذا القول اذا أعرب الحروف هو بمنزلة ضربين ، يكون فى الرفع بالواو وفى النصب والجر بالياء . وقوله : " وصرت كأنك سميت بيبرين " يريد أنك تقول : ضربين ، كما قلت يبرين ، وهى اسم بلدة ، ومثل بها من حيث شهرت فى الكلام ، ولم يرد أن يبرين اذا سميت بها مذكرا ، وجعلت الاعراب فى النون صرفت لزيادة الياء أولا ، والمثال كما تأول عليه المبرد ثم رده عليه . وتشبيه سيبويه صحيح بديع ، ويبرين لاينصرف فى التعريف على كل حال لمكان الزيادة فى أوله والوزن ، عنيت بلدا أو رجلا ، وسيبويه هو الذى علم بهذا .

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

٢ـ قال ابن خروف (٢) : رد المبرد صرف سدوس وسلول ، وقال : هما مؤنثان فاذا قلت : بنو سدوس وبنو سلول لم تصرف . وأوقعه فى ذلك قلة الحفظ .

قال محمد بن حبيب فى كتاب مختلف القبائل : سدوس بن دارم ، وسدوس بن ذهل ، وفى طيء سدوس بن أصمع ، وعن غيره فى نسب بنى تميم سدوس بن دارم . وأما سلول فقال ابن حبيب : فى قيس سلول بن مرة ، وفى قضاعة سلول بنت زبان ، وفى خزاعة سلول بن كعب .

٣ـ وفى الحديث عن تصغير المبهمات مثل هذا والذى قال ابن خروف (٣) :

" وقول سيبويه : " وانما ألحقوا هذه الألفات فى أواخرها " تمام للطرف وما قبل الطرف ، فالألف فى " هذيا " فى الطرف ، وفى " أليا " قبل الطرف ، وهو آخر الكلمة أيضا ، واتكل على التمثيل الذى مثل به . وتعقب المبرد عليه فاسد وقلة انصاف " .

---

(١) لوح رقم : ٦١ .

(٢) لوحة : ٧٧ .

وقد شرح ابن خروف قول سيبويه وأطال ، وأجاد في كل ما قال ، وانتصر لسيبويه ، وبرهن على فساد كلام المبرد ، وتكملة عبارة سيبويه[1] .

" وإنما ألحقوا هذه الألفات في أواخرها لتكون أواخرها على غير حال أواخر غيرها ، كما صارت أوائلها على ذلك " . وهذا التعليل مقبول كما تمسك بذلك ابن خروف .

٤- وقد آخذ ابن خروف الزبيدي في مدحه المبرد وإهماله سيبويه فقال[2] :

" وأما إلحاق أبي العباس إطلا بإبل فليس كما زعم ، وإنما هو اتباع كبنتن وبفيرة ، ولذلك لم يذكره سيبويه لأنه سمعه ممن لا يحتج كالجليد في الجلد ، قال الزبيدي في أبنيته : " وكان أبو العباس من العلم بمكان لا يجهل معه هذا " .

قلت : هذا تعصب بارد ، سيبويه أولى وأحق بهذه الصفة من أبي العباس لأنه سمع من العرب ، وعلم من يحتج ومن لا يحتج ، وأعلى منازل أبي العباس أن يقلد النحويين فالمستدرك في هذا الفصل إن ثبت : بلز ، وحبرة ، وإبد ، وأما حبر ، وحت وحبر فاتباع لأجل حرف الحلق كفخذ ، والإطل كالجلد .

والمستدرك عليه في هذا خمسة ألفاظ : وبم ، ودبل ، وبلز وخبيرة وإبد بلا خلاف ، وخمسة فيها علل " .

هذا وليس بغريب أن ينتصر لسيبويه إمام من أئمة النحاة بالأندلس كابن خروف فقد انتصر له من قبله عدد عديد من أئمة النحاة في مختلف الأنحاء ، وما زال لكتابه في نفوس العلماء حسن التقدير ، وهذا أحد العلماء المعاصرين يقدم كتاب سيبويه في دراسته إياه فيقول[3] :

" هو هذا السفر العظيم الذي أقامه العالم الجليل في ساحة الخلود أثرا ، وأرسله مع الأيام ذكرا ، وادخره للعربية كنزا ، وندبه في العالمين شاهدا على براعته فيها

---

(١) الكتاب جـ ٢ ص : ١٣٩ .

(٢) لوح رقم : ٢٦٦ .

ونفاذه الى أسرارها ، وامامته فى الاشتراع لها وضبط أصولها ، على نحو يعز نظيره فى الأولين والآخرين : شمول احاطة ، وبراعة أستاذية ، وسلامة تحليل ، وصدق نظر ، وصحة حكم " .

ذلكم هو الأستاذ على النجدى ، الذى أعاد للكتاب ذكرياته عند الباحثين ،

وقد نظر ابن خروف فى انتصار ابن ولاد لسيبويه على المبرد ، فرآه لم يعلل فى بعض المسائل ، فاستدرك عليه وعلل لمذهب سيبويه ، مثال ذلك (١) :

" وزعم ابن ولاد أن المبرد قال : زعم سيبويه أنه اذا سمى رجلا أمس أو سحر المعدولين عن الألف واللام اللذين لا ينصرفان وجميع المعدول عن العدد أن جميع ذلك ينصرف فى النكرة والمعرفة ، قال : وكذلك يلزمه فى أخر ثم قال : وهذا صواب لأنه نقله عن الموضع الذى عدل فيه ، وزالت عنه العلل المانعة للصرف ، فصار أمس لعمرو وسحر كجعل ، ورباع كغراب ، وأخر كصرد ، فنقض قوله فى أحمر وما أشبهه فى ترك صرفه فى النكرة بعد التسمية به ، ويلزمه أن يصرفه فى النكرة لزوال الوصف عنه بعد التسمية ، ورد عليه ابن ولاد فى هذا بأن العرب تركت صرفه بعد التسمية فى النكرة ، وليس لسيبويه أكثر من أن ينقل ما سمع ، ولم يزد على هذا .

والعلة فى ترك صرفه أن العرب راعت بقاء الصفة فى الأعلام اذا سمت بهما ، فأدخلت الألف واللام عليها لابقاء معنى الصفة فى مثل الحارث والعباس ، وجمعتهما جمع الصفات نحو أحمر وحمر وبابه الأحامر والأحمرين ، فمراعاة الصفة فى النكرة أحرى ، فراعتها بعد التسمية فلم تصرف فى حال التنكير ، وعلى هذا جمع العرب والنحويون : أبو الحسن وغيره ، ثم رأى أبو الحسن أن القياس ترك الصرف ، وقد مضى فى موضعه بأبدع بيان "

هـ ـ ومما بدا واضحا فى شرح ابن خروف حرصه الشديد على سلامة نص الكتاب ، وتخليصه مما قد يظن أنه منه ، وهو لغير سيبويه من ذلك قول ابن خروف : (٢)

---

(١) لوح رقم : ٩٢ .

قـال : وقد يكون منه قول بشـر :

نوهت بأسباب الأمور وقد بـدا   لذى اللب منها أى أمريـه أصـوب

قال ابن طاهر ـ رحمه الله ـ والأظهر أن تكون فيه أى بمنزلة الذى وحذف المبتدأ من الصلـة .

ومن قوله : " بدا لهم فصل الى آخر الباب من كلام المبرد ، وقد بين فسـاده وخالفه النحويون فى ذلك ، ولا حاجة الى اضمار المصدر لما ذكرنا ، ولا يضمر الا مـع نقصان الكلام كقولـه : من كذب كان شرا له . لابد من الفاعل فيـه .

وكلام المبرد الذى يشير اليه ابن خروف ليس فى النسخـة التى بأيدينا ونص الكتاب فى هذا الموضـع (١) :

" ... وقال عـز وجل : " ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننـه (٢) " لأنـه موضع ابتداء . ألا ترى أنك لو قلت : بدا لهم أيهم أفضل لحسن كحسنه فى علمت ، كأنـك قلت : ظهر لهم أهذا أفضل أم هـذا ؟ "

وقال ابن خـروف (٣) :

وأجاز الأستاذ أبو بكر : كل رجل فله درهم ، اذا أراد المبالغـة فى الرجوليـة فقام ذلك مقام النعت الذى يوصف به ، ثم منعه فى الاقراء الثانى ، وينبغى ألا يقاس هـذا لأن الجزاء فى كل هذا غير مستحكم ، ولما تخيل من تخيل أن الفرار من الحرب ينجيه مـن الموت قيـل له : " قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكـم (٤) " ووقع فى الكتاب متصلا بقوله : " فانه ملاقيكم " ومثل ذلك قوله : " ان الذين فتنوا المؤمنـين والمؤمنات (٥) " الآيـة .

ووقع فى الشرقيـة : قال أبو العباس : أنا وضعتها فى الكتـاب .

قلت وليس فيها معنى زائد على ماتقدم .

---

(١) الكتـاب جـ ١ ص : ٤٥٦ — (٢) سورة يوسف آية رقم : ٣٥ .

(٣) لوح رقم : ١٩ . — (٤) سورة الجمعة آية رقم : ٨

وقد أشار ابن خروف الى شاهد من القرآن الكريم أخطأ فيه بعض الناقلين عن سيبويه فقال [1] :

" باب آخر من أبواب إن . والباب بين أيضا . وقع في جميع النسخ الرياحية والشرقية : " وأنا ربكم فاعبدون " ولم يغيرها أحد من الأئمة ، وأثبتوها كذلك . والتلاوة " فاتقون " في هذه الآية ، كما فعل السلف الصالح من أهل الحديث ، لم يغيروا ما وقع في الصحاح من الوهم في الآيات وغيرها ، مخافة أن يتطرق الى تغيير ذلك " .

والذى في كتاب سيبويه [2] : " وأنا ربكم فاتقون " وليس لعالم يؤمن بالله وكتابه أن يسكت على تغيير فيه مطلقا ، وانما يجب أن يعمل المسلمون جميعا على صيانة النص القرآني والتثبت من سلامته .

و — هذا وقد أشار ابن خروف في شرحه الى أنه كان يراجع ما تيسر له من نسخ الكتاب ، حتى يقيم النص ، ويصونه من التغيير كما تقدم آنفا ، اذ قال : " وقع في جميع النسخ الرياحية والشرقية " ... في اللوح رقم (٢٥) .

وقد سبقت اشارة الى أنه قرأ الكتاب مرتين على الأستاذ أبي بكر بن طاهر ، وهذا نص آخر يؤكد ذلك فيه قال ابن خروف [3] :

" وأما منذ أن الله خلقني فيحمل على تأويلين والظاهر من كلامه هنا أنه مضاف الى أن ، بدليل قوله : منذ ذاك . ولا يقدر محذوفا كما فعل في اضافته الى النص . وقال الأستاذ أبو بكر في الاقراء الثاني :

من جر بمنذ كانت " أن " عنده في موضع خفض ، ومن رفع ما بعدها كان " أن " في موضع رفع على حذف مضاف ، كما قال الفارسي في ايضاحه " .

ز — وقد ذكر ابن خروف في شرحه كثيرا من أعلام النحاة ، يردد آراءهم مؤيدا أو معارضا ، ومن هؤلاء :

---

(١) لوح رقم : ٢٥ .

(٢) الكتاب جـ ١ ص : ٤٦٤ ، وهي من سورة المؤمنون آية رقم : ٥٢ . والآية الاخرى في سورة الانبياء وهي : " ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون " رقم ٩٢ .

(٣) المرجع السابق : ٢٤ ، وكذا في اللوح رقم : ٣١ .

١ـ الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٥ قال ابن خروف (١) :

ومذهب الخليل حذف حرف الجر من أن واعتقاد النصب فى موضعها بعد الحذف حملا على ما يظهر اعرابه . وسيبويه يبقيها على خفضها حين لم يتصرح الخفض فيها . وحكى يحيى عن الكسائى ماذهب اليه سيبويه . ومذهبه كمذهب الخليل . وكلاهما ممكن لا بأس به .

٢ـ يونس المتوفى سنة ١٨٢ .

قال ابن خروف (٢) : وقوله فى آخر الباب " وليس بقياس " يعنى قول يونس يريد من حيث لم يجمعوا أختا على أخنات لم يقولوا : أخنتى .

وقال أيضا (٣) : وذكر فى " باب النون الخفيفة والثقيلة أن يونس زعم أنهم يقولون : كثر ما تقولن .

٣ـ الكسائى المتوفى سنة ١٨٩.

قال ابن خروف (٤) : والمعصر التى دخلت فى عصر الشباب . وقال الكسائى : التى راهقت العشرين . وحكى ابن دريد : معصرة بالهاء على الفعل وأنشد :

معصرة أو قد دنا اعصارها

٤ـ يحيى الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ . قال ابن خروف (٥) :

وأنشد الفراء : [عبيد بن الأبرص]

نحمى حقيقتنا وبعض القوم يسقط بين بينا

يريد : يسقط هؤلاء بين هؤلاء . وهؤلاء بين هؤلاء وأرى النحويون (٦) ذهبوا بهمزة بين بين الى هذا المذهب .

وقال ابن خروف فى قوله (٧) : ايت الأمير لايقطع اللص ... : والكوفيون يجيزون الجزم فى يقطع من حيث كان عذرا ويجيزونه فى الكلام اذا وقعت " لا " موقع

---

(١) لوح رقم : ٢٥ (٢) لوح رقم : ١٢٣

(٣) لوح رقم : ١٦٠ (٤) لوح رقم : ١٨٥

(٥) لوح رقم : ١٠٠ و ... (٦) كذا فى الأصل بالواو وصوابها بالياء .

" أن " وزعم الفراء أن العرب تجزم بها ، وهو الموضع الذي يقع فيه موقع " أن " " لا "
وأنشد الفراء :

لو كنت اذ جئتنا حاولت رؤيتنا   وجئتنا ماشيا لايعرف الفرس

وغيره من الأبيات ، ولم يصل الى سيبويه . ولذلك قال بعد اخباره به : ولا نعلم هذا جاء في الشعر ألبتة ، فلولا أنه أعلم بأنه جائز في الشعر لمنعه ألبتة لأن مثل هذا لا حظ للقياس فيه .

٥ - المازني المتوفى سنة ٢٤٨ ، قال ابن خروف (١) :

قال المازني : مما يزاد ما ألحق بناء ببناء ، ومنه مايكون للمد ، ومنه ما يلحق لمعنى ، ومنه مايلحق في الكلام ولا يتكلم به الا بزائد ، لأنه وضع على المعنى المراد بهيئته .

٦ - أبو العباس المبرد وقد سبق ذكره في الحديث عن انتصار ابن خروف لسيبويه . وقد أكثر ابن خروف من ذكر المبرد وابطال آرائه قال (٢) :

وحذفوا في جلولاء وبركاء ، وصغروا على الهمزة كما كسروا عليها . والمبرد لايحذف شيئا من هذه الزوائد ، ويقول : ليس الحذف بقياس . وقوله فاسد ، لحذفهم في التكسير ، ولا يكون التصغير الا على التكسير كما تقدم . قال أبو العباس : ومن حيث كانت الألف الممدودة بمنزلة ما هو من الاسم وجب ألا تحذف ، ومن حيث كانت بمنزلة تاء التأنيث وجب أن يحقر ما قبلها كما يفعل بالهاء .

وقال ابن خروف في حديثه عن الصيغ التي تغني عن ياء النسب (٣) : والمبرد قد زعم أن ذلك كثير على لسان من يوثق بعلمه ، ولا حجة له فيه مالم يحكه عن العرب وقال ابن خروف أيضا : " وقول المبرد انه جائز وكثير في الكلام دعوى ، ولم يأت بشاهد على ما ادعى، فلا يقبل قوله : " وهو كثير " مع نفي سيبويه له ، ودقّاق وشمّار في قول العامة كثير ، غير أنه لا يؤخذ ذلك الا من أفواه العرب ولو وجدها سيبويه لحكاها " .

---

(١) لوح رقم : ٢٦٢   (٢) لوح رقم : ١٤٧ .

(٣) لوح رقم : ١٢٢ .

وقد بسطت القول من هذا فى رسالتى عن " الكتاب المقتضب "(١) .

وقال عند الحديث عن " أم "(٢) : وحكى المبرد عن أبى زيد أنها تكون زائدة وأنشد :

يا دهر أم ما كان مشيى رقصا

قال : وهذا لا يعرفه المفسرون ولا النحويون .

قلت : وأبو زيد ثقة ولم يروا إلا ما سمع ، ولا تحتمل فى البيت غير الزيادة وأجاز الأستاذ فى البيت والآية ، أعنى : " أم أنا خير " .

وهذا الذى ذكره ابن خروف عن كلام المبرد فى الكتاب المقتضب ولكنه لم يسم الكتاب ولم يكمل كلام المبرد ، ونص كلام المبرد بعد أن ذكر الآية الكريمة : " أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ، أم أنا خير من هذا الذى هو مهين " قال(٣) : " هذه أم المنقطعة فى قول جميع النحويين لا نعلم بينهم اختلافا فيه فأما أبو زيد وحده فكان يذهب الى خلاف مذاهبهم فيقول : " أم " زائدة ومعناها : أفلا تبصرون أنا خير ، وكان يفسر هذا البيت :

يا دهر أم ماكان مشيى رقصا بل قد تكون مشيتى توقصا

يريد : يا دهر ماكان مشيى رقصا . وهذا لا يعرفه النحويون ولا المفسرون لا يعرفون أم زائدة ، ولكن اذا عرض الشىء فى الباب ذكرناه وبيناه "

وكلام المبرد هنا بين واضح غير محتاج الى تعليق .

٧ - ابن السراج المتوفى سنة ٣١٦ ، ذكره ابن خروف فقال : " قال ابن السراج فى باب مذ ومنذ(٤) : وأجاز قوم : مذ يوم يوم يرفعون بلا تنوين قالوا : كأنك قلت : مذ يوم تعلم ، ولا يجيزون مذ شهر شهر ومذ دهر دهر ، ومذ عام عام . قال الأستاذ أبو بكر بن طاهر : لو سمع لجاز " .

٨ - ابن ولاد المتوفى سنة ٣٣٢ ، وقد سبق ذكره أيضا عند الحديث عن انتصار ابن خروف لسيبويه على المبرد . وذكره هنا فى الحديث عن أصل يد هل هو يدى

---

(١) ورقة رقم : ٢٣٦ (٢) لوح رقم : ٥٤٥

أويد و ، قال ابن خروف (١) : " وحكى أبو الحسين بن ولاد عن المبرد أنه قصد بدا في الكتاب على الغلط . قلت : وإذا كان معناه الذي جيء به له صحيحا فليس بغلط ".

٩ - أبو علي القالي المتوفى سنة ٣٥٦ قال ابن خروف في شرحه (٢) : " قال القالي : رغما دغما شنغما . الرغم السواد . فأما الشنغم فلا أعرف له اشتقاقا ، وسألت عنه جميع شيوخنا فلم أجد أحدا يعرفه . وقد وقع في الأبنية . وكان مشايخنا يزعمون أن كثيرا من النحويين صحف هذا الحرف في كتاب سيبويه فقال : شنعم بالعين غير معجمة قال أبو علي القالي : ويحتمل أن يكون من الشناعة والميم زائدة ، كزرقم وستهم ".

١٠ - أبو علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ ، وقد سبق أن ذكرت لابن خروف كلاما نقله عن الايضاح في مذ ، وهنا أنقل قول ابن خروف (٣) :

" قد وقعت " لما " في الكتاب خفيفة وهي بمنزلة " الا " وما زائدتان عند الأستاذ أبي بكر ، ولم يمنع ما ذكر الفارسي فيها ، وعملت بمنزلة : لتفعلن ، ووقع الماضي هنا على جهة القبول بمنزلة : غفر الله لك ".

١١ - الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ ، وقد تردد اسمه كثيرا على لسان ابن خروف قال : .. وكتب الأستاذ أبو بكر على قول الزبيدي في آخر فصل الواو (٤) : الا أن سيبويه قال في كتابه : ان بعضهم ضم ألف " أتيّ " فان يك ذات فالأتي سهل . قلت: ما حكاه سيبويه لا شك في صحته ولكن لست تقارنه في ذلك الا أن تشك في صحة الرواية عنه فهو عذر .

١٢ - وتكملة الحديث فيما ذكر قبل (٥) : " ابن الجني : أتيّ بضم الهمزة مجرى الماء قال : وقال بعضهم : أتي بفتح الهمزة . وقال الأصمعي : الأتي : الرجل الذي في القوم وليس منهم .

---

(١) لوح رقم : ١٧٦ (٢) لوح رقم : ٢٩٦

(٣) لوح رقم : ١٢٤ (٤) لوح رقم : ٢٨٥

وقال ابن خروف (١) : " وأما فعل فلا يكون عند سيبويه الا في الفعل وجعل دئملا فعلا سمي به . وحكى أبو حاتم عن الأخفش انه اسم جنس لبعض الدواب . وقال ابـن الجني : ان قبيلة أبي الأسود الدؤلي سميت به ، وهو محتمل أن يسمى به فعلا وجنسا "

هذا وقد ذكر ابن خروف ابن جني بزيادة أل في مواضع كثيرة من شرحه (ص ... ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥) ، وقد ترجم لـه السيوطي في صفحة (٣٢٢) من كتاب بغية الوعاة بدون أل ، وكذلك ذكره كثيرون . (*)

١٣ ـ الأعلم المتوفى سنة ٤٧٥ ، ذكر رأيه في قول الشاعر (٢) :

وكنت أرى زيدا كما قيل سيدا اذا إنه عبد القفا واللهـازم

قال : شاهده كسر ان بعد اذا وهو موضع ابتداء ، ويجوز الفتح على خبر ابتداء ، لأنه من مواضع الاضمار كأنه : اذا أمره أنه كذا ، وهي للمفاجأة في الوجهين . وذهبت طائفة منهم الأعلم الى أن " أن " مبتدأ واذا خبرها . وليس بشيء" ...

وقال ابن خروف تعليقا على قول الشاعر وهو هدبة بن خشـرم (٣) :

عسى الكرب الذي أمسيت فيـه يكون وراءه فـرج قريـب

" شاهده استعمال عسى بغير أن تشبيها لها بكان ★ ، ويروى : أمسيت بفتح التاء وضمها وقاله في السجن مع قريب له . فالنصب على الخطاب والرفع على الاخبار عن نفسه ، وسجنه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في قتيل قتله ، أقر به ، وخبره مشهور .

وقال الأعلم : انه يخاطب رجلا من قومه أسر . وهو فاسد ، لأن القصيد الـذي فيه البيت يبينـه . وقوله أيضا : انه حذف أن ضرورة فاسد ، لأن سيبويه يقـول : واعلم أن من العرب من يقول : عسى زيد يفعل ، فجعلها لغـة قليلـة ، لا ضرورة " .

١٤ ـ ابن السيد المتوفى سنة ٥٢١ ، ذكره ابن خروف فقـال (٤) : " وقول عمر بن أبي ربيعـة :

فكان نصيري دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصـر

---

(١) لوح رقم : ٢٨٦ (٢) لوح رقم : ٣٢

(٣) لوح رقم : ٣٨ ، الكتاب ١ : ٤٧٨ (٤) لوح رقم : ١٨٥ .

شاهده فيه تأنيث الشخوص ، لأنه عنى النساء ، ويروى مجنى ، وروى أبو عبيدة : بصيرى بالباء ، وهو الترس جمع بصيرة ، وهو شاذ في خصة الأدبيين ، وبابه بصائر، ورد ابن السيد رواية : " نصيرى " بالنون حيث لم يعلم معناه وفى رواية الشيوخ ، وأنمشى : كان نصيرى ممن كنت أتقى هؤلاء الثلاث الجوارى ، كقوله تعالى : " فمن ينصرنى من الله ان عصيته(١) " أى من يجيرنى منه ، ويكون : من يسترنى منه ويكون المعنى أيضا : من يمنعنى ، قالوا : مطر ناصر أى نافع ،ونصرت السماء أرض بنى فلان ،وقد قال فى البيت قبله :

فقالت لأختيها : أعينا على فتى أتى زائرا والأمر للأمر يقدر

أى على خلاصه " .

١٥ ـ ابن يسعون المتوفى سنة ٥٤٠ وهو صاحب المصباح فى شرح أبيات الايضاح ، ذكره ابن خروف فى التعليق على هذا الشاهد ، وهو قول الأسدى(٢) :

ببازل وجناء أو عيهل

قال : شاهده فيه تضعيف عيهل ، وأجرى الوصل مجرى الوقف والوجناء من النوق المكتنزة الوجنات ، وقيل الصلبة الشديدة من الوجين ، وهو ما غلظ من الأرض وصلب، والبازل المسنة ، والعيهل الجمل القوى والناقة الشديدة ، وقيل العيهل الذكر والعيهلة الأنثى ، وكلاهما صحيح ، قال أبو عمر الجرمى : البيت لمنظور(٣) بن مرثد ، وكذا قال يعقوب ، وقبله أنشده أبو زيد وغيره :

---

(١) سورة هود آية رقم : ٦٣ .

(٢) لوح رقم : ٢٤٨ .

(٣) فى مجالس ثعلب القسم الأول : ١٣٠ منظور بن مرثد بن قرة بن نوفل بن نضلة ابن الأشتر بن حجوان بن فقعس بن طريف بن نصر بن قعين .
وفى حاشيته : ذكره الآمدى فى المؤتلف (١٠٤) والمرزبانى (٢٢٤) قال الآمدى : " شاعر راجز محسن ، وقال المرزبانى : " اسلامى " وذكره فى الاصابة (٨٤٦٣) بهذا الاسم والنسب ، وقال : " ذكره المرزبانى فى معجم الشعراء وقال : انه مخضرم " .

ان تهخلى باجمل أو تمتطى   أو تصبحى فى الظاعن المولى
تسل وجد الهائم المختل   ببازل وجناء أو عيهل
كأن مهواها على الكلكل   وموقعا من ثفنات زل
موقع كفى راهب يصلى

فى أبيات المختل الماطشمن الغلمة . ويقال له : مغلوب ، ويريد هنا المشتاق كأن به غلمة من شدة شوقه ، والمختل مقتصر من الغلمة .

قال ابن يسعون صاحب المصباح فى شرح أبيات الايضاح : التاء فيه أصل وقد شرحه بأنه ذو الغلمة ، وأراد بالظاعن الجنس . والمعنى : ان تسلت هذا تسل الجى، بسير من احدى هاتين البعيرين .

١٦ — وأما أستاذه أبو بكر بن طاهر فقد توفى سنة ٥٨٠ ، وقد نقل عنه ابن خروف كثيرا فلم تخل صفحة واحدة من صفحات شرحه من ذكر ابن طاهر . وقد ذكر " الطرر " التى وضعها ابن طاهر على كتاب سيبويه فقال[1] :

" وفى قوله تعالى[2] : " ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شئ " استفهام منصوبة بتدعون ، ومن شئ تبيين لما ، تقديره والله أعلم : ان الله يعلم أى شئ تدعون من دونه .

قال الأستاذ أبو بكر فى طرر كتابه الأخير : " ما " نفى ولا بد من زائدة ، وقدره بقوله : ما تدعون شيئا ، بمعنى جميع الآلهة من حيث كان وجودهم كالعدم . قال : وقد يكون " ان الله يعلم " بمعنى : علم الله لأفعلن ، ولا يكون ذلك الا أن تكون " ما " نفيا .

١٧ — وقد ذكر أستاذه ابن ملكون المتوفى سنة ٥٨٤ فى معرض الموازنة بينه وبين أبى بكر بن طاهر فقال عن الأستاذ أبى اسحاق بن ملكون[3] :

---

(١) لوح رقم : ٣٤   (٢) سورة العنكبوت آية رقم : ٤٢ .
(٣) سورة العنكبوت آية رقم : ٢٨١ .

" وقد قرأت عليه الأبنية للزبيدي ، بعد قراءتي سيبويه على الأستاذ أبي بكر فما سألته تعالى في غامض فتحه ، ولم يزد على ما ذكره الزبيدي ، ولا شرح حرفا جهله الزبيدي . وللأستاذ أبي بكر في كتاب الأبنية عجائب من تبيين مشكلها ، وتحقيق المستدرك منها ، وشرح الألفاظ المجهولة فيها ، وتعليل ما لم يصح استدراكه والتنبيه عليه وغير ذلك مما انفرد به رحمه الله . واجتمع في هذا الكتاب من ذلك العجب العجاب وما أظنك بالتحري تجده مجرعا ملخصا هذا الجمع ، والتلخيص في كتاب ، وجميع حسناتي فيه منه رحمه الله غير أنها مفهوسة في تعاليقه أعني ابن طاهر " .

ح - هذا وان المطلع على شرح ابن خروف هذا يرى ملامح العالم الغيور على النحو الحريص على أن يرفع شأنه ، وأن يضعه في المرتبة الأولى ، فتراه يقول[1] :

النوع الذي يدرك بالقياس ، وهو الذي يسمى النحو والعربية أعظم في نفوسهم وأضبط لمعارفهم ، وأنبه للخواطر ، وأنفع للناظر فيه وفي غيره من النوع الذي يسمى اللغة يستوي في حمله العالم والجاهل اذا قيد الألفاظ .

وقد رأينا من غيرته على كتاب سيبويه ، وحرصه على سلامة نصه ، والدفاع عن آراء صاحبه والانتصار له ما يغني عن الحديث في ذلك مرة أخرى . ثم رأيناه كذلك يعقد موازنة بين اثنين من أساتذته ، فلا يمنعه حق أحدهما عليه من أن يجاهر برأيه فيه احقاقا للحق ، وهما ابن طاهر وابن ملكون . ورأيناه كذلك يذكر بعض المسائل كـ " أو " التي هي نظيرة " أم " في الانقطاع ، ويطيل في ذكر هذه المسائل ثم يختمها بقوله[2] :

وكان الأستاذ أبو بكر - رحمه الله - يعجب بهذه المسائل ، وكان يقول : ذهب الذين كانوا يحسنونها .

وكذلك رأينا ابن خروف لا يرتضي المناقشات والجدل حول المسائل التي لا يجدي فيها الجدل والمناقشات ، فاذا تعرض لمثل ذلك ختم حديثه فيه بما يدل على بغضه لها وعدم رضاه عنها ، فيقول مثلا : " وهذه جعجعة ولا طحن " ومن أمثلة ذلك قوله في شرح الكتاب[3] :

---

(١) لوح رقم : ٥٣ .   (٢) لوح رقم : ٥٢ .

" ... وعليه تقول : أفعو في الوقف والوصل . أبوعلي سمعت أبا اسحق ينكر أفعي في الوصل بالياء . قال : لأنه رجوع الى ما فروا منه . وذلك أنهم قلبوها في الوصل ألفا . فرارا من الياء . ولم يعتد بقلبها في الوقف كما اعتد به في الوصل لأن الوقف غير لازم كما لزم الوصل . ولذلك لم يجعلوا الأصل في تاء التأنيث أن تكون هاء . وفي التنوين أن يكون ألفا . ولا التضعيف في الوصل كما فعلوه في الوقف . قال : قلت له : الوصل والوقف يتعاقبان على الكلمة فلم صار الوصل بالاعتداد أولى من الوقف؟ قال : لأن وضع الكلام للفائدة . والفائدة لا تحصل الا بالترتيب . ولا تكون الا في الوصل ألا ترى أن ثلاثة أربعة لما لم تكن مركبة بنيت على الوقف . ولو ركبت لزال الوقف . فالوصل هو اللازم . لأنه اما ملفوظ به أو مقدر في حال الوقف .

قلت : وهذه جعجعة ولا طحن . فياليت شعري متى كانت الياء في أفعي ونظائرها عند هؤلاء ألفا ثم ردوها ياء أفي النوم أم في اليقظة . وهم لم ينطقوا بها في الوصل والوقف الا بالياء ولم يقلبوها قط . فانما تركوها في الوصل على أصلها بعد زوال حركتها ولم يغيروها لأجل خفاء الألف فلم يردوا شيئا وقد كانوا قلبوه وانما فعلوا ما فعلوا في الوقف لمكان الاستراحة وقطع النفس فقصدوا البيان في بعض والتخفيف في بعض . وما ذكروه لامعنى له " .

ثم كان ابن خروف يكره الاختراع في اللغة والبعد عن القياس ودليل ذلك قوله (١) :

قال أبو الحسن : ولو قال في النسب الى أخت : أختي بضم الهمزة ليدل أنه منسوب الى أخت لم يكن به بأس . فتحذف التاء . وترد اللام . وتترك همزة أخت على حالها .

قال أبوعلي : أخت عرض له الضم لأجل التأنيث فاذا زالت التاء رجع الى أصله في الجمع والنسب .

قلت : لو قالوا في النسب : أختي بالضم للزم في الجمع : أخوات . لأنه جمع يسلم فيه بناء الواحد . ولما غيروا في الجمع غيروا في النسب .

قلت : وهذا الذي ذكر في أخرى من اختراع اللغة ولا سبيل اليه .

ثم ذكر ابن خروف دفاع أبي علي عن يونس وقوله : " ان أخوات ليس جمع أخت على لفظها " وبعد أن بسط هذا الدفاع قال[1] : قلت : وهذه حجج واهية من أبي علي .

أما أخوات فجمع أخت كبنات جمع بنت وتغيرت كما تغيرت . وذلك أن هذه التاء عوملت معاملة تاء التأنيث من حيث كانت زيادة في الاسم لا تدخل عليها علامة أخرى في الافراد . ولا تصحب هذه في الجمع شبهت بها . ومن حيث سكن ما قبلها ولم تبدل منها الهاء في الوقف فارقتها فجعلت عوضا كهمزة الوصل وغيرها . وحذفوها في الجمع لما صارت عوضا تلزم رد الأصل فقالوا : أخوات على القياس والتغيير في بنات قياس . وترك الرد قياس .

وقد ربط ابن خروف تأليفه بعضه ببعض بأكثر من الاحالات . واعتمد في شرحه على أمهات المراجع . وكشف عن مقدرته الفائقة في شرح كل ما شذ فيه الزبيدي وسجل ذلك في شرحه بقوله[2] :

وكل ما شذ فيه الزبيدي أو لم يعلم تفسيره قد بين وفسر والحمد لله . الا الهبلدي والهبرندي . ولهما بتابعون .

وقد استدرك ابن خروف على الزبيدي وزن كلمة " مجنّ " وذلك في قوله[3] :

والمجنّ الترس . وجعله فعلا هنا . وسيجعله مفعلا . وكلاهما ممكن . مفعل من جنّ اذا استتر . كما ذكر الزبيدي وقال : لا يكون الا مفعلا . وليس بفعل .

ومنعه أن يكون فعلا فاسد . لأنه يقال : مجن الشيء اذا صلب وقوي واشتد فعل فيه صحيح . وكلاهما صحيح . قال الاشنانداني : أتيت التوزي بضريبة . وجهوت الحظوظ بها عنده . فقلت له : ان سيبويه أخطأ في مجنّ . فقال : وزنه فعل . فقال : انما لكم أيها الأغمار . كم ذا نجعل لكم العرب تقول : مجن الشيء اذا صلب واشتد فما يمنع مجنا أن يكون فعلا من هذا في مذهب سيبويه قال : فما أتيت مجلسه حياء منه .

---

(١) لوح رقم : ١٢٣ .
(٢) المرجع السابق : ٢٩٥
(٣) نفس المصدر : ٢٨٦ .

ط — وقد اقتفى ابن خروف أثر سيبويه في الضرورات الشعرية ، قال سيبويه (١) :

" وقد اضطر فقال في الرجال وهو الفرزدق :

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار

لأنك تقول : هي الرجال كما تقول : هي الجمال ، فشبه بالجمال ".

وقال ابن خروف في " تنقيح الألباب " تعليقا على هذا الشاهد (٢) :

" شاهده فيه جمع ناكس ، وهو مذكر لمن يعقل على نواعل ، ولا يكون ذلك الا في الشعر ، ويريد يزيد بن المهلب ، يفعلون ذلك لأجله هيبة منه وتعظيما ، والخضع جمع خضوع للمبالغة ، ويعني بقوله : لأنك تقول : هي الرجال كما تقول : هي الجمال تشبيه بالجمال — أنهم لما كانوا يؤنثون جماعة من يعقل بالحمل على جماعة ما لا يعقل جمعوا فاعلا على فواعل لما اجتمعا في التأنيث ، وقال حسان :

وقال الله قد يسرت جندا هم الأنصار عرضتها اللقاء ".

ى — ولحروف الزوائد قصة جعلت العلماء يتسابقون في جمعها ، قال أبو علي القالي (٣) :

فأما حروف الزوائد فيجمعها قولنا : " اليوم تنساه " وهذا عمله أبو عثمان المازني .

وقال ابن خروف في باب علم حروف الزوائد (٤) :

سئل أبو اسحاق الزجاج عن جمع هذه الحروف فقيل : ما الحروف الزوائد ؟ فقال : سألتمونيها ، ملغزا ، كأنه يريد تقدم سؤالكم فلم يفهموا حتى فهمهم . وكذلك سئل عنها المازني فأنشد بيتا :

هويت السمان فشيبنني وقد كنت قدما هويت السمانا

فلم يفهموا ما أراد ، وكرروا السؤال ، فقال : قد أجبتكم مرتين ، لأنه كرر : " هويت السمان " مرتين .

---

(١) الكتاب جـ ٢ ص : ٢٠٧ (٢) لوح رقم : ٢٠٦ .

(٣) الأمالي جـ ٢ ص : ١٨٦ (٤) لوح رقم : ٢٦٦ ، والباب في الكتاب ٢ : ٣١٢

وجمعها بعضهم في بيت فقال :

سألت الحروف الزائدات عن اسمها فقالت ولم تبخل : أمان وتسهيل

ولها جموع كثيرة أكثرها لي :

اليوم تنساه - الموت ينساه - هم يتساءلون - التناهي سمو - أسلمني وتاه - أسلمني تهاو - تهاوني أسلم . تمى وسائله - التمس هواي - ما سألت يهون - التياه مونديب - نهيت سؤالهم - د ت مسائلة - سألتم هواني - لهاتي سموت - هسو سما لتأتي . أو يتسلي منه - هو استمالني - أمهت سلمان - أتيهوى سلمان أسلمت وهناى .

ثم ختم ابن خروف ذلك بقوله[1] : ومن اختبر وجد .

وفي تاج العروس مادة (زاد) أن لها زهاء مائة ونيف وثلاثين ضابطا[1] .

لـ - هذا وقد أثبت المتقدمون والمتأخرون من النحاة لابن خروف فضل الاستشهاد بالحديث . قال ابن الضائع المتوفي سنة ٦٨٠ هـ[2] .

وابن خروف يستشهد بالحديث كثيرا . فان كان على معنى الاستظهار والتبرك بما روى عنه صلى الله عليه وسلم نحسن . وان كان يرى أن من قبله أغفل شيئا وجب عليه استدراكه فليس كما رأى والله أعلم .

وقال يوحنان فك[3] :

وقال : ان أول من اعتمد على الأحاديث من حيث هي حجة في أمور اللغة هو النحوى ابن خروف الأندلسي الذى اختل في آخر عمره ومات في حلب في أوائل القرن السابع الهجري . والذى نال شرحه على الكتاب لسيبويه والجمل للزجاجي حظوة عظيمة وتبعه في ذلك أشهر نحاة القرن السابع ابن مالك . وقد كان عظيم الاعتناء والاهتمام بالحديث .

---

(١) لى رقم : ٢٦٢ والباب في الكتاب جـ ٢ ص : ٣١٢ .
(٢) تاج العروس جـ ٢ ص : ٣٦٨ .
(٣) شرح الجمل لابن الضائع ورقة رقم : ٩٦ .
(٤) العربية : يوحنان فك : ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

وقـال الدكتـور عبد الفتـاح شلبى (١) :

... وهنا ناقشت يوهان فك فيما ذهب اليه فى كتابه " العربيـة " حيـث أسند الى ابن خروف الأندلسى المتوفى فى أوائل القرن السابع الهجرى أنه أول من اعتمد على الأحاديث محتجا بها فى اللغة ، ورأيت أن ابن خروف قد تأثر فيما رأى بأبى علـى اذ كان نسبه العلمى موصولا بالشيخ من طريق أستاذه ابن الطراوة.

وكلام الدكتور عبد الفتاح شلبى ينقضـه كلام ابن الضائع ، لأن ابن الضائع قـد صرح بأن ابن خروف يستشهد بالحديث كثيرا ، وهو أقرب الى عصر ابن خروف من هؤلاء المتأخرين ، وقد كان ابن الضائع يعارض ابن خروف فيما ذهب اليه من كثرة الاستشهـاد بالحديث ، ويعتبر عملـه هذا ــ ان كان استدراكا لشئ أغفلـه من قبله ــ مخالفـا لما جرت عليه سنة السابقين من ترك الاستشهاد بالحديث .

اذا فقد كان ابن خروف رائدا وأستاذا لابن مالك فى توجيهـه الى الاستشهـاد بالحديث الشريف ، والجزء الذى وصل الينا من شرح ابن خروف لكتاب سيبويه فيه استشهاد بالحديث الشريف ، ولكنه لم يصل الى حد الكثرة التى تحدث عنها ابن الضائع ، ولا مـن شك فى أن مؤلفات ابن خروف الأخرى التى وصلت الى ابن الضائع هى التى أعانته علـى اثبات هذه القضيـة .

ومن استشهاد ابن خروف بالحديث فى " تنقيح الألباب " قولـه (٢) :

وبعضهم يقول : لما مشددة ، وحكى أبو محمد ثابت فى الدلائل أن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم قال : " أتانى آت من ربـى فخيرنـى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة ، وبين الشفاعـة ، وانى اخترت الشفاعـة " قلنا يارسول اللـه : ننشدك الله والصحابـة لمّـا جعلتنـا من أهل شفاعتـك .

وكل ما يؤخذ على ابن خروف فى هذا الشرح عندى أنه لم يكن يذكر النص الكامـل للكتاب فى الموضع الذى يريد شرحه ، بل انه كانت له اشارات لا يمكن فهمها الا مع وجـود الكتاب بين يدى القارئ .

---

(١) أبو على الفارسى : ٦٧٩ . (٢) المرجع : ١١ .

٧ ـ أثر ابن خروف في كتب النحو :

لا يكاد يخلو كتاب من كتب النحو المختصرة المتداولة من ذكر ابن خروف، والانتفاع بآرائه في التوسعة على الناطقين باللغة العربية أو الدارسين لعلم النحو، وإن من يستقرئ كتب النحو التي ألفت بعد ابن خروف فلا شك في أنه سيخرج منها بمبادئ وأصول وضعها ابن خروف في دراساته النحوية ، فهذا ابن هشام في كتابه " أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك " يذكر بعض آراء ابن خروف :

قال ابن هشام في باب المفعول له(١) : ومن شروطه اتحاده بالمعلل به فاعلا ، فلا يجوز : جئتك محبتك اياى ، قاله المتأخرون أيضا ، وخالفهم ابن خروف .

وفي المنادى الشبيه بالمضاف يقول ابن هشام أيضا(٢) :

فان ناديت جماعة عدتها ثلاثة وثلاثون ، فان كانت غير معينة نصبتهما أيضا ، وان كانت معينة ضممت الأول وعرفت الثاني بأل ونصبته أو رفعته ، الا ان أعدت معه " يا " فيجب ضمه وتجريده من " أل " ومنع ابن خروف اعادة يا ، وتخييره في الحاق " أل " ـ مردود .

وليس هذا موضع الاستقصاء لنحو ابن خروف وآرائه ، لأن هذا يحتاج الى بحث مستقل يجب أن ينفرد به ابن خروف كامام من أئمة هذا العلم وهو جدير بذلك ، وقد اخترت كتاب " الهمع " لأعرض منه بعض الآراء التي نقلها صاحبه عن ابن خروف ، عملا بقول السابقين : " مالا يدرك كله لا يترك كله " .

وقد نقل السيوطي عن ابن خروف في كثير من مؤلفاته وكتبه ، ولكني سأكتفي ببعض ما نقل عنه في كتاب " الهمع " وفاء بما وعدت آنفا .

١ ـ قال ابن خروف : الألفات أربع : ألف الدلالة الممتادة ، وألف الامالة ، وألف التفخيم ، والألف التي بين اللفظين في مثل الأبرار ، قال : ومن ألف التفخيم ألف الاستعلاء في اسم الله تعالى ، فخمت هي واللام قبلها(٣) .

---

(١) أوضح المسالك ص: ٥٩ .

(٢) المرجع السابق ص: ١١٣ . (٣) همع الهوامع جـ ٢ ص: ٢٢٩ .

٢ — وفي الحديث عن " لكن " قال السيوطي : وقيل لا تكون عاطفة مسسه أي مع المفرد الا بها أي بالواو . قاله ابن خروف (١) .

٣ — وعندما ذكر شرط الجمهور في النعت بألا يكون أعرف من المنعوت ، وجواز كونه أخص منه قال : وابن خروف : توصف كل معرفة بكل معرفة كما توصف كل نكرة بكل نكرة ، من غير ملاحظة تخصيص ولا تعميم ، قال : وما ذهب اليه الجمهور دعوى بلا دليل (٢) .

٤ — بعد أن بين السيوطي جواز عطف النعوت بالواو ، وأنه لا يجوز بالفاء الا اذا دلت على أحداث متتابعة قال : قال السهيلي : والعطف بثم في هذا يبعد جوازه . وقال ابن خروف : اذا كانت مجتمعة في حالة واحدة لم يكن العطف الا بالواو والا جاز بجميع حروف العطف الا حتى وأم (٣) .

٥ — وفي الممنوع من الصرف قال : وان سمى مذكر بمؤنث مجرد منع بشرط زيادته على ثلاثة لفظا أو تقديرا خلافا للفراء مطلقا ، ولابن خروف في متحرك الوسط (٤) .

٦ — ثم قال في ذلك بيانا لرأي ابن خروف : وفصل ابن خروف فمنع المتحرك دون الساكن ، تنزيلا للحركة منزلة الحرف الرابع (٥) .

٧ — وفي بيان جواز الصلة بجملة التعجب قال : وأما جملة التعجب فان قلنا : انها انشائية لم توصل بها ، أو خبرية فقولان : أحدهما الجواز وعليه ابن خروف نحو : جاءني الذي ما أحسنه (٦) .

٨ — وفي قولهم " له صوت صوت حمار " قال السيوطي : وجعل ابن خروف النصب في هذا النوع أقوى من الرفع قال : لأن الثاني ليس الأول فيدخل المجاز والاتساع (٧) .

---

(١) الهمع ج ٢ : ١٣٧ . (٢) همع الهوامع ج ٢ : ١١٦ .

(٣) همع الهوامع ج ٢ ص : ١١٩ . (٤) المرجع السابق ج ١ ص : ٣٣ .

(٥) نفس المرجع : ٣٤ . (٦) همع الهوامع ج ١ ص : ٨٦ .

(٧) [illegible]

٩ — وقال السيوطي : وزعم ابن خروف أن الخبر اذا كان ظرفا أو مجرورا لا ضمير فيه عند سيبويه والفراء الا اذا تأخر ، وأما اذا تقدم فلا ضمير فيه لأنه لو كان لجاز أن يؤكد ويعطف عليه ويبدل منه كما يفعل ذلك مع التأخير (١) .

١٠ — وفي حديثه عن جملة الحال وعن الرابط فيها قال : وزعم ابن خروف أن المضارع المنفي بلم لا بد فيه من الواو كان ضميرا أو لم يكن . ورد بالسماع كالآية السابقة وفي قوله تعالى : " فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء " (٢) .

١١ — وعندما تحدث السيوطي عن المعرب من الأسماء وذكر أنه كثير جدا قال : قال ابن خروف : أكثر الأسماء معرب وأكثر الأفعال مبني . والمعرب من الأفعال المضارع بالاجماع ، لكن اختلف في علة اعرابه فقال البصريون : انما أعرب لمشابهة الاسم في ابهامه وتخصيصه فانه يصلح للحال والاستقبال (٣) .

١٢ — وقال السيوطي : وزعم ابن خروف أن الفرق بين رمضان وشهر رمضان من جهة أن رمضان علم وشهر ليس كذلك ، انما هو معرفة باضافته الى رمضان ، وكذلك سائر أسماء الشهور . والعلم واقع على الشخص بجميع صفاته ، فكذلك أسماء الشهور كالأعلام فلا تقع على بعض الشهر . قال : وليس كالشهر لأنه واقع على جزء من الشهر منفردا أو مجتمعا من جهة أنه ليس علما فأجاز أن يقال سرت الشهر وأنت تريد أن السير في بعضه وأجاز أن يعمل في الشهر ما لا يتطاول نحو لقيتك الشهر . وكذا زعم في أعلام الأيام أنها كأعلام الشهور فاذا قلت : سرت السبت أو سرت الخميس لم يكن العمل الا في جميعهما لأنهما علمان . فاذا أضفت اليه يوما أو ليلة فقلت : سرت يوم السبت أو ليلة السبت جاز أن يكون السير في بعضه وفي جميعه لأن تعريفه بالاضافة . وأجاز لذلك أن يعمل في المضاف اليهما ما لا يتطاول نحو لقيتك يوم الخميس ، ولم يجزه في الخميس وسائر أيام الأسبوع ، فلا يقال : لقيتك الخميس ، ولا لقيتك السبت . قال أبو حيان : وما زعمه باطل (٤) .

---

(١) همع الهوامع جـ ١ ص : ٢٤٠ (٢) المرجع السابق ص : ٢٤٦ ، آل عمران ١٧٤

(٣) همع الهوامع ١ : ١٨ . (٤) همع الهوامع جـ ١ ص : ١٩٨ .

١٣ — وفي الكلام عن كنايات العدد قال : تقول : قبضت كذا وكذا درهما والقالب في استعمالها المعطوف عليها كالمثال ، وأوجبه ابن خروف فقال : انهم لم يقولوا : كذا درهما ، ولا : كذا كذا درهما (١) .

١٤ — وقال السيوطي : واختلف في عامل الظرف والمجرور الواقعين خبرا فالأصح أنه كون مقدر ، وقيل : المبتدأ وعليه ابن خروف (٢) .

١٥ — وفي دخول اللام على معمول خبر " ان " قال : وان تأخر معمول الخبر عن الخبر دون الاسم فقال ابن خروف : القياس أن يجوز دخولها عليه لتعلقه بما قبل الاسم نحو : ان عندي لفي الدار زيدا ، وان عندي لقائما صاحبه (٣) .

ولابن خروف في كتاب الهمع آراء أخرى كثيرة تنبث بين أثناء هذا السفر منها قوله بزيادة اللام في مثل قولهم : يالله ، ياللعجب (٤) ، وقوله بجواز ترخيم المستغاث اذا لم يكن فيه لام الاستغاثة (٥) ، ومنها أنه أجاز أن تكون " ما " في قولهم "لاسيما " نكرة موصوفة (٦) ، ومنها أن الاعراب عنده لفظي تبعا للجمهور (٧) ، ومنها أنه جوز تبعا للسيرافي والأعلم وصل " ما " بجملة اسمية كقوله :

أعن ميتكم بسفاه الحلم سائغة ... كما دماؤكم تشفي من الكلب (٨)

وكذلك زعم وقوع " ما " الموصولة على آحاد من يعقل مطلقا لورود " سبحان ما سخرهن لنا " وهو في هذا تابع لابن درستويه وأبي عبيدة وغيره ، وقال السهيلي : لايقع على أولي العلم الا بقرينة (٩) ، وذهب ابن خروف الى حذف اسم كان وخبرها بعد ان بنائها للمفعول واقامة ضمير مصدرها مقام المرفوع ، وقد سبقه الى ذلك السيرافي (١٠) .

وهو يرى كما رأى الرياشي والزجاج والزمخشري وابن طاهر أن " اذا " الفجائية ظرف

---

(١) الهمع جـ ٢ : ٧٦ .
(٢) المرجع السابق : جـ ١ ص : ٩٨
(٣) المرجع السابق : ١٣٩
(٤) المرجع السابق : ١٨٠
(٥) المرجع السابق : ١٨١
(٦) المرجع السابق : ٢٣٥
(٧) المرجع السابق : ١٤
(٨) المرجع السابق : ٩٠
(٩) المرجع السابق : ٩١
(١٠) المرجع السابق : ١٦٤ .

زمان (١) . وقال السيوطي في " لما " وذهب سيبويه وابن خروف أنها حرف، وتقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما نحو : لما جاءني أكرمته (٢) ويرى ابن خروف أن " من " الجارة تأتي بمعنى " ربما " اذا اتصلت مع " ما " كما قال السيرافي والأعلم وابن طاهر مستشهدين بقوله :

وانا لمما نضرب الكبش ضربة على رأسه يلقي اللسان من الفم (٣)

وقال السيوطي : وأصل ابن ولاد وابن خروف فعيلا بالكسر والتشديد فأجازوا : زيد شريب الخمر وطبيخ الطعام . قال أبو حيان : وقد سمع اضافة شريب الى معموله في قوله :

لا تعذليني بأناق مدفانه شريب خمر مسعر لحروب

فعلى هذا لا يجب عمله نصبا (٤) .

وقال أيضا : وذهب ابن طاهر وابن خروف الى جواز اعمال صيغ المبالغة ماضية وان عريت من " أل " وان لم يقولا بذلك في اسم الفاعل لما فيها من المبالغة (٥) .

وقد ذهب ابن طاهر وابن خروف الى أن المعرف بالاضافة في مرتبة ما أضيف اليه مطلقا حتى المضمر لأنه اكتسب التعريف منه فصار مثله (٦) .

وحسب ابن خروف أن يكون صاحب رأي في كثير من مسائل النحو ، وأن يكون ذكره على كل لسان وفي كل سفر ، وأن يكون أثره فيمن بعده كأثر السابقين من أئمة النحاة ، ولعل البحث يتجه اليه فيخلده ويجعل له لسان صدق في الآخرين .

٨ — وفاته :

قال ابن الأبار (٧) ثم اختل وتوفي بعد مدة سنة ٦٠٩ " . ونقل ذلك الاستاذ أحمد أمين (٨) .

---

(١) الهمع جـ ١ ص : ٢٠٧ (٢) المرجع السابق : ٢١٥
(٣) الهمع جـ ٢ ص : ٣٥ (٤) المرجع السابق : ٩٧
(٥) المرجع السابق : ٩٧ (٦) الهمع جـ ١ ص : ٥٦
(٧) التكملة : ٦٧٦ (٨) ظهر الاسلام جـ ٣ ص : ٩٢ .

وقال ياقوت[١] : مات باشبيلية سنة ٦٠٦ ، وكان قد تغير عقله حتى مشى في الأسواق مكشوف الرأس والعورة .

وقال المقري[٢] : قدم الى مصر ثم سار الى حلب ومات بها مترديا في جب حنطة سنة ٦٠٣ أو سنة ٦٠٤ أو سنة ٦٠٥ .

وقال السيوطي[٣] : وقع في جب ليلا فمات سنة ٦٠٩ أو سنة ٦٠٥ أو سنة ٦١٠ عن خمس وثمانين سنة .

وواضح من هذا أن وفاة ابن خروف تنحصر في العقد الأول من القرن السابع وأن هذه الوفاة كانت في حلب أو في اشبيلية ولكن ما يرجح أنها كانت بحلب ما رواه السيوطي عن الشيخ أثير الدين أبي حيان من قوله : " مات بحلب[٤] " ، اذ أن أبا حيان كان أندلسيا بحكم نشأته ، وقد حفظ العهد لهذه البلاد فألف كتابا في " أخبار نحاة الأندلس[٥] " .

رحم الله ابن خروف وعفا عنه .

---

(١) معجم الأدباء : جـ ١٥ ص : ٧٦

(٢) نفح الطيب جـ ٣ ص : ٣٩٥ ، ٣٩٦

(٣) بغية الوعاة : ٣٥٤

(٤) المرجع السابق .

(٥) نفس المرجع : ١٢٢ .

٥ ـ الصفار شارح الكتاب :

أ ـ تعريف به :

لم يزد السيوطي ـ رحمه الله في ترجمة هذا العلم على هذه الاسطر قال[١] :

قاسم بن علي بن محمد بن سليمان الانصاري البطليوسي الشهير بالصفار قال في البلغة : صحب الشلوبين وابن عصفور ، وشرح كتاب سيبويه شرحا حسنا يقال : انه أحسن شروحه ، ورد فيه كثيرا على الشلوبين بأقبح رد . مات بعد الثلاثين وستمائة . ذكر في جمع الجوامع .

ب ـ عمله في شرح الكتاب :

وهذه الترجمة الموجزة تسجل لصاحبها تقدما وامامة بشهود الصحبة لعالمين جليلين من أئمة نحاة الاندلس ستأتي ترجمة كل منهما ـ ان شاء الله ـ بالتفصيل ، ولكن ذلك لا يمنع من أن أعرض للعلاقة بين الصفار وبين كل منهما في هذا الشرح الذي وصفه الناس بأنه أحسن الشروح لكتاب سيبويه ، وربما كانت هذه الصفة وحدها تجعلنا نأسف أشد الاسف على الاجزاء التي فقدت من هذا الشرح اذ لم يصل الينا منه الا جزء قليل . وسأعرض كذلك لبعض من نقل آراءهم أو رد عليهم . ولعل القارئ على ذكر من حديثي عن ابن الطراوة فقد كان شرح الصفار خير معين على معرفة كثير من مسالكه الشاذة ، وكانت ردود الصفار على شذوذ ابن الطراوة مقنعة مغنية عن بسط القول واعادة الرد عليه . وهؤلاء بعض من استعان بهم الصفار في تأليف شرحه واعتمد على أبحاثهم في النحو .

(١) الفراء :

وهو يحيى بن زياد بن عبد الله ... أبو زكريا المعروف بالفراء ... كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي .. مات بطريق مكة سنة سبع ومائتين[٢] ذكر الصفار

---

(١) بغية الوعاة : ٣٧٨

(٢) " " : ٤١١

رأيه في جواز بناء "كان" للمفعول فقال : (١)

" فأما الفراء فأجاز حذف المبتدأ وإقامة الخبر فقلول : كين قائم ٠٠٠ "

(٢) الزجاجـــي :

وهو عبد الرحمن بن اسحاق ، أبو القاسم الزجاجي صاحب الجمل ، منســوب الى شيخه ابراهيم الزجاج ٠٠٠ صنف الجمل في النحو بمكة ، وكان اذا فرغ من بــاب طاف أسبوعا ٠٠٠ توفي بطبرية في رجب سنة ٣٣٩ ٠ (٢)

قال الصفار عند حديثه عن بناء باب كسا وأعطى للمفعول وعن ناصب المفعــول الثانــي : (٣)

ومنهم من قال انتصب لانه خبر ما لم يسم فاعله ، وهو مذهب أبي القاسم الزجاجي ٠ وكأنه رأى أنه منصوب بعد مرفوع ليس بفاعل ، فصار بمنزلة : كان زيد قائما ، فكمــا يقال : ان قائما خبر لكان ، فكذلك يقال في هذا : انه خبر لما لم يسم فاعله ٠ وهذا هذيان من الكلام فانا لم نعني بخبر كان الا خبر المبتدأ الذي تنصبه كان منسوب لها على معنى أنها تنصبه ، وهو بمنزلة اسم كان ، فلكن لم يقولوا : انه اسم كان ، لانــه كان يلبس بالاسم الاول ، فلا يدرى مايعني به ، فلهذا وبه أوجب أن يقال : انه خبــر لانه خبر ٠ وأما أن " زيدا " من "أعطى درهم زيدا " خبر للفعل الذي لم يســم فاعله فخلف ، لان الفعل لاخبر له ، والصحيح أنه انتصب لانه فضلته تعدى اليه فعــل مفعول هو بمنزلة الفاعل ، ولا فرق بين المبني للفاعل والمبني للمفعول : "

وقد أحسن الصفار في الرد على الزجاجي ، وان كان هذا الخلاف لا يترتب عليــه كبير فائدة ، اذ أن الآراء كلها متفقة على وجوب نصب المفعول الثاني في هذا البــاب عند بنائه للمفعول ، وعلى أن له ناصبا ، ولكن الصفار مبالغ في الرد على المخالــف فيصف كلامه بأنه هذيان ٠

---

(١) شرح الصفار ورقة رقم ٥٩

(٢) بغية الوعاة : ٢٩٧

(٣) شرح الصفار ورقة رقم : ٤٩

(٣) أبو الحسين بن المريد المتوفى سنة ٣٦٧ :

وقد سبق التعريف به وشرحه على الجمل [١] ، وهنا يذكر الصفار رأيه في بعض مسائل باب الاشتغال وذلك " ان تقدم الاسم مايطلب النصب اختيارا جاز فيه الرفع والنصب ، وذلك أدوات الاستفهام والنفي " قال الصفار : [٢]

وزعم ابن المريد انه انما اختير النصب على الرفع هنا لان هذه الجملة لايمكن ان تكون خبرا لانها غير محتملة للصدق والكذب ، فاذا جعلتها خبرا فلا بد من اضمار القول ، فاذ [٣] ولابد من الاضمار ، فالاولى أن يضمر ما المحتمل عليه وهو نصل الامر ، وهذا خلف لانه ان زعم أن الخبر على الاطلاق مايحتمل الصدق والكذب فهو مخطئ ، لعدم صدق ذلك في الخبر لغة ، والا تريد تاتم قد اتفقوا على أن قائم خبر ، وليس يحتمل لما ذكر ، فان قال : يكون منه مع المبتدأ ما يقال فيه صدق وكذب قلنا له : فما تفعل بقولهم : أي رجل زيد ، فاذا كان أي رجل خبرا ، ولايمكن أن يقال هنا : ان الكلام يحتمل الصدق والكذب ، فلم يبق الا ماقاله سيبويه رحمه الله .

(٤) أبو الحجاج الاعلم المتوفى سنة ٤٧٦ :

وقد سبق التعريف به أيضا [٤] . والصفار في كتابه يتحدث عن الحذف اقتصارا في بابي ظن وعلم فيقول : [٥]

" والصحيح أن الاقتصار على الفاعل يجوز . ومن الناس من فصل فأجاز في ظننت ومافي معناها ، ومنع في علمت وماني معناها ، وهو الاعلم وتبعه في ذلك الاستاذ أبو بكر ابن طاهر وتلميذه ابن خروف ، واعتلوا لذلك بأن علمت لافائدة فيه ، لان الانسان لايخلو عن علم الا ترى أنه لا يخلو عن علمه بأن الاثنين أكثر من الواحد وما أشبه هذا من المعلومات

---

(١) الورقة رقم ١٨٠ــ١٩٥ .

(٢) شرح الصفار ورقة رقم : ١٠

(٣) هكذا في الاصل .

(٤) الورقة رقم ٢٠٧ ــ ٢٠٩ .

(٥) شرح الصفار ورقة رقم : ٤٦

البديهية ، وخلوه من الظن ، فلهذا يجوز الاقتصار في ظننت ولا يجوز في علمت .

وهذا التفصيل لا نراه ، والصواب التسوية بين الجميع ، وذلك أن كلام العاقل بما هو عاقل ينبغي أن يحمل على الصواب ما أمكن فاذا قال : علمت ، فلا ينبغي أن يحمل على أن المعنى وقع منى علم ، لان هذا غير مفيد فالذى ينبغي أن يحمل عليه وقع منى علم ما لم أكن أعلم وهذا كلام صحيح فالصواب أن يكون الاقتصار على الفاعل في الجميع . "

والصفار هنا يرد على ثلاثة من أعلام النحاة بحجة قوية وأدلة مقنعة وقد ذكر الاشمونى رأى الاعلم في هذا ، ولكنه لم يعقب عليه بأن ابن طاهر وتلميذه ابن خروف قد تبعاه في ذلك .(١)

وعندما ذكر الصفار شاهد سيبويه وهو قول الفرزدق :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم   اذ هم قريش واذ ما مثلهم بشر(٢)

قال (٣) : ومن النحويين من زعم أن الفرزدق استعمل اللغة الحجازية فقاس نصب الخبر مقدما على نصبه مؤخرا ، وهذا ليس بشئ فانه ان قاس في لغة غيره فربما يقيس في لغته فلا يقيس منه شئ .

وأما الاعلم فقال : ان الذى حمله على النصب أنه لو رفع لكان الكلام محتملا للمدح والذم ، واذا نصب كان نصا في المدح كما قال سيبويه في : ماكان أحد مثلنا : انه على المدح ، فهذا لما اضطر نصب ، وهذا ليس بشئ فان المحتمل للمدح والذم وهو رفع الخبر له ماينص عليه ويقطع بأنه مدح وهو ماقبله ومابعده فلم يضطر قط الى النصب ، فهذا توجيه فاسد .

وقد علق الاعلم على هذا الشاهد بقوله :(٤)

استشهد به على تقديم خبر " ما " منصوبا ، والفرزدق تميمى يرفعه مؤخرا فكيف

---

(١) شرح الاشمونى ٢ : ٢٤

(٢) الكتاب ١ : ٢٩

(٣) شرح الصفار ورقة رقم : ٧١ .

(٤) تحصيل عين الذهب ١ : ٢٩ ، ٣٠٦

اذا تقدم ، وقد رد سيبويه حمله على هذا وخرج للنصب وجهان أضربت عنهما ، لتبيينى لهما فى كتاب النكت ، والذى حمله عليه سيبويه أصح عندى وان كان الفرزدق تميميا لانه أراد ان يخلص المعنى من الاشتراك فلا يبالى افساد اللفظ مع اصلاح المعنى وتحصينه ، وذلك أنه لو قال : واذما مثلهم بشر بالرفع لجاز أن يتوهم أنه من باب : ماشلت أحد اذا نفيت عنه الانسانية والمروءة ، فاذا قال : ماشلهم بشر بالنصب لم يتوهم ذلك وخلص المعنى للمدح دون توهم الذم فتأمله تجده صحيحا . والشعر موضع ضرورة يحتمل فيه وضع الشئ فى غير موضعه دون احراز فائدة ولا تحصيل معنى وتحصيله فكيف مع وجود ذلك ، وسيبويه رحمه الله ممن عنى بتصحيح المعانى وان اختلفت الالفاظ فلذلك وجهه على هذا ، وان كان غيره أقرب الى القياس فى الظاهر . مدح بالشعر بنى أمية فيقول : كان ملك العرب فى الجاهلية لغير قريش وسائر مضر وكانوا أحق به لفضلهم على جميع البشر فقد أصبحوا والاسلام والملك فيهم فعاد اليهم ماخرج عن غيرهم مما كان واجبا لهم بفضلهم .

وكلام الاعلم هنا لايحتمل اكثر من قول الصفار عنه : " فهذا توجيه فاسد " ولكنه أفادنا الملم بأن له كتابا آخر على كتاب سيبويه اسمه " النكت " .*

(٥) صاحب الترشيح :

وهو خطاب بن يوسف بن هلال القرطبى أبو بكر الماردى . قال ابن عبد الملك : كان من جلة النحاة ومحققيهم والمتقدمين فى المعرفة بعلوم اللسان على الاطلاق . روى عن أبى عبد الله بن الفخار وأبى عمر أحمد بن الوليد وهلال بن عريب ، وروى عنه ابناه عبد الله وعمر ، وأبو الحزم الحسن بن محمد بن غليم ، وتصدر لاقراء العربية طويلا وصنف فيها واختصر الزاهر لابن الانبارى ، وله حظ من قرض الشعر مات بعد الخمسين والاربعمائة . قلت : وهو صاحب كتاب الترشيح ينقل عنه أبو حيان وابن هشام كثيرا (١) قال الصفار فى شرحه عند الكلام على اعمال " ما " : (٢)

---

(١) بغية الوعاة : ٢٤٢

(٢) شرح الصفار ورقة رقم : ٦٨ .

* [illegible] فى ترجمة الأعلم

" وزعم صاحب الترشيح أن أهل نجد بمنزلة الحجازيين يعملونها ، الا أنهـــا لاتعمل الا بشروط ، فمن ذلك ألا ينتقض النفي ، فان انتقض لم يجز اعمالها لانها أشبهت ليس في النفي ، فاذا زال النفي زال الشبه ، فاذا قلت : مازيد الا قائم رجعت تميمية ، وليس ينقض النفي " الا " خاصة ، بل ينقضها غيرها ، ألا ترى أنك لو قلت : " مازيد قائمـــا لم يجز في قاعد الا الرفع لانه موجب " .

وكذلك ذكر صاحب الترشيح عند شرحه قول سيبويه : (١) (وقد يحسن الجر فـي هذا كله وهو عربي ، وذلك قولك : لقيت القوم حتى عبد الله لقيته ، فانما جاء بلقيتـه توكيدا) بعد أن جعله غاية كما تقول : مررت بزيد وعبد الله مررت به قال الشاعر وهو ابن مروان النحوي :

ألقى الصحيفة كي يخفف رحلـه والزاد حتى نعله ألقاهـــا

والرفع جائز كما في الواو وثم ، وذلك قولك : لقيت القوم حتى عبد الله لقيته جعلـت عبد الله مبتدأ ، وجعلت لقيته مبنيا عليه كما جاز في الابتداء كأنك قلت : لقيت القـوم حتى زيد ملقي ، وسرحت القوم حتى زيد مسرح . وهذا لا يكون فيه الا الرفع لانك لـم تذكر فعلا . فاذا كان في الابتداء زيد لقيته بمنزلة زيد منطلق جاز هاهنا رفع .

وقد اكتفى الصفار بالعبارة التي بين القوسين من كلام سيبويه ثم علق على ذلـك بقولـه : (٢)

قلت : لاخلاف في هذا بين النحويين غير أن صاحب الترشيح نقل عن بعض نحـاة الاندلس أنه قال لا يجيز مثل هذا الا اذا كان العامل الآخر عاملا فيما عمل فيه الاول ، والا لم يصح أن يكون تأكيدا ، ألا ترى أن هذه المسألة التي وضعها سيبويه رحمه الله لا يتصور فيها التأكيد لان " لقيت عبد الله " لا يؤكد به " لقيت القوم " لانه غيره .

قالوا : وانما عنى سيبويه رحمه الله في جواز هذا قوله :

ألقى الصحيفة كي يخفف رحلـه والزاد حتى نعله ألقاهـــا

---

(١) الكتاب ١ : ٥٠ ، وشرح الصفار ورقة رقم : ١٠٧ .

تتوهم أن الضمير فى ألقاها عائد على النعل وليس الامر على ذلك بل هو للصحيفة وكأنه قال : ألقى الصحيفة ألقاها حتى نعله فيكون تأكيدا ، والا فلا يصح ، اذا جعلت الضمير للنعل انهدم التأكيد لانه كلام آخر ، وهذا غير مرضى .

وان سيبويه لم يكن من قلة النباهة بحيث لا يستشهد الا للبيت ، وانما بجعله تأكيدا لما انطوى عليه الكلام ، ألا ترى أن ضربت القوم حتى عبد الله قد دخل عبد الله فى الضرب ، فكأنه قال : ضربت عبد الله ثم يقول تأكيدا : ضربته ، وكذلك حتى نعله أى وألقى نعله ثم تقول : ألقاها ، فتؤكد ما انطوى عليه الكلام .

والصفار فى رده وفى توجيهه ، وفى بيان منزلة سيبويه وقدره العلمى وفى شرحه لما حوى الكتاب من كنوز النحو وخفائه جدير بكل تقدير .

(٦) ومن ذكرهم ابن السيد المتوفى سنة ٥٢١ :

وقد تقدم عنه حديث مبسوط فى هذه الرسالة (١) والصفار حين يذكره انما يخطىء رأيه فيما ذهب اليه من أن هذا الشاهد : (٢)

معاوى اننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا

ليس من القصيدة المنصوبة ، قال الصفار بعد ذكر هذا الشاهد : (٣)

زعم النحويون أن سيبويه غلط فى هذا البيت لانه من قصيدة مخفوضة وقبله :

نهبنا أمة هلكت ضياعا يزيد أميرها وأبو يزيد

أكلتم أرضنا فجردتموها فهل من قائم أو من حصيد

يهجو بذلك معاوية وابنه ثم قال :

معاوى اننا بشر فأسجح فلسنا بالجبال ولا الحديد

فلا دليل له فيه ، وهو غلط ، ومن الناس من زعم أنه ليس من هذه القصيدة وأنه من قصيدة منصوبة وقبله :

---

(١) ورقة رقم : ٢٢٣ — ٢٤٨ .

رمى الحدثان نسوة آل حرب ... بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا ... ورد وجوههن البيض سودا

معاوى اننا بشر فأسجح ... فلسنا بالجبال ولا الحديدا

وزعم أبو محمد بن السيد أن البيت ليس من هذا ، وانما رواه الناس من المخفوضة .

وحدثنى الشيخ الفقيه أبو الحسن بن عصفور — وهو الثقة — أنه رأى فى المستملى للاسدى أن عقبة كان هجا معاوية بالقصيدة المخفوضة التى منها : " فهبنا أمة ملكت " ، فلما حضر بين يديه قال له : ألست القائل كذا ؟ قال : والله ماقلت أيها الامير هكذا وانما قلت :

أديروها بنى حرب عليكم ... ولا ترموا بها الغرض البعيدا

معاو اننا بشر فاسجح ... فلسنا بالجبال ولا الحديدا

قال : فاستحسن عذره وعفا عنه ، فعلى هذا لم يغلط سيبويه رحمه الله ، ويكون له فيه الحجة ، فهذا عطف على مجرور بحرف جر زائد .

(٧) ابن الطراوة المتوفى سنة ٥٢٨ :

وقد أشرت آنفا الى أن الصفار فى شرحه هذا كان خير معين لى على الحديث عن ابن الطراوة وعن بعض آرائه التى نقدها ورد عليها ببراعته ، وأضيف هنا بعض ماذكر الصفار عن ابن الطراوة كقوله :(١) وأما ابن الطراوة فتصفح الاماكن التى يكون فيها الاستفهام عن الفعل فاختار اضمار الفعل ، فاذا قلت : أزيد قام ؟ فالسؤال هنا عن الفعل وهو القيام لاعن القائم ، واذا قلت : أزيد قام أم عمرو ؟

فالسؤال هنا عن الاسم فلا يرتفع على الفعل بل على الابتداء .

وهذا الذى قال باطل فان سيبويه رحمه الله زعم أن قول جرير :

أثعلبة الفوارس أم رياحا ... عدلت بهم طهية والخشابا

على الفعل(٢) وهو الكلام الفصيح ، فهذا الذى قال ليس بشئ .

---

(١) شرح الصفار ورقة رقم : ١٠٨ .

(٢) الكتاب ١ : ٥٢

وكقوله أيضا تعليقا على قول سيبويه :(١)" وقد يجوز في الشعر على ضعف أن يجعلوا المعرفة خبرا عن النكرة ،واستدل بقول خداش بن زهير :

فانك لاتبالي بعد حــــول أظبي كان أمك أم حمــــار"

ابن الطراوة (٢): اضمار الفعل هنا لايجوز لانه لم يسأل عن الفعل انما سأل عــن الاسم وكأنه قال : أمك ظبي أو حمار . وهذا خطأ لان حرف الاستفهام يختار معه النصب كان الطلب للفعل او للاسم ألا ترى أن سيبويه نص ذلك في قوله :[جرير]

أثعلبة الفوارس أم رياحــــا عدلت بهم طهية والخشابــــا ؟

(٨) ابن طاهر المتوفى سنة ٥٨٠ :

وقد ذكر من قبل استاذا لابن خروف(٣) ،وقد التقى به الصفار على صفحات هــذا الشرح في مواضع كثيرة ،وقد يذكره ويذكر معه تلميذه ابن خروف الذي سبق التعريــف به ، من ذلك ،تعليقه على هذين الشاهدين وعلى كلام سيبويه عنهما :(٤)

أ ـ وأنشد لهدبة بن خشــرم :

فلا ذا جلال هبنــه لجلالــــه ولا ذا ضياع هن يتركن للفقــر

وكذلك قوله وهو زهــير :

لا الدار غيرها بعدي الانيس ولا بالدار لو كلمت ذا حاجة صمـــم

وكلام سيبويه(٥): " وان شئت رفعت والرفع فيه أقوى . "

قال الصفار بعد (٦): " هذا من المواضع التي دارت فيه رؤوس النحويين واختلفوا فيه : هل يريد أن الرفع أقوى من النصب ،أو يريد أنه أقوى من الرفع في الاستفهام ؟

---

(١) الكتاب ١ : ٢٢ ، ٢٣

(٢) شرح الصفار ورقة رقم : ٦٢

(٣) ورقة رقم ٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

(٤) شرح الصفار ورقة رقم : ١٢٦

(٥) الكتاب ١ : ٧٢ ، ٧٣

(٦) شرح الصفار ورقة رقم : ١٢٦ .

فأما الاستاذ ابو بكر بن طاهر فزعم أن الرفع فيه أقوى من النصب وخالف في ذلك جمهور النحويين ، لان الذين تعرضوا لشرح هذا الموضع انما فسروه على الوجه الاخر ، وهو — لعمرك بالنحو — يظهر من كلام سيبويه ، ألا ترى أنه حيث تكلم في هذه المسألة انما قدم النصب فلما فرغ منه ذكر الرفع فهذا يلوح لما ذكرنا . وأيضا فانه زعم أنها أجريت مجراها حروف الاستفهام والظاهر من " أجريت مجراها " أنها يختار معها النصب ، لان الذي قدم لنا في الاستفهام انما هو اختيار النصب وهذا جار مجراه فالنصب اذا فيه مختار . وأيضا فانه ذكر هذه الادوات مع الادوات التي يختار فيها النصب فلو كان الرفع هنا مختارا كما زعم ابن طاهر لاوردها مع : زيد ضربته . فهذه كلها ظواهر تعطى أن العرب تنصب هنا كثيرا ، فلولا أنه سمع ذلك منهم لما لوح بهذه الامور فهذا ينبغي أن يفهم منه يكون راجعا الى السماع ، ولا يمكن ان كانوا يحكمون لها بحكم مالا يختار معه النصب أصلا "

ولا شك ان تفسيرا لجمهور أقوى من تفسير ابن طاهر ، وأن ردود الصفار عليه اذا أضيفت الى كلام شراح الكتاب كانت سندا لا يتطرق اليه أدنى شك .

ب — وفي هذه المسألة يمدح الصفار رأى ابن طاهر وانصاحه عن مذهب سيبويه (١) وذلك عندما ذكر قول الشاعر : [الأعور الشني]

هون عليك فان الامـــــور ... بكف الاله مقاديرهـــــا

فليس بآتيك منهيهـــــا ... ولا قاصر عنك مأمورهـــــا

وذكر أن البيت على مذهب الاخفش لا اشكال فيه لاجازته العطف على عاملين وذكر أن سيبويه وجهه على أنه أعاد الضمير مؤنثا على المذكر لانه بعض مؤنث كما قالوا : ذهبت بعض أصابعه . ثم قال الصفار : (٢) " لكن قد أفصح أبو بكر بن طاهر رحمه الله عن مذهب سيبويه فقال الاضافة هنا بأدنى ملابسة كأنه قال : مأمور المنهي أي المأمور الذي هو في مقابلة المنهي ، كما قال تعالى : " لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها " (٣) والضحى ليس للعشية ،

---

(١) الكتاب ١ : ٣١

(٢) شرح الصفار ورقة رقم : ٧٤

فانما أضاف لانها طرف النهار ، وهذا طرف آخر ، فبينهما هذا القدر من الملابسة فلهذا أضاف . فهذا حسن جدا . "

(٩) وأما السهيلي المتوفى سنة ٥٨١ :

فقد سبق الحديث عنه مع ابن الطراوة (١) ثم مع ابن خروف (٢) ، وهنا أسوق الحديث عنه مع الصفار شارح الكتاب . وقد رأيت الصفار يحرص كل الحرص على سلامة الاجماع في مسائل النحو ، فاذا خرق هذا الاجماع أحد من النحاة تصدى له وتعرض للدفاع عن اجماع النحاة ، فانظر اليه عند حديثه عن جواز حذف مفعولي أعطى والاقتصار على الاول أو الثاني يقول : (٣)

هذا مذهب جميع النحويين الا أبا القاسم السهيلي فانه لم يجز أن يقتصر على الثاني بل على الاول خاصة أو يتعدى الى الاثنين . قال : وهذا الذي قلت هو مذهب سيبويه ، وهو الذي يقبله القياس . أما أنه مذهب سيبويه فلأنه قال : وان شئت اقتصرت على الاول وان شئت تعدى الى الثاني كما تعدى الى الاول فلم يذكر الاقتصار الا في الاول وذكر التعدي الى الثاني ، فاما أن يذكر الثاني مع الاول أو الاول خاصة فلا بد من الاول .

وهذا لاحجة له فيه لانه يفهم منه خلاف هذا ، ألا ترى أنه قال : وان شئت اقتصرت على الاول ثم قال : وان شئت تعدى الى الثاني كما تعدى الى الاول ، وقد كان يتعدى الى الاول مقتصرا عليه وغير مقتصر فكذلك الثاني ، واذا كان كلام سيبويه محتملا سقط أن يستدل به .

وأما تمسكه بطريق القياس فانه قال : المفعول الاول فاعل في المعنى فكما لا يحذف الفاعل فكذلك ما هو في معناه ، ألا ترى أن زيدا في : "كسوت زيدا ثوبا " لابس وآخذ وكذلك قال في أعطيت وهذا الذي تمسك به أيضا لامتعلق له فيه فان السماع يرد عليه

---

(١) ورقة رقم ٢٥٢ .

(٢) ورقة رقم ٣٠٤ — ٣١١ .

(٣) شرح الصفار ورقة رقم : ٤٢ .

قال اللـه تعالى : " فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى "(*) فكما يجـوز حذفـه مـــع الثانى فكذلك يحذف ويكون الثانى مثبتـا . فهذا يدل على أن العرب لم تلحظ شيئـــا مما ذكر . فالصحيح ماذهب اليه النحويـون .

وفى باب الفاعل الذى يتعداه فعله الى مفعولين وليس لك أن تقتصر على أحدهمـــا دون الآخر يقول الصفـــار(١) :

وزعم الأستاذ أبو القاسم السهيلى أن هذه الأسماء المذكورة بعد هذه الأفعـــال ليس أصلها المبتدأ والخبر بدليل قولك : ظننت زيدا عمرا ، وأنت لاتقـول : زيـد عمرو على هذا المعنى . وهذا كلام برأسه ليس الفعل فيه داخلا على شيء قد استقر وانمـا هو هكذا من أول وهلـة .

وهذا الذى قال ليس بشيء . والدليل على أن الأصل فيه المبتدأ والخبر رجوعهـــم اليه فى وقت الالغاء نحو : زيد عمرو ظننت . فلولا أن الأصل الابتداء لما جاز أن يلغـى كما يلغى أعطيت . فان قال : لا يقال : زيد عمرو على معنى زيد عمرو ظننت قلت : لأن الظن لايفهم الا اذا ذكر . كما لايجوز : زيد قائم اذا أردت زيد قائم ظننت .

فان قال : حين قلت : ظننت زيدا قائما . فزيدا قائما يعطى من المعنى ماكان يعطيه قبل . ونهايته أن دخل فيه معنى الظن . وحين قلت : ظننت زيدا عمرا لم يكن معنى هـذا معنى زيد عمرو . بل المعنى شيء آخر وهذا عمدة مذهبـه ولا يلزم لأن العرب أدخلته معنى آخر بدخول ظننت عليه . فاذا زال الظن زال ذلك المعنى .

١٠ — <u>ابن أبى العافيـــة :</u>

وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن خليفـة بن أبى العافيـة الأزدى أبو بكـــر الكتدى الأليرى الأصل قال ابن الزبـير : كان شيخا فقيها جليلا أديبا بارع الأدب ، عارفـا بالعربيـة واللغة ذاكرا لها كاتبا مجيدا شاعرا مكثرا مطبوعـا منطويا على جملـة محاسن ، مع أخلاق سريـة . أصله من كتدة . وقرأ بمرسية . وانتقل الى غرناطـة وسكن بها وبمالقـــة وأخذ عنه أهلها واعتنوا به لعلمه وأدبه وفضله . سمع على أبى بكر بن العربى وأبى الوليـــد

(١) شرح الجمل : ق ... ٤٤ . (*) سورة الليل آية ٥ .

ابن الدباغ وأبي بكر بن مسعود الخشني ، وروى عنه ابنا حوط الله ، وله شعر مدون ولد سنة ست وخمسمائة ، ومات بغرناطة سنة ٥٨٣ ، ومن شعره :

لأمر ما بكيت وهاج شوقي ... وقد سجعت على الأيك الحمام
لأن بياضها كبياض شيبي ... تعني شجوها قرب الحمام (١)

والصفار في شرحه عندما تحدث عن الحمل على الموضع يذكر خلافا بين أبي الحجاج الشنتمري وابن أبي العافية في ذلك فيقول (٢) :

ثم قال : وتقول في هذا الباب : هذا ضارب زيد وعمرو ، إذا أشركت بينهما في الجار فهذا لا يمتنع لأن كل اسم يحمل عليه ، ولا مانع من ذلك ، وقوله : وإن شئت نصبت على المعنى تضمر له ناصبا ، فهذا ظاهر في منع الحمل على الموضع ، خلافا للأستاذ أبي الحجاج الشنتمري لأنه أجاز الحمل على الموضع دون محرز .

وخالفه الأستاذ أبو عبد الله بن أبي العافية ، فزعم أنه لا يجوز ذلك إلا حيث يكون ثم محرز ، وهو الظاهر من كلام سيبويه هنا ، وفي باب تعرضه للحمل على الموضع حيث جوز الحمل على الموضع ولم يذكر في الجملة هذا .

وتفسير ابن أبي العافية هو الذي يؤخذ من نص كلام سيبويه وذلك قول صاحب الكتاب (٣) :

ولو قلت : هذا ضارب عبد الله وزيدا جاز على إضمار فعل ، أي وضرب زيدا ، وإنما جاز هذا الإضمار ، لأن معنى الحديث في قولك : هذا ضارب زيد - هذا ضرب زيدا ، وإن كان لا يعمل عمله تحمل على المعنى كما قال عز وجل : " ولحم طير مما يشتهون وحور عين (٤) " لما كان المعنى في الحديث على قولهم : " لهم فيها " حمله على شيء لا ينقض الأول في المعنى ، وقد قرأه الحسن ، ومثله قول الشاعر :

يهدي الخميس نجادا في مطالعها ... إما المصاع وإما ضربة رغب

---

(١) بغية الوعاة : ٦٥ .

(٢) شرح الصفار ورقة رقم : ١٥٨ .

(٣) الكتاب جـ ١ ص : ٨٩ .

تحملـه على شيء لو كان عليه الأول لم ينقض المعـنى ".

وكلام سيبويه هنا يرجح ضرورة وجود المحـرز حتى لا ينقض المعـنى ، وهـذا رأى ابن أبى العافيـة .

١١ - ابن ملكـون المتوفى سنة ٥٨٤ :

وقد ذكرته فيمن أخـذ عنهم ابن خروف[1] ، وهنا يذكره الصفـار فى باب ظن عنـد الكلام على حذف المفعولين اختصارا أوحذف أحدهما ، فيقـول بعض عرض المسألـة[2] :

" بلا خلاف بينهم[*] ، الا أن هذا المتأخر أبو اسحاق بن ملكون منع من ذلـك وجعل الاختصار بمنزلة الاقتصار ولم يجـز ظننت زيدا ولا : ظننت قائما على حـال ، ومستنده فى ذلك أنها أفعال داخلة على المبتدأ والخبر بمنزلة كان وأخواتها وأنـت لا تقتصر فى الذكر على اسم كان ولا على خبرها فكذلك هذا الباب . وهذا المذهب فاسد ، لأن حذف الاختصار كما قلنا هو الحذف لفهم المعنى فكأن الحذف والاثبات سيان بخلاف الاقتصار على ما يتبين . وأما استدلالـه بباب كان فالعرب فعلت ذلك لعلـة جعلهـما عليها غيره ، وذلك أنه امتنع الاقتصار على الخـبر ويكون المبتدأ محذوفـا اختصـارا لأن المبتدأ قد صار لها كالفاعـل والفاعـل لا يحذف بحال ، وامتنع الاقتصار علـى المبتدأ وحذف الخـبر اختصارا لأن الخبر قد صار لها كالحدث ، فلا تقول أبدا : كـان زيد كالحدث كونـا فلما صار لها كالحدث صار جزءا من الفعل ، فامتنع حذفـه ".

وحسب ابن ملكون أن يتعرض لابطال رأيه علم من أعلام النحـاة .

١٢ - ابن خروف المتوفى فى العقد الأول من القرن السابع :

وقد سبق الحديث عنـه[3] ، والصفار فى شرحـه قد يعتبره عمدة ، يورد آراءه وينقلها عنـه[4] ، وقد يرد عليه ويعارضـه ولا يرى رأيه ، وربما قرن رأيه برأى أستاذه أبى بكر بن طاهـر .

---

(١) ورقة رقم ٢٩٧ .

(٢) شرح الصفار ورقـة رقم : ٤٥ .

(٣) ورقة رقم ٢٩٤ - ٣٤٤ .

(٤) شرح الصفار ورقـة رقم : ٩ ، ٥ ، ٦٠ .

(*) كذا فى الاصل .

مثال الأول قوله عند الحديث عن بناء كان للمفعول (١) :

وأما الأستاذ أبو الحسن بن خروف فزعم أنه يقام مصدرها مقام الفاعل ويحذف المبتدأ والخبر . فقيل له : لا مصدر لها . فأخذ يستدل على أنها ذات مصدر بقولهم : كن قائما فمحال أن يؤمر بالزمان إنما يؤمر بالحدث ، وبقولهم : عجبت من كونك قائما ، فأبرزوه . وهذا الذي قال أمر بيّن . ولسنا ننكر أن " كان " لها مصدر بمعنى أنها مأخوذة منه ، لأن كل فعل إنما يكون أبدا مأخوذا من الحدث ، فكن قائما إنما هو أمر بالكون . وإنما نعني بقولنا : إنها لا مصدر لها ما زعم الفارسي من أن الخبر قد قام لها مقام الحدث فلا يقال أبدا : كان زيد قائما كونا ، ولا ينطق لها به أصلا ، فهو بمنزلة يذر والوذر ، ألا ترى أنهما لا يستعملان أصلا ، إنما يقال : يذر ، ولم ينطق له قط بماض★ ولا مصدر مع أنه لا بد من أن يكون مأخوذا من مصدر ، فإذا لم يستعمل لها مصدر فكيف يصح أن تبنى له ، فهذا المذهب فاسد . والموضع مشكل وكان الفارسي لا يرى له وجها ، وكان يقول فيه : " وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون " (*) وليس كل الداء يعالجه الطبيب " .

وفي تفسير قول سيبويه (٢) : " وإنما يحكى بعد القول ما كان كلاما لا قولا " قال الصفار (٣) : فظاهره أن المحكي إنما هو الجملة والمفرد لا يحكى . وقد أول الأستاذ أبو الحسن بن خروف هذا بأن قال : معنى قوله : " لا قولا " لا هذا اللفظ والقول الذي هو المصدر معرب فتقول : قلت قولا ، فهذا لا يحكى ، والحق والخير والشر أقوال أو صفات لأقوال فهذا هو الذي لا يحكى ، وأما ما كان من مثل زيد وعمرو فخارج من هذا .. وكلا القولين ممكن .

ومن رد الصفار على ابن خروف ومعارضته إياه قوله في إعمال صيغ المبالغة بعد الرد على الكوفيين الذين منعوا إعمال شيء منها (٤) :

---

(١) شرح الصفار ورقة رقم : ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) الكتاب ج ١ ص : ٦٢ ، وشرح الصفار ورقة رقم : ١٢٥ .

(٣) شرح الصفار ورقة رقم : ١٢٥ .

(٤) المرجع السابق [illegible] ١٢٠ .

وزعم أبو الحسن بن خروف أن هذه الأمثلة تعمل على كل حال : كانت بمعنى الحال أو الماضي خلافا للجمهور . ومستنده في ذلك القياس والسماع . أما القياس فزعم أنها للتكثير والمبالغة ، فقد قوى فيها جانب الفعل . وأما السماع فقوله :

بكيت أخا لأواء يحمد يومه كريم رؤوس الدارعين ضروب

فهذا قد مات فانما مدحه بما مضى . وهذا لاحجة له فيه . أما البيت فيتخرج على ما يتخرج عليه قوله تعالى : " وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد [*] " حيث استدل به الكسائي .

وأما قياسه ففاسد ، وذلك أن المبالغة ليست مما يقوى جانب الفعل ، ألا ترى أن المبالغة كما تكون بالفعل فكذلك تكون بالاسم اذا قلت : زيد الشجاع الفارس البطل الذي من أمره ومن شأنه فليس هذا مقويا للفعل ...

ومما أهملناه في الرد على ابن خروف حيث زعم أن المبالغة تقوى جانب الفعل أن نقول له : مفعيل عندهم للمبالغة نحو ناقة محضير ، ورجل مبطين ، وهم لايقولون : مخطيق الصواب فدل على فساد ما قلته .

وكذلك رد الصفار على ابن خروف قوله [(١)] : " الواو تكون جامعة خاصة وعاطفة " وختم رده عليه بقوله : " فهذا القول فاسد "

١٣ـ أبو موسى الجزولي المتوفى سنة ٦١٠ [(٢)] .

ذكره الصفار وذكر كلامه عن فائدة الاعراب فقال [(٣)] :

قال أبو موسى في كراسته : ألا تراه قال : " وفائدته الدلالة على المعنى الذي يحدث بالعامل " .

وقد ذكر الصفار بعد ذلك رد الشلوبين على الجزولي ، ورد كلام الشلوبين ـ كما سيأتي ـ فيما بعد .

(*) سورة الكهف آية : ١٨ .

(١) شرح الصفار ورقة رقم : ١٠٣

(٢) سيأتي تعريف به .

(٣) شرح الصفار ورقة رقم : ٥٤

١٤ - ابن برجان[1] :

هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد ابن عبد الرحمن اللخمي الاشبيلي المعروف بابن برجان ، وهو مخفف من أبي الرجال ذكره في البلغة فقال : امام في اللغة والنحو ، وقال غيره : أخذ اللغة والعربية عن ابن ملكون ولازمه كثيرا ، وكان من أحفظ أهل زمانه في اللغة مسلما له ذلك صدوق ثقة ، وله رد على ابن سيده مات سنة سبع وعشرين وستمائة[2] .

وقد ذكر الصفار تفسير ابن برجان لشاهد سيبويه بعد تفسير الزجاج :

مشق الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا وصدورا[3]

فقال[4] : " وزعم أبو اسحاق الزجاج أن المعنى نحلن فخففن فذهبن متقدمات فكلهن كلكل وصدر لأنهن يتنافين في السير فليس منهن ما يتأخر بل هن كلهن متقدمات فهن كلاكل وصدور ، فهذا أيضا أخذه على الحال .

وزعم هذا المتأخر أبو الحكم بن برجان أن المعنى أذهب السير لحومهن حتى فنين ، فأخذ الذهاب بمعنى الفناء وكأنهن ذهبن على هذه الصفة كلاكلا وصدورا لأن كلا كلهن وصدورهن قد زالت فصار ما ليس كلكل كلكلا هكذا حتى فنين على هذه الصفة ، وهي كلاكل وصدور ، وهذه المعاني كلها متصورة الا أن الأول يفضلها " .

والمعنى الأول الذى يشير اليه الصفار هو : أذهب الهواجر لحمهن والسرى ، وهو من قول الأعلم[5] : وصف رواحل أنضاها دأب السير في الهواجر والليل حتى ذهبت لحوم كلاكلها وصدورها ونحلت والكلاكل الصدور واحدها كلكل وكلكال ، وكأنه أراد بالكلكل هنا أعلى الصدر فلذلك ذكر معه الصدر ، ويكون أيضا ذكرها للتوكيد ، ومعنى مشق أذهب لحومهن ، والمشوق الضريب اللحم الخفيف الجسم .

---

(١) هذا الضبط في الأعلام للزركلي ٤ : ١٢٩ وقال انه نقل عن : فوات الوفيات ٢٧٤:١، الاستقصا جـ ١ ص : ١٢٩ ، ولسان الميزان ٤ : ١٣ .

(٢) بغية الوعاة : ٣٠٦ .

(٣) الكتاب جـ ١ ص : ٨١ .

(٤) شرح الصفار ورقة رقم : ١٤٨ .

(٥) تحصيل عين الذهب جـ ١ ص : ٨١ .

١٥ - أبو علي الشلوبين المتوفى سنة ٦٤٥ (١) :

والصفار من تلاميذ أبي علي الشلوبين الا أنه مات قبل أستاذه بأكثر من عشر سنين ، وصحبة الصفار للشلوبين وابن عصفور مشهورة ذكرها السيوطي في بغية الوعاة عند ترجمته للصفار التي صدرنا الحديث عنه ، وسأنقل هنا من شرح الصفار أمثلة تلقي الضوء على قول السابقين من الصفار : انه يرد على الشلوبين أشنع رد .

أ- قال الصفار بعد الحديث عن فائدة الاعراب وذكر كلام أبي موسى الجزولي من أن " فائدته الدلالة على المعنى الذي يحدث بالعامل (٢) " :

وجاء الأستاذ أبو علي وقال : " أخطأ لأن الفائدة انما هي في الاسم ، فكان حقه أن يقول : وفائدته في الأسماء الدلالة على المعنى الذي يحدث بالعامل ، وفي الأفعال شبهها بالأسماء " .

والعجب له في أن لم يرد على سيبويه ، وهذا الرد فاسد بتسليم أنه لا فائدة له في الفعل الا ما ذكر من الشبه ، لأنه يقول : وفائدته اذا وجدت له فائدة كذا ، واذا قال : وفائدته مهما وجدت له فائدة لا يلزمه الاعتراض بما ذكر .

وأيضا فانني أقول : ان فائدته في الفعل الدلالة على المعنى الذي يحدث بالعامل ، فاذا ارتفع الفعل ففائدة الاعراب فيه الدلالة على وقوعه موقع الاسم ، وهذا المعنى أحدث فيه العامل ، وهو ايقاعه اياه موقع الاسم ، واذا نصب ففائدة الاعراب فيه الدلالة على أن الفعل المستقبل اما على أنه جواب أو على صرفه الى المصدرية ، واذا انجزم ففائدة الاعراب فيه أن الفعل غير واقع اما على النفي أو على النهي فلا يكون لعراب أبدا في فعل الا يدل على هذه المعاني المذكورة ، فكلام أبي موسى حق .

ب- وعندما تكلم عن الأفعال المتعدية الى ثلاثة ذكر أنها سبعة : أعلم - أرى - أنبأ - نبّأ ، خبّر ، أخبر ، حدّث ، ثم قال (٣) :

---

(١) سيأتي التعريف به بعد الصفار .
(٢) شرح الصفار ورقة رقم : ٤ .
(٣) المرجع السابق ورقة : ٤٨ .

ولا خلاف في أنها سمعت ، وزعم الأستاذ (يعني الشلوبين) أن حدّث ليست فعلا متعديا الى ثلاثة ، وأنهم انما سمعوا ذلك في قوله : [الحرث بن حلزة]

أو منعتم ما تسألون فمن حد ثتموه له علينا العلاء

وليس فيه دليل ، لأنه انما وصل كما تراه بالتضمين ، واذا لم يكن يصل بنفسه الا في هذا فليس فيه دليل ، بل يكون بمنزلة قوله :

اذا رضيت على بنو قشير ..

وهذا الذى قاله الأستاذ سوء ظن بالقوم وتقصير بهم على عادته وما كان أحراه أن يتهم نفسه ، ويزعم أنهم لم يذكروها الا وهي ثابتة ، وذلك البيت مقوّ لذلك ، وعلى هذا هو الأمر ، فالأفعال سبعة .

جـ ـ ولما ذكر الصفار قول سيبويه (١) : " والنصب في : يوم الجمعة صمته ، ويوم الجمعة سرته ، مثله في قولك : عبد الله ضربته الا أنه ان شاء نصبه بأنه ظرف ، وان شاء أعمل فيه الفعل كما أعمله في عبد الله لأنه يكون ظرفا وغير ظرف " . وضع في مكان " عبد الله " زيدا " ثم قال (٢) : قلت : فمراده أنه اذا انتصب فيكون محتملا للسعة وغير السعة .

وجعل الأستاذ أبو علي هذا من المواضع المشكلة في الكتاب فقال : كيف يصح أن ينصب الاسم من غير الوجه الذى انتصب ضميره أو سببيه ، انما الضمير اذا كان ظرفا كان الاسم ظرفا ، واذا كان مفعولا به كان الأول كذلك ، لأنه انما يجرى له النصب من تلك الضمير أو السببي فهو أبدا ينتصب على حسب انتصابه .

والتزم هذا العار ، واعتذر هنا عن سيبويه بأن هذا الظرف كونه مفعولا به انما هو أمر لفظي فلا اعتداد به فلهذا لم يراع وكل ما تمثل به سيبويه من مثل : زيدا اشتريت له ثوبا فانه يفصل . يقول : ان كان له بمعنى من أجله لم تجز المسألة ، لأن زيدا لا يكون أبدا مفعولا من أجله . وزعم أن الأخفش حكى أن العرب لا تقول : زيدا جلست

---

(١) الكتاب جـ ١ ص : ٤٣ .

(٢) شرح الصفار ورقة رقم : ٦٩ .

عنده لهذا المعنى ، وذلك أن زيدا لايكون ظرفا أصلا .

وكنا قد أوقفناه على أن الأخفش حكى أن كل العرب تقوله فافتضح اذ ذاك ، وتبين كذبه ، واشتهرت المسألة اذ ذاك بحيث لم يبق الا من تحقق كذبه وافتراءه على النحويين .

د - ثم قال الصفار عند الكلام عن حذف العائد من الخبر اذا كان فيه تهيئة العامل وقطعه (1) :

فالحذف من الخبر اذا كان فيه تهيئة العامل وقطعه لايجوز الا في الشعر فمن ذلك قوله : [ابو النجم]

قد أصبحت أم الخيار تدعي على ذنبا كله لم أصنع

وزعم سيبويه أن هذا ليس بضرورة لأنه لم يضطر ألا ترى أنه يمكنه النصب ، ولا ينكسر الشعر فهو بمنزلته في الكلام الا أنه ضعيف جدا ، فهو عند سيبويه على غير الضرورة .

وللناس في هذا البيت خلاف هذا . فمنهم من قال : ان الياء في " لم أصنعي " عوض من الضمير لأن الضمير قد يطلق في القوافي فكما تكون الهاء عوضا من حروف الاطلاق في قوله :

صفية توحي ولا تجوعي وكي النساء على حمزه

فكذلك تكون الياء عوضا من الهاء فكأنه قال : كله لم أصنعه ، فهذا وجه .

وأما الأستاذ أبو عبد الله بن أبي العافية فقال : الرفع هنا مضطر اليه لأنه يريد أن ينفي الذنب جملة فلهذا رفع لأن كلهم لايعم بها الا تابعة أو مبتدأة لأنها في المعنى تابعة ، ولو قال : كله لم أصنع لكان المعنى : لم أصنع كله ، فهذا ممكن أن يقال : انه صنع البعض وهو لم يرد ذلك .

وقد كان الأستاذ أبو علي يقول : هذا خلف وهو دون ، ولا فرق بين الرفع والنصب .

---

(1) شرح الصفار ورقة رقم : ٩٩ ، ١٠٠ .

وقد رددنا على الأستاذ هذا فى باب مررت بكل قائما وصححنا مذهب الأستاذ أبى عبد الله وادعينا أنه مذهب سيبويه فهذا الذى قال حق الا أنه فى البيت غير مضطر اليه - ألا ترى أنه لو نصب لم يفهم ذلك لاقتران الحال التى هو فيها • وذلك أنه منكر لجملة الذنب فلم يضطر الى الرفع • لكن الرفع على ما قال ولا بد •

ومن الناس من قال : انما رفع الشاعر لأنه بين أن ينصب أو يرفع : ان رفع حذف الضمير من الخبر • وان نصب أولى كلا للعامل وذلك قليل •

قلت : قد كان ينبغى أن يعدل الى هذا القليل لأنها لغة ضعيفة حكاها الخليل • وأما حذف الضمير من هذا الخبر فلا يجوز أصلا لأن فيه ما ذكرنا من تهيئة العامل للعمل وقطعه • فالصحيح فى هذا كله ما ذهب اليه سيبويه ••• ثم قال سيبويه (١) : وكأنه قال : كله غير مصنوع • قلت : هذا تفسير الرفع •

هـ - وعندما ذكر الصفار تفسير النحاة قول سيبويه (٢) : " فان قلت : قد لقيت زيدا وأما عمرو فقد مررت به • ولقيت زيدا واذا عبد الله يضربه عمرو بالرفع الا فى قول من قال : زيدا رأيته " • قال :

وللشلوبين هنا ضحكة عظيمة يجل هذا الموضع عن ذكرها •

وقد وضح الصفار أن هذا الحكم لايكون فى اذا وانما يكون فى أما لأن اذا لايليها الا الفعل ظاهرا أو مضمرا •

و - قال سيبويه (٣) : " وقد زعموا أن بعضهم يجعل ليس كما • وذلك قليل لا يكاد يعرف • فقد يجوز أن يكون منه : ليس خلق مثله أشعر منه • وليس قالها زيد •

وقال حميد الأرقط :

فأصبحوا والنوى عالى معرسهم   وليس كل النوى يُلقِى المساكين

---

(١) الكتاب جـ ١ ص : ٤٤ •

(٢) شرح الصفار ورقة رقم : ١٠٥ •

(٣) الكتاب جـ ١ ص : ٧٣ •

وقال هشام أخو ذى الرمــة :

هى الشفاء لدائى لو ظفرت بها   وليس منها شفاء الــداء مبــذول

هذا كلــه سمع من العرب ، والحـد والوجـه أن تحملـه على أن فى ليـــس اضمار وهذا مبتـــدأ " .

وقد ذكر الصفــار كلام سيبويه ناقصــا ثم علق عليــه ورد على الشلوبيــنى اختياره تفسير بعضهم ، فقــال[1] :

ثم قال (أى سيبويه) : وزعم بعضهم أن ليس كمــا ، فهذا يمكن أن يكـــون منه : ليس خلق الله مثلــه . قلت (أى الصفــار) : لم يقطع سيبويه رحمه اللـــه تعالى بأن هذا منه لامكان أن يكون فى ليس مضمر ، فتكون باقيــة على ما استقر فيهـــا ولا تخرج ، لكن اذا كانت لغــة فيمكن أن يكون هذا منها وتلى الفعل كما تطلبــه ما ... وقد نقل عيسى بن عمــر أنه ليس فى الدنيــا تميمى الا وهو يرفع ، ولا حجازى الا وهـــو ينصب فيقــول التميمى : ليس زيد الا قائم ، والحجازى : ليس زيد الا قائمــا ، فلـــولا أنها لغــة لم يكن فى هذا اللفظ دليــل .

وأما الأستاذ أبو على الشلوبينى فكان يختــار تفسير بعضهم أظنه ابن خــروف ، وهو أن هذه اللفظــة قاطعــة بأن ليس كما ، ووجــه الدليل أن الذى يقول : ليس الطيب الا المسك يقول : ماكان الطيب الا المسك فلو كانت ليس بمنزلــة كان لما رفع ،لأن الــذى يقول هذا هو الذى يقول هذا ، وليس فى هذا دليل ،لأنه يتكلم بليس وفيها أصلان فـــى هذا الموضع ، ولا يجعل فى كان اضمارا ، فاذا كان التميميــون يرفعون لم يكن ان يكــون على الاضمــار لأن الاضمار ليس لغــة قوم ، انما يتكلم به كل عربـــى فى الموضع الذى يليق به .

وهــذه الردود التى ذكرت بعضها رقيق وأكثرها يحقق قول المؤرخــين انه يـــرد على أبى على الشلوبين أشنع رد ،وليس الى الشناعــة بحد هذا من سبيل .

---

(١) شرح الصفار ورقــة رقم : ١٣٦ ، ١٣٧ .

١٦ ـ ابن عصفور المتوفى سنة ٦٦٣ :(١)

وسيأتي بسط الحديث من الشلوبين وابن عصفور ان شاء الله ، والصفار ينقل من معاصره ابن عصفور ، ويعجب برأيه أحيانا ، ويصفه بأجل الصفات عندهم فيجعله فقيها ثقة ، وربما دعا له بطول البقاء وقد سبق قوله عنه(٢) : وحدثني الشيخ الفقيه أبو الحسن بن عصفور وهو الثقة أنه رأى في المستملي ... " وذلك عند تخريج قول الشاعر :

معاذ اننا بشر فأسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا

وقال الصفار عند كلامه عن زمان أفعل في التعجب(٣) :

واختلف في زمان أفعل : هل هو حال أو ماض ، فمنهم من قال : هو ماض لأن الصيغة ماضية ... فالتعجب من الماضي غير المنقطع تحصل الحال بحكم الانجرار . ومنهم من قال : انما الزمان للحال لأن المعنى عليه .

وهذا القول الأخير أحب الي لأن المعنى عليه ...

واختار صاحبنا الفقيه أبو الحسن بن عصفور القول الأول لأن فيه ابقاء الصيغة على بابها .

وفي باب اسم الفاعل قال الصفار(٤) :

قال صاحبنا الفقيه أبو الحسن بن عصفور ـ فسح الله له البقاء ـ والأولى عندي أن يحتل لعمله بمجموع العلتين ، فيقال : انما عمل لأنه في معنى فعل مشبه ، ولأنه في معنى الفعل جار عليه في الحركات والسكنات وعدد الحروف ، لأن الشبه مهما أمكن أن يكون قويا فهو أولى .

وفي باب " أفعل من " تحدث عن رفعها المضمر والظاهر فقال(٥) :

---

(١) سيأتي تعريف به .
(٢) ورقة رقم : ٣٥٢ .
(٣) شرح الصفار ورقة رقم : ٨٥ .
(٤) المرجع السابق ورقة رقم : ١٤٩ .
(٥) نفس المرجع ورقة رقم : ١٥٥ .

وأما أنعمل من نفسهم من قد قالوا : انها ترفع المضمر ولا ترفع الظاهر لكـــن ثم لغة ضعيفة ترفع فيها الظاهر وعليه : ما رأيت رجلا أحسن فى عينه الكحل منه فى عين زيد . فالذى عليه كلام العرب أن جميع مايرفع المضمر يرفع الظاهر . ولا ينكسر ذلك . وهـذا يرفع المضمر فينبغى أن يرفع الظاهـر .

والى هذا ذهب صاحبنا الأستاذ أبو الحسن بن عصفور وهو صحيح .

ورام الأستاذ أن يرد عليه بأن سيبويه قد أنشد على عمل اسم الفاعل بمعنى الحال فى المرفوع قوله : [البيت]

مشائيم ليسوا مصلحين عشـيرة ولا ناعبا الا ببين غرابهـــا

فأعمل ناعبا فى المرفـــوع(١) . وهذا لاتعلق له فيه فانه يقال له : لم يجيء به الا على اعمال مصلحين فى عشيرة .

١٧ — أبو الفتوح بن فاخـــر :

يصرح الصفار عندما ذكره بأنه شيخه ، على حين أنه لم يذكر أحدا من السابقين بهذه الصفة ، وفيهم بعض شيوخه كالشلوبين وابن عصفور . وقد ذكر الصفار أبا الفتوح ابن فاخر فى مسألة نصب الفعل المتعدى الى ثلاثة ــ المصدر فى مثل : أعلمـــت زيدا هذا قائما العلم اليقين اعلاما . قال الصفـــار(٢) :

قلت : فجاء بهذا ليريك تعديه بعد استيفائه مفعولاته الثلاثة .

وقوله : العلم اليقين قد كان فيما بعد ولا يحتاج اليه لأنه غير مصدر أعلم . فـان قلت : ما الناصب له ؟ (زعم الفارسى أنه منصوب بفعل من لفظه مضمر .

وكان شيخنا أبو الفتوح بن فاخر يرد هذا القول بأن الفعل المضمر فى الخـــبر لا بد له من دليل والا لم يضمر . وهذا الذى ادعى الفارسى لا دليل عليه لأن أعلـــم لايدل على علم ، ألا ترى أن معناها ألقيت له أسباب العلم فلا يلزمه أن يعلم . بل يعلـــم وقد لايعلم . فلو كان المعنى جعلته يعلم لتصور ما قال . وهذا الذى قال حق . والفارسى غـير مصيب .

---

(١) الكتــاب جـ ١ ص : ٨٣ .

(٢) شرح الصفار ورقة رقم : ٤٩ .

ثم يبين الصفار أن الفصل يطلب العلم اليقين على أنه مصدر مبين ، ويطلب الاعلام على أنه مؤكد فهو طالب لهما من وجهين .

جـ- شخصية الصفار :

لم يذكر المؤرخون للصفار تأليفا في النحو غير شرح كتاب سيبويه الذي قالوا عنه[1] : وشرح سيبويه شرحا حسنا ، يقال : انه أحسن شروحه ومن المحتمل أن يكون للصفار مؤلفات أخرى غير شرح كتاب سيبويه ولكن التاريخ أهملها اكتفاء بأحسنها وأعظمها ، وهو شرحه كتاب سيبويه ، وعلى الرغم من أن الجزء الذي وصل الينا من هذا الشرح قليل ، اذ أنه لايكاد عدده وقدره يجاوز عشر الكتاب - فان الملامح المشرقة لشخصية الصفار قد برزت واضحة جلية في :

١- مواقفه العلمية الممتازة التي سبق منها كثير ، في رده على المخالفين لاجماع النحاة ، وعلى أصحاب الآراء الشاذة ، وربما كان أظهر الأمثلة لذلك رده آراء ابن الطراوة وشذوذه ، وان كان رده على غير ابن الطراوة ممن خرق الاجماع لايقل براعة واتقانا من رده على ابن الطراوة ، وقد ذكرت هنا أمثلة كثيرة في الحديث عن الصفار وهنات في الحديث عن ابن الطراوة .

٢- وفي تحقيق النص والحرص على سلامة الاستشهاد ، وترجيح أصح الروايات عند التعدد ، وفي بيان ذلك كله بلغة سليمة تمتاز بالدقة كما تمتاز بالوضوح .

٣- وكذلك في براعته في التعليلات النحوية حين يرد على المخالفين، فيلزمهم الحجة . وقد يذكر الخلافات ويبسط القول فيها ، ويذكر حجة كل ، ثم يرجح بثاقب فكره مايراه أكثر ملاءمة واتساقا مع القياس ففي الحديث عن رافع الفاعل ذكر أنه معنى الفاعلية أو شبهه بالمبتدأ ، أو تفريغ الفعل اليه ، أو الاسم الذي في معناه ، وذكر أن الأخير هو ظاهر كلام سيبويه[2] ، وبين ناصب المفعول فذكر أنه معنى المفعولية أو الفاعل

---

(١) بغية الوعاة : ٣٧٨ .

(٢) شرح الصفار ورقة رقم : ٣٧ .

أو الفعل والفاعل أو العامل فيه الفعل وقال عن الأخير : وهو الصحيح[1] .

٤ـ وفي تمثيله الرأي السائد لنحاة الأندلس ، يحرص على صيانة اتجاهاتهم النحوية ، وحماية مذهبهم في الصوبية من الشذوذ أو الانحراف أو البعد عن آراء جمهرة النحاة . فكثيرا ما يذكر المسألة ثم يقول : وخالفنا فلان أو خالفنا الكوفيون أو خالفنا الكوفيون وأهل بغداد أو خالفنا البغداديون . أو الآن النحويين خالفونا .

أ ـ قال الصفار بعد أن بين أن الضارب والضراب والضاربات زيدا ليس فيه الا النصب[2] :

وخالفنا الفراء فأجاز الجر ، وقال : أقوله بالقياس وليس من كلام العرب وأجازه قياسا على : الضاربا زيد والضاربو زيد .

ب ـ وقال أيضا[3] : وان كان مضافا للألف واللام أو الى ضمير ما فيه الألف واللام أو كان هو نفسه فيه الألف واللام جاز فيه النصب والجر .

وخالفنا المبرد في المضاف الى الضمير ضمير ما فيه الألف واللام فمنع الجر ، فنحن نقول : هذا الرجل الضارب غلامه وغلامه وهو يمنع الجر .

جـ ـ وقال الصفار[4] : واعلم أن الأستاذ أبا الحسين بن الطراوة خالفنا في الحمل على السببي . فقلنا : ان الاسم اذا كان له ضمير وسببي وكان الضمير متصلا والسببي مرفوعا لم يجز الحمل عليه أصلا الا في باب الظن . فلا يجوز : أزيد ضربه أخوه أصلا لأنه يكون التقدير أضربه زيد . وذلك لا يجوز خلافا لأبي الحسين . لأنه زعم أنه جائز وأنشد على جوازه قوله : [البسيط]

فان أنت لم ينفعك علمك فانتسب لعلك تهديك القرون الأوائل

ألا ترى أنه لا يجوز أن يكون المضمر بعد ان محمولا على غير الفعل ، لأن الشرط لا يليه الا الفعل ، فهو محمول على فعل وله سببي ، فهو محمول عليه وكأنه قال : فان لم ينفعك بعد تعدى فعل المضمر المتصل الى ضميره المتصل .

---

(١) شرح الصفار ورقة رقم : ٢٧ . (٢) شرح الصفار ورقة رقم : ١٥١ .

وهذا وهم منه ، فانه اذا تعذر فيه الابتداء لم يلزم أن يكون من باب الاشتغال أصلا . ألا ترى الى قول الآخر :[1] [النمر بن تولب]

لاتجزعى أن منفسى أهلكته   واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى

قد رفع منفسا ، وليس له ضمير مرفوع ولا سببى فيحمل عليه تعلى الوجه الذى يتخرج هذا يتخرج ذاك ، وهو اضمار الفعل فى غير الاشتغال وكأنه قال : فان ضللت أو جهلت لم ينفعك علمت فتكون هذه الجملة تفسيرا لهذا الفعل المضمر ، وكذلك : ان منفسى أهلكته أى هلك منفسى أهلكته ، ويكون أهلكته قد دل على هلك ، لأنه اذا أهلك فقد هلك .

د - وقال[2] : زعم أهل الكوفة أن هذه الأمثلة (أى صيغ المبالغة) لايجوز اعمال شىء منها لأنها غير جارية والأسماء لاحظ لها فى العمل ، فلما ضعف شبهها نقصت فلم تعمل ...

هـ - قال فى باب البدل[3] : معرفة من معرفة ، ونكرة من نكرة ، ومعرفة من نكرة ، ونكرة من معرفة ، وتمثيل هذا بين جدا .

وهذا خالفنا فيه الكوفيون وأهل بغداد ، فأما أهل الكوفة فمنعوا بدل النكرة من غيرها الا أن تكون موصوفة لعدم الفائدة ألا ترى أن : مررت بزيد رجل لافائدة فيه لأنه معلوم أن زيدا رجل ، قالوا : فلا بد من الوصف فتقول : مررت بزيد رجل صالح .

وأما أهل بغداد فزعموا أنه لايجوز أيضا بدل النكرة من غيرها الا أن تكون من لفظ الأول وتكون موصوفة ، ومستندهم فى ذلك أنه هكذا ورد وذلك قوله تعالى : "لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة"[4] وقوله :[5] [كثير عزة]

وكنت كذى رجلين : رجل صحيحة   ورجل رمى فيها الزمان فشلت

---

(١) القائل هو النمر بن تولب

(٢) شرح الصفار ورقة رقم : ١١٩ ، ١٢٠

فأما الكوفيون فيرد عليهم بأنه انما يجىء أبدا مفسرا ونهايتهم أن طرأ لهم عدم الاجادة فى مثال ألا ترى أنك اذا قلت : مررت بشخص رجل — أفاد اذ الشخص أعم من الرجل ، وأما مررت بزيد رجل فيمكن أن تكون فائدته رفع الاشكال الذى يحدث عند تسميتهم المذكر والمؤنث بالمذكر ، فاذا قالوا مررت بزيد فربما يسبق الى الوهم أنه مر بامرأة اسمها زيد فجاء برجل بيانا لأنه ذكر لا أنثى .

وأيضا فانه قد سمع منهم قوله :

فلا وأبيك خير منك انى ليؤذينى التحمحم والصهيل

فلا يمكن أن يكون خير منك صفة لأن الأب معرفة فتعين أنه بدل وهو نكرة . وأنشد أبو الحسن الأخفش :

انا وجدنا بنى سلمى بمنزلة كساعد الضب لا طول ولا قصر

فلا يمكن أن يكون لا طول فى موضع الوصف لأن ساعد الضب معرفة ، فانما يكون بدلا ، وكأنه قال : لاذى طول أولا طويل ، فهذا السماع يرد على أهل بغداد .

و — فى مثل : " هذا ضارب زيدا وعمرا " قال الصفار[1] :

وخالفنا البغداديون فى المنصوب فأجازوا أن يحمل عليه المعطوف مجرورا على توهم الاضافة فأجازوا : هذا ضارب زيدا وعمرو ، وأنشدوا عليه قول امرئ القيس :

وظل طهاة اللحم ما بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل

قالوا : نعطف أو قدير على صفيف شواء ، وهذا ليس بشىء لأنه يكون المعنى أو منضج قدير والقدير لا ينضج ... فانما هو عندنا معطوف على منضج ، ويكون على حذف المضاف وكأنه قال : من بين منضج أو طابخ قدير ، فهذا الذى أوردوه لا متمسك لهم فيه ، وهو مذهب فاسد فى نصه .

ز — وقال فى باب التنازع : الا أن النحويين خالفونا فيما تقدم[2] ..

٥ — وكذلك برزت ملامح شخصية الصفار معلما ماهرا وأماما من أئمة النحاة فى حسن العرض وجيد المحاضرة ، فقد كان اذا عرض أمر فى مجلس من مجالس العلم ذكره

---

(١) شرح الصفار ، ورقة : ١٥٣ .

كما وقع وصوره في دقة وأمانة حرصا منه على كمال الفائدة لمن يطلع بعد على كتبه وتأليفه . قال بعد ذكر استشهاد سيبويه بقول امرىء القيس :

اني بحبلك واصل حبلي ... وبريش نبلك رائش نبلي (١)

أرسل سيبويه هذا البيت وفيه نظر كثير . ألا ترى أن الكسائي له تعلق به في اعمال اسم الفاعل ماضيا لمصر أخذه من يده وذلك أنه أعمل هذا الفاعل في " مالم أجدك (٢) " وما ظرفية مصدرية . ولم اذا دخلت على الفعل المضارع عاد ماضيا فهو ماض لأنه أعمله في الظرف الماضي فمعناه اني رشت نبلي بريش نبلك . ووصلت حبلي بحبلك ما دمت غير متغيرة علي . فلو لم يعمله في الظرف لكان محتملا للحال والاستقبال ولم يكن لسيبويه فيه متعلق . أما والأمر على هذا فهو بعضد ما ذهب اليه الكسائي .

ودخل علينا أحد طلبة مالقة ونحن نتكلم في هذا البيت فرام أخذه من يد الكسائي بأن قال : المعنى في الحال أبلغ من جهة الصناعة الأدبية . فقلت له : ولم ؟ فقال : لأنه ان كان تحصل ذلك فلا فائدة في اخباره اياها به لأنها قد درت ذلك منه . فالأولى أن يخبرها بأنه يفعل كذا فيكون مفيدا . فقلت له : يحصل ذلك بالمفهوم لأنه اذا أخبرها أنه قد حصل ذلك فهو قد قال : ان أخلاقه على هذا . وانه انما يصحب مالم يتغير عليه . نزعم أن هذا المعنى دون ذلك . وأنا أسلم له ذلك كيفما سلمه فنهايته أن ارتكب اللحن فأعمل المستقبل في الظرف الماضي لأن المعنى الآخر دون هذا . ولاشك يابن أخي في أن العرب لاتلحن وترتكب المعنى الدون . وايم الله ما المعنى الذي زعم أنه دون الا أحسن من المعنى الذي ارتكب فان فيه من سوء معاملة المحبوب ومعاملته بما يماس الأدنى . واذا أعطاه ذلك المعنى غير مصرح به كان أحسن من حيث تأدب معه ولم يعامله بما يكره فاذا أخذ الخصم هذا البيت عسر أخذه من يده . فكيف السبيل الى أخذه من يده ؟ فانظر هذا الموضع من أول الباب الى هنا ما أشد اشتكاله فالذي ظهر فيه أن يجعل ما شرطية ويكون : " اني بحبلك " مغنيا عن الجواب، وكأنه

---

(١) شرح الصفار ورقة رقم : ١٥٦ .

(٢) تكملة البيت الذي بعد الشاهد :

يقـول : انى بحيلك وأصل حبلى ان لم أجدك على هدى أخرى فاذا انقدح الاحتمـال لم يبق للكسائى متعلق والحمـد للـه .

هذا وقد قال السيوطى فى ترجمة الصفار(١) : " ذكر فى جمع الجوامع " ولشـه لم يذكره الا نادرا اذ لم أقع على كثرة بحثى فى الهمع الا على موضع واحد عند ما تحدث عن دخول اللام فى خبر ان قال السيوطى(٢) :
ولا تدخل " اللام " على فعل ماض متصرف خال من قد . فلا يقال : ان زيدا لقام بخلاف المضارع فانها تدخل عليه نحو ان زيدا ليقوم لشبهه بالاسم الذى هو الأصل فيها وبخلاف الماضى المتصرف مع قد نحو ان زيدا لقد قام . فان قد قربته فى الحال فأشبه المضارع . وبخلاف الجامـد نحو : ان زيدا لنعم الرجل لأنه لكونه للانشاء يستلزم الحضور فأشبه المضارع ولكونه لا يتصرف أشبه الاسم . والمتصرف الخالى من قد خال من الشبه بكل طريـق .

هذا ما ذكره ابن عصفور وابن مالك . ونقـل أبو حيان كالصفار وابن السيد عـن سيبويه أنه منع دخولها على الجامـد أيضا . وأن الجواز مذهب الأخفش لما تقدم . والفراء لأن نعم وبئس عنده اسمان . وحسى لكونها لا تضارع لها بمنزلة المضارع اذا كانت بلفـظ واحـد له ولغيره . ووافقهما أكثر الكوفيين والأندلسيين .

فقد ذكرالسيوطى تابعا مقلدا لأن ابن السيد قد سبقه الى ذلك ، وقد اطلـع السيوطى على شرح الصفار هذا ونقل عنه فقال(٣) : قال الصفار فى شرح الكتاب بعد تقريـر هذه المسألة (مسألة الكحل) بقى فيها اشكال أثاره صاحبنا أبو الحسن بن عصفـور — وفقه الله تعالى — وهو أنهم قد منعوا " مرزيد به " وانفصل عن هذا بأنه عائد على الكحل لفظا لا معنى لأن الكحل الذى فى عين زيد ليس منتقلا لمعنى آخر فهو من باب :

أرى كل قوم قاربوا قيد فحلهم ... (ونحن حللنا قيده فهو سـارب)

قال : وهذا حسن انتهى . وقد يقال : ان أل فى الكحل المذكور فيه للحقيقة ..

وقد قال السيوطى عنه انه شرح كتاب سيبويه شرحا حسنا يقال انه أحسن شروحه(٤) .

٦ — وقد سكت التاريخ عن حياة الصفار ونشأته وعن الظروف المختلفة التى أحاطـت به . ويظهر أنه كان من رجال العلم الذين تفرغوا وعكفوا عليه دون أن يكون لهم قدح معلى فى الحياة العامـة .

(١) بغيـة الوعـاة ص : ٣٧٨ .
(٢) همع الهوامـع جـ ١٤٠:١ .

ولا نستطيع أن نستنبط من شرحه كتاب سيبويه أكثر من أن حياته كانت ميسرة هيأت له التفرغ لتأليف هذا السفر النافع في علم العربية وأنه عرفنا ببعض شيوخه وغيرهم من النحاة .

٧ - وهذا الشرح الذى كشف لنا عن بعض جوانب من شخصية الصفار ، عنوانه مغطى بورقة كتب عليها " شرح كتاب سيبويه للعلامة الخصاف رحمه الله " وقد شطبت كلمة " الخصاف " وكتب مكانها : " الصفار الفقيه " وقد قام المتخصصون فى أعمال صيانة المخطوطات بدار الكتب المصرية بمعونتى على كشف العنوان الذى ألصقت الورقة فوقه فوجد أنه " شرح الصفار لكتاب سيبويه " وهذه هى الورقة الأولى من هذا الشرح ، اذ أن الوجه الثانى منها فيه بدء الكتاب بعد البسملة . وهو يحمل رقم (٩٠٠ نحو) وفى الجزء الموجود منه نقص ، وعدد الأوراق (١٧٢ ورقة) وقد ذكر فى كشف الظنون عند ذكر شراح الكتاب : وشرحه أبو الفضل البطليوسى قاسم بن على المشهور بالصفار توفى بعد سنة ٦٣٠ [(1)] . وفى آخر الورقة (١٧٢) : [عمر بن علي]

أنمتها انى من لماتها كرم الذرى وادقة مراتها [(2)]

جزاه الله عن النحو عن النحاة خير الجزاء ، وهدى المحققين والباحثين الى تكملة هذا الشرح النفيس .

---

(١) صفحة رقم : ١٤٢٨ . (٢) هذا البيت لعمر بن لجأ

٦- الشلوبين

تعريف به :

هو الاستاذ ابو علي عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله الاشبيلي الازدي المعروف بالشلوبين بفتح المعجمة واللام وسكون الواو وكسر الموحدة وبعدها تحتانية ونون ، وربما زيد بعدها ياء النسبة[1] .

وقد زاد ياء النسبة ابن خلكان فقال في التعريف به : " المعروف بالشلوبيني "[2] .

وقد ضبط بالثنيا هذه الشهرة لابي علي بفتح المعجمة وتشديد اللام مضمومة وكسر الموحدة وياء النسبة بعد النون وقال[3] : الشلوبني نسبة الى حصن شلوبينيه على ساحل غرناطة والشلوبيني من أهل اشبيلية .

وقد ذكره القفطي بالضبط الاول لكنه جرده من ياء النسبة حين عرف به فقال بعد ذكر اسمه[4] : أبو علي الشلوبين الاندلسي ، نزيل اشبيلية والمنصور بها ، نحوي فاضل من قرية من قرى اشبيلية اسمها شلوبينية بفتح المعجمة واللام وسكون الواو وكسر الباء الموحدة بعدها ياء ساكنة ونون مكسورة وتحتانية مفتوحة وتاء تأنيث له في بلاده ذكر كثير .

وعندما ترجم القفطي للجزولي وتحدث عن مقدمته ذكر شرح الشلوبين لها بياء النسبة فقال[5] : وشرحها ابو علي الشلوبيني نزيل اشبيلية ونحوها ولم يكمل " .

وكذلك ذكره المقري احيانا بياء النسبة[6] واحيانا بدونها[7] . ومهما يكن من أمر فليس هناك شك في ان الشلوبين اثنان المشهور ابو علي عمر بن محمد الاشبيلي والاخر ابو عبد الله محمد بن علي ابن محمد المالقي ويعرف بالشلوبين الصغير[8] . وسيأتي تعريف به بين تلاميذ ابن عصفور ان شاء الله .

---

(١) بغية الوعاة : ٣٦٤ — (٢) وفيات الاعيان ٣ : ١٢٣

(٣) تاريخ الفكر الاندلسي ١٨٦ — (٤) انباه الرواة جـ ٢ : ٣٣٢

(٥) انباه الرواة جـ ٢ : ٣٧٨ — (٦) نفح الطيب جـ ١ : ٢٠٦

(٧) نفح الطيب جـ ٢ : ٤٠٦ ، جـ ٥ : ١٥٥ — (٨) بغية الوعاة : ٤٢٦

والشلوبين هي بلغة الاندلس الابيض الاشقـــر [١] .

صفاتـه ومكانتـــه :

قال القفطي : له في بلاده ذكر كثير ، وهو متصدر هناك . ثم قال عنه بعد ذلك : " والذي وقع لي انه غير عاشق في هذه الصناعة وانما يريدهـــا للارتزاق " . واستدل القفطي على هذا الاتهام الجائر ببيع ابي علي كتــاب العالم في اللغة ، وقد دفعت هذا الاتهام عن ابي علي عند الحديث عــن خصائص علماء الاندلـس [٢] .

وقال ابن خلكان في ترجمتـه [٣] : "كان اماما في علم النحو ، مستحضرا له غايـة الاستحضار ، وقد رأيت جماعة من اصحابه ، وكلهم فضلاء ، وكل واحـد منهم يقول : ما يتقاصر الشيخ ابوعلي الشلوبيني عن الشيخ ابي علي الفارســي ويغالـون فيه مغالاة زائـدة " .

وقال ابن العماد عنـه [٤] : احد من انتهت اليه معرفة العربية فــي زمانه .. وكان اسند من بقي بالمغرب ، وكان في العربية بحرا لا يجارى وحبـرا لا يبارى ، قياما عليها واستبحارا فيها . تصدر لاقراء النحو نحوا مـــن ستيـن عامـــا " .

وقـال ابن الزبيـر في ترجمتـه [٥] : كان الاستاذ ابوعلي — رحمه الله — اماما في علم العربية غير مدافع ، وهو آخر ائمة هذا الشأن بالمشرق والمغـرب ذا معرفـة بنقـد الشعر وغيره ، بارعا في التعليم ناصحا ابقى الله به ما بأيـدي اهل المغرب من العربية .. وأقـرأ نحوا من ستين سنة وعلا صيته واشتهر ذكـره وقد نقـل السيوطـي ذلك عن ابـن الزبيـر في ترجمـة ابي علي الشلوبين [٦] .

وقال عنه ابن الابـار [٧] : "ابوعلي الشلوبين رئيس النحاة بالاندلس ..

---

(١) بغية الوعاة : ٣٦٤
وشذرات الذهب جـ٥ : ٢٣٢

(٢) ورقة رقم : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٣

(٣) وفيات الاعيان جـ٣ : ١٢٣
ومثله في روضات الجنات : ٤٧٩

(٤) شذرات الذهب ٥ : ٢٣٢

(٥) [illegible]

وكان في وقته عليما بالعربية وصناعتها لا يجارى ولا يبارى تياما عليها واستبحارا فيها ، وقعد لاقرائها بعد الثمانين وخمسمائة واقام على ذلك نحوا من ستين سنة .

ومن اليسير بعد عرض نماذج من كلام المؤرخين عن ابى على الشلوبين ان نستنبط ابرز صفات الشيخ ، فقد انعقد اجماعهم على انه تصدر في بلاده وان ستين سنة من الزمان تشهد له بذلك التصدر وقد كان اماما في علم النحو ، كما كان احد من انتهت اليه معرفة العربية في زمانه ، وقد جعله ابن الزبير آخر ائمة هذا الشأن بالمشرق والمغرب واسند اليه البراعة والنصح في في التعليم وجعله السبب في ان ابقى الله ما بأيدى اهل المغرب من العربية وجاء ابن الابار بعد فجعله رئيس النحاة في الاندلس . وهذه السمات كلها قد استحقها الشلوبين دون ان يكون لكلام القفطى عنه ادنى اثر فيها . ويكفيه ان يزنه اصحابه بالشيخ ابى على الفارسى وان يغالوا فيه مغالاة زائدة كما تقدم آنفا .

وقد نعت الشلوبين بالغفلة في غير العلم قال ابن الزبير[1] : على غفلة كانت فيه رحمه الله " وقال السيوطى[2] : وكان فيه غفلة . قعد يوما الى جانب نهر وبيده كراسة يطالع فيها فوقع كراس في الماء فغرفه بآخر " . وقال ابن العماد[3] : " وله حكايات في التغفل قاله في العبر " . وقال ابن خلكان : " كان فيه مع هذه الفضيلة غفلة وصورة بله في الصورة الظاهرة " . ومن عجب ان نقرأ ما يأتى فيما كتبه المقرى[4] :

وقف ابو امية بن حمدون بباب الاستاذ الشلوبين ، فكتب في ورقة : "ابو امية بالباب" ودفع الورقة لخادم الاستاذ فلما نظر اليها الاستاذ نون أمية ، ولم يزد على ذلك وأمر الخادم بدفع الورقة اليه . فلما نظر فيها ابو امية انصرف علما منه ان الاستاذ صرفه . فانظر الى فطنة الشيخ والتلميذ مع ان الشيخ منسوب الى التغفل في غير العلم " .

---

(١) ... (٢) ...

لعل هذا يمحو وصم الشيخ بالغفلة ، ويكفى مثل هذا الرد البارع الذى انكر به معرفة الزائر فانصرف عنه ، حتى نؤمن بفطنة الشيخ وذكائه وحسن تصرفه .

ولا يقل خطرا من وصفه بالغفلة هذا الذى يفرره المؤرخون عن لغة الشلوبين فى القاء دروسه ، وبعده عن الابانة بلسان عربى نصيح . قال القفطى[1] " وسألت عنه من رآه من اهل النحو ، فقال لى : لم تكن عبارته بليغة ، وأن تلمه فى التصنيف لاجود من عبارته " . وقال المقرى [2] : ان كلام اهل الاندلس الشائع فى الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه اوضاع العربية حتى لو أن شخصا من العرب سمع كلام الشلوبينى ابى على المشار اليه بعلم النحو فى عصرنا الذى غربت تصانيفه وشرقت وهو يقرئ درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريف الذى فى لسانه والخاص منهم اذا تكلم بالاعراب واخذ يجرى على قواعد النحو استثقلوه واستبردوه" وربما كان خوف الاستثقال هو الذى دفع الشلوبينى الى ان يتكلم فى دروسه بلغة لا يجرى فيها على قواعد النحو لانه رجل قد توافرت لديه الاسباب وبرع فى هذا الفن ، ولا يعقل ان يكون هذا منه الا مراعاة لمقتضى الحال .

وقد امتدح ابو على الشلوبينى ابن الرماك وعرف له الفضل على ابناء الاندلس نقلا بل[3] : " ابن الرماك عليه تعلم طلبة الاندلس الجلة " اخذ عنه ابن خير .. وابن ملكون والخدب وابو العباس ابن مضاء وغيرهم " . وفى هذا دليل على ان الشلوبين من ذوى الفضل والتكريم للعلماء .

<u>شهرته</u>

استمد ابو على الشلوبين شهرته فيما يبدو بعد دراسة حياته من أمرين ، الاول عبقريته وتصدره وامامته لهذا العلم اكثر من نصف قرن من الزمان ، الامر الثانى مؤلفاته التى قال عنها احد المؤرخين الاسبان آنخل بالنثيا[4] :

" ووضع شرحا للجزولية التى الفها ابو موسى بن عيسى الجزولى وكتابا آخر يسمى

---

(١) انباه الرواة جـ ٢ : ٣٣٢
(٢) التكملة : ٦٥٢
(٣) نفح الطيب جـ ١ : ٢٠٦
(٤) تاريخ الفكر الاندلسى : ١٨٦

التوطئة ، وقد ادرك بكتابيه هذين شهرة واسعة ومكانة ممتازة ، بين المعنيين بالشروح النحوية " . وقال السيوطى عن مؤلفاته : صنّف تعليقا على كتاب سيبويه ، وشرحين على الجزولية ، وله كتاب فى النحو سماه التوطئة.[1] ومثل ذلك فى روضات الجنات[2] . أما ابن العماد فقد قال فى ترجمته[3]: " صنف التصانيف ، ولم يسم شيئا من مؤلفات ابى على " . وقال ابن الابار[4]: " وله تواليف مفيدة وتنابيه بديعة .." وقال ابن الزبير[5] : شرح الكراسة المنسوبة للجزولى وألف كتاب التوطئة للكراسة المذكورة ايضا .. وألف غير ذلك ، وعلق عنه على كتاب سيبويه كثيرا .

وعندما تحدث القفطى عن مؤلفات ابى على ذكرها بأسلوب المنتقص لها وكانه يعلن عن تحامله على الشيخ وعدم اعترافه بتصدره وامامته ، وربما كان مصدر ذلك ما سمعه من اهل النحو الذين قالوا له[6] : " لم تكن عبارته بليغة ، وأن قلمه فى التصنيف لاجود من عبارته " قال القفطى[7] : " وقيل أنه صنف شرحا لكتاب سيبويه لم يظهر بعد ، وصنف شرحا للجزولية رأيت منه نصولا قد أوردها الجيانى النحوى فى شرحها منسوبة اليه لم يكن فيها كبير أمر " . ولم يذكر القفطى كتاب التوطئة الذى شاع خبره بين العلماء كما انه ذكر شرحا واحدا للجزولية على حين ان ابا على قد الف للجزولية شرحين

---

(١) بغية الوعاة : ٣٦٤

(٢) صفحة : ٤٧٩

(٣) شذرات الذهب ٥ : ٢٣٢

(٤) التكملة : ٦٥٨

(٥) ذيل الصلة : ٧٠

(٦) انباه الرواة جـ ٢ : ٣٢٢

(٧) المرجع السابق .

ثم ان القفطى يختم حديثه عن مؤلفات ابى على بأن الفصول التى رآها منسوبة اليه لم يكن فيها كبير أمر" ولم اجد لهذا التحامل من سبب غير ماذكرت مع ان القفطى "كان جم الفضل كثير التفضل عظيم القدر .. سمح الكف طلق الوجه (١) " وهذه الصفات كلها جعلتنى استبعد سوء الظن به وانزهه عن الحسد والغرض فيما قال عن ابى على ولكنى لا أستبعد الخطأ وكان عليه ان يقرأ شرح الشلوبين على الجزولية قبل ان يصدر الحكم عليه .

أساتذته وشيوخه :

ان التعريف باساتذة الشلوبين وشيوخه من النحاة يجلو صفحة من تاريخ الرجل ويكشف لنا حقيقة ما افاد من هؤلاء الشيخ ، وذلك امر تبلغ اهميته حدا كبيرا ومن هؤلاء الاساتذة :

(١) أحمد بن على بن محمد بن عبد الملك بن سليمان بن سيد الكتانى الاشبيلى ابو العباس المعروف باللص لكثرة سرقته اشعار الناس ... وكان مقرئا محدثا ، متحققا بعلوم اللسان نحوا ولغة وادبا ذاكرا للتواريخ حسن المجالسة شاعرا مُطلقا أقرأ اللغة والعربية والادب طويلا ... وروى عنه الشلوبين . وشعره مدون ... وكانت وفاته سنة سبع او ثمان وسبعين وخمسمائة ومولده فى صفر سنة اثنتين او ثلاثة وخمسمائة وله :

مولاى انى ما اتيت جريمة	الا وقلت تندمى يمحوها
لولا الرجاء ونية لىَ نطتها	بكريم عفوك لم أكن آتيها

وذكره ابن دحية فى المطرب فقال : شيخنا الفقيه الاستاذ اللغوى النحوى كان من اهل البلاغة والشعر والتقدم فى النظم والنثر حتى ختم كتاب سيبويه مرتين على أبى القاسم بن الرماك .. أجاز لى ولاخى (٢) .

---

(١) بغية الوعاة : ٣٥٨ .

(١) ابن بشكوال المتوفى سنة ٥٧٨ هـ سبق التعريف به فى ترجمة ابن مضاء القرطبى (١) .

(٣) سليمان بن احمد بن سليمان اللخمى الاشبيلى ابو الحسين . قال ابن عبد الملك : كان مقرئا متقدما متحققا بالعربية ، دينا فاضلا اقرأ ودرس العربية كثيرا ، وقال ابن الزبير : أخذ العربية على ابن الرماك ... وآخر من روى عنه الشلوبين ، كان حيا سنة ثمانين وخمسمائة (٢) .

(٤) ابن ملكون سبقت ترجمته فى شيوخ ابن خروف (٣) .

(٥) ابو بكر محمد بن خلف .. بن صاف اللخمى الاشبيلى المقرى النحوى . قال الصفدى كان عارفا بالقراءة والعربية متقدما فيهما . سمع منه ابو على الشلوبين (٤) وروى عنه ابو الحسن بن جابر بن الدباج وابو الخطاب ابن خليل مات سنة ٥٨٦ (٥) .

(٦) نجبة بن يحيى بن خلف بن نجبة الرعينى الاشبيلى الاستاذ ابو الحسن النحوى المقرئ . قال ابن الزبير : كان نحويا مقرئا متحققا بعيد الصيت عظيم الجاه ، تلا على شريح وابى العباس بن عيشون وروى عنهما وعن ابن العربى وابن طاهر ، وجمع واقرأ باشبيلية ومراكش وتونس . روى عنه الدباج وابنا حوط الله (٦) .. وقد ذكره ابن الأبار فى أساتذة الشلوبين (٧) .

(٧) جابر بن محمد بن نام بن سليمان الحضرمى الاشبيلى ابو الوليد قال ابن الزبير : استاذ نحوى مقرئ جليل أخذ القراءات والحديث عن أبى الحسن شريح بن محمد والنحو والادب على ابى القاسم بن الرماك . روى عنه

---

(١) الاعلام للزركلى جـ ١ : ٢٩٤ . الورقة رقم : ٢٧٩

(٢) بغية الوعاة ٢٦٠ .

(٣) بغية الوعاة ١٨٨ .

(٤) " " ٤٠ .

(٥) " " ٤٠ .

الشلوبين وابنا حوط الله ووصفاه بالعلم والجلالة ... مات سنة ٥٩٦هـ(١).

(٨) احمد بن محمد بن احمد بن ابي هارون التميمي الاشبيلي ابو القاسم . قال ابن عبد الملك : كان احد كبار المقرئين وجلة الادباء النحويين مع الفضل التام والدين المتين والورع والزهد ... وتأدب في العربية وما نسى معناها بأبي الحسن بن ملكون وابي بكر بن خشرم وروى عنه ابنه ابو عمرو وابو علي الشلوبين وابو القاسم بن الطيلسان وغيرهم وكان حيا سنة ٦٠٧ هـ(٢).

(٩) محمد بن طلحة بن محمد ... النحوي من أهل يابرة ، وانتقل به أبوه الى اشبيلية لسكناها ... كان استاذ حاضرة اشبيلية غير مدافع ... وانتفع به الشلوبين وكان من اجادة الالقاء وحسن الافادة وسهولة العبارة على غاية(٣).

(١٠) ابن زرقون . وهذا لم يترجم له السيوطي في بغية الوعاة . وقد ذكره ابن العماد فيمن سمع منهم الشلوبين(٤).
وقد نبغ من شيوخ الشلوبين جمع غير قليل ، فكان منهم المعلمون والمؤلفون وأساطين العلم ، وبعض هؤلاء الشيوخ لم يذكروا في ترجمة ابي علي وانما ذكرت نسبته اليهم في العلم أو الرواية في مواضع أخرى . قال ابن العماد في ترجمته(٤): لازم ابا بكر محمد بن خلف بن صاف حتى أحكم الفن ، وأخذ عن ابن ملكون وغيره .. روى عن السهيلي وابن بشكوال ، وأجاز له السلفي وغيره " وسيأتي ذكر استاذ له نبغ وألف وانتفع به خلق كثير هو الجزولي .

تلاميذه :

قال ابن الزبير(٦) : " وقل متأدب بالاندلس من اهل وقتنا لم يقرأ عليه ، أو نحوي لا يستند ولو بواسطة اليه " . وهذه العبارة رواها السيوطي عن ابن

---

(١) بغية الوعاة ٢١١ .
(٢) بغية الوعاة ١٥٦ .
(٣) التكملة ٢١٩ ، وقد سبق ذكره مرتين : مرة فيمن درسوا كتاب سيبويه ورقة رقم ١٢٢ ، ومرة في ترجمة ابن الطراوة لانه كان يميل الى مذهبه .
(٤) شذرات الذهب ج ٥ ٢٣٢ .

الزبير في بغية الوعاة هكـــذا[1] : "وبرع من طلبته جلة وقلما تأدب بالانـدلـس احد من اهـل وقتنا الا وقرأ عليه ، واستند ولو بواسطة اليه " . وكلتـــا المبارتين تحمل لابي على الشلوبين حمدا يخلد الذكر ويوجب الثناء . وقـــال ابـن الابـــار[2] : "اخذ عنه عالم لا يحصون" .

ولعل ستين سنة قضاها الشيخ في حلقات الدرس اماما تحول دون دقة الاحصاء ، وتعوق قدرة من يحاول استقصاء تلاميذ الشيخ رحمه الله ، وحسبنا أن نتعرف الى عدد من هؤلاء في ايجاز ، على ان يبسط القول فيمن وصلت الينـا بعض مؤلفاتهم ، لمن تلاميذ الشيخ .

(١) البطليـوسي الصفار شارح الكتاب المتوفى بعد سنة ٦٣٠ ، وقـــد ذكرتـه ، قبل شيخه لانه توفي قبلـــــــه[3] .

(٢) يحيى بن ذي النون بن يحيى الاشبيلي النحوي أبو زكريا . قـــال ابن الزبيـر : أخذ عن ابي الحسن الدباج والشلوبين وغيرهما ، وقرأ القـــرآن والعربية والفقـه ببلده مدة ، ثم انتقل الى العدوة عند استيلاء النصارى علـــى قرطبـة سنة ٦٣٣ ، فسكن مراكش واقرأ بها يسيرا ثم مات ، وسنه نحـــوا من ستين سنة ، وكان من جلة الاسانيد النبهاء ومن أهل الفضل والديـــن[4] .

(٣) محمد بن علي بن محمد بن سالم الانصاري الجياني ابو بكر يعرف بابن سالم وبابن الخياط . قال ابن الزبيـر : قرأ ببلده ورحل الى اشبيليـــــة ولازم بها الشلوبين مدة ، واستقر بغرناطة يقرأ النحو الى أن مات في حـدود الاربعين وستمائة ، وكان من أهل الدين والفضل من بيت عفة وطهارة ، وانتفـع بـه من قـرأ عليـــــه[5] .

---

(١) بغية الوعاة ٣٦٤ .
(٢) التكملـة ٦٥٨ .
(٣) ترجمته في الورقـة ٣٤٤ وما بعدها .
(٤) بغية الوعاة ٤١١ .
(٥) بغية الوعاة ٨٠ .

(٤) علي بن لجترون اللورقي . قال ابن مكتوم : قرأ على الشلوبين واقرأ العربية والادب الى ان مات في حدود اربعين وستمائة[١] .

(٥) عبد الحق بن يوسف بن تونارت الصنهاجي العدوي الاصل الجياني ابو محمد قال ابن الزبير : أخذ القراءة بجيان عن ابي عبد الله بن يربوع وباشبيلية لما رحل اليها عن ابي الحسن بن زرقون وقرأ العربية على الشلوبين وابن الدباج ورجع الى بلده فاقرأ بها القرآن والعربية ، وكان يوصف بنباعة وتصرف الا انه كان اشد الناس تخليطا في اسانيد القراءات وغيرها واقلهم معرفة بها مع الاقدام في ذلك على مالا يحسن . مات بجيان في عشر الاربعين وستمائة[٢] .

(٦) طلحة بن محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الملك الاموي اليابري الاشبيلي ابو محمد بن ابي بكر النحوي . كان نحويا ماهرا مقرئا متقنا عروضيا حاذقا ذا حظ وافر من الادب عارفا بطريق الرواية وتواريخ الرجال واحوالهم اعتنى بباب الرواية ، فأخذ عن جمع جم منهم ابو والدباج والشلوبين وابو القاسم بن الطيلسان ، واجاز له من المشرق ابو البقاء العكبري وخلق ، وانتصب للاقراء وتدريس العربية ، ومعظم شيوخه احياء ، وحمل عنه العلم واستجيز وهو ابن عشرين سنة ... ومات باشبيلية سنة ثنتين او ثلاث او اربع او خمس واربعين وستمائة ، وبالثاني جزم ابن عبد الملك ، والترجمة ملخصة من كلامه وكلام ابن الزبير[٣] .

(٧) يحيى بن محمد ... التميمي الوادي آشي ابو بكر ... أخذ عن ابي علي الرندي وابن خروف والشلوبين ، مات سنة ٦٤٨[٤] . وقد ذكر من قبل في تلاميذ ابن خروف .

(٨) ابن الحاج — هو احمد بن محمد الازدي ابو العباس الاشبيلي يعرف بابن الحاج قرأ على الشلوبين وامثاله وله على كتاب سيبويه املاء ومصنف

---

(١) بغية الوعاة ٣٤٦ .
(٢) بغية الوعاة ١٩٥ .
(٣) [illegible]

في الامالة ، وفي علم القوافي ، ومختصر خصائص ابن جني ، ومصنف في حكم السماع ، ومختصر المستصفى ، وله حواش في مشكلاته ، وعلى سر الصناعة وعلى الايضاح ونقود على الصحاح ، وايرادات على المقرب . وكان يقول : اذا مت يفعل ابن عصفور في كتاب سيبويه ما شاء . مات سنة سبع واربعين وستمائة . ذكره الشيخ مجد الدين في البلغة ، وقال ابن عبد الملك : كان متحققا بالعربية حافظا للغات متقدما في العروض ، روى عن الدباج ، ومات سنة احدى وخمسين وقال في البدر السافر : برع في لسان العرب حتى لم يبق فيه من يفوقه أو يدانيه (١) .

(٩) حميد النحوي : هو احمد بن عبد الله بن حسن بن احمد بن يحيى بن عبد الله الانصاري المالقي ابو بكر المعروف بحميد مصغرا اسمه . قال ابن عبد الملك : كان نحويا ماهرا مقرئا مجودا فقيها حافظا محدثا ضابطا اديبا شاعرا كاتبا بارعا محسنا ، متين الدين ورعا ... روى عن الشلوبين وابن عطيه وابن حوط الله واجاز له من المشرق ابن الصلاح وجمع . وروى عنه ابن الزبير وابن صابر واقرأ ببلده القرآن والفقه والعربية . واسمع الحديث ورحل للحج سنة تسع واربعين وستمائة . وقد ذكرت قصة مرضه بمصر من قبل دليلا على عزة نفسه وعلو همته (٢) . مات سنة اثنتين وخمسين وستمائة . ومن شعره :

مطالب الناس في دنياك اجناس ... فاقصد فلا مطلب يبقى ولا ناس

وارض القناعة مالا واتق حسبا ... فما على ذي تقى من دهره باس

وان علتك رؤوس وازدرتك نفس ... بطن الثرى يتساوى الرجل والراس (٣)

(١٠) محمد بن عبد الله .. المرسي ابو عبد الله العلامة شرف الدين النحوي الاديب الزاهد المحدث المفسر الفقيه الاصولي .. تكلم على المفصل للزمخشري ، واخذ عليه عدة مواضع (٤) .. رحل .. قرأ القرآن على ابن غلبون وغيره

---

(١) بغية الوعاة ١٥٦ . (٢) ورقة رقم ٣٠

(٣) بغية الوعاة ١٣٥ . (٤) يقول ياقوت :

والنحو على ابى الحسن بن يوسف بن شريك الدانى والطيب بن محمد بن الطيب النحوى والشلوبينى والتاج الكندى .. ومات متوجها الى دمشق بين العريش والزعقا يوم الاثنين خامس عشر ربيع الاول سنة ٦٥٥ وقد ختم السيوطى ترجمته الطويلة ببيتين من شعره :

قالوا : محمدُ قد كبرتَ وقد أتى داعى المنون وما اهتممت بـزاد

قلت : الكريم من القبيح لضيفه عند القدوم مجيئه بالـزاد(١)

(١١) الخفاف : هو ابو بكر بن يحيى بن عبد الله الجذامى المالقى النحوى المعروف بالخفاف قرأ النحو على الشلوبين ، وكان نحويا بارعا ورجلا صالحا مباركا ، صنف شرح سيبويه . شرح ايضاح الفارسى . شرح لمع ابن جنى وينسب اليه الكتاب المجهول فى الفقه على مذهب مالك ، فانه وجد فى كتبه بخطه غير منسوب فيرون انه من تصنيفه ، ويقال انه صنف شرح الايضاح واللمع لصدر الدين وتقى الدين ، ابنى القاضى تاج الدين ابن بنت الاعز لانه كان منقطعا اليهم وعليه قرأوا النحو ، وكتب بخطه كثيرا من كتب النحو مات بالقاهرة فى يوم السبت الثانى من رمضان سنة ٦٥٧ . نقلت هذه الترجمة من خط التاج بن مكتوم(٢) .

(١٢) ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن خلف بن محمد بن سليمان بن سوار ابن احمد بن حزب الله بن عامر بن سعد الخير بن عياش ، وهو ابو عيشون بن محمود الداخل الى الاندلس ابن عيينة بن حارثة بن العباس بن مرداس السلمى بن الحاج السلمى ابو اسحاق . قال ابن الزبير : كان اديبا نحويا قارئا متقنا ذاكرا للتاريخ له حظ وافر فى الفقه ، فاضلا ورعا زاهدا من جلة الناس وفضلائهم لازم الدباج والشلوبين فى العربية والادب

---

(١) بغية الوعاة : ٦٠ .

(٢) بغية الوعاة ٢٠٧ .

سنين ، واخذ القراءة عن الدباج ، واقرأ بسبتة القرآن والعربية ، وروى عن ابى القاسم بن الطيلسان وابى جعفر الفحام وخلق ، ورحل وحج ، وأخذ عن النجيب الحرانى وخلائق ، ومات بمصر فى المحرم سنة ٦٦١ عن نحو خمسين سنة (١) .

(١٣) احمد بن على بن احمد بن عبد الله بن ثابت الانصارى الاشبيلى ابو العباس العاردى . قال ابن عبد الملك : كان متحققا بالفقه والعربية درسهما بغرناطة مشاركا فى غيرهما أخذ النحو عن الدباج والشلوبين ، وتلا على ابى الحسين محمد بن عياش بن عطية ، وروى عن ابى الحسن الشاذلى وغيره وكان يتصرف بالتجارة ، وكان اشتغاله بالعلم كثيرا .. وكان حيا سنة ٦٦٦ (٢) .

(١٤) ابن عصفور ، وسأفرده بترجمة بعد الشلوبين والجزولى .

(١٥) ابن مالك : جمال الدين المشهور .. قال ابو حيان : بحثت عن شيوخه فلم اجد له شيخا مشهورا يعتمد عليه ويرجع فى حل المشكلات اليه الا ان بعض تلامذته ذكر انه قال : قرأت على ثابت بن حيان بجيان وجلست فى حلقة ابى على الشلوبين نحوا من ثلاثة عشر يوما ، ولم يكن ثابت بن حيان من الائمة النحويين ، وانما كان من أئمة المقرئين .. توفى ابن مالك ثانى عشر شعبان سنة ٦٧٢ . وهذه الايام كانت نصيب ابن مالك من نحو الاندلس (٣) .

(١٦) الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن محمد الامام ابو على بن ابى الاحوص القرشى الفهرى الغرناطى الموطن البلنسى الاصل الجيانى المولد .. لازم فى العربية والادب الشلوبين ، واعتنى بالرواية .. واقرأ القرآن والعربية والادب بغرناطة مدة ، ثم انتقل الى مالقة لغرض عن له بغرناطة .. ومات بغرناطة فى الرابع عشر من جمادى الاولى سنة تسع وسبعين

---

(١) بغية الوعاة ١٨٥

(٢) بغية الوعاة ١٤٧

وستمائة .. وله شرح المستصفى وشرح الجمل[1] .

(١٧) سعيد بن حكم بن عمر بن احمد بن حكم بن عبد العزيز بن حكم القرشي الطبيري ابو عثمان قال ابن عبد الملك ،كان نحويا اديبا حسن التصريف في النظم والنثر مشاركا في الفقه والحديث والرجال ذا حظ صالح من الطب اخذ عن الدباج والشلوبين وابن عصفور وروى عنهم .. استولى على منرقة بضم النون وسكون الراء فضبطها احسن ضبط ، وسار فيها احسن سيرة ، فناسه النصارى واستقام امر المسلمين ، وهو مع ذلك لا يفتر عن النظر في العلم وانادته .. مات يوم السبت لثلاث بقين من رمضان سنة ٦٨٠[2] .

(١٨) ابن الضائع ، وهو على بن محمد بن على بن يوسف الكتامي الاشبيلي ابو الحسن المعروف بابن الضائع بالضاد المعجمة والعين المهملة . قال ابن الزبير بلغ الغاية في فن النحو ، ولازم الشلوبين ، وفاق اصحابه باسرهم وله في مشكلات الكتاب عجائب ، وقرأ ببلده ايضا الاصلين ، وكان متقدما في هذه العلوم الثلاثة ، واما العربية والكلام ، فلم يكن في وقته من يقاربه فيهما ، وأما فهمه وتصرفه في كتاب سيبويه فما اراه سبقه الى ذلك أحد . أملى على ايضاح الفارسي . ورد اعتراضات ابن الطراوة على الفارسي واعتراضاته على سيبويه . واعتراضات البطليوسي على الزجاجي . وكان بالجملة اماما في هذا كله لا يجارى ورد على ابن عصفور معظم اختياراته وكان اذا اخذ في فن اتى بالعجائب . وقال في النغار له شرح الجمل . شرح كتاب سيبويه جمع فيه بين شرحي السيرافي وابن خروف باختصار حسن . مات في ٢٥ من ربيع الاخر سنة ٦٨٠ وقد قارب السبعين[3] .

<u>شرح الجمل لابن الضائع :</u>

من هذا الشرح نسختان محفوظتان بدار الكتب المصرية بالقاهرة : النسخة

---

(١) بغية الوعاة ٢٣٤
(٢) بغية الوعاة ٢٥٥

الاولى التي اعتمدت عليها واستوعبتها قراءة ودراسة تحمل رقم (٢٠ نحو) من مخطوطات الدار ، وفيها نقص في بعض المواضع ، وبعض صفحاتها قد اصابتها يد البلى فأكلت الكثير مما فيها ، وهي ناقصة من اولها . بدأت الورقة الاولى فيها بتكملة الكلام على "البدل" وهذا هو الباب السادس من ابواب جمل الزجاجي . والاوراق في هذه النسخة غير مرتبة ترتيبا دقيقا ، فالورقة الاخيرة من المجلد الثاني مثلا وضعت في اوله ، وكذا الورقة الاولى منه وضعت في آخره ، والجزء المرقم من (١٤٥ـ١٥٦) ليس في موضعه لانه يحوي بعض الابواب الموجودة في اوائل كتاب الجمل وهي : باب الافعال وباب التوابع وبعد نقل هذا الجزء الى موضعه من أول الكتاب يكون الناقص منه : باب اقسام الكلام . الاعراب . علامات الاعراب . باب النعت . باب التوكيد بقية باب البدل ويقع المجلد الاول في اوراق عدتها (٢٨٠ ورقة) والمجلد الثاني (١٥٧ ورقة)

والنسخة الثانية من هذا الشرح تحمل رقم (١٩ نحو) من مخطوطات الدار ايضا ، وهي ناقصة من اولها نقصا كبيرا ، اذ انها تبدأ بباب النداء وهو في كتاب الجمل بعد اكثر من ثلاثين بابا . وفيها بعده : النكرة والمعرفة النواصب . باب وحده . باب من مسائل حتى . من مسائل الفاء . من مسائل اذا . من مسائل ان المخففة . افعال المقاربة . الامر والنهي . المفعول المجهول على المعنى . الجوازم . باب فعال . ماينصرف ومالا ينصرف . اسماء القبائل . فعال . الاستثناء . باب النفي بلا . التمييز والاغراء . التصغير .

وكلتا النسختين بخط مغربي سقيم ، الا أن النسخة الاولى كتابتها اكبر حجما من كتابة النسخة الثانية ، وفي آخر المجلد الاول من النسخة الثانية وجدت هذه العبارة[1] : "توفي الاستاذ ابو جعفر بن الطباع . رحمه الله وقدس روحه ، ونفعه بالعلم والتعليم ضحى يوم الاحد الخامس

---

(١) الورقة رقم ١٥٧ .

والعشرين لشهر ذى قعدة عام ثمانين وستمائة وقد بلغ عمره نحو خمس وسبعين سنة ، وكانت وفاته بغرناطة ، ودفن عشى اليوم المذكور بمقبرة باب البيرة — رحمة الله عليه ، ومات قبله فى تلك السنة بغرناطة الاستاذان المقرئان ابو الحسن ابن الضائع ، وابو الحسن الابدى ، وكانا من اهل اشبيلية ، رحمة الله عليهما " وعدة اوراق النسخة الثانية (٩٩ ورقة) وبعد دراسة هذا الشرح انتهيت الى الكتابة عن :

(١) ابن الضائع تلميذ الشلوبين : ذكرت كتب التراجم ان ابن الضائع كان تلميذ الشلوبين ، وقد اثبت ابن الضائع ذلك فى كتابه هذا الذى وصل الينا فى شرح جمل الزجاجى . قال فى باب التصغير عند الحديث على تصغير نحو مسرول ومسموم[1] : " وزعم الاستاذ ابو على وقت قراءتى عليه هذه المسألة فى الايضاح ان النحويين مختلفون فى هذه المسألة فمنهم من لا يبقى حرف المد اذا تحرك بل يجريه مجرى الصحيح الزائد فيحذفه فيقول فى تصغير " مسرول " مسيرل ، لانه باتفاق متحرك يخرج عن امثلة التصغير . قال : وحذاق النحويين كأبى على الفارسى وغيره ، وهو مذهب سيبويه يمكنه فيتوصل الى اثباته بذلك فيقول : مسيرل ، والاولى ترك الحذف او تقليله ما امكن . قال : قالوا جسب فى تصغير : مهوم مهيم ولا تحذف " من هوم الرجل اذا نام فهو مهوم " وقال وقت قراءتى عليه هذه المسألة من كتاب سيبويه : يجب " مهيم " فى تصغير " مهوم " لان هذه الواو رابعة زائدة " .

وابن الضائع هنا يحدثنا انه قرأ على ابى على كتاب الايضاح وكتاب سيبويه . وقال فى باب الحكاية[2] : " وسألت الاستاذ — رحمه الله عن قول النحويين : قام فعل ماض : هل حكايتهم على لغة : دعنا من تمرتان ، حملهم على ذلك ضرورة التعليم ، فلو اعربوا لاشكل على المتعلم المبتدى ؟ فقال :

---

(١) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الاول ورقة ١٢٣ .

(٢) " " " " " " " ٣٦ .

قد ردّ عليهم ابن الطراوة فى ذلك ، وزعم أنه لحن . قال : وليس كذلك ، لأن الاسم هو المسمى بعينه ، فالحكاية فيه جائزة ، وإن لم تجز إذا نقل فى التسمية عن موضعه بالكلية . قلت : هذا قياس لا بأس به ، وإن كان فى لفظ سيبويه ما يقتضى خلافه ، لكن تأوله الأستاذ " .

وفى هذه المسألة يقبل ابن الضائع من أستاذه تأويل قول سيبويه ثم يقول فى باب مخارج الحروف (١) ... ومعنى المشربة أنها أشربت صوت الصدر ، ولهذا عبر عنها بالجهر عند الخفاء الذى هو الهمس . وفسر الأستاذ أبو على رحمه الله المشربة وقت قراءتى عليه هذا الموضع من كتاب سيبويه بأنها المشربة بغيرها أى المخلوطة بغيرها من قوله تعالى : وأشربوا فى قلوبهم العجل (٢) " أى خلط بها حبه .

وابن الضائع حين يخبرنا أنه قرأ على الشيخ كتاب الايضاح والكتاب لسيبويه لا يمنعنا من أن نقول : انه قد قرأ على الشيخ غير هذين الكتابين من كتب النحو وغيره ، لأنه قد نقل عنه فى مواضع كثيرة من هذا الشرح (٢) . قال ابن الضائع : "مذ تستعمل اسما أكثر من منذ للحذف الذى دخلها ، لأن الحذف كثير فى الأسماء والأفعال وقليل فى الحروف . حكى أبو على عن ابن ملكون أن مذ ليست محذوفة من منذ ، وكان يرد على النحويين بأن الحذف والتصريف لا يكون فى الحروف ولا فى الأسماء غير المتمكنة . وقد رد عليه الأستاذ بتخفيف انّ وأنّ وكأنّ وحذف لام لعل .

وفى نحو : ليس اياى وليس قال ابن الضائع : قال سيبويه : كأنه قليلة فى كلامهم ، قال : وبلغنى عن بعض العرب الموثوق بهم أنهم يقولون : ليس وكأننى . فهذا نص مؤكد على أن الأفصح فى كلامهم : كان اياه .. والله أعلم (٣) .

وفى تعريف الاعراب قال (٤) : الاعراب صوت فى آخر الكلمة يوجبه العامل فأين الله صوت الضمة فى آخره الذى أوجبه الابتداء هو الاعراب . وقد رد الأستاذ

---

(١) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الثانى ورقة رقم ١٢٦ .
(٢) المرجع السابق المجلد الأول ورقة : ٤٦ — سورة البقرة : ٩٣ .
(٣) نفس المرجع : ٩٦ .
(٤) " " : ١٢٤ .

أبوعلى هذا الرسم على ابن طلجة بأنه قد لايكون صوتا ، ألا ترى أن الجزم فى الأفعال المعتلة وفى الأمثلة الخمسة حذف الصوت وكذلك السكون حذف صوت الحركة ، وأيضا فالاعراب المقدر ليس بصوت . فأصلحه الأستاذ فقال : حكم فى آخر الكلمة يوجبه العامل . قال : فالحكم يعمّ هذه كلها .. ثم أطال ابن الضائع فى ذكر الآراء والخلافات والأدلة فى تعريف الاعراب والفرق بينه وبين البناء وختم كلامه بقوله : " وهذا كله هذيان ، والكلام فيه خروج عن التعليم ".

وفى باب ما ينتصب على اضمار الفعل المتروك اظهاره يظهر لنا تردد الشلوبين فى آخر أمره اذ يقول(١) : واعلم أن فى هذا الفصل من كلام سيبويه اشكالا ، وذلك أنه جاء به فى باب ما يضمر فى غير الأمر والنهى فقال : يريد : اضرب زيدا . وهذا من اضمار الأمر ، فهو مناقض للترجمة . ولذلك زعم الخدب أن ما ثبت فى النسخ من " اضرب زيدا " على بناء الأمر تصحيف ، وانما يريد سيبويه، أضرب ، على الاستفهام ، كما قال : أو تضرب الا ترى أن الثانى على الاستفهام أيضا . ورد عليه تلميذه ابن خروف بأنه لم يثبت هذا فى نسخة من النسخ ، قال : وانما قدره سيبويه بالأمر لأجل قوله : يريد أن يوقع فعلا . قال : وهذا يتقدر بالأمر . قلت : .. واعلم أن هذا الذى زعم ابن طاهر خطأ ، لايجوز أن تقول : زيدا ، وأنت تريد الاستفهام لعدم ما يدل عليه ، ولعدم جواز حذف الاستفهام أصلا ... وكان الأستاذ بأخرة تارة يذهب مذهب ابن طاهر ، وأخرى يرد عليه بما رد به عليه تلميذه ، ويقول : ان المسألة من الباب على أحد التقديرين . ومما أذكر أنه تنبه لامتناع أن يقال : زيدا ، فى الاستفهام .

وفى باب لو ولولا قال ابن الضائع(٢) : وقد كان الأستاذ أبوعلى يقول : ان لو ليست موضوعة للدلالة على الامتناع ، بل مدلولها مانص عليه سيبويه من أنها تقتضى

---

(١) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الأول ورقة : ١٩٩ .

(٢) المصدر السابق ورقة : ٢٥٨ .

لزم جوابهما لشرطهما فقط غير أن الأستاذ كان يرد على من زعم أنهما تدل على الامتناع، ويقول : لو كان من مدلولها الامتناع ما أغفله سيبويه في بيان معناهما .

وأما أنا فأقول : ان قولهم في الامتناع ليس خطأ بالكلية ، بل له وجه يصح عليه ، وذلك أن لو في أصل وضعها تقتضى كما زعم سيبويه أن جوابها ما كان سيقع لوقوع غيره ، ولكنه لم يقع لأن سببه لم يقع أيضا ، فقول النحويين ليس مخالفا لقول سيبويه ، ولا كلام سيبويه مخالفا لهم ، واجماع النحويين أو أكثرهم على أخذ الامتناع منها دليل أو كالدليل على صحته ... وقد أطال ابن الضائع في ذكر الأوجه والأدلة ما لا يتسع له المقام .

وفي باب حروف الجر عند الحديث عن "ربّ" قال[1]، فان قيل قد تخفض رب المعرفة بدليل قولهم : ربه رجلا .. ربما الجاهل .. فالجواب أن الضمير في : ربه رجلا نكرة وذلك أن ضمير النكرة في المعنى نكرة ، فلم يبق فيه من التعريف الا العلم بما يفسره فاذا غير متقدم التفسير لم يعلم على من يعود فلم يبق فيه من التعريف شئ بوجه ، وقد نص الأستاذ على ذلك في التوطئة وهو صحيح .. " والجاهل عند السيرافي على تقدير حذف الألف واللام .. وتكون ما نكرة والجاهل خبر مبتدأ أي رب شئ هو الجاهل ... "

ولما ذكر تخفيف لكنّ قال[2] : قال الأستاذ أبو علي رحمه الله ، قال السهيلي : أفاد نى الرماك رواية عن يونس اعمال لكن مخففة . قال الأستاذ : وقد بحثت عن ذلك بحثا كثيرا فلم أر أحدا حكاه ، فما ذاك الا غلط من السهيلي .

وقد أخذ على أستاذه موضعا سها فيه ، وذلك قوله عند ذكر اللام الداخلة في خبر ان قال[3] : وقول الأستاذ : انها دخلت على الفضلة ومثل بالآية

---

(١) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الأول ورقة : ٢٧٤ .

(٢) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الثاني ورقة : ٩ .

(٣) المرجع السابق : ١٠ .

" وإن وجدناها أكثرهم لفاسقين [*] " سهو لأنها لم تجيء في القرآن أصلا الا داخلة على خبر المبتدأ لأن " وجد " و " ظن " و " كان " لاتدخل الا على المبتدأ والخبر .

ولقد أيد ابن الضائع رأى أبي علي في كون " ال " موصولة ، وذكر كثيرا من أدلة القائلين بهذا الرأى فقال [1] : " .. مذهب الأستاذ أبي علي في التوطئة أن الألف واللام للتعريف وأن عدتها في الأسماء الموصولة ليس بحقيقة ، وانما عدت معها لأنها بمعنى الذى . فان زعم أنه امتنع تقديم ما بعدها عليها ، لأنها في معنى الذى فيقال له : هذا معنى قول من قال : انها لاحرف موصول ، وهو مذهب أبي عثمان . واستدل الأستاذ على أنها ليست اسما موصولا بأنها لاموضع لها من الاعراب ، وتخطى العامل اياها وعمله فيما بعدها وليس شيء من الأسماء أو ما حكم له بحكمها كذلك .. " وقد ذكر ابن الضائع كثيرا من الأدلة التي ساقها القائلون بهذا الرأى " .

وفي باب جمع التكسير عندما تحدث عن أنواع التغيير التي تحدث فيه قال [2] : " واعلم أن هذا التغيير قسمه أبو عمر الجرمي الى ثلاثة أقسام : قسم تكون فيه زيادة على واحده ، وقسم يكون فيه نقص ، وقسم لايزاد فيه ولا ينقص ، ولكن تغير حركاته . الأول كعبد وعباد ، وفحل وفحول . والثاني كرغيف ورغف ، وحمار وحمر . والثالث كأسد وأسد وورد وورد . واعترض الأستاذ هذا التقسيم فقال : قوله في الثالث تغير حركاته يقتضى أن تغيير الحركات ليس في الأولين وليس كذلك ففي التقسيم تداخل فاصلاحه أن يقال في الثالث : وقسم لا زيادة فيه ولا نقص ، ثم يقول : وجميع هذه الأقسام لابد فيها من تغيير الحركات ، ثم انه نقصه قسم [...] وبعد هذه الورقة نقص في النسخة " .

(*) سورة الأعراف آية : ١٠٢ .

(1) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الثاني ورقة : ٢٢ .

(2) المرجع السابق ورقة : ٣٧ .

وقد حكى ابن الضائع سؤالا وجهه اليه الأستاذ أبو علي في باب النسب عندما تحدث عن " النسب الى " هنت هنوى " قال[1] : وسأل الأستاذ الشلوبين رحمه الله : ما وجه الدليل ؟ ولم لاتكون النون ساكنة ، ثم حركت اتباعا ؟ فأجبته بأنا لم نجد الاتباع في الساكن بل في المتحرك . فقال : هذا هذيان ، لأنه ليس الاتباع عندهم بمطرد فيقال : لم نجده الا في المتحرك قال : ومع هذا فامرؤ قد اتبع فلم يكن الاتباع الا في متحرك .

وتكفي هذه النماذج لما نقل ابن الضائع عن أستاذه أبي علي الشلوبين برهانا على أنه قد انتفع به وتحدث بذلك فيما ألف .

٢ — ابن الضائع وابن السيد : معروف أن لابن السيد كتابين على جمل الزجاجي موضوع الأول منهما اصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل ، وموضوع الثاني شرح شواهد الجمل . وقد قرأ ابن الضائع هذين الكتابين واتجه اليهما بالنقد ، وقد رأيت ابن الضائع يلتمس العذر لصاحب الجمل ويحمل كلامه على الغالب في اعتباره " تفاعل " من الصيغ اللازمة ، بينما كان ابن السيد يستدرك عليه ويخطئه في ذلك[2] قال ابن الضائع[3] : ومن هذا القسم تفاعل وهو أيضا يكون متعديا ، ولذلك رد على أبي القاسم مجيئه بتفاعل في غير المتعدى . ألا ترى قول امرىء القيس :

تجاوزت أحراسا وأهوال معشر ⁂ على حراص لويشرون مقتلي

فتجاوز قد تعدى الى أحراس ، فنصبه وهو تفاعل ، وكذلك قوله :

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت ⁂ هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

فتنازع تفاعل ، وقد نصب الحديث . لكن الأكثر في هذا البناء أنه غير متعد ، فلذا جاء به المؤلف على الأكثر .

---

(١) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الأول ورقة : ١٢٦ .

(٢) اصلاح الخلل لابن السيد ورقة : ٢٠ .

(٣) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الأول ورقة : ٢ .

وفي باب ما لا يقع الا في النداء خاصة قال بعد ضرب الأمثلة لها يرد اعتراض ابن السيد على الزجاجي قال[(١)] : .. ولذلك اعترض بهذه الأسماء على قوله في رسم الاسم في أول الكتاب : " فالاسم ما جاز أن يكون فاعلا أو مفعولا أو دخل عليه حرف من حروف الخفض ، فقيل له : قد ذكرت في باب النداء ألفاظا حكمت عليها بأنها أسماء ، وليس يجوز فيها ذلك . وهذا الاعتراض ساقط عنه ، فان المنادى مفعول في المعنى ، وليس يقتضى لفظه الا أن ما يجوز فيه أحد تلك الوجوه الثلاثة فهو اسم ، ثم انه قد ذكر في باب الاعراب أن النداء مما تنفرد به الأسماء ، فقد حصل غرضه في أن هذه أسماء وأنشد بيت امرئ القيس :

وقد رابني قولها ياهنـا ... ، ويحك ألحقت شرا بشر .

ومن ذلك قولهم : ياملأمان ويا مكرمان . هذا من المقيس ، وهو يستعمل أكثر ذلك في الذم ، بل زعم ابن السيد أنه لا يستعمل الا في الذم ، ورد ما ثبت في النسخ :" يا مكرمان " ، وزعم أنه تصحيف " يا مكرمان " .

ولما ذكر قول الشاعر :

أتهجر ليلى للفراق حبيبها ... وما كان نفسا بالفراق تطيب

شاهدا على جواز تقديم التمييز ، ذكر كلام ابن السيد في رد هذا الشاهد وحاول دفعه فقال[(٢)] : قال ابن السيد : ولا حجة في البيت لوجهين ، أحدهما أنه ضرورة بدليل أنه لم يسمع الا في هذا البيت قال : فكما أن جميع ما ورد من الضرائر لا يكون حجة على ما يستعمل في فصيح الكلام فكذلك هذا . قال : والوجه الثاني أن الزجاج قال : ان الرواية :" وما كان نفسي بالفراق تطيب " . قلت : هذا الوجه ضعيف جدا ، لأن رواية لا تخطئ رواية غيرها ، ولا تكذب راويها الا أن يريد التضعيف ، وأتى به أنه ضرورة أي لم يجئ الا في بيت مختلف في روايته .

وقد عاب على ابن السيد أن يرد رواية أبي القاسم في قول الشاعر :

بينا تعانقه[(٣)]

---

(١) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الأول ورقة : ٥٤ .
(٢) المرجع السابق : ٩٣ .
(٣) [illegible]

قال ابن الضائع(١): وليت شعرى ما الذى أوجب على ابن السيد أن يرد رواية أبى القاسم ويصحح رواية غيره ؟ وتعنق مع عنق كتعانق مع عانق . اللهم لو صح من كلام العرب تعدى تعنقت من غير البيت ، ثم انه مع ذلك من عادة العلماء مع الرواة الثقات ألا يحمل ماروا على الوهم أصلا الا عند الضرورة ، وفى كلام العرب من التوسع والمجاز مالا ينبغى أن ترد معه رواية ، بل يقال هنا المشهور فى يتعانق ألا يتعدى ، وعلى رواية أبى القاسم يظهر أن منهم من يعديه . ولم لاتكون رواية أبى القاسم مثبتة لهذه اللغة كرواية غيره من الأئمة فهل هذا الا تعسّف من ابن السيد على أبى القاسم . وقد تقدم له بذلك كثيرا ، حتى لقد أوقعه فى خطأ كثير كما تقدم فى باب مالا ينصرف . جاء أبو القاسم بهذا البيت :

" بينا تعانقه "

شاهدا على خفض الاسم الواقع بعد بينا على تقدير اضافتها اليه والعامل فى بينا أتيح ، ومن رفع الاسم فهو مبتدأ والخبر محذوف ، كما تقدم فى قوله :

فبينا العسر اذ دارت مياسير

وكذلك انتقد ابن الضائع ابن السيد فى مسألة من مسائل الاستثناء كتابتها فى النسخة غير ظاهرة ، فقال تعليقا عليها(٢) : ولم ينبه ابن السيد للرد عليه هاهنا على ولوعه بالرد عليه .

وفى بيان المواضع التى يؤكد المضارع فيها بالنون أخذ على ابن السيد تركه اصلاح خطأ من أخطاء الزجاجى بعد أن ذكر عبارة الزجاجى(٣) قال : قال أبو القاسم : وفى ان التى للجزاء خاصة ، اذا وصلت بما دون سائر مايجازى به . قلت : أين ابن السيد من اصلاح هذا الموضع ؟ وهل سكوته عن مثل هذا الا موافقة له فى الخطأ ؟ قال سيبويه : ومن مواضعها حروف الجزاء اذا وقعت بينها وبين الفعل " ما " للتوكيد ، شبهوا " ما " باللام فى " لتفعلنّ " ويدل على أنه

---

(١) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الأول ورقة : ١٩٨ .

(٢) المرجع السابق : ٢٢٤ .

يريد عموم أدوات الجزاء ، وأن ذلك ليس بمختص بان — اطلاقه أولا وقوله بعد : وقد تدخل النون بخبر "ما" في الجزاء ، وذلك قليل في الشعر وأنشد على ذلك : [بنت مرة الحارثي] ترثي أباها

من تثقفن منهم فليس بآيب ... أبدا وقتل بني قتيبة شاف

وكان ابن الضائع في هذا كله يستدرك على ابن السيد بعض ما فاته من اصلاح الخلل ، كما يعيب عليه رده على صاحب الجمل بعض شواهده ثقة منه في أبي القاسم الزجاجي .

٣ — ابن الضائع وصاحب الجمل : من موقف ابن الضائع مع ابن السيد نستنبط أنه كان يغلب عليه الميل الى تأييد آراء الزجاجي . فقد وافقه على تسمية كان وأخواتها حروفا ، وعلل لذلك بأنها أشبهت الحروف في أن معناها في غيرها أو لأن الحرف قد يطلق ويراد به الكلمة ، وكثيرا ما يطلقه سيبويه كذلك(١) .

وعلل ذكر الهجاء في الجمل ، مع أنه ليس من صناعة النحو برغبة أبي القاسم في أن يكون كتابه هذا كالمستقل فيما يحتاج اليه المبتدئ في لفظه وكتبه ، لأنهما ضروريان في ابتداء التعليم ، ولأن أكثر قوانين الكتب مبني على أصول نحوية ، فكتب الهمزة أكثره مبني على التسهيل(٢) .

ورد ابن الضائع كلام ابن عصفور في التسمية بالجار والمجرور وجعل أبا القاسم أحسن نظرا منه فقال(٣) : واعلم أن ابن عصفور قسم التسمية بالجار والمجرور بحسب حروف الجر الى أقسام أربعة ، وذلك أن حرف الجر يكون على حرف واحد وعلى حرفين وعلى أزيد من حرفين . فزعم في الأول الحكاية ليس إلا ، كما زعم المؤلف ، وقسم الثاني الى قسمين : أحدهما ما ثانيه حرف علة كفي زيد ، فزعم فيه أيضا الحكاية فقط ، وسيبويه قد نص على الاعراب فيه كما تقدم ، بل لم يذكر

(١) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الأول ورقة ١٠ .
(٢) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الأول ورقة : ١٥٣ .
(٣) المرجع السابق المجلد الثاني ورقة : ٢ .

الحكاية ، والثانى ما ثانيه حرف صحيح كمن زيد ، فأجاز فيه الوجهين كما فعل أبو القاسم ، غير أن أبا القاسم أحسن نظرا منه لأنه قدم الاعراب وبين أنه الأجود لأنه الذى اقتصر عليه سيبويه وأما ابن عصفور فقدم الحكاية وهو بلا شك مخالف لما زعم سيبويه ، وزعم فى الرابع أيضا أنه يجوز فيه الوجهان غير أنه مثل بمنذ اليوم ، ويجب عندى فى هذا الاعراب ولا بد . واذا كان سيبويه لم يذكر فى " من زيد " الا الاعراب فهذا أحرى لوجهين ، أحدهما أن شبه منذ بالأسماء المضافة لما بعدها أقرب " لأنها على عدد أكثر الأسماء ، وهى الثلاثية لأن الأسماء الموجودة على حرفين قليلة فمن وعن تشبه الأسماء القليلة ومنذ ليست كذلك . والوجه الثانى أنه لو صح هذا الحكم لما هو على ثلاثة أحرف من حروف الجر أعنى جواز الوجهين لكان تمثيله بمنذ ليس بجيد لأنه يمكن أن يجب لها الاعراب لأنها التى تكون اسما ، فكما يجوز فى قط زيد الحكاية أصلا فكذلك ينبغى أن يقال فى "منذ" لأنها قد ثبت لها الاسمية . وهذا ظاهر جدا . واعلم أن قياس سيبويه فى اعراب "من زيد" هو الوجه . وينبغى ألا يجوز غيره ، وذلك أن " من " لو سميت بها وحدها لم يجز الا اعرابها ، وحكم الخافض والمخفوض حكم الأسماء المفردة .

وقد رد ابن الضائع على الزجاجى قوله : ان رافع المبتدأ أشبه بالفاعل وقال : رافع المبتدأ الابتداء[1] .

٤ ـ ابن الضائع وابن عصفور : رأينا فيما تقدم أن ابن الضائع قد رد كلام ابن عصفور فى التسمية بالجار والمجرور ورفض تقسيمه ، وقد جعل تأويل ابن عصفور فى بعض الشواهد فنّا ولم يقبله قال[2] : وأنشدوا أيضا فى مثله على الضرورة قوله :

فلما عصى أصحابه مصعبا   أدى إليه الكيل صاعا بصاع

---

(١) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الأول ورقة : ٧ .

(٢) المرجع السابق : ٣٨ .

نهاء أصحابه وهو الفاصل يعود على مفعوله وهو مصحب . وقد حمل ابن عصفور هذا البيت على ذلك التأويل ، يقدره : أصحاب العصيان . وهو في هذا البيت تأويل غث . ويحسن في البيت الأول ، لأن الله تعالى هو رب الجزاء والمالك له على الحقيقة .

وابن الضائع يشير في قوله " على ذلك التأويل " الى عود الضمير على المصدر المفهوم من الفعل ، والبيت الأول الذى يقصده هنا هو قول الشاعر : [أبو الأسود]

جزى ربه عنى عدى بن حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وكذلك رد ابن الضائع على ابن عصفور رأيه في جعل "أفعل من " المضاف الى معرفة غير معرفة فقال[1] : وصحح ابن عصفور أن اضافة "أفعل من " غير معرفة ، قال : لأن أفضل القوم في معنى أفضل منهم ، واذا كان في معنى ما هو نكرة فهو نكرة ، فأجاز : " مررت برجل أفضل القوم " على أن يكون صفة . وهو مخالف في أن أفضل القوم في معنى أفضل منهم من كل وجه بل في معناه من جهة ارادة تفضيله على كل واحد منهم .. والدليل على أن أفعل المضاف ليس كالمذكور معه من من كل وجه امتناع : " زيد أفضل اخوته " وجواز : " زيد أفضل من أخوته " فأفعل المضافة بعضها تضاف اليه ، والمذكور معها من لايلزم أن تكون بعض من تفضل عليه ، ولهذا تقول : " الياقوت أنفس من الذهب " ولا تقول : " الياقوت أنفس الذهب " .

وخطأ رأى ابن عصفور في جعل الأصل في بناء أمس السكون فقال[2] : وزعم ابن عصفور أيضا أنه (أى أمس) الأصل فيه أن يبنى على السكون لكنه كسر لالتقاء الساكنين . وهذا عندى خطأ ، لأنه متمكن ألا ترى أنك تضيفه فتقول : كان أمسنا يوما طيبا ، وكذلك كان الأمس ، فلو كان أمس محركا ما قبل الآخر لا ينبغى أن يبنى على حركة .

---

(١) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الأول ورقة : ٦٤ .

(٢) المرجع السابق : ١٤١ .

وكذلك خطأ رأيه في الوصف بالا فقال[1] ، وزعم ابن عصفور أنه يخالف جميع الأوصاف ، فيكون صفة للمضمر فتقول : قاموا الا زيد ، ويكون صفة للنكرة وان كان معرفة . قلت : هذا وهم منه . أما الأول فلا يجوز أصلا كما لا يجوز في : قاموا غير زيد أن يكون صفة ، ولذلك كانت قراءة : " فشربوا منه الا قليل منهم " * شاذة ، فوجهها عند الزمخشري أنه محمول على المعنى أي لم يبق الا قليل منهم ، كذا قدره ، فكأنه يريد أن معنى فشربوا لم يتركوه الا قليل منهم فيكون في الحمل على المعنى كما تقدم في بيت الفرزدق وهو : " الا مسحتا أو مجلف " ... وبعد أن ذكر تأويلات أخرى قال[2] : وأما قول ابن عصفور : ان الوصف بالا يخالف الأوصاف في جريانه على النكرة فضعيف فان الوصف اذا قلنا : قام القوم الا زيد — ليس بزيد ، والا فلا يوصف بالاسم العلم فانما الوصف بالا مع مابعدها وهي بمعنى غير وغير نكرة .

ونقل ابن الضائع اضطراب ابن عصفور في الموصوف المضاف الى صفته فتارة حكم بتنكيره وأخرى حكم بتعريفه ، ثم ذكر أن الصحيح انه معرفة[3] .

وقد نقل ابن الضائع هنا كثيرا من آراء ابن عصفور ، ولكن هذا البحث لايتسع لاستقصائها ، منها[4] : زعم ابن عصفور أن الضمير في عسى يجوز أن يستتر وان كان ضمير تثنية أو جمع . ومنها قوله[5] : وثبت عن ابن عصفور في بعض تعبيره أن في كلامهم حذف همزة القطع . وهو لايجوز الا شاذا كقراءة من قرأ : " انها لاحدى الكبر " بحذف همزة احدى ، وهو صحيح غير أنهم يقولون : لما كثر استعماله وصير مع ماقبله كشيء واحد حذفت همزته كما حذفت همزة ويلمه يريدون : ويل أمه ، وكما حذفت ألف " هلم " على مذهب البصريين اذ زعموا أن أصلها " هالم " .

---

(١) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الأول ورقة : ٢١٤

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ورقة : ٦٥ .

(٤) المرجع السابق : ٧٢ .

وقد ذكر شرح الجمل لابن عصفور في حديثه عن التذكير والتأنيث نقال[1] : قال ابن عصفور في تفسيره ما معناه : أن المصدر يذكر وان كان جنسا بالنظر الى شخصه وترك أصول الوضع ، ومدلول الفعل جنس فلا يذكر ، وزعم أن تذكير ضرب بالنظر الى أنه يراد به المرة ، ولا فرق في ذلك بين الاسم والفعل فانك كما تريد بضرب المرة فضرب أيضا يراد به شخص من الضرب ، فما زعم الأستاذ أقرب ... وقد أطال ابن الضائع في هذا البحث وذكر الآراء والأدلة ثم ختمه بقوله :" وهذا تعمق وشيء لايحتاج اليه " .

وقد نقل تعليل ابن عصفور لذكر الزجاجي في الجمل باب الأفعال المهموزة نقال[2] : وزعم ابن عصفور أنه انما أتى بهذا الباب وان كان ليس الا من باب اللغة ، لأن النحويين اختلفوا في الهمزة : هل تبدل أولا تبدل ؟ فزعم بعضهم أنه يجوز بدلها مطلقا ، ومنهم من يمنع ذلك مطلقا الا أن يسمع ، ومنهم من فصل وزعم أنه الصحيح فقال : يجوز بدلها ياء اذا كانت لاما في لغة ضعيفة فيجوز في " قرأت " " قريت " وفي " أخطأت " ، " أخطيت " حكى ذلك الأخفش فان كانت فاء أوعينا لم يجز ابدالها الا حيث سمع كقولهم : ... واخبته لأنها من ... الخ .

وبعد فقد التقى ابن الضائع بابن عصفور في حلقات الدرس والبحث وانتفع منه ، ولكنه على ما يستنبط من تأليفه لم يكن يوقره ويعظمه كما كان يوقر أباعلي الشلوبين ويعظمه ، فهو لم يصرح بأنه قرأ على ابن عصفور شيئا من كتب النحو ، ولكنه صرح بأنه قرأ على الشلوبين ، وقد لقبه في بعض نقوله عنه بأستاذه الجليل ودعا له اعترافا بفضله عليه .

٥ — مع ابن خروف : نقل ابن الضائع في شرح الجمل بعض آراء ابن خروف فذكر رأيه في جواز حمل شيء من القرآن الكريم على بدل الاضراب في قوله[3] :

(١) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الأول ورقة : ١٧٩ .

(٢) المرجع السابق : ١٩٤ .

وهذا البدل الرابع لايستحيل أن يحمل عليه شيء من القرآن ، وقد حمل ابن خروف عليه قوله تعالى : " قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود " فجعل النار بدل اضراب من الأخدود وحمله الفارسي على بدل الاشتمال ، والوجهان ممكنان .

وذكر مذهبه في وجوب كتابة اذا الناصبة بالنون ، ليفرق بينها وبين الظرفية .. ثم قال : واعلم أن الصواب كتبها بالألف لأنه قد ثبت الوقوف عليها بالألف .[1]

ومما نسبه لابن خروف عدم جواز وصل " ما " المصدرية بالجملة الاسمية .[2]

وقد رد عليه ابن الضائع ووصمه بالغفلة أو الخطأ في مسألة من مسائل الجمع ، فقال : قال ابن خروف : وحكى أبوعمرو الشيباني يقاظ في جمع يقظ .[3] قلت : وزعم أبوعلي الفارسي أنه جمع يقظان ، وهو ظاهر ، فان فعالا جمع فعلان كثير ، ولم يحك في فعل ... فان كان أبوعمرو الشيباني قد نص على أنه يقول : يقاظ من يقول : يقظ ولا يقول : يقظان .. فحينئذ يثبت على ما زعم ابن خروف عنه ، ولقد كان ينبغي لابن خروف أن ينبه على هذا فيرد اما على أبي علي في نفيه أن يكون : يقاظ جمع يقظ ، واما على أبي عمرو في الاثبات فهذه غفلة منه . وأما ان كان الشيباني قد حكى يقاظ ، فجعله ابن خروف جمع يقظ فذلك غاية الخطأ .

وقد حكى عن ابن خروف خطأ فاضحا فقال : أجاز ابن خروف في " موهب " أن يكون " فوعلا " ويظهر أنه خطأ لأن تركيب " م هـ ب " غير موجود .[4]

وقد لحظ ابن الضائع خطأ ابن خروف في الرد على المبرد في لحاق هاء السكت بنون جمع المذكر السالم فقال :[5] ولابن خروف في الرد على المبرد هنا غلطة

---

(١) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الأول ورقة ٧٩ .

(٢) المرجع السابق المجلد الثاني ورقة : ٢٣ .

(٣) المرجع السابق : ٤٢ .

(٤) المرجع السابق : ٧٠ .

قال : لايجوز لحاق هاء السكت الأسماء المعربة والاعون ومحتضرون اسم معرب فلا يجوز لحاق هاء السكت اياه . وقد نص سيبويه على الوقوف على التثنية والجمع الذى على حدها بهاء السكت[1] لأن حركة النون حركة بناء .

وكان ابن الضائع ينتقد ابن خروف فى استشهاده بالحديث كثيرا فقد ذكر رد أبى على الشلوبين على ابن الطراوة فى ادعائه أن الوصل هو الصحيح فى خبر كان الواقع ضميرا واستشهاده بقوله صلى الله عليه وسلم : "كن أبا خيثمة فكانه " قال[2] قال الأستاذ أبو على رحمه الله : هذا تكذيب للعلماء ومع احتمال هذا لا تبقى ثقة بجميع ما ينقلون ، ومبنى هذا الغلط الذى انبنى عليه هذا التكذيب ظنه أن " فكانه " من كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، وانما المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم "كن أبا خيثمة " قال الراوى : فكانه . وهذا لايخفى على من له مسكة من نظر . قلت (أى ابن الضائع) : ولوكان مرويا فى متن الحديث لم يصح أنه من كلام النبى صلى الله عليه وسلم لأنه قد تبين فى أصول الفقه أنه يجوز نقل حديث النبى صلى الله عليه وسلم بالمعنى وعليه حذاق العلماء ، فهذا هو السبب عندى فى ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على اثبات اللغة بالحديث واعتمدوا فى ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب . فلولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى فى الحديث لكان الأولى فى اثبات فصيح اللغة حديث النبى صلى الله عليه وسلم لأنه من المقطوع به أنه صلى الله عليه وسلم أفصح العرب . وابن خروف يستشهد بالحديث كثيرا ، فان كان على معنى الاستظهار والتبرك بما روى عنه صلى الله عليه وسلم فحسن ، وان كان يرى أن من قبله أغفل شيئا وجب عليه استدراكه فليس كما رأى والله أعلم .

٦ـ ابن الضائع مع نحاة آخرين : ليس بعسير على دارس هذا الكتاب لابن الضائع أن يستنبط منه الاتجاه النحوى الذى كان ينتصر له ويدافع عنه ، فقد

---

(١) الكتاب جـ ٢ ص: ٢٧٨ .

كان نحوه بصري الطابع ، اذ رأيته يعيب على الكوفيين نحوهم ، فكان مما ردده في كتابه ، وهو غير راض عنه قوله[1] : " ان الكوفيين يقيسون على كل ما ورد وان خالف القانون " . وقد ذكر رد السيرافي على الكوفيين في قولهم بالنصب على الخلاف قال[2] ، قال السيرافي : ولو كان الخلاف ناصبا للزم النصب في المعطوف بلا ، نحو : يقوم زيد لاعمرو ، ألا ترى أن عمرا قد خالف زيدا في المعنى فلم ينصب ؟ ثم الخلاف معنى لايختص بالثاني ، فلم لم ينصب الأول ؟

وقد رفض ابن الضائع شذوذ ابن الطراوة ، ورد عليه ونقد حججه في أكثر ما ذكر وهذا مثال لمسألة لم يسبق ذكرها في آراء ابن الطراوة ، فقد زعم ابن الطراوة أن الاسم بعد لولا مبتدأ ، خبره لكان كذا لأن الفائدة حصلت بقولهم : لكان كذا . قال ابن الضائع : وهذا صحيح أعني أن الفائدة تصح بالجواب كما تصح في : ان قام زيد قام عمرو ، ولكن ليس كل مايصح به الفائدة يسمى خبرا ، فقوله : ان " لكان كذا " خبر عن " زيد " خطأ . كيف يكون خبرا عن زيد ، ولا ذكر لزيد فيه ... كأنهم يقولون : تمت الفائدة بالملفوظ به فلا يحتاج الى خبر ، وسيبويه يقول : انما تمت الفائدة بالملفوظ به ، لان الخبر المحذوف مفهوم[3] .

ولابن الضائع في هذا الشرح فضل كبير ، فقد جمع ونقد كثيرا من آراء النحاة واتجاهاتهم ، مع الانصاف والتأييد لذوي الاراء السديدة ، وربما خرج بكتابته عن مباحث النحو .

لحظ على ابن جني خطأ في استشهاده على تفسير همزة بين بين بقول عبيد بن الابرص :

تحمى حقيقتنا وبعـ ـض القوم يسقط بين بينا

---

(١) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الاول ورقة ١١٧

(٢) " " " " " " " ٦٩

(٣) " " " " " " " ٢٥٩

قـال[1] ابن جنـي : ساقط ضعيفا غير معتد به . قلـت :
معنى بين بين : الهمزة وحرف من حروف اللين ، فليس معنى بين بيـن
ضعيفة غير معتد بها ، وليس في " بين بين " مايدل على ذلك بوجه .

وذكر ابن جنى دفاعه عن سيبويه واشادته بفضلـه ، ومعرفته بعلـم العروض ، فقال بعد ان ذكر شاهدا من شواهد الكتاب في باب الادغـام هو قول الشاعـر :

كأنها بعد كلال الزاجـر ومسحة مرّ عقاب كاسـر

على ادغام الحاء في الهاء من مسحه . قـال[2] : قال ابن جنـي وليس ينبغى لمن قد نظر في هذا العلم ادنى نظران يظن بسيبويه انـه يغلط مثل هذا الغلط ، حتى يخرج فيه من خطأ الاعراب الى كسر الـوزن لان هذا الشعر من مشطور الرجز ، وتقطيع الجزء الذى فيه السين والحاء : مفاعلن . فالحاء بازاء عين مفاعلن ، فهل يليق بسيبويه ان يكسر شعرا ، وهـو من ينبوع العروض ، وبحبوحة وزن التفعيل ، وفي كتابه أماكن كثيرة تدل علـى معرفته بهذا العلم . قال : وكيف يجوز عليه الغلط فيما يظهر لمن يتساند الـى طبعه ، فضلا عن سيبويـه في جلالـة قدره . وعلى ما حمله ابن جنى من الاخفاء حملـه ابن طاهـر .

وقد علق الاعلم على هذا الشاهد بقولـه[3] : يريد انه أخفى الهـاء عند الحاء في قوله : ومسحه ، وسماه ادغام ، لان الاخفاء عنده ضرب مـن الادغام ، ولا يجوز الادغام لانكسار الشعـر .

---

(1) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الثاني ورقة ٩٢ .
(2) المرجع السابق ورقـة ١٣٤ .
(3) تحصيـل عين الذهـب ٢ : ٤١٣ .

وقد وافق ابن الضائع الزجاجي على أن اصائل جمع جمع الجمع[1]

ولكن ابن السيد رد عليه ذلك وقال[2] : "والصحيح في اصائل انها على نمائل جمع أصيل ".

ورأيته يذكر الخلاف في الف كلتا ولكنه لم يرجح رأيا ، قال : وزعم ابن طاهر انه لا يمتنع ان يكون الف كلتا للالحاق وان انقلبت بالتشبيه بحلى كما تنقلب الف كلا قال[3] : ويدل على انها ليست الف كلا وزيدت التاء وسطا قوله :

في كلت رجليها سلامى واحدة

كلتاهما مقرونة بزائدة

قال الفراء : يريد بكلت كلتا . فالالف اذا للتأنيث او للالحاق ويقوى التأنيث انها مؤنثة ، وشبهها سيبويه بشروى في ان الفها للتأنيث وان الحرف الذى قبل الالف ليس اصلا فواو شروى بدل من الياء في شريت لان شروى الشيء مثله ، ولا يشرى الشيء الا بمثله .

ومن المباحث البعيدة عن النحو ما اشار اليه من اختلاف النطق بين المتحدثين بالعربية نقلا عن السيرافي قال[4] : تسمع من عجم اهل المشرق كثيرا لان الطاء في أصل لغتهم معدومة ، فنطقهم بها تكلف ما ليس من لغتهم فيأتون بها ضعيفة (الطاء كالتاء) .. ومنها الصاد كالسين .. قال : وأظن الذين تكلموا بهذه الاحرف المرذولة من العرب خالطوا العجم .

ومن ذلك انه اشار الى الخلاف بين اهل السنة والمعتزلة في شرط عدالة من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فقال عند ذكر هذا الشاهد[5] :

---

(١) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الثاني ورقة ٦٤ .

(٢) الحلل في شرح ابيات الجمل ورقة ٧٢ .

(٣) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الاول ورقة ١٢٧ .

(٤) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الثاني ورقة ١٢٤ .

لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك اذا فعلت عظيم

ماقيل هذا البيت يدل على معناه وينبغى ان يذكروان لم تكن

بمه حاجة لحسنه وهو :

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها   فاذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يسمع ما تقول ويقتدى   بالقول منك وينفع التعليم

واعلم أنه ليس فى هذا مخالفة لأهل السنة فى انهم لا يشترطون فى

الامر بالمعروف العدالة ، بل يجوز عندهم ان يأمر بالمعروف العصاة ، خلافا

للمعتزلة لانهم لا يوافقون على الامر بالمعروف من عاص ، فيشترطون العدل

لانه اقرب ان يقتدى به ، فلا شك ان الآمر آثران يقتدى به ... ومقصد

اهل السنة ان الامر بالمعروف واجب فلا يسقطه كون من يمكن منه الامر عاصيا

فى ذلك المأمور به أو فى غيره .

وقد كان لابن الضائع رأى فى الخلافات التى لا تجدى وفى كثرة التقديرات

وفى المسائل الفرضية ، فكان اذا عرض شىء من ذلك أفاض فى ذكره حتى

لا يتهم بالعجز ثم يعلق عليه بمثل قوله (١) " وهذا كله هذيان والكلام فيه

خروج عن التعليم " وكان هذا التعليق بعد ذكر الاراء والخلافات حول تعريف

الاعراب والفرق بينه وبين البناء .

وقد سبق هنا قوله بعد الحديث عن وصف المصدر بالتذكير : (٢) " وهذا

تعمق وشىء لا يحتاج اليه " .

وعلى الجملة فهذا شرح من شروح الجمل التى أنقذتها يد القدر من

عسف الطغيان ، وهو بحق كتاب من كتب النحو الثمينة التى يجب ان تحتل مكانها

---

(١) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الاول ورقة ١٢٤ .

(٢) " " " " " " " ١٧٩ .

بين مراجع النحو ، حتى تفتح للدارسين فيه آفاقا جديدة في سبيل البحث العلمي ، وهو بعد أثر قيم لتلميذ نابغة من تلاميذ ابي علي الشلوبين .

١٩ — عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله الامام ابو الحسين بن ابي الربيع القرشي الأموي العثماني الاشبيلي ، امام اهل النحو في زمانه ، ولد في رمضان ، سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وقرأ النحو على الدباج والشلوبين ، واذن له أن يتصدر لاشغاله ، وصار يرسل اليه الطلبة الصغار ، ويحصل له منهم ما يكفيه ، لأنه كان لا شيء له ، واخذ القراءات عن محمد بن أبي هارون التميمي ، وسمع من القاسم بن بقي وغيره ، وجاء الى سبتة لما استولى الفرنج على اشبيلية ، وأقرأ بها النحو دهره ولم يكن في طلبة الشلوبين انجب منه ، أخذ عنه محمد بن عبيدة الله الاشبيلي وابراهيم الغافقي وخلق ، وروى عنه جماعة منهم بالاجازة ابو حيان ، وصنف شرح الايضاح . الملخص . القوانين ، كلاهما في النحو . شرح سيبويه . شرح الجمل عشر مجلدات لم يشذ عنه مسألة في العربية ، مات سنة ثمان وثمانين وستمائة وخلفه في حلقته تلميذه ابو اسحاق بن احمد الغافقي[(١)] .

٢٠ — أحمد بن محمد بن عامر بن فرقد أبو موسى الاندلسي ، قال في البلغة : سكن مصر ، وشرح الفصول لابن معط ، وكان سيء الخلق ، ومات سنة تسع وثمانين وستمائة ، وذكره ابن مكتوم فأسقط عامرا ، وكناه أبا طلحة وقال : معدود في اصحاب الشلوبين ، سألت عنه ابا حيان فقال : كان في خلقه حدة ويسير انحراف ، اقام بمصر مدة ثم بالشام ثم بحلب ثم عاد الى القاهرة ، وولي الاعادة بالمدرسة القطبية ، وبالزاوية التي بجامع عمرو بن العاص ، وكان أمثل في النحو من البهاء بن النحاس ، مقتّر الرزق ، ضيق الحال[(٢)] .

---

(١) بغية الوعاة ، ٣١٩ .

(٢) بغية الوعاة ، ١٥٩ .

٢١ ـ أحمد بن يوسف بن على بن يوسف الفهرى اللبلى ، بسكون الموحدة بين لامين اولاهما مفتوحة ، الاستاذ ابوجعفر النحوى اللغوى المقرى احد مشاهير اصحاب الشلوبين ، أخذ عنه وعن الدباج وابى اسحق البطليوسى والاعلم ، وسمع الحديث من ابن خروف وابى القاسم بن رحمون وابى عبد الله بن ابى الفضل المرسى المنذرى وجماعة بمصر ودمشق والمغرب واخذ المعقولات عن الشمس الخسرو شاهى ، وطوف البلاد وروى عنه الوادى آشى وابو حيان ، وابن رشيد ، وصنف شرحين على الفصيح ، البغية فى اللغة ، مستقبلات الافعال ، وله كتاب فى التصريف ضاهى به الممتع ، مولده بلبلة سنة ثلاث وعشرين وستمائة ومات بتونس فى المحرم سنة احدى وتسعين .(١)

وفى نفح الطيب(٢) : الشيخ الفقيه الاستاذ النحوى التاريخى اللغوى ابو جعفر احمد بن يوسف الفهرى اللبلى ، يكنى ابا العباس وأبا جعفر قرأ بالاندلس على مشايخ من افضلهم الاستاذ ابو على عمر الشلوبين ... كان يبسط لاقراء سائر كتب العربية وله علم جليل باللغة ... وله تواليف كثيرة منها على الجمل . وقد سبق ذكر اللبلى فى رحلة الى مصر وفى لقائه بابن دقيق العيد فى الحديث عن نشاط النحاة الاندلسيين(٣) .

وشى الحلل فى شرح أبيات الجمل : لابى العباس أحمد بن يوسف ... اللبلى المتوفى سنة ٦٩١ هـ :

اسم هذا الكتاب مأخوذ من مقدمة المؤلف ولكن صاحب النفح لم يسمه وكذلك السيوطى لم يذكره أصلا ، ولعل واحدا منهما لم يصل اليه هذا الكتاب . ولم يذكر السيوطى فى ترجمته كنيته بأبى العباس ، وهى الكنية التى

---

(١) بغية الوعاة ١٧٦ .

(٢) جـ ٢ ص٤٠٦ وما بعدها .

وضعت تحت عنوان الكتاب ، ولكن صاحب النفع قد جمع بين الكتيبين . وقد وصل هذا الكتاب الينا ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقـم (٣ نحو ش) ويكاد يكون هذا الكتاب كاملا لا اثر فيه لنقص كبير ، وقد وجدت مقدمته كاملة ، كما كتبت في نهايته عبارة تدل على تمامه ، وفي هذه المقدمة بين المؤلف الغرض من هذا التأليف ، ثم اشاد بفضل كتاب " الجمل للزجاجي " ثم اشار الى كثرة ما على هذا الكتاب من شروح وذكر في ثقة واعتزاز ان لتأليفه هو فضلا وشرفا يسمو بهما عند كل من له بصر باللسان ، وتصريف في البيان واشار الى تسمية الكتاب بعنوانه المذكور آنفا . ثم هو لا يغفل في مقدمته عن المدح والاطراء " لامير المؤمنين المستنصر بالله المنصور بفضل الله أمير المؤمنين ابي عبد الله رضي الله عنه وارضاه " قال اللبلي بعد ان ذكر شرف علم اللسان العربي(١) ، ثم رأيت ان اضع تأليفا بالكشف عن اسراره ، وأجرى في تصنيف على لطائفه وغوامضه . ما اكثر الناس من استعماله ودراسته ، والزموا انفسهم حفظه ودرايته وهو كتاب " الجمل للزجاجي " فانه تصنيف قد انجد وعلى وطار في الافاق كل مطار ، فتصديت لشرح ما تضمنه من الابيات ، وايضاح ما فيها من المشكلات ، فلم ادع بيتا الا صيرت شرحه جليا ، واعرابه ظاهرا بعد أن كان خفيا .

وكان بعيد القعر من كل مائح فغادرته يسقى ويشرب باليد

ففيه من غامض الاعراب ، وغرائب اللغة والاداب مالا يوجد منتظما في كتاب فكم من بيت فيه مجهول نسبته ، وناقص اتممته ، واعراب عويص أوضحته ومعنى مستغلق فتحته ، ولفظ غريب بينته ، وخبر طريف انتخبته ، الى غير ذلك مما احتوى من ايضاح مشكل وتقييد مهمل ، مما لا يحصره الحد ولا يحيط به العد ، على حسب ما بلغه علمي ، وانتهى الى ادراكه

---

(١) ...

حفظى ونصى ، ولم يمنعنى من ترك هذا التصنيف كثرة ما الف على كتاب " الجمل " من التواليف لان مصنفيها انما ذكروا من تفاسيرها ابوابا ، ولم يسفروا عن وجه مشكلاتها نقابا ، الى أشياء اوردها لا يحتاج فى الشرح اليها ، ولا تدعو ضرورة الى الكلام عليها . فاذا لمح كتابى هذا من له بصر باللسان وتصريف فى البيان استبان له شرفه على جميع الكتب الموضوعة فى هذا الشأن ، فالصبح أبين من ان يقام عليه دليل والشمس اظهر ان تتبين بتجهيل .

وكيف يصح فى الافهام شئ   اذا احتاج النهار الى دليل

لفضل تصنيفى هذا على ما سواه من التصانيف باهر ، وشفوفه على ماعداه من التواليف ظاهر ، كفضل الامير الاسعد ... " واطال فى المدح والاطراء للامير ثم مدحه بأبيات من الشعر فى هذه المقدمة منها قوله :

كسا كعبة الاسلام أشرف كسوة	وقد كان بيت الله اصبح عاريا
فياحسرة الاسلام لولا امامنا	لايصرت الركبان بيته عافيا
وظلت بقاع الارض واقية له	وتلت به نوب القرون الخواليا
فلا زلت فى سعد وطك وعزة	وملكك الله البلاد المواضيا

ثم عاد الى ما هو بصدده من تسمية كتابه فقال : ولما فرغت من تصنيف هذا الكتاب البديع .. فسميته " وشى الحلل فى شرح ابيات الجمل " ليكون لفظه مطابقا لمعناه واسمه مترجما عن فحواه والله سبحانه المسئول ان يعصمنى من الزلل ، ويهب لى التوفيق فى القول والعمل ، ويلبس هذا التصنيف من الرضا والاقبال ماليس مولانا الخليفة من الهيبة والجلال ...

وهذا الكتاب يقع فى ست وستين ورقة ، وقد ظهرت فيه قدرة صاحبه على الوفاء بما ذكر فى هذه المقدمة ، وهذه أمثلة منه .

قال اللبلى(1) : وأنشد الزجاجي فى باب مالا يقع الا فى

النـداء خاصـة ، ولا يستعمل في غيـــره :

وقد رابني قولها يا هنا ه ويحك الحقت شرا بشــر

قال احمد ـ لطف الله به ـ هذا البيت من قصيدة لامرئ القيس ابــن حجر الكندي ، في رواية ابي عمرو والمفضل وغيرهما ، قال الاعلم فــي شرح شعر امرئ القيس، وكان الاصمعي يزعم ان القصيدة التي منها هــذا البيت لرجل من النمر بن قاسط ، يقال له : ربيعة بن جشم وقـــد تقدم التعريف بامرئ القيس ، وهذا البيت من القصيدة التي أولها :

احار بن عمرو كأني خمــر ويعدو على المرء ما يأتمـــر

اللغة : وقدر ابني : قال عاصم بن ايوب : قوله : راب أوقع الريبة بـــلا شك ، واراب يريب اذا لم يصرح بالريبــة ، وبعضهم يقــول : همـــا بمعنـى واحد ، قال : اما في هذا البيت فهي ريبة واحدة . وقولــه ياهناه : هي كلمة يكنى بها عن النكرات ، كما يكنى بفلان عن الاعـــلام لمعنـى ياهناه هو بمنزلـة قوله : يارجل . يا انسان ، واكثر ما يستعمـل عند الجفاء والغلظة فيقال : ياهناه ، لمن يستخف ويتجهم به ، ولا يستعمل الا في النداء خاصة على هذه الصفة . قال بعضهم : وقيل انها كنايـــة عن الفواحش والعورات ، يكنى بها عما يستقبح ذكره . وقد تقدم : ويحك وقوله : الحقت : يقال لحق زيـد والحقتـه . المعنى : انها وبختـــــه على مجيئه اليها لئـلا يشعر بهـا ، وقالت له : كنت متهما عند الناس فلما رأوك عندي الحقت تهمة بتهمة اي رددت تهمة الى تهمة وشرا الى شــر كأن التهمـة شر ، وتحقيقها شر منها .

الاعراب : الشاهد في البيت قوله : ياهناه وبيانه انها كلمة لا تستعمـــل الا في النداء ، ولا تستعمل في غيره . فقال قوم : الهاء التي في آخرهــا بدل من الواو التي في هنوك وهنوات ، واصلها هناو ، فأبدلت الـــواو هاء ، فقالوا : هناه . وقال قوم : الهاء اصلية وليست بمبدلة ، وانهـــا

بمنزلة سنة وعضة ، الا ان لا مها تارة هاء وتارة حرف علة وهذا القول ضعيف من جهة ان باب "قلق وسلس" قليل اعنى ان يكون الفاء واللام من جنس واحد قليل . وهو كلمة مبنية على فعال ، وبين النحويين اختلاف فى اصلها فقال قوم الهاء والالف زائدتان ، بدليل قولهم : هن وهنة ، وأن لام الكلمة واو حذفت من كل منقوص ، وادخل عليها الالف لمد الصوت فى النداء ، وادخلت الهاء للوقف ثم كثر فى كلامهم حتى صارت الهاء كانها اصلية فحركت . وقال قوم : ان الهاء الاخيرة منه منقلبة من همزة ، والهمزة من واو . قالوا : ويدل على ذلك ظهورها فى قولهم : هنوك وهنوات . والكلام على هذه اللفظة يستدعى بحثا طويلا ليس هذا موضعه . والهاء من قولها عائد على المرأة المشبب بها وهى هر المذكورة فى البيت قبله وهو :

وهر تصيد قلوب الرجال وأفلت منها ابن عمرو حجر

وقوله : ياهناه وما بعده فى موضع نصب على المفعول بالقول . وقوله : ويحك تقدم الكلام انه منصوب بفعل مضمر .

والليلى فى هذا الشاهد يذكر الخلاف فى نسبته لقائله ، ثم يذكر مطلع القصيدة التى أخذ منها هذا الشاهد ، ويبدأ بعد ذلك فى شرح اللغة والغريب من كلمات البيت ، ويحيل على ما تقدم من تعريف بالشاعر وشرح لبعض الكلمات ، ثم يذكر بعد ذلك المعنى ، ونراه عندما يبدأ فى الاعراب يصدر حديثه ببيان موضع الشاهد فيه ، ويستطرد من الاعراب الى ذكر الخلاف فى اصل الكلمة ووزنها ، ثم يقول : " والكلام على هذه اللفظة يستدعى بحثا طويلا ، ليس هذا موضعه " وهو بهذه العبارة يكشف لنا عن شخصية العالم الضليع الذى لا يخرج عن قصده ولا يستطرد الى غيره من مسائل العلم ، وان كان قد اطال فى التعليق على كثير من شواهد ابى القاسم الزجاجى كقوله فى باب كان (1) :

تقفى قبل التفرق ياضباعا ولا يك موقف منك الوداعا

قال احمد — لطف الله به — هذا البيت للقطامي ، ويقال قطامي وقطامي بضم القاف وفتحها ، عن غير واحد ، وهو لقب غلب عليه ، وهو نصراني . وهو شاعر اسلامي من بني تغلب بالفتح ، واختلف في اسمه واسم ابيه أما اسمه فاختلف فيه على ثلاثة اقوال : قيل اسمه عامر قاله العسكري وقيل اسمه عمير على التصغير من غير واحد ، وقيل اسمه شتيم قاله الاعلم ، قال : وعمير أصح . قال حازم بن حازم القرطبي والدليل على أن اسمه عمير قوله :

تبيت تيسا على الحماد قد نزلوا ... منا بحي على الاضياف رشاد
الضاربون عميرا عن بيوتهم ... بالنبل يوم عمير ظالم عاد
يقتلننا بحديث ليس يعلمه ... من يتقين ولا مكتومه بساد
فهن ينبذن من قول يصبن به ... مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

وقيل لقاضي مكة يروى هذا البيت . قال : ويحتمل الا يروى له

قال احمد : استدلالهم بهذا البيت على أن اسم القطامي عمير غلط ، وانما المذكور في البيت الذي استدلوا به هو عمير بن الحباب السلمي ، وكان يغير على بني تغلب فقتلته ، فذكر انهم أعزة مانعون لخروقهم ، ضاربون عميرا عن يوم ظلمه ، وانهم كذلك يفعلون بكل من غزاهم وعدا عليهم . وأما أبوه فقيل : اسمه شتيم بشين معجمة مضمومة وتاء فوقها نقطتان ، قاله العسكري . وقيل : اسمه ستيم بسين غير معجمة وبالتقييد الذي ذكره العسكري قاله الاعلم . وقيل : اسمه شُيَيم بشين معجمة وياءين بعدها الاولى منهما مفتوحة ، والثانية ساكنة قال ابن السيد ، وهو منقول من تصغير أشيم ترخم ، وهو الذي به شامات . قال هو وغيره : شييم وشييم بضم الشين وكسرها . وقيل : اسمه سييم بسين غير معجمة وياءين الاولى منهما مفتوحة والثانية ساكنة ، عن الاعلم . قال الاصفهاني : وكان نصرانيا وهو شاعر مجيد . قال الشعبي : قال عبد الملك بن مروان للاخطل وانا حاضر : يا ابا مالك . اتحب بشعرك شعر شاعر من العرب؟ اللهم لا إلا شاعر منا

خامل الذكر ، حديث السن ، ان يكن في أحد خير فسيكون فيه ولو اتاني سمعتالي قولك :

يقتلننا بحديث ليس يعلمه   من يتقين ولا مكنونه باد

فهن ينبذن عن قول يصبن به   مواقع الماء من ذي الغلة الصاد

قال أحمد ، والقطامي هذا احد فحول الشعراء ، وكان في زمن الاخطل ، وقال ابن سلام في تفضيلهما ، ان الاخطل ابعد ذكرا ، وأشهر شعرا . ولقب بالقطامي لقوله :

يصككن جانبا فجانبا   صك القطامي قطا قواربا

قال ابو عبيد البكري ، ويكنى ابا سعد ، وهو اول من لقب صريع الغواني لقوله يعني نفسه :

صريع الغواني راقهن ورقنه   لدن شب حتى شاب سود الذوائب

قال احمد ، والبيت المستشهد به هو(١) أول القصيدة ، وهي طويلة بديعة مدح بها زفر بن الحارث الكلابي ، قال غير واحد ، وكان زفر بن الحارث قد اسر القطامي في حرب كانت بينهم وبين بني تغلب ، فمن عليه زفر ، وأعطاه مائة من الابل ، ورد عليه ماله ، فمدحه بالقصيدة التي منها هذا(٢) البيت المستشهد به(٣) ، وبعده :

قفي فادي اسيرك ان قومي   وقومك لا أرى لهم اجتماعا

الم يحزنك ان حبال قيس   وتغلب قد تباينت انقطاعا

اللغة : ضباعا اسم المرأة التي يشبب بها ، وهي بنت زفر بن الحارث المتقدم الذكر ، واياها خاطب بقوله : فادي اسيرك .. البيت ، لانه كان اسيرا عند ابيها كما تقدم . والموقف هنا مصدر لامكان ، كما قال بعضهم ، وان كان يكون مكانا في غير هذا البيت كما قال الشاعر :

---

(١) في الاصل : والبيت المستشهد بها هي .

(٢) في الاصل : التي منها هذا البيت .

(٣) في الاصل : المستشهد بها .

في موقف وقف الموت الزؤام به فالموت يوجد والارواح تنتقد

وقد يكون ايضا زمانا ، وعلى الجملة فكل ما وزنه مفعل فما فاؤه واو كالموقف والموعد فان المصدر والمكان والزمان متساوية فيه الا ما شذ وهي الفاظ قليلة . قالوا : موجل وموجل وموهب وموهب ، وموبق بالفتح وقالوا : موضع بالفتح في موضع ، وقالوا : مرقعة الطائر بفتح القاف وقال الاصمعي بكسرها وقالوا في الاسم المعدود : موحد .

انما قلنا : ان الموقف في البيت مصدر لانه جعل الوداع خبره فكذلك ينبغي ان يكون الموقف مصدرا يعني به الوقوف . والوداع ايضا مصدر بمعنى التوديع ، ويقال فيه : وداع ووداع .. بكسر الواو وفتحها . قال بعضهم وكأن الوداع بكسر الواو مصدر وادعت وكأن الوداع بالفتح هو الاسم .

المعنى : يقول للمرأة التي شبب بها : قفي حتى اودعك واسلم عليك قبل ان يتفرقوا بالسير الى اهلى حين منّ على ابوك ، قفي على اتزود بنظرة اليك ، والى هذا ينظر قول المتنبي :

قفا قليلا بها على فلا اقل من نظرة ازودها

وقوله : ولا يك موقف منك الوداعا هو دعاء بالا يكون الوداع له منها في موقف من المواقف تخرج هذا الخطاب مخرج الخبر ، والمراد به الدعاء اى لاتك هذه الوقفة منك الينا وقفة مودع بل وقفة حديث ولقاء وتمتع . قال ابن هشام : ويحتمل أن يكون على الطلب والرغبة فكانه قال : لا تجعلي هذا الموقف آخر وداعي منك .

الاعراب : الشاهد جعل اسم كان نكرة ، وهو موقف ، وجعل خبرها معرفة وهو الوداع كما تقدم في بيت حسان . على هذا اتى به شاهدا ، وسهل هذا ان موقفا في البيت موصوف بقوله : منك ، والنكرة اذا وصفت قربت من المعرفة ، الا ترى انهم يقولون : رجل من بني تميم قائم ، فيجعلونه مبتدأ ولو كان غير موصوف لم يبتدأ به . وقد روى : ولا يك موقفي بالاضافة ، فلا

يكون في هذا البيت شاهد على هذه الرواية . اتى الزجاجي به شاهدا على غير ما استشهد به سيبويه ، لان الزجاجي اتى به على مجئ اسم كان نكرة والخبر معرفة في الشعر للضرورة كما تقدم ، وسيبويه استشهد به على ترخيم ضباعة والوقف على الالف عوضا من الهاء . وقوله : قفي امر معناه الرغبة ، وهو فعل فاعل لانه طلب الوقوف منها على جهة الرغبة لا على جهة القهر . وقوله : يا ضباعا منادى مرخم والالف فيه للاطلاق . وقوله : ولا يك موقف ، قد تقدم ان الخطاب خرج بلفظ النهي والمراد به الدعاء والرغبة وعطف هذه الجملة التي هي ولا يك على جملة الامر التي هي في قوله : قفي ، فهما وان كانا متباينين فانه يجوز عطف احداهما على الاخرى فمثال عطف جملة النهي او الرغبة على جملة الامر ما تقدم في البيت ، وكقوله تعالى : "يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين"(1) ومثال عطف جملة الامر على جملة النهي كقوله تعالى : "كلا لا تطعه واسجد واقترب"(2) وقول امرئ القيس :

يقولون : لا تهلك اسى وتجمل .

فعطف جملة الامر على جملة النهي او الرغبة . والمقصود من عطف الجمل انما هو ربط جملة بجملة في كونهما خبرين وجعلهما كلاما واحدا ، والجمل لا يراعى فيها التشاكل في المعاني ولا في الاعراب ، الا ترى ان المعربة تعطف على المبني والمبني على المعرب ، وما يظهر فيه الاعراب على ما لا يظهر فيه وانما يشترط الاشتراك في الاعراب وفي معنى العامل او في الاعراب فقط في عطف المفردات .

ونشأ عنا بحث وذلك اذا عطفنا المعرب على المبني او بالعكس فهل يحتاج الى ظهور العامل ام لا . فمذهب اكثر النحويين لا بد من ظهوره كما تقدم في قوله تعالى : "كلا لا تطعه" وفي قول الشاعر : "ولا يك موقف" قالوا : ولو لم يظهر لم يجز الا ترى أنك اذا قلت : زرني واحسن اليك بالجزم على اللفظ لم يجز ، لان زرني فعل مبني لا جازم له ، فلا يعطف

(1) سورة هود آية : ٤٢ .
(٢) ...

على لفظه ، كما لا يجوز : ركب هؤلاء وزيد ، بخفض زيد على لفظ هؤلاء ، قالوا : فلو ظهرت لام الامر فقلت : زرني فلاحسن اليك جاز، وسيأتي ان شاء الله في باب النداء لم اجرى النعت على اللفظ وخالف هذا الباب سائر المبنيات . وقوله : ففي حذفت النون منه التي هي علامة الرفع للبناء كما تحذف للجزم ، وانما كان كذلك لشبه حال الاعراب بحال البناء في اطراد البناء كاطراد الاعراب . وبيانه ان الوقف لما اطرد في هذا المثال اعني في صيغة الامر وهي صيغة افعل ، أشبه لإطراد الوقف فيهما اطراد الجزم في المجزومات ، فحذفوا من افعلي مثال ما حذفوا من لم يفعل ومثاله حكما لحال البناء المطرد بحكم الاعراب . والياء في قفي فاعلة وعلامة التأنيث عند سيبويه . وعند الاخفش علامة تأنيث فقط ، والفاعل مضمر تقديره أنت ففاعل هذا الفعل عنده انت . والياء علامة لتأنيث الفعل كالتاء في فعلت . واستدل على ذلك بانه فعل واحد ، وفعل الواحد لا يبرز فيه علامة الاضمار ، وانما فاعله في البيت مضمر لا علامة له في اللفظ ، كما تقول : هند تفعل وزيد يفعل . هذا ويرد عليه ان الياء لو كانت علامة تأنيث لثبتت في التثنية كما ثبتت التاء في الاعراب ، فكنت تقول : في قولك هند تفعل الهندان تفعلان كما تقول في التاء اذا قلت : هند فعلت فانك تقول : الهندان فعلتا ، فتثبت في التثنية كما تثبت في الافراد ، وكونها لم تثبت في التثنية وثبتت في الافراد دليل على انها ليست علامة تأنيث وانما هي ضمير وايضا فان الضمير يستتر في فعل الغائب ، وفي فعل المخاطب في حال الافراد ، ويبرز في حال التثنية فكذلك ينبغي ان يكون ما استتر فيه الضمير من الضربين من المؤنث يظهر في التثنية فيقال تفعليان كما تقدم . قوله : ولا يك حذفت النون منها استخفافا لكثرة الاستعمال ، وذلك ان الاصل فيه قبل دخول الجازم يكون ، ثم دخل الجازم فسكن النون فقلت : لم يكن ، فاجتمع ساكنان الواو والنون

تخفيفا لكثرة الاستعمال فاذا استقبلوا الالف واللام او الف وصل

اثبتها ولم يجز حذفها ، لانها في موضع تحرك فيه كقولك : الرجل منطلق

ولم يكن ابنك جالسا . واما قول الشاعر :[1] [حسيل بن عرفطة]

لم يك الحق سوى ان هاجه رسم دار قد تعفى بالسرر

غير الجدة من عرفانه خرق الريح وطوفان المطر

وقول بعض الرجاز :

ومن يك الدهر له بالمرصد

فحذف النون من يكن مع الالف واللام ، فانه شاذ لا قياس عليه ، ووجه

حذف هذه النون انهم شبهوها بالتنوين ، لكنها اشد قوة منه ، لانها

من نفس الكلمة والتنوين زائد .

وقد انشد سيبويه بيتا قد حذفت فيه نون لكن في الموضع

الذي يجب تحريكها وذلك قول النجاشي :

فلست بآتيه ولا استطيعه ولاك اسقني ان كان ماؤك ذا فضل

فلو ظهرت النون لقال : ولكن اسقني . فاما الفراء فيذكران قولهم : لاك لغة

في لكن ، فاذا حمل بيت النجاشي على هذه فلا ضرورة فيه .

ومن يقرأ التعليق على هذا الشاهد يعلم مالا بن تميم اللبلي

من قدرة فائقة على التنقل بتأليفه في مختلف الفنون من علم وادب وتاريخ

ونحو وصرف ولغة وبيان ناصع مؤيد بالشواهد على كل قضية يريد ان يثبتها

ويرد على كل رأى لا يؤيده ولا يقتنع بصحته . ثم هو يعلق على استشهاد

الزجاجي في باب البدل بقول الشاعر :[2] [الاعشى]

لقد كان في حول ثواء ثويته تقضى لبانات ويسأم سائم

فينسب البيت لاعشى قيس ، ويذكر انه ادرك الاسلام ولكنه لم يسلم ، ثم

يشرح اللغة في تمكن وثقة بعلمه ، ثم يذكر المعنى المقصود من البيت ، وفي

حديثه عن الاعراب يذكر ابن هشام السبتي ناقلا عن ابي الحسن بن الاخضر

ثم يذكر رأى ابي عبد الله بن ابي العافية ويتحدث عن وجهات النظر

واختلاف الناس في المشتمل في هذا البيت : هل هو الحول أو غيره
وكذلك يذكر رأى ابن السيد ويشيد برأى استاذه وشيخه الجليل ابى على
الشلوبين قال اللبلى بعد ان تحدث في نسبة البيت وفي تاريخ صاحبه
وفي اللغة والمعنى[1] :

الاعراب : الشاهد في البيت قوله : " ثواء " وانه بدل اشتمال ، وحكى
ابن هشام السبتي عن الاستاذ ابى الحسن بن الاخضر انه كان
يقول : لا يكون ثواء في البيت بدل اشتمال وانما هو بدل بعض من كل ،
وهو على حذف مضاف تقديره : لقد كان في زمن حول ثواء . قال : وكان
الاستاذ ابوعبد الله بن ابى العافية يرد قوله هذا ، ويقول : هو فاسد
من طريق الاعراب والمعنى ، اما الاعراب فان الزمن اعم من الحول فكانه
بدل الاكثر من الاقل . قال : واما المعنى فانه يخاطب نفسه ويوبخها
على ان بقى مع محبوبته حولا ولم يقتنع ولو زاد بعض حول لما كان له ان
يوبخها ، ولكن له عليها حجة في عدم اقتناعها فاذا بطل هذا صح بدل
الاشتمال .

وقد يجوز رفع ثواء ونصبه ولا يك فيه حينئذ شاهد وارتفاعه على
احد وجهين : اما ان يكون على اسم كان ، واما على انه فاعل ، وان كان بمعنى
وقع ، قاله ابن ابى العافية . واما من رواه منصوبا فعلى المصدر ويجوز ان يكون
منصوبا بثويته ان كانت الهاء من ثويته راجعة الى الحول ، واما ان كانت
عائدة على الثواء ، فلا يجوز لان الهاء تكون حينئذ ضمير المصدر فتكون
مصدرية والفعل لايتعدى الا الى مصدر واحد .

وقيل ينتصب على المفعول من اجله ، قاله ابن هشام . واختلف
الناس في المشتمل ماهو في البيت هل الحول او غيره ؟ فمنهم من قال
الحول هو المشتمل على الثواء . ومنهم من قال : بل الثواء هو المشتمل
على الحول . ومنهم من قال : تقضى .

---

(١) [illegible]

وهذا الاختلاف منهم مبنى على تعيين المشتمل ، فانه فيه ثلاثة اقوال : احدها ان المشتمل هو الاول ، والقول الثانى ان المشتمل هو الثانى ، والثالث ان المشتمل هو الخبر . وقد ذكرنا الصحيح ، وبينا ماهو المختار فى غير هذا الكتاب .

واللبلى هنا يذكر القارئ بان له مؤلفات نحوية اخرى ، وازن فيها بين الاراء وذكر الخلافات وبين المختار عنده ، ثم هو ينقل عن ابن سيده رايه فى الهاء من ثوبته . قال ابن سيده : يجوز ان تعود على الثواء ، فتكون على قوله مصدرية ، فتعرب الجملة بان تقول فعل وفاعل ومصدر . قال ابن سيده[1] : ويجوز ان تعود على الحول ، فمن ردها الى الحول فقد حذف حرف الجر لانه ظرف كانه قال : ثويت فيه ... فيكون حكم اعرابها على قوله ان تقول : ثويته فعل وفاعل ومفعول على السعة لانه فى الاصل ظرف والظروف مقدرة بفى ... ثم قال اللبلى : ورد هذا القول عليه بانه اذا عادت الهاء من ثويته على الحول بقى الموصوف لم يعد عليه من الجملة التى هى صفة عائد ، وان جعلتها عائدة على ثواء بقى المبدل من البدل بلا عائد ، فلا بد من تقدير اضمار آخر .

ثم نقل عن ابن السيد قوله[2] : فيجب ان يكون فى هذه الجملة عائدان عائد الى الثواء من صفته ، وعائد الى الحول فى بدله ، لان حكم الصفة ان يعود منها عائد الى موصوفها ، وحكم بدل الاشتمال او بدل البعض من الكل ان يكون فى كل منهما ضمير عائد الى المبدل منه ، فالهاء من ثويته تعود على الثواء ، والعائد على الحول مقدر كانه قال : ثواء ثويته فيه .

ولم يعلق اللبلى على كلام ابن السيد ، وقد ذكر بعده رأى ابن هشام السبتى ورد استاذه الجليل ابى على الشلوبين عليه ، واتبع ذلك رأيه هو ، قال[3] : وكان ابن هشام السبتى يختار ان تعود الهاء

(1) الورقة رقم : ٧٠ .
(2) الورقة رقم : ٧٠ .

من ثوبيه على الحول ويقول : عود الضمير على الحول اقوى . قال : وانما قلنا اقوى لان بدل البعض وبدل الاشتمال لابد فيهما من ضمير يعود الى المبدل منه . وكان شيخنا الاستاذ الجليل ابو على المشهور بالشلوبين يضعف قول ابن هشام ويقول : لا لان الصفة تستغنى عن ان يكون فيها ضمير يعود الى الموصوف بل الصفة احوج الى الربط من البدل ان حققت ، والا فهما فى الاحتياج الى الربط سواء ، فكان يكون عود الضمير الى الحول اقوى لما ذكر . قال احمد : ان كان اراد ابن هشام ان الصفة لا يلزم ان يكون فيها ضمير وان بدل الاشتمال وبدل البعض من الكل يلزم فيهما الضمير ولا بد لكل واحد منهما من ضمير يعود على المبدل منه فهو فاسد . وان كان اراد ان الضمير محذوف من الصفة كما يحذف من الصلة ، وان كان حذفه من الصلة أحسن ، وحذف الضمير من البدل قليل جدا فكلامه حق .

وهذا توجيه سديد من اللبلى ، وقد اطال فى اعراب بقية البيت وذكر وجهات النظر المختلفة فيه ثم رأيه يذكر شاهده على تقديم التمييز(١) .

أتهجر ليلى للفراق حبيبها   وما كان نفسا بالفراق تطيب

تحدث احمد — لطف الله به — عن نسبة هذا البيت للمخبل السعدى وذكر اسمه وشيئا من تاريخه وخبره . ثم ذكر ان بعضهم قد عزا القصيدة التى منها هذا البيت لاعشى همدان ، وذكر له لقبا وقصة يجل الموضع عن التحدث بها ، ثم فسر البيت وبين الشاهد فيه وذكر الاراء فى جواز تقديم التمييز وختم اللبلى بيانه بقول ابى اسحق الزجاج(٢) : الرواية فى البيت : " وما كان نفسى " فعلى هذه الرواية لا يكون فى البيت شاهد على جواز تقديم التمييز وبيانه ان نفسى يكون اسم كان ، وتطيب فى موضع خبر كان والضمير الذى فى تطيب عائد على النفس ، ولذلك قال : تطيب بالتاء فانث ، وعلى الوجه الاول فيه ضمير الحبيب فلذلك ذكر يطيب بالياء . وليس فى البيت اعراب مشكل

(١) الورقة رقم : ٥٨ .

فتبينه .

وعندما وصل الى الشاهد الاخير في كتاب الجمل وهو قول الشاعر :

فما سبق القيسي من سوء سيرة ولكن طفت علماء غرلة خالد

ذكر قصة عزل عمرو بن هبيرة وتولية خالد بن عبد الله القسري وذكر لابن السيرافي رواية اخرى في شرح ابيات سيبويه ثم قال[1] " والمشهور ما ذكره الناس كما قدمنا " . ثم تحدث عن الفاظ البيت من ناحية البحث اللغوي ، وشرح المعنى على الروايتين ورواية ابن السيرافي : " ولكن طفت في الماء " وليس فيه شاهد على هذه الرواية . ثم قال اللبلي : والاعراب : الشاهد في البيت قوله : علماء ، والاصل على الماء ، فلما زالت الالف من اللفظة لالتقاء الساكنين بقي علماء ، فصار مضاعفا ولم يمكن ادغامه لان المتحرك لا يدغم في الساكن ، وكرهوا نقل اللسان عن الحرفين مرتين فحذفوا اللام الاولى طلبا للتخفيف كما حذفوا احدى السينين واللامين من مسست وظللت ، والاصل مسست وظللت ، فبقي علماء . وليس في البيت اعراب مشكل فنوضحه هنا . وبالله سبحانه التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

وقد ذيل الكتاب بما يدل على نهايته وتاريخ كتبه واسم كاتبه وذلك قوله :

كمل الكتاب بحمد الله ذي الجود محيي العظام ومجري الماء في العود

ياقارئ الخط قل بالله مبتهلا اغفر لكاتبه ياخير معبود

فرغ من كتابته صبيحة يوم الخميس (٧ من المحرم سنة ٨٥٧) كتبه محمد بن ابراهيم ابن عبد العزيز بن ابراهيم الصنهاجي شهر الغراب .

وهذا الاثر النفيس لعلم من اعلام النحو في الاندلس يجب ان ينال حظه من النشر ، حتى يجد فيه طلاب العلم معينا عذبا ، وعلما ينفعهم

---

(١) ...

ويعينهم على نفع غيرهم ، اذ قد جمع فيه صاحبه بين النحو والصرف واللغة والأدب والتاريخ ، مما يجعله عظيم الجدوى والفائدة ، وما من شك في أن فضل هذا الكتاب على كتاب الحلل لابن السيد كفضل الوشي على الحلل التي يزينها ، ولعل باحثا يتجه الى الكتابة عن شرح كتاب الجمل للزجاجي ، فيزيد الأمر بيانا ، ويتحف المعاصرين بما أبدعه السابقون .

٢٢ — ومن تلاميذ الشلوبين "القاضي أبو علي بن الناظر" الذي لازم في العربية والأدب الأستاذ أبا علي الشلوبين ، وأخذ عنه أكثر كتاب سيبويه .. توفي سنة ٦٩٩ هـ(١)

٢٣ — مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن الفرج أبو الحكم ابن المرحل المالقي النحوي الأديب كان ذاكرا للآداب واللغة شاعرا رقيقا مطبوعا سريع البديهة حسن الكتابة ، والشعر أغلب عليه . أخذ عن الشلوبين والدباج ، وأجاز له أبو القاسم بن بقي ، تحرف بصناعة التوثيق ، وولي القضاء بجهات غرناطة ، وله نظم فصيح ثعلب وغيره ، ووقع بينه وبين ابن أبي الربيع خلاف في مسألة : كان ماذا فنظم مالك :

عاب قوم كان ماذا   ليت شعري لم هذا ؟
واذا عابوه جهلا   دون علم كان ماذا

وجمله ابن أبي الربيع ، وصنف في المنع مصنفا . قال أبو حيان : وألسنة الشعراء حداد ، وإلا فلا نسبة بين ابن أبي الربيع وابن المرحل فان ابن أبي الربيع ملأ الأرض نحوا . مات مالك سنة تسع وتسعين وستمائة ومن شعره :

مذهبي تقبيل خد مذهب   سيدي ماذا ترى في مذهبي ؟
لا تخالف مالكا في رأيه   فبه يأخذ أهل المغرب(٢)

٢٤ — عبد الله بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد العزيز بن اسماعيل الطائي الأندلسي المالكي النحوي أبو محمد ، نزيل تونس ولد سنة ثلاث وستمائة وأخذ النحو عن الدباج والشلوبين .. وهو من بيت علم وجلالة برع في النحو واللغة وسائر علوم الآداب والتواريخ ، وله نظم ونثر كثير ، وكان شديد التشيع ، اختلط قبل موته قليلا ، وانفرد بعلو الاسناد ، وروى عنه أبو حيان والوادي آشي وجماعة ، ومات سنة ثنتين وسبعمائة(٣) .

---

(١) تاريخ قضاة الأندلس : ١٢٧ .
(٢) بغية الوعاة : ٣٨٤ .

٢٥ - محمد بن حجاج بن ابراهيم الحضرمي أبوعبدالله وأبو بكر الوزير المعروف بابن مطرف الاشبيلي ، نزيل مكة ... وكان قرأ النحو على الشلوبين ، وكان يحفظ كتاب سيبويه ، وله تقييد على جمل الزجاجي ، وكان من الصالحين الأولياء العالمين الزهاد ، وله كرامات ، وكان يطوف في اليوم والليلة ستين أسبوعا مات كما قال الفاسي ليلة الخميس ثلث رمضان سنة ست وسبعمائة ، وقال الذهبي : سنة سبع ، وغيره : سنة أربع[1] .

٢٦ - وتوفي في سنة ٧١٩ العلامة أبوعبدالله محمد بن يحيى بن عبد الرحمن ابن ربيع القرطبي[2] ، تفرد بالسماع من الشلوبين والكبار، وكان شيخ مالقة على الاطلاق .

هؤلاء بعض تلاميذ أبي على الشلوبين ، الذين تحدثت عنهم بعض كتب التراجم نبغ فيهم من نبغ ، وألف منهم في علم النحو كثيرون ، ولكني واثق كل الثقة من أن الذين أهملهم التاريخ ، وسكت عنهم المؤلفون أكثر من هؤلاء ، ولعل فيهم النحاة الذين نفع الله بهم وبعلمهم ، ويكفي أن أكرر كلمة ابن الأبار التي ذكرت في صدر الحديث عن تلاميذ أبي على وهي قوله : " أخذ عنه عالم لا يحصون " رحمه الله بقدر ما أسدى الى العلم من أياد .

مؤلفات الشلوبين :

سبقت الاشارة الى مؤلفات أبي على عند الحديث عن شهرته ، وهذه المؤلفات ليست كثيرة في عددها ، وانما هي عظيمة القيمة فيما اشتملت عليه من كنوز العلم ، وهذه المؤلفات هي :

١ - شرح كتاب سيبويه . ذكره القفطي بقوله[3] : " وقيل : انه صنف شرحا لكتاب سيبويه لم يظهر بعد " وقال السيوطي عنه[4] : وصنف تعليقا على كتاب سيبويه" وقد سبقهما ابن الزبير فقال في ترجمته[5] : " وعلق عنه على كتاب سيبويه كثيرا" .

ومن المرجح أن الشرح الذي ذكره القفطي هو التعليقات التي ذكرها غيره . وكنت أحسب أن جدوى هذه التعليقات كانت مقصورة على من قرأوا على الشيخ ، ثم دونوا ما كانوا يسمعون منه ، ولكني وجدت السيوطي قد نقل عنها ، وربما كان في ذلك

---

(١) بغية الوعاة : ٣٠ . (٢) شذرات الذهب ج٦ : ٥٢

(٣) انباه الرواة ج ٢ ص : ٣٣٢ . (٤) بغية الوعاة : ٣٦٤ .

(٥) ذيل الصلة : ٧٠ .

دليل على أنها قد جمعت في كتاب ، وأن هذا الكتاب قد وصل الى السيوطي ينقل عنه في " قولهم : لاه أبوك في لله أبوك " قال[1] : قال الشلوبين في " تعليقه على كتاب سيبويه " : مذهبنا أن المحذوف حرف الجر واللام التي للتعريف وزعم المبرد أن المحذوف اللام المعرفة ولام الله الأصلية ، والمبقاة لام الجر فتحت ردًا الى أصلها ، كما تفتح مع المضمر ، قال : وهذا أولى ، لأن في مذهبكم حذف الجار وابقاء عمله ، وهو مع ذلك حرف معنى . وأما أنا فلم أحذف حرف المعنى بل حذفت مالا معنى له . قال الشلوبين : وهذا المذهب قد وافق حذف اللام المعرفة ، وبقي الترجيح بين حرف الجر وحرف الأصل ، فزعمنا أن المحذوف حرف الجر ، وزعم أن المحذوف اللام الأصلية ، ورجح مذهبه بأن حرف الجر لمعنى ، وفيه ابقاء عمله . وينبغي أن يترجح مذهبنا ، لأنه قد ثبت حرف الجر محذوفا وعمله مبقى في نحو : " خيرعافاك الله " ، وفي مذهبه ادعاء فتح اللام ونحن نبقي الكلام على ظاهره ، وأيضا فان الذين يفتحون اللام الجارة قوم بأعيانهم ، لايفعل ذلك غيرهم ، وجميع العرب يقولون : لاه أبوك ، بالفتح ، فدل على أنها ليست للجر ، اذ لوكانت الجارة لما فتحها الا من لغته أن يقول : المال لزيد ولعمرو (أي بفتح اللام) فهذا يؤيد ما ذهبنا اليه .

وهذا النقل دليل على أن السيوطي قد اطلع على هذا التعليق فلفت النظر اليه .

٢ — تعليق على المفصل[2] : قال في كشف الظنون بعد ذكر المفصل للزمخشري ، وعليه تعليقة لأبي على الشلوبين عمر بن محمد الاشبيلي الأندلسي ، المتوفى سنة ٦٤٥ هـ .

٣ ، ٤ ، ٥ — ولأبي على الشلوبين ثلاثة كتب أخرى في النحو ، تتصل أوثق الاتصال بالمقدمة الجزولية ، المعروفة بالقانون في النحو ، التي ألفها أستاذه أبو موسى الجزولي ، وهي التوطئة وشرحان عليها ، وقد صنفها أبو علي الشلوبين تجلية وتوضيحا لما في المقدمة الجزولية من أصول النحو وقواعده ، وقد رأيت أن أرجيء الحديث عن هذه الكتب الثلاثة ، حتى يكون مع الحديث عن المقدمة الجزولية ، وعن شراحها والشروح التي وصلت الينا ، وذلك بعد التعريف بصاحبها ومن أجل ذلك أخرت الحديث عن الجزولي الذي مات في سنة ٦٠٥ هـ ، وكان حقه أن يذكر قبل ابن خروف ، أو بعده ، تبعا للخلاف في وفاة كل منهما .

---

(١) الأشباه والنظائر جـ ١ ص: ٤٣ .

(٢) [illegible]

الشلوبين وكتب النحو:

لم تخل أكثر كتب النحو التي ألفت بعد الشلوبين من ذكر بعض آرائه منسوبة اليه ، وان مدرس النحو ليحرص أشد الحرص على تلقين تلاميذه الضبط الصحيح للاسم الذى اشتهر به أبو على أول ما يعرض لهم ، يفعل ذلك معتزا بحرصه على صحة ضبط الأعلام . وانه لما يملأ النفس اعجابا بالرجل ويشعر الدارس بامامته وتقدمه فى هذا العلم صموده فى حلقات الدرس ستين عاما يعلم ويصنف ويسارع الطلاب اليه من كل نحو ، حتى قال عنه ابن الزبير[1] " وقل متأدب من أهل وقتنا لم يقرأ عليه ، أو نحوى لا يستند ولو بواسطة اليه " وربما كان من أوجز كتب النحو التى بين ظهرانينا كتاب أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك لابن هشام وهو على ايجازه لم يخل من ذكر الشلوبين .

لقد ذكر ابن هشام وجهى الاعراب فى نحو " عسى أن يقوم زيد " فالأول على أن عسى مسندة الى أن والفعل مستغنى بهما عن الخبر ، والثانى على أن زيدا مرفوع بعسى ، وأن والفعل فى موضع نصب على الخبرية ، ثم قال : ومنع الشلوبين هذا الوجه لضعف هذه الأفعال عن توسط الخبر . وأجازه المبرد والسيرافى والفارسى . ويظهر أثر الاحتمالين فى التأنيث والتثنية والجمع[2] ...

وفى الحديث عن " لو " قال ابن هشام[3] : وتقتضى امتناع شرطها دائما خلافا للشلوبين ومثل ذلك فى المغنى[4] .

وفى المغنى أيضا بعد أن قال صاحبه[5] : " ولا معنى لأن الزائدة غير التوكيد كسائر الزوائد " قال أبو حيان : وزعم الزمخشرى أنه ينجر مع التوكيد معنى آخر فقال فى قوله تعالى : " ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم[6] " دخلت أن فى هذه القصة ولم تدخل فى قصة ابراهيم فى قوله تعالى " ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما[7] " ، تنبيها وتأكيدا على أن الاساءة كانت تعقب المجىء .. وقال الشلوبين : لما أن كانت أن للسبب فى " جئت أن أعطى " أى للاعطاء أفادت هنا أن الاساءة كانت لأجل المجىء وتعقيبه ، وكذلك فى قولهم : أما والله

---

(١) ذيل الصلة ص: ٧٠ .

(٢) أوضح المسالك : ٣١ .

(٣) أوضح المسالك : ١٣٥ .

(٤) جـ ١ : ١٨٩ .

(٥) جـ ١ : ٣٠ ، ٣١ .

(٦) سورة العنكبوت آية : ٣٣ .

(٧) سورة العنكبوت آية : ٣١ .

أن لو نملت لفعلت أكدت أن مابعدها لو والسبب في الجواب . وهذا الذى ذكراه (يعنى الزمخشرى والشلوبين) لايعرفه كبراء النحويين انتهى .

وقال ابن هشام(١) : من معانى " ألا الاستفهام عن النفى كقوله :

ألا اصطبار لسلمى أم لها جلد … اذا ألاقى الذى لاقاه أمثالى

وفى هذا البيت رد على من أنكر وجود هذا القسم ، وهو الشلوبين . وكذلك رد عليه صاحب الدرر اللوامع تبعا للسيوطى(٢) .

وحين ذكر ابن هشام أوجه الاعراب فى " اذ " التى للمفاجأة هل هى ظرف مكان أو زمان أو حرف بمعنى المفاجأة أو حرف توكيد أى زائد قال(٣) : وعلى القول بالظرفية قال ابن جنى : عاملها الفعل الذى بعدها لأنها غير مضافة اليه .. وقال الشلوبين : اذ مضافة الى الجملة فلا يعمل فيها الفعل .. لأن المضاف اليه لايعمل فى المضاف ولا فيما قبله وانما عاملها محذوف يدل عليه الكلام . ونقل ذلك عن الشلوبين السيوطى أيضا(٤) .

وذكر ابن هشام رأى الشلوبين مع الرمانى وابن الشجرى وابن مالك فى الخبر بعد لولا فقال(٥) : يكون كونا مطلقا كالوجوب والحصول فيجب حذفه ، وكونا مقيدا كالقيام والقعود فيجب ذكره ان لم يعلم نحو : " لولا قومك حديثو عهد بالاسلام لهدمت الكعبة " ويجوز الأمران ان علم .

وذكر ابن هشام مسألة بين فيها رأى الشلوبين فى الجملة المفسرة فقال(٦) : قولنا : ان الجملة المفسرة لا محل لها خالف فيه الشلوبين فزعم أنها بحسب ماتفسره فهى فى نحو : زيدا ضربته لامحل لها ، وفى نحو " انا كل شىء خلقناه بقدر " ونحو : زيد الخبز يأكله بنصب الخبز — فى محل رفع ، ولهذا يظهر الرفع اذ قلت آكله . وقال :

فمن نحن نؤمنه يبت وهو آمن *

نظهر الجزم وكأن الجملة المفسرة عنده عطف بيان أو بدل . ولم يثبت الجمهور وقوع البيان والبدل فى الجملة . ولكن السيوطى وافق الشلوبين(٨) ، وقد نقل البغدادى ذلك عن ابن هشام(٩) .

---

(١) المغنى جـ ١ : ٦١
(٢) همع الهوامع ١ : ١٤٧ ، والدرر اللوامع ١ : ١٢٨ .
(٣) المغنى ١ : ٧١ .
(٤) همع الهوامع ١ : ٢٠٥
(٥) المغنى ١ : ١٩٨
(٦) المغنى ٢ : ٥٣

وفى نحو " قاموا ما خلا زيداً " ذكر أن ما مصدرية وهى وصلتها حال فيه معنى الاستثناء والتقدير خالين عن زيد ثم قال[1] : وأما قول ابن خروف والشلوبين : ان ما وصلتها نصب على الاستثناء فغلط لأن معنى الاستثناء قائم بما بعدهما لا بهما ، والمنصوب على معنى لا يليق ذلك المعنى بغيره .

وفى كتاب الأشباه والنظائر قدر كبير من آراء الشلوبين ، ونقول كثيرة عن شرح الجزولية ، وقد زادت الآراء المنسوبة له فى هذا الكتاب على ثلاثين رأيا كما أن نقول السيوطى عن شرح الشلوبين قد بلغت قرابة نصف هذا العدد . فمن ذلك قوله[2] : الأفعال كلها مذكرة . نص على ذلك الزجاجى فى " الجمل " قال الشلوبين فى تعليله : لأن التأنيث الحقيقى والمجازى وعلامات التأنيث وأحكامه معدومة فيها ، قال : ومنهم من قال : أن فيها مذكرة ومؤنثة بحسب مصادرها فاذا كان الفعل يدل على مصدر مذكر قيل فيه مذكر بتذكير مصدره ، واذا كان الفعل يدل على مصدر مؤنث قيل فيه مؤنث بتأنيث مصدره .

ومنه[3] : قال الجزولى : بنو تميم لا تلفظ بخبر لا الا أن يكون ظرفا . قال الشلوبين : هذا استثناء طريف لا أعلمه عن أحد ، ولا نقله أحد ، ولا أدرى من أين نقله ، وان كان له وجه من اتساعه فى الظروف مالم يتسع به فى غيرها ولكنه غير منقول ، وهذا ليس موضع القياس لأنه اتساع والاتساع انما هو منقول .

ومن ذلك[4] : وقال الشلوبين فى " شرح الجزولية : القول بأن فعل الأمر معرب مجزوم مبنى على قول الكوفيين ان بنية فعل الأمر محذوفة من أمر المخاطب الذى هو باللام .

وكذلك عنى السيوطى بذكر آراء الشلوبين فى كتابه همع الهوامع الذى اعتبره الأستاذ عبد السلام هارون رئيس قسم النحو بكلية دار العلوم فى كتابه تحقيق النصوص " من أجمع كتب النحو وأنفعها[5] " ، وليس من المقبول هنا أن أتقصى

---

(١) المغنى ٢ : ١٧٩ (٢) الأشباه والنظائر جـ ١ : ٨٦

(٣) الأشباه والنظائر جـ ١ : ٢٤٠ .

(٤) الأشباه والنظائر ٢ : ١٤٨ ، وفى الجزء الأول وحده من الأشباه والنظائر آراء للشلوبين ونقول عن شرحه للجزولية فى الصفحات : (٤٤ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٨٦ ، ١٠٦ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣) (١٩ ، ٣١ ، ٤٧ ، ٩٨ ، ١٣٢ ، ١٩٥ ، ٢٠٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧) وفى سائر الكتاب تنتشر آراء الشلوبين وليس ما ذكرت على سبيل الحصر .

كل آراء الشلوبين التى ذكرها السيوطى وانما يكفى أن أضيف الى ما سبق مثالا .

فعندما تحدث السيوطى عن حذف أحد المثلين فى مثال : أحست وظلت قال : قال سيبويه : .. وليس هذا النحو الا شاذا والأصل فى هذا عربى كثيره[1] وذلك قولك أحسست وظللت ومسست ، ولا نعلم شيئا من المضاعف شذ الا هذه الأحرف . اهـ . قال أبو حيان : وقد نص سيبويه على شذوذ هذا الحذف فى عدة مواضع " وقد اختلف أصحابنا فى هذا ، فذهب أبو على الشلوبين الى أن ذلك مطرد فى مثال هذه الأفعال كأحب وانهم وانحط . وذهب ابن عصفور وابن الضائع الى أن ذلك لا يطرد .

وأحسبنى بعد هذا قد عرفت بالشلوبين وبشيوخه وطلابه وألقيت ضوءا على مجهوده فى ميدان العلم أكثر من نصف قرن ، ولست أدعى أنى وفيته حقه ، فهو وحده جدير بأن تتجه اليه همم الباحثين فتحقق كتبه وتجمع آراءه المنتشرة فى مختلف كتب النحو ، فتسد بذلك فراغا فى علم النحو ، وتكشف عما كان عليه أبو على الشلوبين من فضل ، وسيأتى ذكر يشيد بفضل الشلوبين عند الحديث عن المقدمة الجزولية .

٧- <u>الجزولى</u> :

هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت بن عيسى بن يوماريلى الجزولى ، البربرى المراكشى اليزدكتنى . يللبخت بفتح الياء آخر الحروف واللام ، وسكون اللام الثانية وفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة ، وبعدها تاء مثناة من فوقها وهو اسم بربرى معناه ذو الحظ . ويوماريلى بضم الياء آخر الحروف وسكون الواو وفتح الميم وبعد الألف راء مهملة مكسورة ثم ياء آخر الحروف ساكنة وبعدها لام ثم ياء ، وهو اسم بربرى أيضا . واليزدكتنى بفتح الياء آخر الحروف وسكون الزاى وفتح الدال المهملة وسكون الكاف وفتح التاء المثناة من فوقها ثم نون ، نسبة الى فخذ من جزولة ، والجزولى . بضم الجيم والزاى وسكون الواو ثم لام ، نسبة الى جزولة ، ويقال بالكاف بدل الجيم ، وهى بطن من البربر[2] .

---

(١) همع الهوامع ٢ : ٢١٨ .

(٢) وفيات الأعيان ٣ : ١٥٧ ، وبغية الوعاة : ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

علمه ومؤلفاته :

قال ابن خلكان في ترجمته(١) : كان اماما في علم النحو ، كثير الاطلاع على دقائقه وغريبه وشاذه ... وسمعت أن له أمالي في النحو ، ولكنها لم تشتهر. ورأيت له مختصر الفسر لابن جني في شرح ديوان المتنبي ونسبت الجمل اليه لأنها من نتائج خواطره . وذكر بعض المتأخرين في تصنيفه أنه كان قرأ " الجمل " على ابن بري وسأله عن مسائل على أبواب الكتاب . وكان يقول (عن الجمل) : هي ليست من تصنيفي لأنه كان متورعا ، وكان استفادها من شيخه ابن بري ، وانما نسبت اليه لأنه انفرد بترتيبها . وانتفع به خلق كثير .

وقد تصدر أبو موسى بالمرية وغيرها وأخذ عنه العربية جماعة منهم الشلوبين وابن معط ، وكان اماما فيها لايشق غباره مع جودة التفهيم وحسن العبارة . وولي خطابة مراكش . شرح أصول ابن السراج ، وله المقدمة المشهورة ، وهي حواش على الجمل للزجاجي . وقال بعضهم : ليس فيها نحو وانما هي منطق لحدودها وصناعتها المتلبسة(٢) " .

وقال القفطي(٣) : " رجل فاضل كامل ديّن خيّر ، مات سنة ٦٠٥ .

قال السيوطي(٤) : ومات سنة سبع وستمائة . قال الصلاح الصفدي في شرح لامية العجم ، أنشدني الشهاب محمود قال ، أنشدني لنفسه الشيخ مجد الدين ابن الظهير الأربلي أبياتا كتبها من نظمه على الجزولية :

مقدمة في النحو ذات نتيجة تناهت فأغنت عن مقدمة أخرى
حبانا بها بحر من العلم زاخر ولا عجب للبحر أن يقذف الدرا
وأوضحها بالشرح صدر زمانه ولم نر شرحا غيره يشرح الصدرا

وذكر ابن خلكان ثلاثة أقوال في تاريخ وفاته(٥) : سنة ٦١٠ أو سنة ٦٠٧ أو سنة ٦٠٦ ، فتكون جملة الأقوال في وفاته أربعة .

---

(١) وفيات الأعيان جـ ٣ ص : ١٥٧ ، ونقل ذلك ابن العماد في شذرات الذهب جـ ٥ : ٢٦ .

(٢) بغية الوعاة : ٣٦٩ .

(٣) انباه الرواة جـ ٢ ص: ٣٧٨ .

(٤) بغية الوعاة : ٣٦٩ .

(٥) [illegible]

تلاميـــــــذه :

كان أبو موسى حريصًا على الافادة من رحلته للحج " فقد لزم ابن بـــــري بمصـــر"[1] وفي ترجمة ابن بري قال السيوطـــي[2] : قرأ على الجزولي ومات سنة ٥٨٢هـ وعلى هذا يكون الشيخـــان قد استفاد كل منهمـا علم الآخـــر ٠

ومحمـد بن أحمد بن عبد الله بن هشام أبو عبد اللـه الفهري الذهبي ويعـــرف بابن الشّواش قال الأبار : أخذ عن الجزولي ٠٠ وجلس للاقراء والتحديث ودرس النحـــو واللغـــة وحمل الناس عنه وكان امامـا متواضعـا بارع الخط مات سنة ٦١٩ هـ[3]

وعبد الرحمن بن دحمان ٠٠ الأنصاري المالقي أبو بكر ، قال ابن الزبـــير : كان مقرئـا للقـــرآن نحويا أديبـا سريا فاضـــلا ذا دعابـة وبسط خلق روى عن أبيـــه وعمـه والجزولـي ، وعنـه ابن أبي الأحوص وأبو بكـر بن حميد ومات سنة ٦٢٧ هـ[4]

ويحيى بن معط ٠٠ كان امامـا مبرزا في العربيـة شاعرا محسنا ، قرأ علـــى
أقرأ النحو بدمشق مدة ثم بمصر ، وهو من أجل تلامذة الجزولي ، وانفـــــرد
الجزولي بعلم العربيـة ، وصنف الألفيـة المشهورة في النحو ٠ حواش على أصول ابـــن السراج في النحـــو ٠ شرح الجمل في النحو ٠ شرح أبيات سيبويه نظم ٠٠٠ مـــن جملـة محفوظاتـه كتاب صحـاح الجوهـري ٠ مات سنة ٦٢٨هـ[5] ٠

ومحمـد بن قاسم بن منداس ، أبو عبد اللـه المقرئ البجائي الجزائري ، ويعرف بالأشيري ٠٠ أخذ العربيـة عن الجزولي وغيره ، وأقرأها مـدة ومات أول المحـــرم سنـة ٦٤٣ [6]

وأبو علي الشلوبيـــين (٦٤٥هـ) قال السيوطي في ترجمـة الجزولـي[7] :" وأخـذ عنـه العربية جماعـة منهم الشلوبين وابن معط " ويكفي الجزولي فخرا أن يكون الشلوبـين تلميـذه ٠

وأحمـد بن محمد بن بشار السبائي المروي أبو جعفـر ٠ قال ابن عبد الملك : كان متحققا بالنحو حافظا للغـة ذا نباهـة في بلده وجلالـة ، قد درس النحو علـــى عيسى بن عبد العزيز الجزولـي ، وله اجازة من أبي محمـد بن محمـد الحجري أخــذ عنـه ماكان عنده ومات سنة ٦٥٠ هـ[8]

---

(١) بغية الوعاة : ٣٦٩ ٠ (٢) بغيـة الوعـاة : ٢٧٨ ٠

(٣) المرجع السابق : ١٢ ٠ (٤) المرجع السابق : ٢٩٨ ٠

(٥) نفس المرجـع : ٤١٦ وشذرات الذهب ٥ : ٢٦ (٦) بغيـة الوعـاة : ٩٢ ٠

(٧) المرجع السابق : ٣٦٩ ٠ (٨) نفس المرجـع : ١٥٨ ٠

وفتح بن موسى .. الجزيرى القصرى ، ولد بالجزيرة الخضراء .. وسمع على الجزولى مقدمته وكان فقيها فاضلا شافعيا أصوليا نحويا عارفا بالعروض والحكمة والمنطق . صنف نظم المفصل للزمخشري ... ومات سنة ٦٦٣ هـ .[1]

وهؤلاء الذين ذكروا منهم من تصدر ومنهم من ألف ومنهم من كانت له الامامة فى النحو ، وهذا يعنى أن الجزولى قد ادى رسالته العلمية على أتمّ وجه فقد علم وألف فجزاه الله عن النحو وعن النحاة خير الجزاء ، وهو يعد امام من الأئمة يجب أن يذكر اسمه مع الخالدين . وقد وصل الينا من مؤلفاته :

المقدمة الجزولية :

والعنوان الذى كتب عليها هو : " القانون فى النحو . تصنيف الشيخ الامام الحبر الفاضل المحقق ، أبى موسى عيسى بن موسى الجزولى النحوى — رحمه الله تعالى — آمين ، المتوفى سنة ٦٠٧ هـ ، ويسمى بالمقدمة الجزولية " .

قال ابن خلكان فى ترجمة الجزولى[2] : كان اما فى علم النحو ، كثير الاطلاع على دقائقه وغريبه وشاذه ، وصنف فيه " المقدمة " التى سماها " القانون " ، ولقد أتى فيها بالعجائب وهى فى غاية الايجاز مع الاشتمال على شئ كثير من النحو ، لم يسبق الى مثلها ، واعتنى بها جماعة من الفضلاء فشرحوها ، ومنهم من وضع لها أمثلة . ومع هذا كله لاتفهم حقيقتها ، وأكثر النحاة يعترفون بتصور أفهامهم عن ادراك مراده منها ، فانها كلها رموز واشارات ، ولقد سمعت بعض أئمة العربية المشار اليه فى وقته ، وهو يقول : أنا ما أعرف هذه المقدمة ، وما يلزم من كونى ما أعرفها أنى لا أعرف النحو ، وبالجملة فانه أبدع فيها " . وقد نقل ابن العماد ذلك عن ابن خلكان[3] . وقال القفطى بعد أن عرف بالجزولى[4] : " وأخبرنى صديقنا النحوى اللورقى الأندلسى قال : اجتزت به (أى بالجزولى) فى طريق .. فأرشدت الى منزله ، فدققت عليه بابه فخرج الى .. فسألته عن مسألة فى مقدمته .. فأجابنى عنها وتركته وانصرفت . وقد عنى الناس بشرح هذه المقدمة ، فممن شرحها صديقنا هذا المعلم وأجاد . وشرحها أبو على الشلوبينى ، نزيل اشبيلية ونحويها ، ولم يطل " .

ومما يسترعى النظر ، ويثير العجب فيما تقدم أمران : أولهما قول ابن خلكان : " ولقد سمعت بعض أئمة العربية .. " وذلك لأن اعتراف امام من أئمة العربية مشار

---

(١) بغية الوعاة : ٣٧٢ . (٢) وفيات الأعيان جـ ٣ ص: ١٥٧ .

(٣) شذرات الذهب جـ ٥ ص: ٢٦ ؛ (٤) انباه الرواه جـ ٢ ص: ٣٧٨ .

اليه فى وقته بأنه مايعرف هذه المقدمة أمر غير مقبول لأنها لاتخرج عن كونها مختصرا موجزا من مختصرات النحو التى عرفت قبل الجزولى ، وعلى هذا فانه يلزم عن عدم معرفته لا عدم معرفة شئ من النحو فضلا عن الامامة فيه .
وثانيهما ذهاب اللورقى الى منزل الجزولى وسؤاله عن مسألة فى مقدمته ،
وقد يكون سبب ذلك أن اللورقى قد عسر عليه فهم هذه المسألة ، حين كان يكتب شرح الجزولية فاستوضحها من صاحبها ، أو أن شبهة اعترضته فأراد أن يميط عنها اللثام . وهذه المقدمة ليست فى حقيقتها الا كتابا من كتب النحو الموجزة ، التى جمعت شوارده ، واقتنصت أوابده من غير استشهاد أو تمثيل . وقد تشبه أصول ابن السراج الذى عابه العبدى النحوى فقال[1] : " أفسده بالتقسيمات الهندسية " وقد كان العبدى نحويا لغويا ، تبيها بالقياس ، قرأ على السيرافى والرمانى والفارسى[2] . على حين مدحه الآخرون فقالوا[3] : " مازال النحو مجنونا حتى عقله ابن السراج بأصوله ، وهو أحسن كتبه وأكبرها ، واليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه . جمع فيه أصول العربية وأخذ مسائل سيبويه ورتبها أحسن ترتيب " . وقد قال اللورقى فى تعليقه على بعض المسائل التى شرحها فى الجزولية[4] : " وكثيرا ما يعتمد أبو موسى الجزولى على كتاب الأصول ، والجزولية مقتضبة منه فى الحقيقة " . واللورقى لم يصدر هذا الحكم الا بعد أن استوثق من صحته ، وهو أيضا يؤكد الصلة الوثيقة بينها وبين كتاب الجمل للزجاجى ، فيقول فى مقدمة شرحها[5] : " كانت ... كالحواشى على جمل أبى القاسم الزجاجى " .

ثم أضيف الى ذلك أننى بعد دراسة كتاب الواضح للزبيدى ومراجعة أبوابه رأيت بينه وبين الجزولية نسبا وصهرا ، ولمحت فيه سمات وخصائص تجمع بينهما وجماعها الايجاز والتركيز . اذا فقد سبق ابن السراج أصحاب المختصرات بكتاب الأصول وقد توفى فى سنة ٣١٦ هـ . ثم جاء من بعده أبو القاسم الزجاجى المتوفى سنة ٣٣٩ هـ ، تأليف كتاب الجمل ، ويغلب على الظن أنه قد تأثر بأصول ابن السراج لأنه أستاذ أستاذه أبى اسحاق الزجاج . وجاء بعد ذلك الزبيدى المتوفى سنة ٣٧٩ هـ ، تأليف الواضح فى النحو ، وقد سبق عرض نماذج منه فى ترجمة صاحبه ، تتسم بالايجاز ، كما تتسم بالوضوح ، وقد قرر ابن حزم أن فيه غناء للمبتدئ فيما ذكر هناك . ثم كان أبو موسى الجزولى ، تأليف المقدمة التى اختلف الناس فى قدرها ، كما اختلفوا فى القدرة على ادراك سرها ، ومعرفة مافيها من أسس النحو وأصوله ، حتى كان مارواه

---

(١) انباه الرواة ٢ : ٢٨٨ .　　(٢) بغية الوعاة : ١٢٩ .
(٣) معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٠　　(٤) المباحث الكاملية جـ ١ ورقة ١٨٢ .

ابن خلكان عن بعض أئمة المغاربة أنهم في علم العربية من أنه لا يحسنها .. والذى لاشك فيه أن المغاربة أحلوا عنه المقدمة فوق منزلتها ، وقد بين اللورقي صلتهما بكتاب الأصول لابن السراج وكتاب الجمل للزجاجي . وقد رأيت شبها كبيرا بين الجزولية وكتاب الواضح للزبيدى ، وربما كان عرض نموذج من كل منهما لباب من أبواب النحو أكثر بيانا لهذا الشبه الكبير بينهما ، وهذا باب أفعال المقاربة فيهما :

قال الزبيدى (١) : " باب عسى وكاد . اعلم أن عسى فعل ماض ولكنه لا يتصرف تصرف الأفعال ، ومعناه الطمع والترجى لما تستقبله تقول : عسى زيد أن يأتى فزيد رفع بعسى ، وأن يأتى خبر عسى ، وعسى أخواك أن يخرجا ، وعسى أخوتك أن يقوموا ، وعسيت أن تذهب معى ، وعسيتم أن تفعلوا كذا ، وان شئت قلت : عسى أن يقوم زيد ، فأن فى موضع رفع بعسى ، وكذلك عسى أن تخرجوا معى ، ولا يحسن اسقاط أن من قولك عسى زيد أن يقوم الا فى ضرورة ، كما قال الشاعر :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فأما كاد فمعناها المقاربة لشىء تقول : كاد زيد يقوم ، وكاد أخوك يغضب ، ولا يحسن ادخال أن فى الفعل الا عند الضرورة كما قال الراجز :

قد كاد من طول البلى أن يمصحا

وأما لعل فالأحسن ألا تأتى معها بأن ، تقول : لعل زيدا يقوم ، ولعل أباك يقعد ، ولا تقول : أن يقوم ، ولا أن يقعد ، الا ان اضطر شاعر فيشبهها بعسى لقرب معناها منها .

وقال الجزولى (٢) : باب " عسى لمقاربة الفعل فى الرجاء ، وكرب وكاد لمقاربة ذات الفعل ، وجعل وأخواتها للدخول فيه . وعسى تستعمل استعمال قارب مرة ، فيكون خبرها أن مع الفعل بالاتفاق ، مالم تكن متصلة بمضمر لفظه كلفظ المضمر المنصوب المتصل ، فان كان كذلك فرأى سيبويه أنّ أن مع الفعل فى موضع رفع ، والمضمر منصوب ، وعلى رأى الأخفش الأمر على ماكان . ويستعمل استعمال قرب فيكون فاعلها أن مع الفعل . ويوشك يستعمل على هذين الوجهين ، ولا يتصل بها المضمر المذكور ، وربما استعملت استعمال كاد . وهذه الأفعال كلها من باب كان ، الا أنه قد رفض فيها الاخبار بالأسماء فى الأمر العام ، وعدل الى الفعل مقارنا لأن فى عسى ويوشك ، واليه مجردا فيما عداها سوى ما جاء فى كاد تشبيها لها

---

(١) الواضح ورقة رقم : ٨١ ، ٨٢ .

بعسى ،كما أنه قد تستعمل مع عسى تشبيها لها بكاد ، وذلك لغة معنى أن لموقوع هذه الأفعال سرى عسى ويوشك ، وموضع التشبيه عندهم الشعر .

وهذان النموذجان يدلان على الصفة المشتركة بين المؤلفين ، وهي الاختصار والايجاز ، ولكل منهما على الآخر مزية ، فقد جمع الجزولي من المسائل أكثر مما جمع الزبيدي ، وذكر خلافا بين سيبويه والأخفش وترك التمثيل والاستشهاد مكتفيا بالاشارة الى وروده . أما الزبيدي فقد اكتفى برأى سيبويه ، وضرب الأمثلة وأعربها وذكر الشواهد التي تعين على الفهم والادراك ، وقد برئت عبارة الزبيدي من الاشارات والرموز التي قد تحتاج الى شرح أو توضيح ، وأكدت أن للكتاب من اسمه أوفى نصيب .

وفي آخر المقدمة الجزولية(1) : " باب " من حروف التصديق والايجاب نعم ، وهي لتصديق ما قبلها مطلقا ، ومنها بلى وهي ايجاب بعد النفي عاريا من حروف الاستفهام كان أو مقرونا به . الجوهري : بلى ايجاب لما يقال لك ، لأنها ترك للنفي وربما نا قضتها نعم ، فاذا قال لك : أليس لي عندك وديعة ،فقولك نعم تصديق له ، وبلى تكذيب له . ومنها أجل ، وهو تصديق لما قبلها . قال الأخفش : نعم أحسن منها في الاستخبار ، وهي أحسن من نعم في الخبر ، حكاه الجوهري . ومنها انّ بمعنى نعم . قال أبوعبيدة : قول الأخفش انّ انّ بمعنى نعم في قوله : " فقلت انه " انما يريد تأويله لا أنه موضع لذلك . أصل الكلام : انه قد كان ما يقلن ،فاقتصر واكتفى بالضمير . ومنها اى ، تقول اذا قال المستخبر هل كان كذا ؟ اى وربى ، واى والله . ومنها جير عند بعضهم ، قال الجوهري : قسم للعرب ، ومعناها حقا . وقال لنا أبو محمد : الدليل على أنها اسم التنوين وانشدنا ،[للمفضل]

وقائلة أسيت فقلت جير   أسيّ انني من ذاك انه

وكتب بعد ذلك : هذا آخر المقدمة الجزولية ، تأليف الامام أبي موسى الجزولي رحمه الله تعالى ، وقد فرغ من استنساخها العبد الفقير الى الله الصمد اسماعيل ابن محمد غفر الله تعالى لهما ولجميع المؤمنين بجاه محمد وآله الطيبين في شهور سنة ثماني عشرة وثلاثمائة وألف من هجرة من له العز والشرف حامدا لله تعالى ومصليا على المصطفى وآله الطاهرين . والنسخة التي وقع الاستنساخ منها كانت مكتوبة في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة (٧٣٨ هـ) استنسخ من اصطنبول .

---

(١) [illegible]

شراح الجزولية وشروحهم :

تحدثت المراجع عن كثرة من شرحوا هذه المقدمة ، ومن عناية الناس بها ، وقد سبقت عبارة القفطى عنها فى قوله[1] : " وقد عنى الناس بشرح هذه المقدمة " ولكنى لم أظفر الا بمعرفة عدد قليل ممن عنوا بها فيهم من ألف شرحا لها ، وفيهم الشلوبين الذى ألف لها شرحين والتوطئة[2] " .

١ـ الشريشى : وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن خلف تاج الدين أبو العباس بن أبى عبد الله بن أبى العباس البكرى من بكر بن وائل الشريشى الصوفى الامام العالم العلامة ، ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وتوفى ليلة العاشر من شهر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة بأعمال الفيوم ودفن بها ، وله كتاب توحيد الرسالة ، ورسالة التوحيد فى أصول الدين ، وكتاب أسرار الرسالة ورسالة الأسرار ، وكتاب أسنى المواهب ، وكتاب شرح المفصل فى النحو ، وكتاب شرح الجزولية فى النحو ، وكتاب صحبة المشايخ ، وكتاب أنوار السراية وسراية الأنوار نظم ، وكتاب عوارف المدى وهدى العوارف ، وكتاب فى السماع ، ومن شعره :

لو لم تكن سبل الولاء بعيدة   لا تنتحى الا بعزمة ماجد
لتأود القد الأرباب العلا   والأرذلون على محل واحد[3]

وهذا الشرح الذى ألفه الشريشى لم يصل الينا منه الا حديث التاريخ عنه .

٢ـ الشلوبين المتوفى سنة ٦٤٥ هـ :

قال السيوطى فى ترجمته[4] : " صنف شرحين على الجزولية ، وله كتاب فى النحو سماه التوطئة " وهذه الكتب الثلاثة ألفها الشلوبين على الجزولية . وقال غير السيوطى انه ألف شرحا للجزولية ، ولم يذكروا الشرح الثانى ، كما أن بعضهم لم يذكر التوطئة فى مؤلفات الشلوبين كالقفطى . وسأطلق على الشرح الموجز من شرحى الشلوبين اسم الشرح الصغير ، وعلى المطول اسم الشرح الكبير ، والكتاب الثالث سماه أبو على الشلوبين التوطئة .

الشرح الصغير للجزولية :

من هذا الشرح صورة مصغرة " ميكروفلم " بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية تحمل رقم (١٠٣ نحو) وعدد أوراقها (١٠٤ ورقة) وقد شرح الشلوبين

---

(١) انباه الرواة جـ ٢ ص: ٣٧٨   (٢) بغية الوعاة : ٣٦٤ .
(٣) بغية الوعاة : ١٥٦ .   (٤) المرجع السابق : ٣٦٤ .

فيه المقدمة الجزولية شرحا غير مطول ، وكان شرحه هذا اجابة لبعض من يكرم عليه كما ذكر ذلك في مقدمته ، ويحتمل أن يكون السائل من طلابه كما يحتمل أن يكون من أهل الحل والربط في زمنه ، ولكنى أرجح الاحتمال الأول ، لأنه لو كان السائل من أولى الأمر لما ضنّ عليه الشلوبين بذكر اسمه على ماجرت به عادة المؤلفين في كل عصر وفي كل مصر . وهذه مقدمة الشرح الصغير كما ظهرت في الصورة :

بسم الله الرحمن الرحيم . سألنى بعض من يكرم على أن[١] . . . أبي موسى الجزولي لأنه الذى أتى بما لا لا .[١] رحمه الله من ذلك لكنه لم يعين لما واضعا له . . . منها وتصورها ماعدى صاحبها عليه من أ[١] . . . لما اختل وضعه منها فأسعفته فيما سأل .[١] بمواضعة من المدرسة المذكورة وعرضه على مر .[١] بالانتفاع منه بما وهو ما اشتمل عليه هذ الـ . . . وفى منزلـه .[١] ووصلا الى مرضاته بمنه و[١] . الكلام لفظ مركب مفيد بالوضع .[١] وأنه من جنس الألفاظ لا من جنس غيرها صار .[١] والاشارة كلاما ، اذ كان كل واحد منهما .[١] قوله : فاسم جنس الكلام أنه اللفظ خاصة لا .[١] من جنس الخطوط ومن جنس الاشارات .[١] أنه ليس الخط كلاما من حيث انه خط ولكنه .[١]

وقد تمت بترقيم هذا الشرح صفحة صفحة بعد أن فحصته فوجدت خطأ في ترتيب بعض الأوراق ، وقد كتب بخط مغربي ، وعليه خط المؤلف رحمه الله ، وهذا ما وجدت في نهاية الشرح[٢] .

انتهى والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما ، وشرف وكرم . بسم الله الرحمن الرحيم . بسم الله الرحمن الرحيم . سمع كاتبه من أول هذا الشرح من لفظ جامعه الشيخ الأستاذ الحافظ الأجل العلم الأوحد ، أبي على عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله الأزدى أدام الله كرامته (. . .) ونفعه الله ، وناولـه سائره ، وأباح له التحديث عنه به وبسائر مجموعاته ومروياته على شرط ذلك . وكتب باشبيلية حرسها الله في شهر ذى القعدة سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، والحمد لله حق حمده .

وتحت هذا كله بخط أبي على الشلوبين : " المكتوب فوق هذا صحيح ، وكتب عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله الأزدى في ذى قعدة سنة اثنتين وعشرين وستمائة[٣] .

---

(١) لم تظهر الكتابة في هذه المواضع . ٢ـ صفحة : ٢٠٥ .

(٣) الشرح الصغير (١٠٣ نحو) للجزولية ص : ٢٠٥ .

وفى هذا الشرح رأيت الشلوبين يربط بين الجزولية وجمل الزجاجى ويوازن بينهما ، ويذكر فضل أحد الكتابين على الآخر ، قال الشلوبين[1] : وقوله : " وكل فعل كانت الضمة تقدر فى آخره فجزمه بحذف الحرف " الذى تقدر فيه الضمة مثاله : لم يغز ولم يخش وما أشبههما . وكأنه رأى قوله فى هذا الموضع كانت الضمة تقدر فى آخره " أحسن من قول أبى القاسم : " وكل فعل فى آخره ياء أو واو أو ألف فجزمه بحذف آخره " لأن أبا القاسم قد استدرك فى هذا القول فى باب الجزم قوله : " الا أن يكون مهموزا " لأن الفعل اذا كان مهموزا مثل يخطأ ويقرأ ويوضؤ يكون آخره ألفا وواوا وياء ولا يحذف آخره فى الجزم . فرأى المؤلف أن قول أبى القاسم " وكل فعل فى آخره ياء أو واو أو ألف يحوج الى هذه الزيادة فيطول ، فاذا قال : كل فعل تقدر فيه الضمة لم يحتج الى هذا التطويل ، وقام هذا الكلام باختصاره مقام ذلك بطوله . ولعمرى انه كما رأى ولكن على وجه آخر غير ما بدأنا به ، وذلك اذا سهلنا هذا المهموز بعد أن جزمناه أو سهلناه بالبدل قبل أن نجزمه . فاذا سهلناه بعد أن يجزم لم نحذف الحرف اللين أصلا ، لأن الضمة لاتقدر فيه لأن البدل لم يكن الا بعد الجزم والجزم يذهب الضمة فليس فيه تقديرها . وأما اذا سهلناه بالبدل قبل أن نجزمه فهاهنا يتصور وجهان ألا يحذف الحرف اللين على مراعاة الأصل وعدم الاعتداد بالعارض وأن يحذف على ألا يراعى الأصل ولكن على الاعتداد بالعارض وكأن الفعل آخره ألف فى الأصل ، والضمة فى ذلك مقدرة على الحرف اللين ، فعلى هذا الوجه يحذف اللين ، وعليه قوله :

.. والا يبد بالظلم يظلم

وأما على الوجه الأول ، فلا يمكن حذف اللين أصلا ، لأنه قد جزم قبل التسهيل فلا يكون فيه جزمان ، وليس فى اللين اذ ذاك تقدير ضمة يدخل ذلك تحت قوله : كل فعل كانت الضمة تقدر فى آخره فجزمه بحذف الحرف الذى تقدر فيه الضمة "، لأن مقتضى ذلك أن الحرف الذى لاتقدر فيه الضمة لايكون جزمه بحذف آخره ، وكذلك الحرف اللين فى هذا الوجه الآخر . وحذفه فى الوجه الأول انما كان حيث قدرت فيه الضمة . ومن لم يحذفه فكأنه ليس آخره حرفا لينا عنده لأنه قد راعى الأصل .

فقد أشاد بعبارة الجزولى ، وذكر أنها أحسن من عبارة أبى القاسم ثم أتبع ذلك ببيان وجه الصواب فى عبارة أبى القاسم ، اذ قال[2] : " ولعمرى انه كما رأى ولكن

---

(1) الشرح الصغير ص: ٣٤ .   (2) المرجع السابق ص: ١٠٤٩ .

على وجه آخر ... " وكذلك رأيت الشلوبين يفسر كلام الجزولى تفسيرا يدفع اعتراض المعترضين عن الزجاجى قال : " وقوله : الفعل الذى المصدر اسمه الى آخره ، يريد بذلك أن أبا القاسم لم يرد بقوله : " وهو اسم الفعل " الا أن المصدر اسم للمعنى الذى صدر عن الفاعل ، فلم يرد أن المصدر اسم للكلمة التى تدل على معنى فى نفسها ويفهم من لفظها أنه ماض أو ليس ماضيا لأن المصدر ليس اسما لها ، انما هو اسم للمعنى الصادر عن الفاعل ، وغرضه بذلك أن يشرح كلام أبى القاسم شرحا صحيح المعنى رافعا للاعتراض ، اذ المعترضون عليه شارحون لكلامه شرحا فاسد المعنى .

وقد يعيب عليه أبو على بعض عباراته ويذكر العبارة الصحيحة قال الشلوبين[1] : وقوله : " وينعت به العلم والمضاف الى المعرفة " يريد المضاف الى المعرفة الذى هو مساو له أو دونه ، والا فالمضاف الى ما فيه الألف واللام لا ينعت باسم الاشارة . وقد كان حقه اذ أراد هذا أن يقوله أو يقدم لذلك ما يدل عليه ، واذا لم يفعل ذلك فتكليفه قارئ كتابه أن يحمل كلامه على هذا من تكليف مالا يطاق ، الا أن يقول : هذا معلوم فى صناعة النحو ، فيقال له : الذى تعلم هذا من صناعة النحو غنى عن هذا كله ، فأى معنى لخطابه بهذا .

ومن العبارات التى انتقدها وصححها أبو على قول الجزولى : " وفيه توسعا " قال أبو على[2] : يريد : ومفعولا فيه توسعا ، فاختصر وحذف مفعولا لتقدم ذكره ، مثاله :

ويوم شهدناه سليما وعامرا[3]

وكذلك : فى ليلة يحيما الطعام[4]

وقد تسامح فى هذا الموضع جدا ، فان الضمير فى هذا ليس انتصابه على أنه مفعول فيه عند أحد من النحويين ، وانما انتصابه على أنه مفعول به مجازا . فكان حق العبارة على هذا أن تكون : " أو مفعولا به توسعا ويزيد فى قوله أولا مفعولا به حقيقة " لئلا يكون فى القسمة تداخل ، ولعله أراد : وينتصب توسعا فى حال أنه مفعول فيه أى مفعول فيه حقيقة ، فيكون قوله على هذا سائغا فى العربية ، الا أن نظمه مع ما قبله على هذا الوجه ليس بجيد لأن " مفعولا " فى هذه المواضع كلها

---

(١) الشرح الصغير ص : ٧٣ ، ٧٤ . (٢) المرجع السابق : ٦٧ .

(٣) عجزه فى الكامل للمبرد جـ ١ ص : ٢٩

قليلا سوى الطعن النهال نوافله

مبين لوجه انتصابه ، ومفعولا فى هذا الموضع على هذا الوجه ليس مبينا لوجه انتصابه وانما هو مبين لحقيقة معناه ، فيفسد النظم فى الكلام على هذا ولكن لامخرج لكلامه الا عليه[١] .

وقد يخالف الشلوبين رأى الجزولى فى شرط اشترطه ، كتعليقه على قول الجزولى فى عطف البيان : " على اسم دونه فى الشهرة " قال أبو على : لايشترط هذا فيه وان كان بعضهم قد شرطه ، بل قد يجرى على اسم دونه فى الشهرة ، وقد يجرى على اسم مساوله ، وعلى اسم أشهر منه كما يكون ذلك فى البدل ، لأن البيان يقع بكل ذلك ، فنص عطف البيان فى كله ، ولم يلتفت فى ذلك الى كون التابع أعرف لأن التبعية فيه غير أصلية ، فلم يلتفت اليها ولا عول عليها[٢] ولا فرق بينهما الا أن عطف البيان ليس فى تقدير الحلول محل الأول ، والبدل فى تقدير ذلك[٣] .

وقد ينسب التقصير الى الجزولى لأنه لم يشر الى الخلاف فى بعض المسائل فمن ذلك قوله : " قوله : وعطف على جملة ذات وجهين الى آخره ، مثاله : زيد لقيته واذا عمرو يضربه بكر ، لأن الرفع هنا أولى . وهذا الاطلاق الذى أطلقه فى هذا الفصل انما هو مبنى على تأويل الفارسى فى كلام سيبويه فى هذه المسألة وأما على تأويل غيره فى كلامه فيها ، أوعلى مذهب الراد من عليه فيها فينتقص من الكلام أن يقول : بشرط أن يكون فى المعطوف ضمير عائد على الاسم المصدر به الجملة الأولى . وعلى هذا المذهب أكثر النحويين . فكان حق المؤلف أن يضمن كلامه مايقتضى أن فى المسألة خلافا ، ان كان اختار غير ما ذهب اليه الأكثر[٤] .

وقد يذكر قياسا مطردا عند جميع النحويين ويرد على المخالف من ذلك تعليقه على قول الجزولى فى باب جمع التكسير : " وربما فتحوا عين فعل فى مضاعفه والأعرف الضم[٥] " قال الجزولى[٦] : مثاله سرر وسرر فى جمع سرير ، وجدد فى جمع جديد . وهذا قياس فى هذا النحو مطرد عند النحويين ، وبذلك يرد قول يعقوب وغيره فى قولهم : ثياب جدد ، ولا يقال جدَد ، انما الجدد الطرائق ، فان الفتح فى جدد جمع جديد جائز على ما ذكرناه ، ولكن لم يقرّ به يعقوب .

---

(١) الشرح الصغير (٢٠٣ نحو) للجزولية ص. ٦٧ . (٢) فى الأصل : ولاعمل عليها .

(٣) الشرح الصغير للجزولية ص ٧٤ . (٤) المرجع السابق ص: ١٠٣ .

(٥) الجزولية ورقة رقم : ٦٧ .

(٦) الشرح الصغير للجزولية ص: ١٩٥ ، ١٩٦ .

وقد ذكر الشلوبين في كتابه كثيرين من النحاة الذين سبقوه فذكر سيبويه والخليل عند تعليقه على قول الجزولي : " والجازم لفعلين الى آخره " قال[1] : ليست جوازم لفعلين عند سيبويه والخليل فيما قاله الناس ، وهو ظاهر كلام سيبويه والخليل أيضا ، وانما الجازم للجواب أداة الشرط وفعله لكون الجازم والمجزوم كالشيء الواحد وذلك أولى من أن يجزم الجازم فعلين وهو أضعف من الجار .

وكذلك ذكر ابن الطراوة وفند رأيه في قول الشاعر ، مما نقله عنه اللورقي[2] :

ان الربيع الجود والخريفا   يدا أبي العباس والضيوفا

وذكر الشلوبين في كتابه هذا كتبا سبقته ، أذكر منها لحن العامة للزبيدي ، قال أبو علي في جمع التكسير تعليقا على قول الجزولي : " وعلى فعل " : مثاله خيم في جمع خيمة ، وضيع في جمع ضيعة ، وان كان أبو بكر الزبيدي في لحن العامة قد جعل ضيعا من لحن العامة ، وقال : الصواب ضياع ، وليست كما قال ، لأن سيبويه حكى ضيعة وضيع[3] .

ونص كلام سيبويه الذي يشير اليه الشلوبين[4] ، وقد قالوا فعلة في بنات الياء ثم كسروها على فعل ، وذلك قولهم : ضيعة وضيع وخيمة وخيم .

وهذا نموذج من شرح أبي علي ، وهو لباب كاد ، الذي سبق ذكره عند الموازنة بين الجزولية والواضح للزبيدي ، قال[5] : " باب " قوله : " وجعل وأخواتها " أخواتها : أخذ وطفق وأنشأ . وقوله : " فيكون خبرها أن مع الفعل مثاله عسى زيد أن يقوم . وقوله : " لم تكن متصلة بمضمر الخ " مثاله عساك أن تقوم . وقوله : " فرأى سيبويه كذا " يريد أنه حملها على لعل ، فنصب بها الاسم ورفع الخبر ، وقد قيل غير هذا . وقوله : " فيكون فاعله أن مع الفعل " مثاله : عسى أن يقوم زيد . وقوله : " ويوشك تستعمل على هذين الوجهين " مثاله يوشك زيد أن يقوم زيد ، ويوشك أن يقوم زيد . وقوله : " وربما استعملتا استعمال كاد " يعني عسى ويوشك قال :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه   يكون وراءه فرج قريب

---

(١) الشرح الصغير للجزولية ص: ٤٠ .

(٢) شرح اللورقي للجزولية ورقة رقم : ٢٢٦ ، والشرح الصغير للجزولية ص ١٠٠ ، ١٠١ وقد سبق ذلك في الورقة رقم : ٢٥٦ .

(٣) الشرح الصغير للجزولية ص: ١٩٢ . (٤) الكتاب جـ ٢ ص: ١٨٨ .

(٥) الشرح الصغير للجزولية ص: ١٥١ ، ١٥٢ .

وقـال الآخـر : [أمية بن أبي الصلت]

يوشك من فرّ من منيّتـه في بعض غرّاتـه يوافقهـا

وقوله : " الا أنه قد رفض فيها الاخبار بالاسماء في الأمر العام " استظهر على قوله :

أكثرت في العذل ملحا دائما لاتكثرن اني عسيت صائمـا

وعلى قولـه : عسى الغوير أبؤسـا

وعلى قولـه : فأبت الى فهم وما كدت آيبـا

وقولـه : " سوى ماجاء في كـاد تشبيها لها بعسى " مثالـه :

قد كاد من طول البلى أن يمصحـا

وقولـه : " كما أنه قد تسقط أن مع عسى تشبيها لها بكـاد " قد تقدم أن مثاله :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريـب

وقولـه : " وذلـك لمناقضة معنى أن معنى هذه الأفعـال " لأن معنى أن الاستئناف ومعنى هذه الأفعـال سوى عسى ويوشـك مقاربـة ذات الفعـل .

وفي هذا الشرح نرى أبا على الشلوبين لم يزد على أن ذكـر الأمثلـة والشواهـد ووضح بعض العبارات دون بسط أو تطويـل .

<u>الشـرح الكبير للجزوليـة</u> :

يعتبر هذا الشرح توسعـة وبسطا للشرح الصغير الذى عرضته من قبل وعرفـت به ، وثبتت نسبته للشلوبين بما في المقدمـة والخاتمـة من التصريح بذلـك ثم بمـا عليه من سماع وقراءة ومن خط الشلوبين نفسه .. وأول ما وصل الينا من الشرح الكبير :

بسم اللـه الرحمـن الرحيم . صلى اللـه على سيدنـا محمـد وعلى آله وصحبـه وسلم تسليمـا ." بـاب " هذا هو باب لا النافيـة ولا بد من مقدمـة بين يـدى الباب ، وحينئذ نفسر ألفاظـه .. فنقـول : لايخلو " لا " من أن تدخل على اسـم معرفـة أو على نكـرة . فان دخلت على معرفـة لم تعمل شيئا ، ولزم تكرارها عند سيبويه وأكثـر النحويين نحو لا زيـد في الدار ولا عمـرو . وزعم المبرد أنه لا يلزم التكـرار وهـو فاسـد ...

وقد أكمل الشلوبين خمس ورقـات في هذه المقدمـة التي وضعها بين يدى الباب ثم بدأ شرح كلام الجزولى ، فاستوعب فيه أربع ورقـات أخر في هذا الشـرح[1] ، علـى حين لم يزد شرحـه لهذا الباب في الشرح الصغير على ورقـة واحدة الا سطرا[2] ونصفـا . ولن أطيل بذكـر النصوص من هذين الشرحين ، فهما تحت يدى . وقد رأيت أكثـر

---

(1) الشرح الكبير للجزولية ورقة رقم : ٢ - ٩ .

العبارات متفقة ، ولم يختلف رأى الشلوبين فى أحدهما عن الآخر ، وفضل الشرح الكبير على الشرح الصغير فى بسط الآراء والخلافات والأدلة والتعليلات والشواهد والأمثلة ، وتوجيه بعض الآراء أو بعض الروايات فى الشواهد أو شرحها فى ايجاز وقد سبق ذكر آخر باب من أبواب الجزولية عند التعريف بها ، وهو بحث عن حروف التصديق والايجاب . وسأنقل هنا شرحه من كتابى الشلوبين :

قال فى الشرح الصغير[٢] : باب قوله : من حروف التصديق نعم وهى لتصديق ما قبلها مطلقا . يعنى نفيا كان أو ايجابا . وقوله : عاريا من حروف الاستفهام كان أو مقرونا به . مثاله قوله بلى لمن قال : قام زيد و " ألست بربكم قالوا بلى "[١]. لأنهم أرادوا أن يوجبوا أنه ربهم ، فردوا النفى الذى بعد ألف الاستفهام وهو أنه ليس ربهم واذا ردوا نفى الشئ ثبت ايجابه ولا بد ، واقتضى ذلك أنهم أرادوا أنه ربهم ولا بد . وقوله : الجوهرى : بلى ايجاب لما يقال لك لأنها ترد للتمنى . هذا موافق لما تقدم من كلامه فى بلى وهو كلام النحويين . قوله : وربما ناقضتها نعم . هذا يقتضى خلاف ذلك لأن نعم تصديق لما قبلها ، وهى رد له ، فليس أبدا مناقضة لها الا أن يريد الجوهرى بقوله : وربما ناقضتها نعم — أن استعمال ذلك أعنى أن نعم على ارادة مناقضة بلى قليل الوجود فى كلام العرب ، فيمكن أن يصح قوله ، فانك قلما تجده مسموعا الا ما يروى عن ابن عباس قوله فى قول الله تعالى :" ألست بربكم " انهم لو قالوا فى الجواب : نعم كفروا ، وينتقض هذا الكلام مع وجود قوله :

أليس الليل يجمع أم عمرو وايانا فذاك بنا تدان
نعم وترى الهلال كما أراه ويعلوها النهار كما علانى

الى فضل نظر ، وهو أن نعم فى قول الشاعر ليس بجواب ، لأن الجواب بنعم اذا جاء بعد الاستفهام انما يكون تصديقا لما بعد ألف الاستفهام ، ولم يرد الشاعر أن يصدق أنه ليس يجمعه النهار مع أم عمرو ، فلذلك يكون بنو آدم اذا قالوا مجيبين كان الجواب بنعم مصدقا لما بعد ألف الاستفهام من النفى ، فيكون نعم فى ذلك تصديقا أنه ليس ربهم ، فيكون ذلك كفرا . وقوله : قال أبو عبيدة : قول الأخفش : ان بمعنى نعم فى قول الشاعر : " فقلت انه " انما يريد تأويله لا أنه موضوع فى اللغة لذلك . يريد أنه اذا قال انه قد كان ما يقلن فهو فى معنى نعم ، وانّ فى البيت ليست بمعنى نعم ، وانما هى على بابها ، والخبر محذوف ، وتأول أبو عبيدة كلام الأخفش . والأخفش انما قال فى ذلك ما قال سيبويه . وكلام سيبويه لا يحتمل التأويل الذى تأوله أبو عبيدة أصلا ، لأنه انما أتى به على أن هذه الهاء اللاحقة لان هى هاء السكت

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٧٢ .

التى تلحق فى الوقف ، فكيف يتأول عليه أن الهاء عنده ضمير ، وكذلك لا يتأول أيضا على الأخفش ، لأنه انما قال فى ذلك ما قاله سيبويه ولو كان يريد ما قاله لكان مخالفا لما قاله سيبويه ، ولم يسمع أن يقول بقوله ، لكونه قد قال بقوله ولم يخالفه دليل على موافقته له وأنه لم ير سوى مذهبه ، وما احتج به أبو عبيدة من ابقاء ان فى ذلك على بابها لا حجة فيه لأنه قد ثبت وجود ان بمعنى نعم فى قول القائل الذى قال له : لعن الله ناقة حملتنى اليك فقال : ان وراكبها . والمعنى نعم لعنها الله ولعن راكبها ولو كانت ان على بابها لبطل ذلك من وجهين ، أحدهما أنه يؤدى الى عطف جملة الدعاء على جملة الخبر والثانى أنه لم يوجد حذف اسم ان وخبرها فى موضع من الكلام فقد ثبت بذلك وجود ان بمعنى نعم ، فاذا ثبت وجود ان بمعنى نعم ، واحتمل قوله :

ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انه

الوجهان : ما قاله سيبويه من أنها بمعنى نعم . ما قاله أبو عبيدة من أنها ان التى هى[1] . كان ما قاله سيبويه أولى لأنه لا يتكلف فيه حذف ، وتأويل أبى عبيدة يتكلف فيه الحذف ، وحذف الخبر من انّ يقل ، فيكون فيه مع التكلف حمله على القليل ، وقد أغنانا الله عنها بوجود ان بمعنى نعم ، فلا ينبغى أن يكون للبيت محمل سواها . وقوله : ومنها جير عند بعضهم انما قال ذلك لما قال أولا : من حروف التصديق والايجاب ، وجير قد قام الدليل بعد على أنها اسم ، ودليله فى ذلك صحيح اقتضى ذلك ألا تدخل جير فى الباب ، فلذلك قال : عند بعضهم يشير بذلك الى قول من قال : ان جير حرف كنعم .

وقال الشلوبين فى الشرح الكبير[2] :

" باب " قوله : من حروف التصديق والايجاب نعم ، وهى لتصديق ما قبلها مطلقا . يعنى نفيا كان أو ايجابا ، فاذا قال لك القائل : قام زيد ، فأردت تصديقه قلت : نعم ، وان أردت تكذيبه قلت : لا . واذا قال : ماقام زيد ، وأردت أن تصدقه قلت : نعم ، أى هو كما ذكرته . وقوله : ومنها بلى ، وهى ايجاب بعد النفى ، عاريا من حروف الاستفهام كان أو مقرونا بها . ورد لنفى نفيه على حسب ما هو نفى أى تحقيق له ، فيتوهم أنا اذا قلنا فى جواب من قال : أما قام زيد : بلى — أنا أوجبنا له القيام[3] ، أنا أوجبنا له نفيه وحققناه ، ولم نفعل ذلك ، وانما رددنا نفيه وأوجبنا ما قبل النفى . وقوله : عاريا من حروف الاستفهام كان أو مقرونا

بزيد ، ومثال النفى العارى من حروف الاستفهام قولك لمن قال : ماقام زيد :
بلى ، ومثال النفى المقرون بحروف الاستفهام قول الذين قيل لهم : " ألست بربكم ":
بلى ، لأنهم أرادوا أنه ربهم فردوا النفى الذى بعد ألف الاستفهام ، وهو أنه
ليس بربهم ، واذا ردوا نفى الشيء ثبت ايجابه ولابد . وقوله : وقول الجوهرى
بلى ايجاب لما يقال لك ، لأنها ترد للنفى . هذا موافق لما تقدم من كلامه
فى بلى على ماهو كلام منفى ، وبلى ردّ لما قبلها ، فهى اذا للكلام المنفى ، واذا رد
الكلام المنفى وثبت نقيضه الذى هو الايجاب . فبلى اذا ايجاب لما يقال لك
من النفى ، سواء كان مجردا مثل لم يقم زيد ، ومستفهما عنه نحو : " ألست بربكم "
وقوله : وربما ناقضتها نعم . هذا يقتضى أن مناقضة نعم لها فى القليل
لقوله : وربما ، وما قدمناه يقتضى خلاف ذلك لأن نعم تصديق لما قبلها ، وبلى
ردّ فهى أبدا مناقضة لها ولابد . اللهم الا أن يريد الجوهرى بقوله : وربما
ناقضتها نعم أنه قد يقول القائل فى جواب من قال : أما قام زيد أو لم يقم زيد :
نعم ، ويكون معناه أنه قام ، ويريد أن فى هذا الوجه تكون نعم مناقضة لبلى
لأن بلى ردّ لما قبلها ونعم فى هذا الوجه تصديق ، فمن حيث كانت نعم فى هذا
المعنى تصديقا لما قبلها وبلى ردّ له جعلها الجوهرى مناقضة لبلى ، وان كان
ليس فى عبارته هذه افصاح بهذا المعنى ، لأنك اذا قلت : نعم فى جواب من
قال : أما قام زيد وأنت تصدق النفى تكون أيضا نعم مناقضة لبلى ، الا أن هذه
المناقضة لازمة لبلى ونعم عليها أكثر الاستعمال ، فلما قال : وربما دل على أنه
يريد المناقضة الأخرى التى ذكرتها وان كان استعمال ذلك أعنى نعم على ارادة
المناقضة لبلى قليل الوجود فى كلام العرب ، فان كان أراد الجوهرى هذا الوجه
الذى ذكرناه فيمكن أن يصح قوله ، فانك قلما تجده مسموعا ، ولقلة وجوده
مسموعا أنكره ابن الطراوة على سيبويه ...

ثم أطال الشلوبين فى ذلك ، وبرأ أبا عبيدة مما نسبه اليه الجزولى من
تأويل قول الشاعر : " فقلت انه " على أنها هى التى تدخل على المبتدأ والخبر
فقال[1] : " الا أنى أظن ما نسبه هنا الى أبى عبيدة لم يقله أبو عبيدة ، لأن هذا
الطراز مع ما ...[2] من عدم صحته ليس من طراز أبى عبيدة ، بل أقول فيه ما قاله
من تقدمنى ، اذ قال أبو عبيدة كان أغلظ طبعا من أن يقيم هذا ، ولعله تصحيف
من الناسخ ، وانما هو أبو عبيد ، فانه أعنى أبا عبيد القاسم بن سلام لاينكر عليه
أن يصل الى ما هو أعلى من هذا فكيف هذا ، ولعله رحمه الله نقل له كلام الأخفش

---

(١) الشرح الكبير للجزولية ورقة رقم : ١٣٨ .　　(٢) بياض با لأصل .

في البيت أن ان بمعنى نعم ، ولم يقل له نصه ولا كيف قاله فتأول فيه ما تأوله .
ولو وقف على كلام الأخفش فيه ونصه ما تأول فيه ذلك التأويل أصلا .

وقد ذكر السيوطي أبا عبيد القاسم بن سلام فقال(1) : " وكان ناقص العلم بالاعراب " . وذكر أبا عبيدة معمر بن المثنى فقال(2) : " وكان أكمل القوم " .

وبعد أن فرغ الشلوبين من شرح هذا الباب والكلام عن " جير " وهل هي حرف أو اسم ؟ تحدث عن التنوين الذي في شاهد الجزولي :

وقائلة أسيت فقلت جير أسيّ انني من ذاك انه

كدليل على اسمية جير ، نقلا عن أبي محمد بن برى فذكر احتمال الشذوذ ثم قال(3) : وأيضا فيمكن أن يكون من تنوين الترنم الذي يلحق في القوافي عوضا مما لابد منه في الوزن في " يفعل " في بيت امرئ القيس :

مهما تأمرى القلب يفعل

تضرل بعني قرأ كمر إتاكا

وساكا في قوله : يا أبتا علك أو عساكا .

انتهى كلام الشلوبين على هذا الباب قدس الله روحه ، ونفعه بالعلم والاسلام وبتمام هذا الجزء يتم الشرح والحمد لله رب العالمين " .

وهذه العبارة الأخيرة دليل على أن هذه النسخة قد كتبت بعد وفاة أبي على الشلوبين ، وكذلك قوله في آخر باب الادغام(4) : وقوانين الادغام كثيرة ، ولم نذكر منها الا ماترك ، واستيفاؤها في مكانها فلينتظر هناك .. انتهى الباب من كلام الشلوبين رحمه الله .

وقد ذيل الكتاب بمسائل من فنون شتى أولاها فيما يعرف به المجاز(5) ، وثانيها في ذكر صفات امتنع جماعة من المتكلمين من وصف الله تعالى بها مثل السخاء والدراية ، والحنين ، وبعد ذلك حديث عن وزن بعض الكلمات مثل : مندوحة أسكفة ، تنور ، وأصل كلمة ماء وآل ، ومسائل أخرى كثيرة آخرها(6) :

" مسألة " الثالي بالثاء المثلثة يريد الثالث ، أبدلوا من الثاء ياء فقالوا : الثالي : قال :

---

(1) المزهر للسيوطي جـ ٢ ص ٢٥٨ (2) المرجع السابق ص ٢٥٠ .

(3) الشرح الكبير للجزولية : الورقة ١٣٨ (4) المرجع السابق ورقة رقم : ١٣٧ .

(5) المرجع السابق ورقة ١٣٩ ، ١٤٠ (6) المرجع السابق ورقة ١٤٠ ، ١٤١ .

يقديك يازيد أبي وخالي   مذ مرّ يومان وهذا الثالي
وأنت بالهجران لاتبالي

أراد : وهذا الثالث . وبعدها مسألة في استقرار النتائج ، آخرها[1] : وإن حملت الصغرى السالبة فلا انتاج لما علم من اشتراط موجبية الصغرى في الشكل الأول .

ومن المحتمل أن تكون هذه المسائل التي ذيل بها هذا الشرح لأبي علي الشلوبين أو لغيره لأن العبارة التي ختم بها هذا الشرح لاتشير الى اثبات شيء بعده فقد تكون من زيادات الناسخ .

وقد أعلن أبو علي الشلوبين في باب التصريف أنه اقتصر على ما ورد في مقدمة أبي موسى وأنه سيفرد له كتابا ان شاء الله ، فقال[2] : " وهذه مسائل التصريف ذكرها أبو موسى في هذا الباب ، فشرحناها وتركنا غيرها من مسائل التصريف مخافة التطويل ، وسنفرد لذلك كتابا ان شاء الله تعالى ".

ولكن أحدا ممن ترجموا له لم يذكر هذا الكتاب ، فربما عاجله القدر قبل انجاز هذا العمل . وفي هذا الشرح الذي نعرّف به احالات تدل على أنه قد ألف شرحا للجزولية كلها ، ولكن لم يصل الينا جميعه ، وانما وصل منه قرابة الربع ، اذ أن أول ما وصل الينا : " باب لا النافية " وهذا الباب في الورقة (٥٣) من المقدمة الجزولية التي تبلغ عدة أوراقها (٧٣) والموضوعات التي شرحت هنا في (١٤٣) ورقة قد استغرقت في الشرح الصغير (٢٣) ورقة .

وليس من المقبول أن يقال : ان الشرح الكبير جزء من نسخة أخرى من الشرح الصغير ، لأن لكل من الشرحين سمات مميزة فالشرح الصغير موجز قد يقتصر فيه على ذكر الأمثلة ، وكثيرا ما يترك الخلافات والأدلة ، كما أنه لم يعن فيه بتوضيح الشواهد وتوجيهها ، على خلاف الطريقة التي سار عليها في الشرح الكبير .

ومن هذه الاحالات قوله في باب أسماء الأفعال[3] : " وقد تقدم من بيان المبالغة في العدل الى هذه الأسماء عند التكلم على نزال وبابه ما أغنى عن اعادته " .

ومنها[4] : " وقد تقدم مقابلة الكسر للجزم من حيث هي ، كما تقدم مقابلة الجر للجزم من حيث هي ".

---

(١) الشرح الكبير للجزولية ورقة رقم : ١٤٢ .

(٢) المرجع السابق ورقة رقم : ١٣١ .

(٣) المرجع السابق ورقة رقم : ١٢ .

ومنها قوله[1] : قد تقدم طرف من الكلام فى المفعول معه ، وما العامل فيه فى أبواب التعدى ، ونذكر الآن طرفا منه ، وما فات منه هناك فنقول فى حده : المفعول معه هو الاسم المنتصب بعد الواو التى هى بمعنى مع المتضمن معنى المفعول به ...

وهذه المباحث الثلاثة التى أشار الى أنها تقدمت فى مواضع سابقة لانجد ذكرا لها بين أيدينا فى الجزء الذى وصل الينا من هذا الشرح ، الذى يعتبر أوفى شروح الجزولية ، وذلك لما سبقت الاشارة اليه من فقدان الصدر الأكبر من هذا الشرح .

التوطئة :

لم يذكر القفطى كتاب التوطئة فى ترجمة أبى على الشلوبين ، ولكن غيره ممن ترجموا للشيخ قد ذكره فقال السيوطى فى ترجمته[2] : وصنف تعليقا على كتاب سيبويه وشرحين على الجزولية ، وله كتاب فى النحو سماه التوطئة ".

وقال صاحب كشف الظنون[3] : التوطئة فى النحو لأبى على عمر بن محمد ابن عمر الشلوبين الأزدى الاشبيلى النحوى المتوفى سنة ٦٤٥ ، مختصر أوله : الحمد لله الذى تفضل علينا .. الخ .. ذكر أنه رسمه توطئة قوانين المقدمة .

وقد اكتفى القفطى بأن قال عنه[4] :" وصنف شرحا للجزولية ، ورأيت منه نصولا قد أوردها الجيانى النحوى فى شرحها منسوبة اليه ، لم يكن فيها كبير أمر" ولم أقف على سبب لتحامل القفطى على الشلوبين .

وفى بدء النسخة التى وصلت الينا من التوطئة[5] : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . قال الشيخ الجليل العالم الأوحد الفقيه الأستاذ أبو على عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله الأزدى رضى الله عنه : " الحمد لله الذى تفضل علينا وتمم ، فجعلنا من جملة من آمن وأسلم ، وعلمنا ما يوصل اليه ما لم تكن نعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأكرم ، وعلى آله وصحبه وتابعيهم باحسان وسلم . هذه الجملة التى رسمت هنا توطئة قوانين المقدمة ، واحكام مافيها من الأصول غير المحكمة ، موصولا نرعز لك

---

(١) الشرح الكبير ورقة رقم: ٨١ (٢) بغية الوعاة : ٣٦٤ .

(٣) المجلد الأول : ٥٠٨ . (٤) انباه الرواة ٢ : ٣٣٢ .

بأصله فى اللفظ ، ميسرا ينظم ذلك كله كلاما واحدا للحفظ ، والله سبحانه هو المستعان وعليه الاعتماد والتكلان ".

وكتاب التوطئة لا يعدو أن يكون كتابة للمقدمة الجزولية مرة أخرى ، مع تيسير بعض الأساليب أو توضيحها ، أو التفسير الموجز لبعض المسائل وضرب الأمثلة لها وذكر الشواهد ، وإعراب بعض الأساليب ، وترجيح بعض الآراء ، والذى ينتهى اليه الباحث بعد قراءة الجزولية والتوطئة أن التوطئة قد كشفت الأسرار النحوية التى اكتفى أبو موسى بأن يرمز اليها ، وأماط اللثام عن كل ما خفى منها أو غمض وفيها يلى بيان ذلك .

فمن أمثلة اتفاق الشلوبين مع الجزولى فى اللفظ قول الجزولى (١) : " ولن لنفى سيفعل ، وجواز تقديم معمول معمولها عليها يدل على أنها ليست مركبة من لا وأن " وقول الشلوبين فى ذلك (٢) : " ولن لنفى سيفعل وتقديم معمول معمولها ، وهو زيدا فى قولك : زيدا لن أضرب ـ يقوى أنها ليست مركبة من لا وأن ، اذ لو كانت مركبة منها لكانوا قمنا بأن يدلوا على التركيب بمنع التقديم ".

ومن ذلك قول الجزولى (٣) : " وفوك اذا عوض من واوها ميم ففيه أربع لغات فَم وفِم وفُم ، وفم بالاتباع " وقول الشلوبين (٤) : " وفوك اذا عوض من واوه ميم ففيه أربع لغات ضم الفاء وفتحها وكسرها واتباع حركة الفاء حركة الاعراب " .

وفى باب القسم قال الجزولى (٥) : " القسم جملة يؤكد بها جملة أخرى كلتاهما خبرية ، فيرتبطان ارتباط الشرط والجزاء ، الا أن الجملة الأولى منهما جاءت اسمية لا فى موضع واحد " وقال الشلوبين (٦) : القسم جملة يؤكد بها جملة أخرى كلتاهما خبرية المعنى ما لم يصحب القسم سؤال وترتبطان ارتباط الشرط والجزاء الا أن الأولى منهما جاءت اسمية لا فى موضع واحد ".

ثم زاد الشلوبين على ذلك مثالا ورد على ابن الطراوة فقال (٧) : " نحو على عهد الله لأفعلن ، حكاه سيبويه . ولا يلتفت الى ما قاله ابن الطراوة من أنه يلزم فيه حذف الخبر ، كما فى يمين الله ، وأيمن الله ، وعمر الله ، لأن هذه

---

(١) الجزولية ص: ١٤ (٢) التوطئة ص: ٢٣
(٣) الجزولية ص: ٧ (٤) التوطئة ص: ١٥.
(٥) الجزولية ص: ٣٨ (٦) التوطئة ص: ١١٢

الأشياء خرجت عما يجب ، ولا ينبغي أن يرد ماجاء على ما يجب الى ما خرج عما يجب ، فثبت بهذا الذي ذكرناه من مجيء الجملة الأولى اسمية في غير موضع ".

ومن أمثلة التوضيح والتفسير الموجز لبعض المسائل ما ورد في الجزولية[1]:

" المتعدى ما نصب المفعول به ، ويوصل مالا ينصب المفعول به اليه بحرف الجر ، وأصله أن يلزم ، الا أن يحذف العرب شيئا فيحفظ " فقد شرحه أبوعلي في التوطئة بقوله[2] : " المتعدى ما نصب مفعولا به أو اقتضاه بواسطة الا أن ما نصب مفعولا به يقال فيه : متعد مطلقا ، وما اقتضاه بواسطة لايقال فيه متعد مطلقا ، وانما يقال فيه مقيدا ، فيقال : متعد بحرف جر ، ويوصل مالا ينصب المفعول به اليه بحرف جر نحو : ذهبت بزيد ، وأصل ما يصل بواسطة أن تلزم الواسطة الا أن تحذف العرب شيئا فيحفظ نحو : مررت زيدا عن ابن الأعرابي ، وعليه ينشد : [ترك جرير]

تمرون الديار ، ولم تعوجوا كلامكم على اذا حرام "

وفي الحديث عن اعراب أسماء الشرط قال الجزولي[3] : " من وأخواتها غير كيف اذا كانت شرطا أو استفهاما أو كان الفعل الذي بعدها ويليها مسندا الى ظاهر أو مضمر للمتكلم أو المخاطب أو للغائب ليس اياها ، وطلب الفعل مفعولا ولم يأخذه — كانت مفاعيل ، وان أخذ مفعوله كانت مبتدآت ولزم العائد ، وان لم يتعد ولم تجر فهي مبتدآت على الاطلاق " وشرح ذلك الشلوبين فأطال ، وكان مما قال[4] : " .. وما سوى ذلك نتخيره بأن نحله الى إن التي للشرط واسم في معناه ، وتجعل أداة الشرط كأنها ذلك الاسم قد تقدم في موضع الأداة ، فتحكم لها بحكم ذلك الاسم اذا تقدم هناك مثال ذلك : من تضرب أضرب . موضع من نصب ، لأنك اذا حللت من الى ان واسم في معناها قلت : ان تضرب أحدا أضرب فيظهر ذلك الاسم الذي في معناها مفعولا به ، والمفعول به اذا تقدم على الفعل ، ولم يشتغل عنه الفعل لفظا فالوجه فيه النصب على أنه مفعول مقدم ، فكذلك يكون الوجه في قولك : من تضرب أضرب أن يكون مفعولا مقدما ، ويجوز الرفع بالابتداء على ضعف ، كالحكم في " زيد ضربت " سواء فان شغلت الفعل بضمير كان بمنزلة المفعول الذي اشتغل عنه عامله بضميره نحو: زيد ضربته في اختيار الرفع بالابتداء ، وجواز النصب باضمار فعل ... "

وقد عقد الجزولي أبوابا للمصدر وللزمان وللمكان وللمفعول به والمفعول له والمفعول معه في مقدمته ، ولكن الشلوبين عم اطلاق اسم المفعول على كل

---

(1) صفحة : ٢٧ (٢) صفحة : ٧٨

هـذه فقـ(١)ـال : " المفعول مادل عليه الفعل الناصب له من الحدث نحو قمت قياما ، والزمان نحو قمت يوم الجمعـة ، والمكان نحو قمت مكانـك والمحل الذى يوقع فيـه الفاعـل فعله نحو ضربت زيدا ، والباعث عليه نحو ضربتـه أدبا له ، والمصاحـب نحـ(٢)ـو اختصم زيد وعمرو " .

وقد خالف الشلوبين الجزولى فى مواضع كثيرة منها تعريف الاعراب ، فقـد عرفـه الجزولى بقولـ(٣)ـه : " الاعراب تغير أواخـر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظا أو تقديرا ، وفائدته الدلالـة على المعنى ، الحادث بالعامل " وعرفـه الشلوبين بقولـ(٤)ـه : " الاعراب حكم فى آخر الكلمـة يوجبـه العامل ، نحو قام زيـد وضربت زيدا ومررت بزيد . وهو أجود من قول من قال : ان الاعراب تغير آخر الكلمة لتغير العامـل ، لأن ثم معربات لا يدخل فيها الا عامل النصب خاصـة كالمصـادر والظروف غير المتمكنـة غالبـا ، أو عامـل رفع خاصـ كقولهم : أيمن اللـه فى القسم ، الا أن لقولهم وجهـا ، وهو حملـه على الأصـل ، فالأكثر عدم الالتفات الى الأقـل ، وفائدته فى الأصـل الدلالـة على المعـنى الذى يحدث بالعامل من الفاعليـة والمفعوليـة والاضافة وقد تكون الدلالـة على شبه ما حقـه أن يعرب ، ولذلك أعـرب المضارع ، وفى العطف على موضع اسم ان ذكـر الجزولى الآراء ، ولم يمل الى واحـد منها فقـ(٥)ـال : " وكلما لا يعطف على موضعها ولا على موضعها مع اسمها سوى ان ولكن وتنفرد ان ولكن بالعطف على موضعها مع الاسم بعد الخبر على رأى ، ومطلقا علـى رأى وعلى رأى ان ظهر الاعراب فى معمولها فبعد الخبر والا فمطلقـا " أما الشلوبين فقـد مال الى أحـد الآراء فقـ(٦)ـال : " والعطف على الموضع فى نحو ان زيدا قائم وعمرو ، والرفع بالابتداء واضمـار الخبر تنفرد به ان ولكن عند الجمهور ويشركهمـا أن عند سيبويه وفى العطف على الموضع خلاف : فالمشهور أنه يجـوز بعد الخبر نحو ما مثـل به ، ولا يجوز قبله نحو ان زيدا وعمرو قائمـان . وقيل : انه لا يجوز على الاطلاق وهو الصواب ، وقيل : انه جائـز على الاطلاق ، وقيل : ان ظهر الاعراب فى المعطوف عليه فيجوز بعد الخـبر ولا يجـوز قبله كما تقـدم ، وان لم يظهر جاز مطلقـا نحو انك قائم وزيد ، وانـك وزيد قائمـان ، وسمع سيبويه : انك وزيد قائمـان لكنـه عنده شـاذ " .

وفى تعريف الحال قال الجزولـ(٧)ـى : " وأصلها أن تكون نكرة وصفا لمعرفـة مشتقة .. " زاد الشلوبـ(٨)ـين : " وقد تكون غير وصف ، ولكن مصدرا فى موضع النصـب

---

(١) التوطئـة ص: ٤٦ (٢) كذا فى الأصل والمعروف أن العطف هنا واجب .
(٣) الجزولية ص: ٣ (٤) التوطئـة ص: ٦
(٥) الجزوليـة ص: ٣٤ (٦) التوطئـة ص : ٩٧

نحو جاء زيد ركضا ، وهذا أيضا محفوظ ولا يقاس عليه " . ولعل سكوت الجزولى عن ذكر هذا سببه عدم رضاه عنه ، وقد بحثت هذه المسألة فى رسالتى عن "الكتاب المقتضب"[1] وجمعت لها رأى المبرد فى قياس مجىء الحال مصدرا منكرا اذا كان من نوع الفعل ، واستدللت بقوله فى المقتضب[2] : " ولو قلت : جئته اعطاء لم يجز لأن اعطاء ليس من المجىء ، ولكن جئتك سعيا ، فهذا جيد " .

وقد سكت الجزولى عن اللغات التى فى أب وأخ ، ولكن الشلوبين ذكرها فقال[3] : " وفى أخوك أربع لغات احداها أن يكون بالحروف الثلاثة والثانية أن يكون مقصورا والثالثة أن يكون من باب يد والرابعة أن تكون كفخ مشدد الخاء رأيته عن ابن الكلبى فى زيادات البارع ، وفى الأب ما فى الأخ من اللغات الا الرابعة وكذلك ذكرها الشلوبين فى الشرح الصغير فقال[4] : " وترك (الجزولى) لغات الأخ والأب ، وفيها ثلاث لغات على ما ذكر الفراء : احداها ما بنى عليه الكلام والأخرى أن يكونا من باب يد ، والثالثة أن يكونا مقصورين ، وعليه : مكره أخاك لا بطل .

و : ان أباها وأبا أباها " .

ويزيد الأخ بلغة رابعة وهى أن يكون من باب فخ ، حكاها ابن الكلبى رأيته فى زيادة الزبيدى على كتاب البارع لأبى على " .

وقد استشهد أبو على فى التوطئة بكثير من الشواهد ، ومن أمثلة استشهاده بالقراءات قوله[5] : " ويجوز فى الموصولات الاسمية فى حال السعة أن يحذف العائد منها اذا كان مبتدأ فتجىء موصولة بأحد جزأى الجملة الاسمية نحو قولك : مررت بالذى تائم ، وعليه قراءة من قرأ : " ما بعوضة " رفعا[*] ، الا أن يكون هناك من الطول ما يحسن الحذف قليلا نحو : ما أنا بالذى قائل لك سوءا . ويمكن أن يكون مثله قراءة من قرأ : " تماما على الذى أحسن "[**] لأن المقدر هنا بمنزلة الملفوظ به ، ولولا ذلك لم يجز " .

ومن ذلك قوله فى تخفيف ان[6] : " ومتى خففت وألغيت وليتها الأسماء فمبتدآت ، ووجب اثبات اللام نحو : ان زيد لقائم ، فرقا بينها وبين النافية ، ولذلك جاز حذفها فى قراءة من قرأ : " وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين "[***] اذ أمن

---

(١) الورقة رقم : ٢٠٥، ٢٠٦ (٢) جـ ١ : ٢٣٨

(٣) الجزولية ص: ١٥ (٤) صفحة : ٢٣

(٥) التوطئة ص: ٥٤ (٦) التوطئة ص: ٩٧ .

(*) سورة البقرة آية : ٢٦ (**) سورة الأنعام آية : ١٥٤

(***) سورة يونس آية : ١٠

اللبس هناك . وان وليتها الأفعال لم تكن الا مما يدخل على المبتدأ " والخبر نحو : " وان كانوا ليقولون " [*] هذا مذهب البصريين . ويجوز دخولها عند الكوفيين على سائر أنواع الفعل وينشدون : [عاتكة بنت الزبير] تخاطب ابن جرموز قاتل الزبير

شلَّت يمينك ان قتلتَ لمسلما حلت عليك عقوبة المتعمد "

وهاتان مسألتان من الكتابين في موضوع واحد ، الأولى[1] : " وعسى تستعمل استعمال قارب مرة فيكون خبرها أن مع الفعل بالاتفاق ، مالم تكن متصلة بمضمر لفظه كلفظ المضمر المنصوب المتصل ، فان كان كذلك فرأى سيبويه أن أن مع الفعل في موضع رفع والمضمر منصوب ، وعلى رأى الأخفش الأمر على ماكان . وتستعمل استعمال قرب فيكون فاعلها أن مع الفعل " . والثانية[2] : " وعسى تستعمل مرة استعمال قارب ، ويكون مفعولها أن والفعل بالاتفاق نحو عسى زيد أن يقوم مالم تكن متصلة بمضمر لفظه كلفظ المضمر المنصوب المتصل نحو : عساك أن تفعل فان كان ذلك فرأى سيبويه أن المضمر منصوب وهى محمولة على لعل ، وعلى رأى الأخفش الأمر على ماكان . وتستعمل مرة استعمال قرب فيكون فاعلها أن مع الفعل نحو : عسى أن يقوم زيد " .

وفي هاتين المسألتين أصدق دليل على القرابة القريبة التي تربط بين هذين الكتابين ، فلم يزد الشلوبين على الجزولي سوى الأمثلة ، وسوى تسميته خبر عسى مفعولا ، وجنوحه الى حمل عسى على لعل في أحد استعمالاتها ، وقد بنى الشلوبين كتاب التوطئة كما سبق في المقدمة على احكام الأصول وتيسير النظم ، ولم يتجه الى البسط والتطويل فيها ، وقد أشار فيها الى الشرح الذى ألفه ، فقال بعد حديث موجز عن الاسم الذى يجمع والذى يفهم منه الجمع من المضمرات والمبهمات وغيرها قال[3] : " وشرحه مبسوط في الشرح " . وهذه العبارة مما يستند اليه في بيان تاريخ التأليف . وقد وصل الينا هذا الكتاب كاملا ، وكذلك الشرح الصغير قد وصل الينا كاملا ، أما الشرح الكبير فقد خلا من المقدمة والخاتمة ، ولكنه لم يخل من تكرار عبارات الشلوبين وآرائه التي ذكرت في الشرح الصغير . والفرق بينهما من جهة التطويل والاختصار . فقد كتب الجزولي سبعة سطور عن المتعدى وغير المتعدى من أسماء الأفعال[4] ، وقد استغرق شرحها سبع ورقات كاملة في الشرح الكبير[5] ، على حين أنه لم يزد على صفحتين في الشرح الصغير[6] .

---

* مقول عاتكة بنت زبير تخاطب ابن جرموز قاتل الزبير .

(١) الجزولية ص ٤٩ ، ٥٠ (٢) التوطئة ص: ١٤٠

(٣) التوطئة ص: ١٦ . (٤) الجزولية ص: ٥٤ .

(٥) الشرح الكبير ورقة : ١٢ — ١٨ (٦) الشرح الصغير ص: ١٦٣ — ١٦٤ .

وهذه الكتب الثلاثة التى ألفها الشلوبين ، شرحا وتوضيحا للمقدمة الجزولية تعتبر بحق مبعث نهضة علمية قوية ، ومثار جهد فكرى شغل صاحبه حينا بهذه المقدمة التى تعتبر تجريدا للأحكام ، ورموزا الى الأصول التى حار فيها بعض العلماء .

٣ـ اللورقى :

هو أبو محمد القاسم بن أحمد بن الموفق بن جعفر الأندلسى المرسى ، الامام اللورقى النحوى ، وسماه بعضهم محمدا ، وكناه أبا القاسم ، والأول أصح .
قال ياقوت : امام فى العربية ، عالم بالقراءات ، اشتغل فى صباه بالأندلس ، وأتعب نفسه حتى بلغ من العلم مناه ، فصارعها للزمان ، وما من علم الا وله فيه أوفر نصيب ... وكان له حلقة اشتغال ، وكان مليح الشكل اماما مهيبا متفننا ، صنف شرح المفصل فى أربع مجلدات . شرح الجزولية . شرح الشاطبية .. مولده سنة خمس وسبعين وخمسمائة ومات فى سابع رجب سنة احدى وستين وستمائة بدمشق[(١)] .

المباحث الكاملية على المقدمة الجزولية :

قال فى ايضاح المكنون[(٢)] : " شرح المقدمة الجزولية فى النحو المسمى بالقانون لعلم الدين قاسم بن أحمد الموفق اللورقى الأندلسى المتوفى سنة ٦٦١ وسماه المباحث الكاملية على المقدمة الجزولية " ومن هذا الشرح نسخة خطية بدار الكتب بالقاهرة[(٣)] ، تقع هذه النسخة فى مجلدين ، عدد أوراق المجلد الأول (٢١٠ ورقة) . وفيه نقص فى مواضع كثيرة ، كالنقص الذى بين الورقة رقم (٩) والورقة رقم (٥٧) . وفى المجلد الثانى (٢٥٣ ورقة) . ولهذا الشرح مقدمة وخاتمة ، وقد أتى الزمن على بعض كلماتها وهذا هو ما ظهر منها[(٤)] من المقدمة .

" بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم يسر[(٥)] ... العبد الفقير الى (.). الله تعالى ... بن أحمد بن الموفق الأندلسى ، عفا الله تعالى عنه (.). أمر ذى بال ، والصلاة على محمد نبيه وعلى آله خير[(٥)] . لما كانت (.). كالحواشى على جمل أبى القاسم الزجاجى[(٥)] . لكل أحد معناها ، ولا يدركه الا بعد التأمل مغزاها ، فربما قرأها الشادى فلم يحل (.). بقرة

---

(١) بغية الوعاة : ٣٧٥   (٢) المجلد الثانى ص: ٥٤٣

(٣) رقم النسخة : ٢٦٦ نحو .   (٤) ورقة رقم : ١ .

عين ، أو حفظها المبتدئ ترجع عنها بخفي حنين ، وهذا ما ينفر الطباع منها ، ويصرف القلوب عنها ، مع أنها صدقة احتوت على نكت أنفس من الجواهر ، وتضمنت درر معان أثلث للقائم عليها مآثر ومفاخر ، وكست من حصلها من مجد نماء وغربها عن موطنها .[1] الشريب مجهول القدر ، خامل الذكر ، لا تعتبر عبارته وهو .[1] ولا يحكم بحكمته وهو لقمان .

وتدنو منه الصالحات وإن يبس .. يكن ما أساء النار في رأس كبكبا

أعيت ألا أدعها ذات .[1] نهطس منها الأثر والعين ، فانتدبت لنشر فضيلتها وتبين قيمتها ، وأزحت جلبابها ، ليدرك جمالها ، وأبرزت محاسنها ليدوم وصالها .. ألا أزيد في شرحي لها على ضرب مثال ، أو زيادة قيد يحصل من تركه اخلال أو مناقشة في عبارة وقع فيها احتمال . فأما تكثير المباحث والمسائل ونصرة المذاهب والدلائل لقد ذكرنا من ذلك جملة كافية في شرح المفصل ، وبالله أستعين ، وعليه أتوكل ".

وعلم الدين هنا يؤكد ما قيل : ان الجزولية كالحواشي على جمل الزجاجي وأنها لا تفهم في يسر ، ويشير الى أن الرغبة في نشر فضيلتها هو الذى دفعه الى شرحه ، كما أنه يتحدث عن الخطة التى سار عليها في الشرح من الاقتصار على ضرب مثال ، أو زيادة قيد ، أو تصحيح عبارة ، ولا ينتهي من المقدمة حتى يذكرنا بكتاب مطول ألفه في شرح المفصل ، وكثر فيه المباحث والمسائل ، ونصر المذاهب وذكر الأدلة ، وقد ختم مباحث الابدال بقوله[2] : " لهذه أمثلة البدل على جهة الاختصار ، وأما التفصيل وشرح العلل ففي شرح المفصل ".

وفي تقديم هذا الشرح أورد صاحبه سؤالا عما تفيده صناعة النحو ، وعما ينظر فيه النحوى ثم أجاب عنه بقوله[3] : قلت : أما الذى ينظر فيه النحوى فالكلام العربي اذ موضوع علم النحو هو الكلم العربية مفردة ومركبة لا من حيث دلالتها على مسمياتها ، فان ذلك علم اللغة — على ما قلت — بل من حيث ما يعرض لها من الاعراب والبناء والتصرف والجمود والتعريف والتنكير وغير ذلك من مسائل النحو ، فالنحوى متكفل ببيان هذه الهيئات التى اختص بها كلام العرب .. وأما الذى تفيده صناعة النحو فمعرفة الهيئات الخاصة بكلام العرب بالضوابط والقوانين الكلية المستنبطة من كلامهم ليتحرى العارف بها المراعى لها في كلامه

---

(١) كلمات غير ظاهرة في الأصل .

(٢) المباحث الكاملية جـ ٢ ورقة : ٢٤٧ .

اعرابا وبناء ـ طريقة العرب فى ذلك ، ولهذا يرسم النحو بأنه علم يبحث فيه عن أحوال الكلم العربية افرادا وتركيبا فقط .

وقد أفدت من دراسة شرح اللورقى للجزولية أن منها نسخة أخرى مطولة كتبها صاحبها ، فقد كشف لى عن ذلك قول اللورقى بعد حديثه عن الاسم المتمكن [١] : " وقد طوّل (الجزولى) بتفصيل علل البناء التى سنذكرها فيما بعد ، وكان يغنيه أن يقول كما قال صاحب المفصل : انه الذى لامناسبة بينه وبين مالا تمكن له بوجه قريب أو بعيد وهو الحرف . وقد بسط هذه الأسباب فى النسخة المتأخرة أكثر من هذا البسط ".

والذى يستنبط من ذلك أن الجزولى نفسه كان قد لمح مافى مقدمته من صعوبة على أبناء زمنه فأعاد كتابتها مبسوطة مطولة ، ولكن هذه النسخة المطولة التى أشار اليها اللورقى لم أعثر لها على أثر .

وقد أشار كذلك الى شرح أبيات الايضاح للجزولى فقال فى معرض الحديث عن فاعل نعم وجواز تجرده من "ال" اذا عطف عليه مافيه "ال" كقوله :

نعم صاحب قوم لاسلاح لهم … وصاحب الركب عثمان بن عفان

قال : وذكر بعض أصحابنا أن الجزولى ذكر فى شرح أبيات الايضاح أنها لغة ، وأنشد :

نعم متاع أزلة عجاف … وملقى النسعتين على رحيل [٢]

وقد اعتذر اللورقى عن ادراج المتأخرين باب الهجاء فى علم النحو بأن الخط دال على اللفظ بالاصطلاح ، كما أن اللفظ دال على المعنى . والجزولى تبع الزجاجى فى ذلك . وربما كان اللحن والخطأ فى الخط أقبح منه فى اللفظ لبقائه وعدم اللفظ فى الحال ، وقد أطال اللورقى فى ذلك بمالا يتسع له المقام [٣] . وقد كتب الزبيدى فى الواضح بابا عن الهجاء [٤] ، ولكن أبا على الشلوبين فى شرحيه على الجزولية لم يكتب عنه .

وفى هذا الشرح ظهر المام اللورقى وسعة اطلاعه ، فقد بين الصلة القوية بين الجزولية وجمل الزجاجى فى المقدمة التى ذكرت من قبل ، كما أنه بين فضل الجزولى فى بعض الاصطلاحات فذكر أن الجزولى سمى كان وأخواتها أفعالا وذكر أن ذلك أحسن من تسمية الزجاجى لها حروفا [٥] . وكذلك وضح الصلة بين ابن السراج وكتاب

---

(١) المباحث الكاملية جـ١ ورقة : ٦٠ (٢) المرجع السابق جـ ٢ ورقة : ٥١

(٣) المرجع السابق جـ ٢ ورقة : ١٦٥ .

(٤) الواضح ورقة رقم : ١٦٧ ـ ١٧١ ، وهذا الباب فى الجزولية ص : ٦١ .

الأصول الذى ألفه وبين الجزولية نقال[1] : " من النحاة من فرق بين العطف على الموضع والعطف على اللفظ منهم ابن السراج فانه قال : فالفرق بين العطف على اللفظ والعطف على الموضع أن المعطوف على اللفظ كالمثنى يعمل فيهما عامل واحد لأنهما كاسم واحد ، والمعطوف على الموضع يعمل فيه عاملان ، والتقدير تكرير العامل فى الثانى اذ لم يظهر عمله فى الأول ، وتصير كأنها جملة معطوفة على جملة .

والى هذا المذهب أشار الجزولى . وكثيرا ما يعتمد على كتاب الأصول . والجزولية مقتضبة منه فى الحقيقة ".

وقد نقل اللورقى عن ابن السراج فى حروف الشرط نقال[2] : قال ابن السراج : اعلم أن لحروف الجزاء ثلاثة أحوال : حال يظهر فيها ، وحال يقع موقعه اسم يقوم مقامه ، ولا يجوز أن يظهر معه ، والثالث أن يحذف مع ما عمل فيه ويكون فى الكلام دليل عليه . فأما الأول الذى هو حرف الجزاء فان الخفيفة ويقال لها أم الجزاء وذلك قولك : ان تأتنى آتك ولا بد للشرط من الجزاء كما أنه لابد للمبتدأ من الخبر . قال : وأما الثانى فأن يقع موقع الحرف اسم ، وقد ذكرنا أن الاسم الواقع موقعه يكون ظرفا وغير ظرف . وأما الذى يحذف فيه حرف الجزاء وهو القسم الثالث وذلك اذا كان الفعل جوابا للأمر والنهى الى آخرها تقول : ائتنى آتك ، والتأويل : ائتنى فانك ان أتيتنى آتك ، وأمثلة الباقى سهله نعليك بتمثيلها .

واللورقى ينقل كلام ابن السراج ، دليلا على أن الجزولى قد أفاد منه فى تأليفه . وقد شرح عبارات أبى موسى فى ايجاز ، فمن ذلك حديثه عن " اذا " قال[3] : وقول الجزولى : " ولا يجازى بها الا فى الشعر " . يعنى أن الجزم بها لايكون الا فى الشعر . وقد استعمل هذه العبارة ابن الخشاب وفسرها بالجزم . وأما الارتباط الذى فى ان فحاصل فيها وان لم تجزم . وقد تأتى للمفاجأة .

ومنه قوله[4] : وكلام النحاة فى مذ ومنذ مضطرب جدا ، ولعل المختار من أقاويلهم ما ذكره الجزولى رحمه الله تعالى . قال : " والاسمية على مذ أغلب للحذف ". قلت : الحذف تصرف وهو بعيد عن الحرف الا المضعف منه نحو رب ، ويدل على أن أصلها منذ عود النون اليها فى التصغير ، فانك تقول : منيذ ، وفى الجمع : أمناذ . والفرق بينهما لايظهر الا عند اختلاف ما بعدهما بالرفع والجر ، وذلك من

---

(١) المباحث الكاملية جـ ١ ورقة : ١٨٦ . (٢) المرجع السابق : ١٠٠

(٣) المرجع السابق : ٩٠ . (٤) المرجع السابق جـ ٢ ورقة رقم : ٢١ .

وجهين أحدهما أنك اذا رفعت ما بعدهما كان الكلام جملتين على رأى ، واذا جررت لم تكن مع مجرورها الا من تمام الكلام الأول . الثانى أنك اذا رفعت جاز أن تقع الرؤية فى بعض ذلك الزمان ، واذا جررت لم يجز . ولم يطل ولكنه أشار الى أن بعض النحاة يرى أن الرفع بهما لغة والجر لغة ثانية والتفصيل لغة ثالثة .

ولم يخل هذا الشرح من تعرض للخلافات النحوية وذكر الآراء وأدلتها فقد ذكر أن الكوفيين منعوا اعمال صيغ المبالغة ، وأن سيبويه أجاز اعمال الجميع ، وأن من النحاة من خالف فى اعمال فعيل وفعل[(١)] .

وذكر فى اعراب حبذا ستة أقوال : حب فعل ماض وذا فاعله والجملة خبر المدوح . المدوح مبتدأ خبره محذوف . المدوح بدل من ذا . ذا زائدة والمدوح فاعل — حبذا مبتدأ والمدوح خبره — حبذا فعل والمدوح فاعل . ثم قال[(٢)] : " فهذه ستة أوجه فى اعرابه والأول هو الوجه " .

وكذلك الخلاف بين المبرد وسيبويه فى الجمع بين الفاعل الظاهر والتمييز فى مثل قول جرير ، وقد منعه سيبويه وقاسه المبرد :

تزود مثل زاد أبيك فينا فنعم الزاد زاد أبيك زادا[(٣)]

وذكر اللورقى رأيا للنحاس فى النسب الى المركب الاضافى فقال[(٤)] : "وقد يصوغون من الاسمين اسما واحدا فينسبون اليه ، قالوا : عبشمى وعبدرى فى عبد الدار وعبد شمس . وذكر النحاس أن النسب الى سوق وردان بعضهم سوقردى . قال المبرد : وانما فعلوا ذلك اجتنابا للبس وهذا سماع لا يقاس عليه ، ولم يسمع الا فيما أوله عبد .

ونقل عن ابن جني كلاما جيدا فى حديثه عن أيان فقال[(٥)] : وأما أيان فهى بمنزلة متى ، وفيها لغة بكسر النون ، والمشهور فتحها لمجاورة الألف قال ابن جنى : وينبغى أن تكون أيان من لفظ أى ، لا من لفظ أين ، لأن أين مكان وأيان زمان ، ولقلة فعال فى الأسماء وكثرة فعلان ، فلو سميت بها لم تصرفها نظرا الى أصلها . ولعل أصلها أى أوان فحذفت الهمزة واحدى الياءين فبقى أى وان فادغمت ، ومتى أشهر منها ، ولذلك تفسر بها من غير عكس ، لكن فى أيان تفخيم ليس فى متى ، فلا تستعمل الا فى الأمور العظام كقوله تعالى : "أيان مرساها "[(٦)] .

---

(١) المباحث الكاملية جـ ٢ ورقة : ٣٧ (٢) المرجع السابق : ٥٤ .

(٣) المرجع السابق : ٥٢ (٤) المرجع السابق : ١٤٧ .

وذكر ابن برهان في حديثه عن البدل فقال[1] : قال ابن برهان :
بدل الاشتمال هو الذى يدل فيه الأول على الثانى على سبيل الاجمال فيجاء بالثانى
مبينا لما دل عليه الأول كالمميز بعد الجملة ، وهذا أيضا على مذهب الجزولى .

وذكر رأيا لأبى جنى من علماء الأندلس فى حذف واو العطف بين " الحمد لله "
و " صلى الله على سيدنا محمد " قال[2] : امتنع عند الأكثر عطف الخبر على غير
الخبر ، فكرهوا دخول الواو فى قولهم : وصلى الله على محمد ، عطفا على باسم الله ،
لأن باسم الله خبر ، وصلى الله دعاء . وقال آخرون : انما امتنع لأن المقام
مقام أفراد الربوبية والالتجاء اليه بذكر اسمه جل وعز ، فلا يليق أن يشرك
معه غيره فى هذا المقام فتستأنف الصلاة على النبى ولا تعطف على الأول . ومنهم
من لا يراعى هذا ، وتمسك بقول امرئ القيس :

"....لا تهلك أسى وتجمل

لعطف الأمر على النهى . ويحتمل أن يجاب عن هذا بأن الأمر بالشئ نهى
عن ضده ، فهما من نوع واحد ، ولأن الأمر طلب الفعل ، والنهى طلب الترك
فكلاهما طلب .

ونقل نظما لبعضهم فى شروط الحال ، وذيلها بأن القدماء لم يشترطوا
هذه الشروط كلها ، وشرح ذلك بأوفى بيان وهذه هى الأبيات :

شرائط الحال سبع فاستمع لهما ولا تكن كأناس شأنهم صمم
بفى مقدرة ، وبعد معرفة منكورة ، ويتم دونها الكلم
والحال مستقل ونصبها ثابت مشتقة . سمة كالدر تنتظم[3]

ومن الكتب التى أشار اليها فى شرحه كتاب ليس لابن خالويه فقال[4] : وقال ابن
خالويه فى كتاب ليس : انه ليس فى كلام العرب فُعَلى غير ثلاثة ألفاظ شعبى اسم
موضع فى بلاد فزارة قال :

أعبدا حل فى شعبى غريبا .:.

وأدمى اسم موضع قال الشاعر :

يسبقن بالأدمى فراخ تنوفة .

والأربى الداهية قال :

هى الأربى جاءت بأم حبوكرى .

---

(١) المباحث الكاملية جـ ١ ص ١٩٣ (٢) المرجع السابق : ١٨٠ .
(٣) المرجع السابق : ٢١٤ .

وأما صلة اللورقي بأبي علي الشلوبين فقد ظهرت لي هذا الشرح ونقل عنه كثيرا حتى صار يرمز اليه بالشين المعجمة بدل أن يذكر اسمه كاملا ، وقد تبينت ذلك من النصوص التي نقلها عنه ، ثم وجدتها بنصها في الشرح الذي سميته الشرح الصغير فيما سبق ، ومن أمثلة ذلك قوله(1) ، قال الشلوبيني ، قوله : " وينعت به العلم والمضاف الى المعرفة " يعني المضاف الذي هو مساو له أو دونه ، والا فالمضاف الى مافيه الألف واللام لاينعت باسم الاشارة ، وكان حقه ان كان أراد هذا المعنى أن يصرح به ، ولا يكلف الناس أن يحملوا كلامه على التأويل . وان قال ، ان هذا معلوم من صناعة النحو قيل له ، فالذي يعرف صناعة النحو يستغني عن كتابك .

وعبارة الشلوبين في الشرح هي(2) : قوله : " وينعت به العلم والمضاف الى المعرفة يريد المضاف الى المعرفة الذي هو مساو له أو دونه ، والا فالمضاف الى مافيه الألف واللام لاينعت باسم الاشارة . وقد كان حقه اذا أراد هذا أن يقوله أو يقدم لذلك ما يدل عليه . واذا لم يفعل ذلك فتكليفه قاريء كتابه أن يحمل كلامه على هذا من تكليف مالا يطاق الا أن يقول : هذا معلوم في صناعة النحو فيقال له : الذي تعلم هذا من صناعة النحو غني عن هذا كله فأي معنى لخطابه بهذا ؟ .

وليس بين هذين النصين اختلاف كبير ، فقد فهم اللورقي من عبارة الشلوبين الأخيرة ومن الاستفهام الذي ذيل به كلامه ما جعله يضع بدلها قوله : " فالذي يعرف صناعة النحو يستغني عن كتابك " .

والأمثلة كثيرة على أخذ اللورقي عن الشلوبين في شرحه الصغير، فقد نقل رد الشلوبين على ابن الطراوة في قوله برفع اسم ان ونصب خبرها مما سبق ذكره في هذا البحث(3) ، وسبقت الاشارة اليه في الحديث عن الشرح الصغير من قبل . وفي الورقة رقم (٢٣٩) من الجزء الأول من شرح اللورقي نقل عن الشلوبين تعليقه على قول الجزولي : " وتوسط الخبر عام في جميعها " قال : قال الشلوبين : اطلاقه التوسط غير صحيح حتى يقول : مالم يكن اسما فيه معنى الاستفهام نحو أين كان زيد ؟ ، ومن كان أخوك ؟ فانه لايجوز التوسط هنا ألبتة . وهذه العبارة بنصها في الشرح الصغير في الصفحة رقم (١٠٥) .

---

(1) المباحث الكاملية جـ ١ ورقة : ١٦٥ .

(2) الشرح الصغير ص: ٧٣.

(3) [illegible]

ولم يكتف اللورقي هنا بما نقل عن الشلوبين بل نقل عن سيبويه أيضا بعد أن ذكر مجمل رأيه قال[1] : وفصل سيبويه بين تقديم الظرف الذى هو لغو وبين ما هو معتد به فاستحسن تقديمه اذا كان خبرا لأن التقديم للاهتمام، والزيادة لايهتم بها ، ولم يستحسن تقديم اللغو منه ، قال (أى سيبويه) : وأهل الجفاء يقرؤن : " ولم يكن كفوا له أحد " . كأنه وصفهم بالجفاء هنا لأنهم لم يتفطنوا لحكمة التقديم هنا فقرؤا على سجيتهم نظرا الى الصورة ، أو أن أهل الجفاء هم العرب العرباء وهم الفصحاء . والنص الذى فى الكتاب هو[2] : " وأهل الجفاء من العرب يقولون : " ولم يكن كفوا له أحد " كأنهم أخروها حيث كانت .

وهذه مواضع أخرى نقل فيها اللورقي عن الشلوبين : ص(١٠٧) من الشرح الصغير فى المباحث الكاملية (ج ١) ورقة (٢٤٢) . ص(١١٣) من الشرح الصغير فى المباحث الكاملية (ج١ ورقة ٢٥٣) . ص(١٣٤) من الشرح الصغير فى المباحث الكاملية (ج ٢ ورقة رقم ٤١) . (ص١٤٠) من الشرح الصغير فى المباحث الكاملية (ج ٢ ورقة ٩٥) . (ص١٦٧) من الشرح الصغير ، والورقة(٣٨) من الشرح الكبير فى المباحث الكاملية (ج ٢ ورقة ١٤٩) . وغير هذه كثير مما لا يحتمل هذا البحث التطويل بذكره .

وقد رأيت علم الدين اللورقي فى غير موضع يذكر كلام الجزولي ثم يتبعه بالثناء والاستغناء عن الشرح ، وسأكتفى من هذا بمثال واحد . قال[3] : وأصل النعت أن يكون للنكرة لأن الاشتراك فيها بالوضع ، وفي المعرفة بالعرض ، وكما تنعت النكرة بما ذكر قبل تنعت أيضا بالظرف وبالجملة الخبرية اسمية كانت أو فعلية ، وأن وقعت غير الخبرية موقع النعت كما فى قولهم :

جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

كان القول محذوفا وهو النعت العامل فى موضعها . ولا نعت الا وفيه ضمير أو يتصل به ضمير يعود على المنعوت ، ففى الظرف الذى ينعت به ضمير يعود على المنعوت كما فى الذى يوصل به أو يخبر به والعامل فيه محذوف كما فى الواقع خبرا وصلة ، ويجب أن يكون مفردا كالعامل فى الواقع خبرا لذى خبر ، وبخلاف العامل فى الواقع صلة وما جرى على النكرة نعتا انتصب حالا من المعرفة ، وما وقع موقع النعت للنكرة وقع موقع الحال من المعرفة الا أن ماضى الوضع يحتاج فى وقوعه موقع الحال الى أن يكون

---

(١) المباحث الكاملية ج ١ ورقة رقم : ٢٣٩ .

(٢) الكتاب ج ١ ص: ٢٧ .

(٣) المباحث الكاملية ج ... ورقة ... ١٣٤ .

معه قد ظاهرة أو مقدرة . قلت : لما كان هذا الكلام فى غاية الحسن والتحرير وكان ظاهرا بنفسه وبالنسبة الى كلامه الأول كالشرح لم نتعرض له بتهذيب أو تمثيل أو تشكيل ، اذ كفانا الخطب فى ذلك كله لفصاحة ألفاظه وظهور معانيه ، وصحة مبانيه .

ولعل فى ذلك مصداقا لما تحدث به فى مقدمة شرحه عن الجزولية اذ أشار الى قيمتها الثمينة وجمالها الخفى الذى قصد ابرازه بشرحه .

وبعد فقد أحسن الجد الى الجزولية فوصل الينا من شروحها أربعة ثلاثة للشلوبين ورابع للورقى ، وانى لأرجو أن يحسن الجد اليها مرة أخرى فتشجعه اليها الهمة ببحث يجمع الشتات ، ويؤلف بين المتشابهات ، ويجد الباحث فيه فرصة للنقد والموازنة والتحليل الدقيق لاتجاهات هذه الشروح ، مع الربط بينها وبين جمل الزجاجى ثم بينها وبين أصول ابن السراج اذا تيسر ذلك .

هذا وقد ذكر السيوطى شرحا للأبذى ، ونقل عنه فى كتاب الأشباه والنظائر فى النحو(١) على حين أنه قد ترجم له فى بغية الوعاة(٢) ، ولم يذكر ذلك فى ترجمته . وكذلك نسب ابن هشام فى المغنى شرحا آخر لابن الخباز ، وقد ترجم له السيوطى فى بغية الوعاة أيضا وذكر له من المؤلفات(٣) : " النهاية فى النحو ، وشرح ألفية ابن معط " ولم يزد عليهما ، وقد نقل ابن هشام عن هذا الشرح(٤) ، وقال ابن الخباز فى شرح الجزولية : ان أقسام التنوين عشرة ، وجعل كلا من تنوين المنادى . وتنوين صرف ما لا ينصرف قسما برأسه ، قال : والعاشر تنوين الحكاية مثل أن تسمى رجلا بعاقلة لبيبة فانك تحكى اللفظ المسمى به " .
وهذان الشرحان لم يصلا الينا .

وحسب الجزولى بعد أن تستهض مقدمته همم الأعلام من النحاة ، فيشرحوها ويفصلوا ما فيها من القواعد والآراء ، والشواهد والاشارات .

---

(١) الأشباه ٤ ص: ٧٠ ، ١٦٩ ، ٢٣
(٢) صفحة : ٣٥٢
(٣) صفحة : ١٣١ .
(٤) المغنى ٢ : ٢٣ .

٨ — ابن عصفور:

هو علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الله ابن منظور الحضرمي من أهل اشبيلية ، من جزيرة الأندلس ، يكنى أبا الحسن ، ويعرف بابن عصفور . وقد نقلت هذا النسب من ترجمة له على نسخة المقرب رقم (١٩٩٠ نحو) بدار الكتب في الورقة الثانية منه[1] . وكل من ترجموا له قالوا: انه أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور . وهذا يعني أن عصفورا اسم لجد من أجداده ، أما الترجمة المدونة على نسخة المقرب المذكورة فانما تجعل تسميته بابن عصفور شهرة له وليست من نسبه في شيء .

حياته وصفاته:

لم أستطع التعرف على النشأة الأولى لابن عصفور مع كثرة بحثي عنها ، وشدة حاجتي اليها ، لكشف بعض الجوانب في سلوك الرجل ، فقد أتهم صراحة في دينه ، وأثر على نفسه في شعره ، وكان ما تحدثت به الكتب من النهاية المخجلة التي تنفر منه ، كما تنفر من مسلكه . لقد كان له منزع خاص في حياته ، جعله يقطع الصلة بينه وبين أستاذه الشلوبين بعد أن انتفع به كثيرا — كما سيأتي بعد — وربما كان هذا المنزع هو السبب الذي لم يتحدث عنه أحد لرحلاته المتتابعة ، فقد قال ابن الزبير عنه[2] : " وأقرأ ابن عصفور ببلده مدة ، ثم خرج عن اشبيلية وجال ببلاد الأندلس ، وأقرأ بشريش شذونة[3] ، ومالقة ، ولورقة ، ومرسية وأقام بكل بلد من هذه أشهرا ، وأقبل عليه الطلبة بكل منها ... وعبر البحر الى افريقية وأقام بتونس يسيرا .. ثم عاد الى الأندلس ، وقصد لورقة ، وعاد الى غرب الأندلس ، وعبر الى مدينة سلا ، وأقام بها يسيرا ، ثم عاد الى افريقية ... وأقام بها الى أن توفي في عشر السبعين وستمائة ".

لقد قام ابن عصفور بكل هذه الأسفار ، دون أن يذكر لنا المؤرخون أسبابا ، والذي يغلب على الظن أنه — عفا الله عنه — كان رجلا لم يسع الناس بأخلاقه ، فوسعته الرحلة . وقد نقل السيوطي وابن العماد عن الصفدي أنه[4] " لم يكن عنده ورع ، وجلس في مجلس شراب ، فلم يزل يرجم بالنارنج الى أن مات في رابع عشر ذي القعدة سنة ٦٦٩ ومولده سنة ٥٩٧ هـ".

---

(١) بغية الوعاة: ٣٥٧ ، شذرات الذهب جـ٥ : ٣٣٠ ، ذيل الصلة : ١٤٢ ، روضات الجنات : ٤٧ .

(٢) ذيل الصلة : ١٤٢ .

(٣) [illegible]

وقد أخذت اقراره على نفسه من الشعر المنسوب اليه ، فقد قال[1] :

لما تدنست بالتفريط في كبرى وصرت مغرى بشرب الراح واللعس
أيقنت أن خضاب الشيب أستر لي ان البياض قليل الحمل للدنس

فهو في هذين البيتين ينسب لنفسه التدنس بالتفريط ثم يفسره بأنه صار مغرى بخستين وأن هذا قد جره الى خضاب شيبه ، ولا يشفع له عندى أن الشعراء يقولون ما لا يفعلون لأنه لم يشتهر بالشعر ، كما لا يشفع له حسن التعليل في قوله : " ان البياض قليل الحمل للدنس " . وقد رأيت هذين البيتين في الترجمة التى دونت على نسخة المقرب المشار اليها من قبل ، ومن عجب أنها مما قاله ارتجالا .

شيوخه وعلمه :

قال ابن الزبير[2] : " أخذ عن الأستاذ الجليل أبى على الشلوبين ، ولازمه مدة في علم العربية ، وانتفع به كثيرا ، ثم كانت بينهما منافرة أدت الى وحشة ، وأفضت الى مقاطعة " . وفي الترجمة المدونة على المقرب : أخذ عن الأستاذ أبى الحسن بن الدباج أولا ، ثم عن الأستاذ أبى على الشلوبين الكبير ، ثم كانت بينهما منافرة . قال أبو عبد الله بن حيان الشاطبى في تاريخه : انه لازمه نحوا من عشرة أعوام الى أن ختم عليه كتاب سيبويه في نحو السبعين طالبا . قال أبو حيان النفزى الغرناطى : والذى نعرفه أنه ما أكمل عليه الكتاب أصلا " .
اذا فقد جلس ابن عصفور الى الشلوبين نحوا من عشر سنين ، ثم انصرف عنه دون عرفان له بالجميل ، ولا يعنينا أن يكون قد أكمل عليه الكتاب أولا ، وقد سبق التعريف بالشلوبين .

وأما أبو الحسن بن الدباج فهو الامام على بن جابر (والدباج بفتح المهملة وتشديد الموحدة وبالجيم آخره) الاشبيلى اللخمى النحوى . قال ابن الزبير: كان نحويا أديبا مقرئا جليلا فاضلا ، قرأ النحو على ابن خروف وأبى ذر بن أبى ركب والقرآن على أبى بكر بن صاف ونجبة . وتصدر لاقراء النحو والقرآن نحو خمسين سنة . روى عنه ابن أبى الأحوص وغيره . وهاله نطق النواقيس وخرس الأذان لما دخل الروم اشبيلية فلم يزل يتأسف ويضطرب الى أن مات في الحادى والعشرين من شعبان سنة ست وأربعين وستمائة ، ومن شعره :

رضيت كفافى رتبة ومعيشة تلست أماشى موسرا ووجيها
ومن جر أثواب الزمان طويلة فلا بد يوما أن سيعثر فيها[2]

---

(1) بغية الوعاة : ٣٥٧ . (٢) ذيل الصلة : ١٤٢ .

وقد أجمع من ترجموا لابن عصفور على أنه كان(1) " حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس ، وتصدر للاشتغال مدة بعدة بلاد "، وقد عرف له معاصروه فضله وانتفعوا بعلمه ، وكان تيهم من جملة خاتمة النحاة فقد " رثاه القاضي نصر الدين ابن المنير بقوله :

أسند النحو الينا الدولي ... عن أمير المؤمنين البطل

بدأ النحو علي وكذا ... قل بحق ختم النحو علي " (٢)

وفي نفح الطيب(٣) : ولما أنشد ابن الأزرق في كتابه " روضة الأعلام " قول القائل في مدح ابن عصفور :

نقل النحو الينا الدولي ... عن أمير المؤمنين البطل

بدأ النحو علي وكذا ... ختم النحو ابن عصفور علي

قال بعد ما نصه : على أن صاحبنا الكاتب الأديب الأبرع أبا عبد الله محمد بن الأزرق الوادي آشي رحمه الله تعالى ، قد قال فيما بدائع ابن عصفور عما اقتضاه هذا المدح له بتفضيل الأستاذ المحقق أبي الحسن بن الضائع عليه ، ولقد أبدع في ذلك ماشاء لما تضمن من التورية :

بضائعك ابن الضائع الندب قد أتت ... بحظ من التحقيق والعلم موفور

فطرت عقابا كاسرا أو ما ترى ... مطارك قد أعيا جناح ابن عصفور

ومن تهل كانت آراء الناس تختلف في منازل العلماء ، وليس هنات نقد فيما سبق من القول بأن البيتين في رثائه أو في مدحه ، لأن الرثاء في حقيقته ضرب من المدح ، وقد صرح باسم ابن عصفور في رواية ابن الأزرق ، ولا شك أن المناسبة قد عينت أنه هو المقصود في الرواية الأخرى .

وقد قالوا عنه انه(٤) " كان أصبر الناس على المطالعة لا يمل من ذلك " وهذه الصفة وحدها ترفع قدر الرجل ، وتجعل الباحث يشك في كلام الذين قالوا عنه(٥) : " ولم يكن عنده ما يؤخذ عنه غير النحو ، ولا تأهل لغير ذلك " لأن الصبور الذي لا يمل من الدرس والبحث ـ اذا سلمنا أنه قد صرف همه الى علم النحو ـ لا يمكن أن يصبح حامل لوائه الا بمعرفة دعائمه الرئيسة من كتاب الله ومن كلام العرب شعره ونثره ، ومن يقدر على وضع حد فاصل بين النحو وغيره من علوم العربية ؟ ثم ان ابن عصفور قد تصدر للاقراء بعدة بلاد ، وأقبل عليه الطلاب في كل بلد ، والطلاب لا يتبلون

---

(١) ذيل الصلة : ١٤٢ ، وبغية الوعاة : ٣٥٧ ، وروضات الجنات : ٤٤٧ ، وشذرات الذهب جـ٥ : ٣٣٠

(٢) بغية الوعاة : ٣٥٧

(٣) جـ٣ : ٤٥٤

(٤) بغية الوعاة : ٣٥٧

الا على ذوى الفضل الذين ينتفعون منهم . وهو فوق هذا قد ألف فى غير النحو — كما سيأتى .

تلاميذه

ذكر السيوطى فى بغية الوعاة عددا من تلاميذ ابن عصفور منهم :

١ـ الصفار شارح الكتاب لقد صحب ابن عصفور ، وهو من خصه بالذكر (١)

٢ـ الشلوبين الصغير (٢) . وهو أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن ابراهيم الأنصارى المالقى .. قال ابن البركاتى : من النبهاء الفضلاء ، أخذ العربية والقراءات عن عبد الله بن أبى صالح ، ولازم ابن عصفور مدة اقامته بمالقة ، وأقرأ ببلده القرآن والعربية ، وكان بارع الخط ، منقبضا عن الناس ، كثير التصنف ، متحققا بأشهاء جليلة متشعا فى شئونه كلها ، لا يقرىء الا من له جهة تحترم غير محترف بذ لسانه ، وصحبته من أملاك له ، مجانبا للناس على استقامة وخير . شرح أبيات سيبويه شرحا مفيدا ، وكمل شرح شيخه ابن عصفور على الجزولية ، وانتفع به طائفة مات فى حدود سنة ستين وستمائة عن نحو أربعين سنة .

٣ـ سعيد بن حكم بن عمر بن أحمد .. أخذ عن ابن عصفور ، وقد سبق ذكره فى تلاميذ أبى على الشلوبين (٣) .

٤ـ يحيى بن أبى بكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الفشارى التونسى النحوى أبو زكريا ، ولد سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وقرأ العربية بتونس على ابن عصفور ، وبدمشق على ابن مالك ، وبالقاهرة على البهاء بن النحاس ، ومع ذلك فكانت بضاعته فى النحو مزجاة . مات فى ثالث عشر ذى الحجة سنة أربع وعشرين وسبعمائة (٤) .

وقد أثنى الصفار على ابن عصفور فى شرحه للكتاب فقال (٥) : " حدثنى الشيخ الفقيه أبو الحسن بن عصفور وهو الثقة .. " وكذلك وفى له حق الوفاء الشلوبين فكمل شرحه على الجزولية . وهذا العدد القليل من الطلاب لا يتناسب مع العمر الذى عاشه ابن عصفور ، ولا مع الرحلات التى قام بها .

منزلته بين علماء عصره :

رأينا ثناء الصفار على ابن عصفور فيما سبق ، ورأينا الشلوبين الصغير يحفظ له الجميل فيتم شرحه على الجزولية . وقد وصفه المؤرخون بأنه حامل لواء العربية فى

---

(١) الورقة رقم : ٣٤٥ـ ٣٧٥ (٢) بغية الوعاة : ٧٩ ، ٨٠ .

زمانه بالأندلس ، ولكن أستاذه أبا على الشلوبين قد نعته بالجهل حين أمر طلابه أن يتوجهوا اليه ويسألوه عن العامل فى الظرف فى قول امرئ القيس :

حى الحمول بجانب العزل   اذ لا يلائم شكلها شكلى

قال أحمد بن يوسف اللبلى : وكان أبو الحسن بن عصفور قد برع واستقل ، وكان الشلوبين يغض منه ، فقال لنا : اذا خرجتم فاسألوا ذلك الجاهل — يعنى ابن عصفور — فلما خرجنا سرنا اليه بجمعنا ، ودخلنا المسجد ، فرأيناه قد دارت به حلقة كبيرة ، وهو يتكلم بغرائب النحو ، فلم نجسر على سؤاله لهيبته وانصرفنا " وقد سبقت هذه القصة كاملة[1] ، وانما أعدت هذا الجزء حرصا على بيان منزلة ابن عصفور بين علماء عصره ، فقد كانت له حلقة كبيرة ، وكان يتكلم بغرائب النحو ، وكانت له هيبة منعت طلاب الشلوبين من سؤاله ، ومن عجب أن أبا على الشلوبين لم يعرض لابن عصفور فى شئ مما قرأته له ، ولكن ابن عصفور — فيما أرى — قد غمط أستاذه حقه ، وكان عليه أن يعترف له بالفضل واذا رجعنا الى ما كتب عن صلة ابن الضائع بابن عصفور[2] خيل الينا أنه قد أخذ بثأر الشلوبين ، وحسبنا أن ابن الحاج[3] " كان يقول : اذا مت يفعل ابن عصفور فى كتاب سيبويه ما شاء " .

وحسب ابن عصفور ما قال عنه ابن سعيد[4] : " واليه انتهت علوم النحو ، وعليه الاحالة الآن من المشرق والمغرب " .

وفى الترجمة المدونة على نسخة المقرب ثناء على المؤلف ودعاء له ، فقد كتب عنوانها هكذا : كتاب المقرب فى النحو تأليف الأستاذ الامام أبو الحسن المعروف بابن عصفور — رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه بمنه وكرمه آمين . وبعد ذكر نسبه السابق قال : " أنبه الحاملين لعلم اللسان ، والمقر له فى ذلك بالاجادة والاحسان"[5] ولعل فى التردد بين المدح وغيره تبرئة لى من الاساءة اليه رحمه الله .

__مؤلفاته__

انما تقاس منازل العلماء وتعرف أقدارهم بما يتركون من علم جار ينتفع به ، ولعل ما ترك ابن عصفور من المؤلفات يمحو عنه كل ما وصم به من سيئات ، فقد كانت مؤلفاته فى النحو والصرف والأدب معينا يفيض بالعلم ، وقد ظهرت آثار هذه المؤلفات فى أمهات كتب النحو التى جاءت من بعده ، ويعتبر اسم ابن عصفور علما من أشهر أعلام النحاة

---

(١) الورقة رقم : ١٠٧ ، ١٠٨   (٢) الورقة رقم : ٣٨٩ — ٤١٠ .

يباهى المهتدى بمعرفته كما يعتز العلماء بدراسته ومعرفة آثاره وآرائه . وقد كان لابن عصفور مؤلفات كثيرة منها ما وصل الينا ، ومنها مالم نعرف عنه شيئا . قالوا عن مؤلفاته (١) : " وصنف الممتع فى التصريف كان أبو حيان لايفارقه . المقرب، شرحه لم يتم . شرح الجزولية . مختصر المحتسب . ثلاثة شروح على الجمل . شرح الأشعار الستة وغير ذلك " .

وفى الترجمة المدونة على نسخة المقرب (٢) : " وله تواليف جليلة منها المقرب ، والممتع ، والمفتاح ، والهلالى ، والأزهار ، واثارة الدياجى ، ومختصر الغرة ، ومختصر المحتسب ، ومفاخرة السالف والمذار ، وهذه كلها قد أكملها ، ومن الذى مات قبل اكماله : شرح الايضاح ، وشرح المقرب ، وشرح الأشعار الستة ، وشرح الحماسة وشرح المتنبى ، وسرقات الشعراء ، والبديع ، وشرح الجزولية ، وأنهى فيه الى باب العطف . قال أبو حيان : وهو الذى بنى عليه شرحه شيخنا الحافظ أبو الحسن الأبذى ، وكذلك بنى عليه أيضا الأستاذ أبو عبد الله الشلوبين الأصغر .. وكتب عنه على كتاب سيبويه أبو القاسم الصفار " . فهذه سبعة عشر تأليفا ، أكمل تسعة منها ، ولكن الذى وصل الينا :

كتاب المقرب

قال فى كشف الظنون (٣) : المقرب فى النحو .. لابن عصفور ، وله عليه شرح أيضا لم يتم ، وعلق الشيخ الامام تاج الدين أحمد بن عثمان التركمانى الحنفى تعليقة لطيفة على هذا الشرح وتوفى سنة ٨٦٨ . وللشيخ بهاء الدين أبى عبد الله محمد بن ابراهيم النحاس الحلبى المتوفى سنة (٦٩٨) شرح أيضا كتبه املاء " .

وفى مفتاح السعادة (٤) : " ومن المتوسطات فى كتب النحو المقرب لابن عصفور ، وهو على .. حامل لواء العربية فى زمانه بالأندلس " .

وفى نفح الطيب (٥) : " وقال ابن سعيد : وقد أتيت له ـ يعنى ابن عصفور ـ من افريقية بكتاب " المقرب " فى النحو فتلقى باليمين من كل جهة ، وطار بجناح الاغتباط " .

---

(١) بغية الوعاة : ٣٥٧ ، وروضات الجنات : ٤٧ ، وشذرات الذهب جـ٥ : ٣٣٠ وذيل الصلة : ١٤٢ .

(٢) الورقة الثانية من نسخة المقرب رقم (١٩٩٠ نحو) .

(٣) المجلد الثانى : ص : ١٨٠٥ .

(٤) صفحة : ١٥٨ .

(٥) جـ٧ : ١٨٠ ، ١٨١ .

وقد كان لهذا الكتاب أثر بارز في عالم التأليف في النحو ، فمن العلماء من رحب به وتلقاه بالرضا والقبول ، ومنهم من شمر عن ساعد الجد لشرحه والتعليق عليه ، ومنهم من انتقده ورد عليه . قال المقري (١) : ولما ألف ابن عصفور كتابه المقرب في النحو انتقده جماعة من أهل قطره الأندلسيين وغيرهم ، منهم ابن الضائع وابن هشام الجزيري ، وله عليه : " المنهج المعرب في الرد على المقرّب " وفيه تحامل كثير وتعسف .

وفي تعب من يحسد الشمس نورها ... ويأمل أن يأتي لها بضريب

ومنهم ابن الحاج ، وأبو الحسن حازم القرطاجني الخزرجي ، وسماه " شدّ الزيار على جحفلة الحمار " وابن مؤمن القابسي ، وبهاء الدين بن النحاس " .

وقد ذكر السيوطي شرح المقرب لابن النحاس (٢) ، كما ذكر ايرادات ابن الحاج على المقرب (٣) . وهذا كله يعني أن المقرب لابن عصفور كان حدثا عظيما في عالم النحو ، وهذه الكتب التي ألفت على المقرب لم يصل الينا منها الا نقول عن تعليقة النحاس أكثر منها السيوطي في كتاب الأشباه والنظائر ، وكتاب مثل المقرب لابن عصفور ، وسيأتي ذكره .

أما كتاب المقرب فقد وصل الينا منه نسختان ، احداهما التي سميتها من قبل وهي تحمل رقم (١٩٩٠ نحو) بدار الكتب بالقاهرة ، والثانية رقم (٦٠٩ نحو تيمور) وهي التي اعتمدت عليهما . وليس بين النسختين خلاف ، الا أن النسخة الأولى عليها ترجمة لابن عصفور ، ولا يستغني المحقق عنهما ، فقد رأيت في حديثه عن " ربّ " قوله (٤) : " ولا يكون العامل فيها الا بمعنى المضي " فسقطت " الا " من النسخة التيمورية فأكملتها من النسخة الثانية (٥) .

وقد تحدث ابن عصفور في مقدمة المقرب عن مكانة علم العربية وعن الخطة التي التزمها في تأليفه ، وأشار الى أنه ألفه استجابة لطلب الأمير ، قال بعد الذكر المأثور (٦) : وبعد ، فانه لما كان علم العربية من أجل العلوم قدرا وأعظمها خطرا ، اذ به تقوم للانسان ديانته ، فتتم صلاته وتصح قراءته ، وكانت أكثر الموضوعات فيه لاتبرد غليلا ، ولا تحصل لطالبها مأمولا ، لأنها بين مطولة قد أسرف فيها غاية الاسراف ومختصرة قد أجحف بها غاية الاجحاف ـ أشار من النجح معقود بنواصي رأيه ..

---

(١) نفح الطيب جـ ٥ : ٢٧٧ (٢) بغية الوعاة : ٦

(٣) بغية الوعاة : ١٥٦ .

(٤) المقرب (٦٠٩ نحو تيمور) : ص : ٥٨ .

(وأطال في مدح الأمير أبي زكريا ابن أبي محمد بن أبي حفص وآله) .. الى وضع تأليف منزه عن الاطناب الممل والاختصار المخل ، محتوعلى كلياته ، مشتمل على فصوله وغاياته ، عار عن ايراد الخلاف والدليل ، مجرد أكثره عن ذكر التوجيه والتعليل ، ليشرف الناظر فيه على جملة العلم في أقرب زمان ، ويحيط بمسائله في أقصر أوان ، فوضعت في ذلك كتابا صغير الحجم ، مقربا للفهم ، رفعت فيه من علم النحو شرائعه ، وملكته عصيه وطائعه ، وذللته للفهم بحسن الترتيب وكثرة التهذيب لألفاظه والتقريب ، حتى صار معناه الى القلب أسرع من لفظه الى السمع ، فلما أتيت به على القدح ممتنعا عن القدح مشبها للعقد في التئام أصوله ، وانتظام فصوله — سميته بالمقرب ليكون اسمه وفق معناه ، ومترجما عن فحواه ، وطرزته باسمهم ، اذ كان نتيجة اشارتهم السديدة ورسمهم ورفعته الى حضرتهم ، وصل الله عزتهم ، اذ كانت سوق العلم نافقة عندها لا تكسد ، وجنائبه هابة لي جنباتها لا تركد ، وأنا أرجو أن يرد منهم على حسن قبول واقبال ...

وقد سار المؤلف على الخطة التي أشار اليها ، فبدأ كلامه بذكر حقيقة النحو فقال[1] : النحو علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة الى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها ". وقد نقل هذا التعريف كثير من النحاة ، فنقله السيوطي[2] وأتبعه بقوله : وانتقده ابن الحاج بأنه ذكر ما يستخرج به النحو ، وتبيين ما يستخرج به الشيء ليس تبيينا لحقيقة النحو ، وبأن فيه أن المقاييس شيء غير النحو ، وعلم مقاييس كلام العرب هو النحو ".

ثم جاء الأشموني فنقل هذا التعريف بنصه وذيله بقوله[3] : قاله صاحب المقرب ". ولم يعترض على هذا التعريف ، وانما أتبعه بقوله : فعلم أن المراد هنا بالنحو ما يرادف قولنا : علم العربية لاقسيم الصرف ، وهو مصدر أريد به اسم المفعول أي المنحو ، كالخلق بمعنى المخلوق ، وخصته غلبة الاستعمال بهذا العلم .

ثم أخذ ابن عصفور يتحدث عما يحتاج اليه النحو من تبيين حقيقة الكلام ، وتبيين أجزائه التي ائتلف منها وتبيين أحكامها كل ذلك في الملم وايجاز . قال :

باب تبيين الكلام وأجزائه . الكلام في الاصطلاح هو اللفظ المركب وجودا أو تقديرا المفيد بالوضع ، وأجزاؤه ثلاثة : اسم وفعل وحرف ، فالاسم لفظ يدل على معنى في نفسه ولا يتعرض ببنيته لزمان ، ولا يدل جزء منه على جزء من أجزاء معناه

---

(١) المقرب ص: ٣ (٢) الاقتراح ص: ٦

(٣) شرح الأشموني جـ ١ ص : ١٥ ، ١٦ .

نحو زيد ، ألا ترى أن الزاى جزء منه ولا تدل على بعضه ، وليست الجملة كذلك فان وجد من الأسماء مايدل على زمان كأمس وغد فبذاته لابينيته ، ألا ترى أن بنيتهما لاتتغيران للزمان . والفعل لفظ يدل على معنى فى نفسه ، ويتعرض ببنيته للزمان . والحرف لفظ يدل على معنى فى غيره لافى نفسه ، والدليل على أن أجزاء الكلم هذه الثلاثة خاصة أن اللفظ الذى هو جزء كلام اما أن يدل على معنى أو لا يدل وباطل ألا يدل فان ذلك عبث ، فاذا دل فاما على معنى فى نفسه أو فى غيره لافى نفسه فان دل على معنى فى غيره لافى نفسه فهو حرف ، وان دل على معنى فى نفسه فاما أن يتعرض ببنيته للزمان أولا يتعرض فان تعرض فهو فعل ، وان لم يتعرض فهو اسم فالأجزاء اذا منحصرة فى هذه الثلاثة .

ذكر تبيين أحوال الكلم . اعلم أن الكلم لها أحكام فى نفسها قبل تركيبها ، وينبغى أن يؤخر الكلام على ذلك لعلة تذكر عند الأخذ فيه ، وأحكام فى حين تركيبها ، وهى نوعان : اعرابية وغير اعرابية .

ذكر النوع الأول منها . باب الاعراب . الاعراب فى الاصطلاح تغيير آخر الكلمة لعامل يدخل عليها فى الكلام الذى هى فيه لفظا وتقديرا عن الهيئة التى كان عليها قبل دخول العامل الى هيئة أخرى . وألقابه أربعة الرفع والنصب والخفض والجزم . وفى آخر النسخة رقم (٦٠٩ نحو تيمور[1]) ختام باب الضرائر ... ويجوز القياس على ما كثر استعماله من ذلك ، ومالم يكثر فلا سبيل الى القياس عليه . تم الكتاب والحمد لله حق حمده والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه .

يا ناظرا فيه سل الله مرحمة   على المصنف واستغفر لصاحبه
واطلب لنفسك من خير تريد به   من بعد ذلك غفرانا لكاتبه

ووافق الفراغ من كتابة هذا الكتاب المبارك يوم الثلاثاء المبارك سابع عشرى شهر ربيع الآخر سنة (١١٣٨هـ) على يد أفقر العباد وأحوجهم الى رحمة ربه الجواد أحمد المنشاوى غفر الله له ولوالديه ولكل المسلمين أجمعين ، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين .

المقرب فى كتب النحو :

ولو أردت أن ألم كل ما نقل عن المقرب فى كتب النحو لكان من ذلك قدر كبير ، ولكنى أكتفى بضرب الأمثلة لما أخذه العلماء عنه فقد ذاع الكتاب فى حياة صاحبه ، وانقسم الناس حياله ، بين منتفع به ومنتقد له ، وكان الحرص على أن يبقى هذا التأليف ويذيع أقوى من الأحداث العاتية التى تعرضت لها مؤلفات ذلك العصر .

نقل عنه العلامة ابن هشام نقال(١) : قال ابن عصفور في " مقربه " بعد أن ذكر أسباب الامالة ما نصه : وسواء كانت الكسرة متصلة أم منفصلة نحو لزيد مال ، الا أن امالة المتصلة كائنة ما كانت أقوى . وقال أيضا : واذا كان حرف الاستعلاء منفصلا عن الكلمة لم يمنع الامالة الا فيما أميل لكسرة عارضة نحو بمال قاسم أو فيما أميل من الألفات التى هى صلات الضمائر نحو أراد أن يعرفها قبل انتهى .

وقال ابن هشام(٢) : قول ابن عصفور في " أولم يهد لهم كم أهلكنا "(*) ان كم فاعل — مردود بأن كم لها الصدر ، وقوله : ان ذلك جاء على لغة ردية حكاها الأخفش عن بعضهم أنه يقول : ملكت كم عبيد ، فيخرجها عن الصدرية خطأ عظيم اذ خرج كلام الله سبحانه على هذه اللغة . وانما الفاعل ضمير اسم الله سبحانه ، أو ضمير العلم أو الهدى المدلول عليه بالفعل أو جملة أهلكنا على القول بأن الفاعل يكون جملة ، اما مطلقا أو بشرط كونها مقترنة بما يعلق عن العمل والفعل قلبى نحو ظهر لى أقام زيد ؟

وهذا الذى نسبه ابن هشام لابن عصفور لم أجده فيما وقع لى من مؤلفاته نفس المقرب شرح كم بنوعيها ثم قال(٣) : " وكلاهما له صدر الكلام فلا يتقدمه عامل الا الخافض " ومثل ذلك فى شرح الجمل(٤) .

وفى حديث ابن هشام عن زيادة كان قال(٥) : قال ابن عصفور : " باب زيادتها الشعر " . والذى ذكره ابن عصفور فى المقرب فى باب كان وأخواتها(٦) : " وليس منها مايزاد بقياس ، وذلك بين الشيئين المتلازمين — الا كان ، فأما زيادتهم أمسى وأصبح فى قولهم : ما أصبح أبردها ! و وما أمسى أدفأها ! فشاذة فكان اذا كانت زائدة للدلالة على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضى وان كانت ناقصة فكذلك أو بمعنى صار ، وان كانت تامة فبمعنى حضر ... " وفى شرح الجمل(٧) : ويجوز زيادة كان فى الكلام ولا يجوز ذلك فى سائر أخواتها ، واذا استعملت زائدة لم تحتج الى اسم ولا خبر ، وذلك نحو قولك : زيد — كان — قائم . ومن ذلك قول الشاعر :

---

(١) التوضيح : ١٦٩ ، المقرب : ١٠٠ (٢) المغنى جـ ١ : ١٤٥
(٣) المقرب : ٩٧ (٤) ورقة رقم : ٤٨
(٥) المغنى جـ ٢ : ١٢٢ (٦) صفحة : ٢٠
(٧) ورقة رقم : ٢٦ . (*) سورة السجدة : ٢٦ .

سراة بني أبي بكر تساموا | على كان المسومة العراب

يريد على المسومة العراب ، الا أنه زاد بين حرف الجر والمجرور كان للدلالة على الزمان الماضي المنقطع ".

فأنى لابن هشام مانقل عن ابن عصفور ؟

ونقل السيوطي عن تذكرة ابن هشام[1] ما نصه : قال ابن عصفور كالمستدرك على النحاة : انه يستثنى من قولنا : "مالا ينصرف اذا اضطر الى تنوينه صرف " ـ مافيه ألف التأنيث المقصورة . وتوجيهه أنه لايجوز في الضرورة صرفه بوجه لأنك لو فعلته لم تفعل أكثر من أن تحذف حرفا وتضع آخر مكانه ، ولا ضرورة بك الى ذلك . قال ابن هشام : وكنت أقول : لايحتاج النحاة الى استثناء هذا لأن ما فيه ألف التأنيث المقصورة لم يضطر الى تنوينه على ماقال . وكلامنا فيما يضطر الى تنوينه . ثم حكى لي عن ابن الضائع أنه رد عليه فيما له على " المقرب " استثناء هذا ، وأنه أفسد تعليله وقال : سلمنا أنه لافائدة في ازالة حرف ووضع حرف لكن ثم أمر آخر وهو أن هذا الحرف الذي وضعنا موضع الألف حرف صحيح قابل للحركة فاذا حرك بأن يكسر لالتقاء الساكنين حصل مالم يكن قبل وهذا حسن جدا .

وقال السيوطي[2] : قال ابن عصفور في المقرب : ينقسم الفاعل بالنظر الى تقديم المفعول عليه وحده ، وتأخيره عنه ثلاثة أقسام : قسم لايجوز فيه تقديم المفعول على الفاعل وحده ، وهو أن يكون الفاعل ضميرا متصلا أولا يكون في الكلام شيء مبين أو يكون الفاعل مضافا اليه المصدر المقدر بأن والفعل ، أو بأن التي خبرها فعل أو اسم مشتق منه . وقسم يلزم فيه تقديمه عليه ، وهو أن يكون المفعول ضميرا متصلا والفاعل ظاهرا أو يكون متصلا بالفاعل ضمير يعود على المفعول أو على ما اتصل بالمفعول أو يكون الفاعل ضميرا عائدا على ما اتصل بالمفعول أو يكون المفعول مضافا اليه اسم الفاعل بمعنى الحال أو الاستقبال أو المصدر المقدر بأن والفعل أو بأن التي خبرها فعل أو يكون الفاعل مقرونا بالا أو في معنى المقرون بها . وقسم يجوز فيه التقديم والتأخير وهو ماعدا ذلك ".

والذي نقله السيوطي هنا فيه نقص يعد القسم الأول هو[3] : فأما قوله :

---

(١) الأشباه والنظائر جـ ٢ : ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) [illegible]

فزججتها بمزججة زج القلوص أبي مزادة

لضرورة ، وبعد القسم الثاني نقض قوله[1] : نحو قولك انما ضرب زيدا عمرو ، وتريد ماضرب زيداً الا عمرو أو في ضرورة نحو قوله :

وكانت لهم ربعية يحذرونها اذا خضخضت ماء السماء القبائل

فأما قوله : [زعلرمة]

فلم يدر الا الله ماهيجت لنا عشية آناء الديار وشامها[1]

فعلى اضمار فعل أي درى ما هيجت لنا .

وفي تقرير الفرق بين أم المتصلة والمنقطعة ذكر السيوطي أن ما قبل المتصلة استفهام ، وما قبل المنقطعة استفهام وغيره ، وما بعد المنقطعة لا يكون الا جملة ، والمتصلة مع الهمزة تقدر بأي ، ومع الجملة بالمصدر ، والمنقطعة ببل والهمزة ، والمتصلة قد لا تحتاج الى جواب ، والمنقطعة تحتاج ، وجواب المتصلة بالتعيين ، والمنقطعة بنعم أولا . ثم قال[2] : والسادس أن المتصلة عاطفة والمنقطعة غير عاطفة وممن نص على هذا ابن عصفور في مقربه[3] .

وذكر السيوطي أن جواب القسم يكون أن المفتوحة ، ثم قال[4] : قاله ابن عصفور في المقرب[5] واستدل بقوله :

أما والله أن لو كنت حرا وما بالحر أنت ولا العتيق

ورده ابن الضائع وقال : بل جواب القسم جواب لو أي ما يكون جوابها لولا القسم قال أبو حيان : وقد رجع عن ذلك ابن عصفور . ولكن لم أعثر على رجوع ابن عصفور عن ذلك .

وفي الكلام على حروف النداء قال[6] : ... السادس آي بالمد والسكون ، السابع آ بالمد ، وهما للبعيد ، وقد حكاهما الكوفيون عن العرب الذين يثقون بعربيتهم ، وذكر الأخفش في كتابه الكبير : آ ، وجعلها ابن عصفور في المقرب[7] للقريب كالهمزة . الثامن وا ذكرها ابن عصفور نحو :

. . . . وافقعسا وأين مني فقعس

---

(١) المقرب ص : ٦

(٢) الأشباه والنظائر جـ ٤ : ٩

(٣) المقرب ص : ٦٩

(٤) همع الهوامع جـ ٢ ص : ٤١ ، ١٨

(٥) صفحة : ٦٠

(٦) همع الهوامع جـ ١ ص : ١٧٢

(٧) صفحة : ٥٠٢ .

والجمهور أنها مختصة بالندبة لاتستعمل فى غيرها ، وحكى بعضهم أنها تستعمل فى غير الندبة قليلا كقول عمر بن الخطاب : واعجبا لك يابن العاص .

ولا يكاد يخلو باب من كتابى السيوطى : الأشباه والهمع من ذكر رأى أو نقل أو مخالفة لابن عصفور ، وليس هذا موضع الاستقصاء .

وكذلك عنى البغدادى بذكر آراء ابن عصفور ، وبالنقل عن كتبه تنقل عن شرح الايضاح ومن شرح الجمل الكبير وشرح الجمل الصغير ومن كتاب الضرائر من مؤلفات ابن عصفور ، كما نقل عن المقرب .

قال (1) : " وفى مقرب ابن عصفور أنها فى ذلك حرف جئ به لربط الجواب بالقسم ، وذلك عند حديثه عن أن فى مثل :

أما والله أن لوكنت حرا ∴

ومثل : فأقسم أن لو التقينا وأنتم ∴

ثم رد على ابن عصفور فقال : ويبعده أن الأكثر تركها ، والحروف الرابطة ليست كذلك . وسيأتى ذكر أمثلة لنقل البغدادى عن مؤلفات ابن عصفور الأخرى عند ذكرها .

مثل المقرب :

وهذا الكتاب يعتبر تكميلا وتمثيلا للمقرب والعنوان الذى كتب عليه هو : كتاب مثل المقرب تأليف الأستاذ الامام أبو الحسن المعروف بابن عصفور — رضى الله عنه — على نسخته القديمة ، وفيها أيضا من كلام طلبته ، نفعهم الله ونفع بهم . وتحصل هذه النسخة رقم (١٩٩١ نحو) بين مخطوطات دار الكتب بالقاهرة . وفى مقدمة هذا الكتاب يقول ابن عصفور بعد الذكر المأثور ، والدعاء للامام : وبعد فانى لما سلكت فى كتابى المسمى بالمقرب مسلك الاختصار تركت كثيرا من تمثيل مسائله خوف الاكثار لحق بعض ألفاظه بسبب ذلك إظلام ، واستعجم المعنى المراد به بعض الاستعجام ، فأشار من منائحه أعلى من أن يسمو اليها المدح والصفة ، ومفاخره أعظم من أن يحيط بها الادراك والمعرفة الأمير الحميد الشيم ، البعيد مناط الهمم أبو يحيى بن مولانا الملك الهمام ، المعلى لواء الاسلام ... أبو زكريا .. ابن أبى حفص .. الى وضع تأليف نستوفى فيه مثله لنبين بذلك مشكله فوضعت فى ذلك جزءا خفيفا ، شرحت فيه تلك المسائل المشكلة ، واستوعبت

مثلهما المملة ، فأنصح بذلك استعجامها ، وانفرج انغلاقها واستهامها ، ونمتها الى حضرتهم وصل الله عزهم ، اذ كان العلم نتيجة جلالهم ، وأهله بمكان مكين من بالهم ...

وكلام ابن عصفور يدل على أنه أكمله كله ، ومن المحتمل أن يكون بعض طلبته قد أضاف اليه زيادات ، وفي نهايته : " والله أعلم " نجزت مثل المقرب والحمد لله وحده وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآل كل منهم أجمعين ووقع الفراغ منها في ليلة يسفر صباحها عن تاسع عشر شهر ذي الحجة سنة احدى وعشرين وسبعمائة . غفر الله لكاتبها ولوالديه ولسائر المسلمين .

علقها لنفسه ولمن شاء الله تعالى عبيد الله المستجير به محمد بن أبي القاسم بن خلف الله بن أبي القاسم بن علي المغربي القرشي الشافعي غفر الله ذنوبه وستر عيوبه وختم نطقه بالشهادة وختم له بالخلود في دار السعادة انه سميع الدعاء ، فعال لما يشاء آمين آمين .

يا ناظرا في الكتاب بعدي مجتنيا من ثمار جهدي
بي افتقار الى دعاء تهديه لي في ظلام لحدي

وهذه العبارة تبين تاريخ كتابة هذه النسخة وهو قريب من وفاة المؤلف .

واليك مثالين من المقرب ومثله : الأول عن الجمع بين التمييز والفاعل في بابي نعم وبئس المقرب(1) : ولا يجوز الجمع بين التمييز والفاعل الظاهر الا اذا أفاد التمييز معنى زائدا على الفاعل فأما قول جرير :

والتغلبيون بئس الفحل فحلهم فحلا وأمهم زلاء منطيق

فانتصاب فحل على أنه حال مؤكدة لا تمييز ، وأما قوله :

تزود مثل زاد أبيك فينا فنعم الزاد زاد أبيك زادا

فيتخرج على أن يكون زاد المنصوب معمولا لتزود ولا يجوز دخول من عليه الا في شذوذ من الكلام أو في ضرورة نحو قوله : [ابو بكر بن الاسود] أو بجير بن عبد الله بن سلمة

تخيره ولم يعدل سواه فنعم المرء من رجل تهام

وفي مثل المقرب(2) : ... فأما قوله : فنعم المرء من رجل تهامي ففيه شذوذان :

---

(1) ... (2) ...

أحدهما ادخال من على التمييز ، والآخر الجمع بين التمييز والفاعل الظاهر وهو المرء ، وكأن الذى سهل دخول من ظهور الفاعل لأن التمييز اذ ذاك لا يشبه المنقول .

والثانى عن تنوين المنادى المبنى ضرورة في المقرب[1] : اذا نونت المنادى المبنى على الضم فى ضرورة جاز فيه وجهان ، أجودهما أن يبقى على ضمه ، والآخر أن يرد الى أصله من النصب وفي مثل المقرب[2] ، مثال ما بقى على ضمه :

نطر خالد ان كنت تستطيع طيرة ∴ ولا تقعن الا وقلبك خافق

يريد : نطر ياخالد . وقول الآخر :

ياهرم وأنت أهل عدل ∴ ان ولد الأحوص يوم تنلى

ومثال مارد الى أصله من النصب قوله :

ضربت صدرها الى وقالت ∴ ياعديا لقد وقتك الأواقى

وبعد النظر فى هذين المثالين نستطيع القول بأن هذا الكتاب هو شرح المقرب الذى ألفه ابن عصفور ، والذى نقل عنه العلماء كثيرا . ومن هؤلاء السيوطى فقد قال[3] : قال ابن عصفور فى شرح المقرب :

خرج قول الفرزدق : " واذ ما مثلهم بشر " على أن مثلهم مرفوع الا أنه بنى على الفتح لاضافته الى مبنى ، كقوله تعالى : " مثل ما أنكم تنطقون[4] " فان قيل كيف يسوغ ذلك . والمبنى الذى أضفت اليه مضمر والمضمر يرد الأشياء الى أصولها فكيف يكون سببا فى اخراج مثل عن أصلها من الاعراب الى البناء ؟ فالجواب أن المضمر لايلزم رده الأشياء الى أصولها فى جميع المواضع ألا ترى أن التاء بدل من الواو فى تكأة لأنه من توكأ ، ثم اذا أضافوها الى مضمر قالوا : هذه تكأتك ، ولم يردوها الى أصلها .

وهذا كلام ابن عصفور فى المقرب[5] : فأما قول الفرزدق :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم ∴ اذ هم قريش واذ ما مثلهم بشر

فمثلهم مرفوع ، الا أنه مبنى على الفتح لاضافته الى مبنى .

وكلامه فى مثل المقرب هو[6] : وقولى : فمثلهم مرفوع الا أنه بنى على الفتح لاضافته الى مبنى ، فان اعترض ذلك معترض فقال : لايسوغ ذلك لأن مثلا فى بيت

---

(١) صفحة : ٥١ (٢) ورقة رقم : ٣٢

(٣) الأشباه والنظائر جـ ١ : ٢٢٩ (٤) سورة [illegible]

الفرزدق مضاف الى مضمر والمضمر وان كان مبنيا فانه يرد الأشياء الى أصولها ألا ترى أنك تقول : بك لأفعلن ، ولا يجوز أن تقول : تك لأفعلن ، ولا : وك لأخرجن بل لا يجر المضمر من حروف القسم الا بالباء لأنها أصل في باب القسم وكذلك أيضا تقول : أعطيتمو زيدا درهما ، وأعطيتم زيدا درهما ، فاذا قلت : الدرهم أعطيتموه زيدا لم يجز أن تقول : أعطيتمه زيدا ، بل يلتزم الأصل بسبب الضمير ، لأن الضمير كثيرا ما يرد الأشياء الى أصولها ، فالجواب أنه قد استقر من كلامهم بناء المضاف الى المضمر ، أنشد الكوفيون :

لم يبق الا المجد والقصائدا غيرك يابن الأكرمين والدا

فغير فاعل " يبق " وقد بني لاضافته الى الضمير ألا ترى أنك ان لم تجعله فاعلا لزمك حذف الفاعل وحذفه لا يسوغ .

والفرق بين ما نقل السيوطي في الأشباه ، وما نقلت من كتاب مثل المقرب لابن عصفور ظاهر . ويعتبر كتاب المقرب وكتاب مثل المقرب كتابا واحدا من كتب النحو لا يستغني أحدهما عن الآخر ، وعلى من يعنى بمثل هذه الآثار أن يدعو الى ادماج الكتابين حتى يصير لنا منهما كتاب كامل يجمع نحو ابن عصفور وآراءه .

<u>شرح الجمل :</u>

وهذا أيضا من مؤلفات ابن عصفور التي وصلت الينا ، ومنه نسختان خطيتان بدار الكتب بالقاهرة .

<u>الأولى</u> منهما تحت عنوان : كتاب شرح كتاب الزجاجي ، تأليف الشيخ الأجل النبيه الأستاذ النحوي الامام الأوحد الأسنى الأكمل فريد دهره ، ووحيد عصره أبي الحسن علي بن عصفور الحضرمي — رحمه الله تعالى وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

وتحمل هذه النسخة رقم (٣٣٢ نحو تيمور) وعدد أوراقها (١٥٩) وأول هذه النسخة (١) : بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . قول أبي القاسم : أقسام الكلام ثلاثة . أقسام الكلام مضاف ومضاف اليه ، لا يعلم المضاف من حيث هو مضاف حتى يعلم ما أضيف اليه فينبغي أن يبين أولا الكلام ، وحينئذ يبين أقسامه فالكلام في اصطلاح النحويين هو اللفظ المركب وجودا وتقديرا المفيد بالوضع فقولنا : اللفظ تحرز مما يقال له في اللغة كلام وليس بلفظ كالخط

بدليل تسميتهم المكتوب بين دفتي المصحف كلام الله تعالى ، وكالاشارة بدليل قول الشاعر:

أرادت كلاما فاتقت من رقيبها   فلم يك الا ومؤها بالحواجب

نسمى الومء بالحواجب كلاما ، وأما فى التفسير دليل قول الأخطل :

ان الكلام لفى الفؤاد وانما   جعل اللسان على الفؤاد دليلا

نسمى ما فى الفؤاد كلاما ، وما يفهم من حال الشيء ..

وفى آخر هذه النسخة(1) : قوله : وشبيه بها قولهم علماء بنو فلان ، يريدون على الماء ليحذفون اللام ، وهى لغة عربية فاشية قال الشاعر:

فما سبق التيسى من سوء سيرة   ولكن طفت علماء غرلة خالد

يريدون على الماء . وجه ذلك أنهم لما حذفوا الألف لالتقاء الساكنين اجتمع المثلان وهما اللامان فاستثقل اجتماعهما فحذفت احداهما تخفيفا لما تعذر التخفيف بالادغام لسكون الثانى . ومثل ذلك قوله أنشده الفراء رحمه الله تعالى .

كأن من آخرها إلقادم — يريد الى القادم ، فحذف الألف لالتقائها ساكنة مع لام التعريف وهى ساكنة ، ثم حذفت اللام لكراهية اجتماع المثلين مع الاضطرار الى حذفها لاقامة الوزن لأنهم يحذفونها فى الكلام فيقولون : علماء بنو فلان .

تم الكتاب بحمد الله تعالى ومنه فى ثالث عشر من ذى الحجة سنة سبع وأربعين وسبعمائة من الوفاة النبوية وذلك بحلب المحروسة . كتبه .. محمد ابن مؤمن البجاوى المغربى المالكى المذهب .. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا الى يوم الدين .

والنسخة الثانية من مخطوطات دار الكتب أيضا ، وتحمل رقم (٤٥٩ نحو) ولكن قد وضع عليها خطأ عنوان " المقرب لابن عصفور " وقد قمت بمقابلتها على النسخة الأولى ، وكان فى ختامها نص الكلام السابق(2) .

وقد نبهت القائمين على رعاية المخطوطات بدار الكتب الى هذا الخطأ ، وأثبت ذلك بكتابة نصوص ومقابلتها مواضعها من النسختين ، ومن هذه النصوص قول ابن عصفور فى حديثه عن نون التوكيد : وما ذكره أبو القاسم من أنك تبنى ما تلحقها على الفتح الا فى موضعين ليس بصحيح ، بل كان ينبغى له أن يستثنى أربعة مواضع الموضعين اللذين ذكرتهما (جماعة المذكر وواحد المؤنث) واذا اتصل بالفعل

ضمير الاثنين أو علامتهما أو ضمير جماعة المؤنثات فان نون التوكيد لا يكون ما قبلها في الموضعين الا ألف ".

وهذا النص في الورقة (١٢٦) من النسخة الأولى ، وهي التي ما اعتمد عليها ، وهو في الورقة رقم (١٢٩) من النسخة الثانية .

والمعروف أن ابن عصفور قد ألف ثلاثة شروح على جمل الزجاجي ، ولكن التوافق بين هاتين النسختين يجعلهما من صنف واحد . وقد نقل النحاة عن شرح الجمل لابن عصفور ، وكان منهم من يصفه بأنه الشرح الصغير ، أو الشرح الكبير أو لا يصفه بأحد هذين الوصفين .

قال ابن هشام[1] : وفي " شرح الجمل الصغير " لابن عصفور أنها (أي أن المخففة) قد تكون مفسرة بعد صريح القول .

ونص كلام ابن عصفور في شرح الجمل[2] : باب مواضع أن المخففة المفتوحة قوله : وتكون بمعنى أي كقوله عز وجل : " وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم "[*] أن هذه تخالف القسمين اللذين قبلها من أنها لا يعمل فيها ما قبلها ولا تعمل فيما بعدها ، ولا ينسبك منها مع ما بعدها مصدر بخلاف الناصبة للفعل والمخففة من الثقيلة ، بل يكون ما بعدها مفسرا لما قبلها ولا يكون المفسر الذي قبلها الا في معنى القول كقوله تعالى : " وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم " ألا ترى أن المعنى في قوله تعالى : " وانطلق الملأ منهم " انطلقوا في الكلام ، وقوله سبحانه وتعالى : " امشوا واصبروا على آلهتكم " تفسير لذلك الكلام الذي انطلقوا فيه ، وكأنه قال : أي امشوا واصبروا على آلهتكم .

وقال السيوطي[3] : قال ابن عصفور في " شرح الجمل " : لما كان جعل الواو بمعنى مع في المفعول معه فرعا عن كونها عاطفة لم يتصرفوا في الاسم الذي بعدها فلم يقدموه على العامل وان كان متصرفا ، ولا على الفاعل ، لا يقولون : والطيالسة جاء البرد ، ولا جاء والطيالسة البرد ، لأن الفروع لا تحتمل من التصرف ما تحتمله الأصول .

وهذا النص بنفسه في شرح الجمل في الورقة رقم (١٠٨) .

وقال البغدادي[4] : ومن أمثلة تثنية اسم الجمع قومان قال الفرزدق :

---

(١) المغني جـ ١ : ٢٩ (٢) ورقة رقم : ١٢٣

(٣) [illegible]

وكل رفيقي كل رحل وإن هما تعاطى القنا قوما هما أخــــوان

واستشهد به ابن عصفــور في " شرح الجمل الكبير " على تثنية قوم .

وفي شرح الجمــل عند ذكــر الأشياء التي لا يصح تثنيتها قـــال[1] : واسم الجمع — وهو ما ليس له واحــد من لفظه نحو قــوم — لا يثنى إلا في ضرورة شعـــر نحو قولــه :(وذكــر بيت الفرزدق السابق).

وفي موضع آخــر يقول البغـــدادي[2] : وأغرب ابن عصفور في قوله فـــي " شرح الجمــل الصغير " : القسم كل جملــة أكد بها أخرى كلتاهما خبرية . والصــواب أن جملــة القسم انشائيــة .. ثم قال ابن عصفــور بعد تعريفــه : فإذا جاء ما صورتــه كصورة القسم ، وهو غير محتمــل للصدق والكذب حمــل على أنه ليس بقسم نحو قول الشاعر:

بالله ربك إن دخلت فقل له هذا ابن هرمة واقفــا بالبـــاب(*)

وقول الآخــر:

بدينك هل ضممت إليك ليلى وهل قبلت ~~الصبح~~ قبل الصبح فاهـــــا (*)

قال : فلا يكــون مثــل هذا قسما لأن القسم لا يتصــور إلا حيث يتصــور الصدق والحنث.

وكــلام ابن عصفــور في الشرح الذي بين أيدينــا لم يعرض فيه لمــا جاء علـــى صورة القسم وهو غير محتمــل للصدق والكـــذب[3] ، ومع هذا فإني لا أستطيع الجزم بوصف للشــرح الذي وصل إلينــا ، وقد جمعت قدرا كبيرا مما نقلــه العلماء من شـــرح الجمــل لابن عصفــور وعرفت أن صاحب الأشباه وصاحب الخزانــة قد نقلا عنه الكثير .

الممتـــــع

قال في كشــف الظنــون[4] : الممتــع في التصريف لابن عصفور علي ابن مؤمـــن الحضرمــي الاشبيلي المتوفــى سنــة ٦٦٩ ، وهو أمثل المتوسطات فيه ، وقلما يخلـــو من مسائلــه كتاب من كتب النحو ، وكــان أبو حيــان لا يفارقــه .

وقد ذكــره من ترجموا لابن عصفــور في مؤلفاتـــــه[5] ، وقال ابن الزبيـــر[6]: أخــذ عنه بعض أصحابنا كتابه في التصريف المسمى " بالممتع " وهو كتاب حسن ، وتآليف نافع ، وتقاييد ، كلهــا نافعــة .

---

(١) شرح الجمل ورقة رقم : ٨ (٢) خزانة الأدب جـ ٤ : ٢١١

(٣) ورقة رقم : ٣٢ (٤) المجلد الثاني : ١٨٢٢

(٥) بغية الوعاة : ٣٥٧ ، روضات الجنات : ٤٧ ، مفتاح السعادة : ١١٨ .

(٦) ذيل الصلــة : ١٤٢ .

(*) ابن هرمة توفي سنة ١٥٠ هـ وكان الأصمعي يجعله من ساقة الشعراء : أعجام الأعلام : ٤٤

(*) في الأغاني جـ ٢ : ٢٤ : ... [illegible]

ومن هذا الكتاب صورة بدار الكتب ، نقلت عن صورة لأحد المستشرقين تحت رقم (٤٧٤٨ هـ).

وهذه هي المقدمة التي صدر بها الممتع ، قال بعد الذكر المأثور[1] : وبعد فاني لما رأيت النحويين قد هابوا لغموضه علم التصريف ، فتركوا التأليف فيه والتصنيف الا القليل منهم ، وانهم قد وضعوا فيه مالا يروى غليلا ولا يحصل لطالبه مأمولا ، لاختلال ترتيبه وتداخل تبويبه ، وضعت في ذلك كتابا رفعت فيه من علم التصرف شرائعه وملكته عاصيه وطائعه ، وذللته للفهم بحسن الترتيب وكثرة التهذيب لألفاظه والتقريب حتى صار معناه الى القلب أسرع من لفظه الى السمع ، فلما أتيت به على القدح ممتنعا من القدح مشبها للروض في وشي ألوانه وتصمم أفنانه واشراق أنواره وابتهاج أنجاده وأغواره ، والعقد في التئام وصوله وانتظام فصوله ـ سميته بالممتع ليكون اسمه وفق معناه ومترجما عن نحواه ، وسميته باسم من ان ذكرت العلوم فهو مالك فنانها وفارس ميدانها ... أبو بكر بن أبي الأصبغ ...

وتحت هذا التقديم[2] : " هذه الخطبة لم تثبت في كتاب أستاذي أبي جعفر رضي الله عنه وثبتت في بعض النسخ ".

وليس في هذه العبارة ما ينفي أن الخطبة من كلام ابن عصفور ، فقد بين فيها سبب التأليف واسم كتابه . ثم كان البدء فيه بذكر شرف علم التصريف وبيان مرتبته من علم العربية ، وذكر الأمثلة التي تحتم دراسته قال[3] :

التصريف أشرف شطري العربية وأغمضهما والذي يبين شرفه احتياج جميع المشتغلين باللغة العربية من نحويين ولغويين اليه أيما حاجة لأنه ميزان العربية ألا ترى أنه قد يؤخذ جزء كبير من اللغة بالقياس ، ولا يوصل الى ذلك الا من طريق التصريف نحو قولهم : كل اسم في أوله ميم زائدة مما يعمل به وينقل فهو مكسور الأول نحو مطرقة ومروحة الا ما استثنى من ذلك فهذا لا يعرفه الا من يعلم أن الميم زائدة ولا يعلم ذلك الا من جهة التصريف . ونحو قولهم : ان مصدر المرة اذا كان على وزن أفعل يكون مفعلا بضم الميم وفتح العين نحو : أدخلته مدخلا . ألا ترى أنك لو أردت مصدرا من أكرمته على هذا لقلت مكرما قياسا ولم تحتج فيه الى السماع اذا علمت أن أكرم أفعل ، الا أن ذلك كله لا يعرف الا بالتصريف ، وأشباه ذلك كثير .

---

(١) ورقة رقم : ٤ (٢) ورقة رقم : ٥

(٣) ورقة رقم : ٤ ـ ٦ .

ومما يبين شرفه أيضا أنه لايوصل الى معرفة الاشتقاق الا به ألا ترى أن جماعة من المتكلمين امتنعوا من وصف الله تعالى بحنان لأنه من الحنين ، والحنين من صفات البشر الخاصة بهم تعالى الله عن ذلك ، وكذلك امتنعوا أيضا من وصفه بسخى لأنه أصله من الأرض السخاوية وهى الرخوة . بل وصفوه بجواد لأنه أوسع فى معنى العطاء وأدخل فى صفة العلا وامتنعوا أيضا عن وصفه بالدارى وان كان من العلم لأن أصله من الدَّرِيَّة وهى شئ يصنعه الصياد لضرب من الحيلة والخديعة فكان ما يغر منه الذى يريد أن يتوصل الى علم شئ من الأدلة بمنزلة الدرية التى يتوصل بها الى ختل الصيد وخدعه . فأما قول بعضهم :

لاهم لا أدرى وأنت الدارى

فغير معرج عليه ولا مأخوذ به ووجهه أنه أجراه مجرى عالم ولم يلتفت الى أصله ومن لابصر له بالاشتقاق يجوز استعمال هذه الصفات فى حق الله تعالى .

والذى يدل على غموضه كثرة مايوجد فيه من السقطات لجلة العلماء ألا ترى الرملى يحكى عن أبى عبيد أنه قال فى مندوحة من قوله مالى عنه مندوحة أى متسع؛ انها مشتقة من انداح ، وذلك فاسد لأن انداح انفعل ونونه زائدة ومندوحة نونه أصلية اذ لوكانت زائدة لكانت مُنْفَعْلة وهو بناء لم يثبت فى كلامهم فهو على هذا مشتق من الندح وهو جانب الجبل وطرفه وهو الى السعة . ونحو ذلك ما يحكى عن أبى العباس ثعلب من أنه جعل أسكفة الباب من استكف اذا اجتمع وذلك فاسد . لأن استكف استفعل ، وسينه زائدة ، وأسكفة أفعلة وسينه أصلية اذ لوكانت زائدة لكان وزنه أسفعلة وذلك بناء غير موجود فى أبنية كلامهم . وكذلك أيضا حكى عنه أنه قال فى تنور ان وزنه تفعول من النار ، وذلك باطل اذ لوكان كذلك لكان تنورا والصواب أنه فعول من تركيب تاء ونون وراء "تنر" وان لم ينطق به . وقد حكى عن غيرهما من رؤساء النحويين واللغويين من السقطات أكثر مما ذكرت .

وفى هذا القدر الذى أوردناه كفاية .

وقد كان ينبغى أن يقدم علم التصريف على غيره من علم العربية اذ هو معرفة ذوات الكلم فى أنفسها من غير تركيب ، ومعرفة الشئ فى نفسه قبل أن يتركب ينبغى أن تكون مقدمة على معرفة أحواله التى تكون بعد التركيب الا أنه أخر للطفه ودقته ..... ماقدم عليه من ذكر العوامل توطئة له ، حتى لايصل اليه الطالب الا وهو قد تدرب وارتاض للقياس .

وقد عقد في أوله بابا للاشتقاق(١) ، ثم بابا لأبنية الأسماء(٢) ، وآخر لأبنية الأفعال(٣) ، وتحدث بعد ذلك عن حروف الزيادة ، وذكر الأماكن التي تزاد فيها هذه الحروف(٤) ، وعقد لكل حرف منها بابا ، وأردفه بباب ما يزاد من الحروف في التضعيف(٥) ، وذكر بعد ذلك الميزان الصرفي تحت باب التمثيل(٦) ، ومازال ينتقل في توضيح مسائل الصرف من باب الى باب حتى ختم كتابه " بذكر المسائل المبنية مما لا يجوز التصرف فيه(٧) " .

تقول مثل أترجّة من الهمزة أوءوأة والأصل أؤأؤأة فاجتمعت خمس همزات فقلبت الثانية واوا ، لسكونها وانضمام ما قبلها ، فحجزت بين الأولى والثانية وقلبت الرابعة أيضا واوا لسكونها وانضمام ما قبلها ، فحجزت بين الثالثة والخامسة فإن حذفت الهمزة الثانية قلت أوؤأة ألقيت حركتها على الساكن قبلها وحذفتها فإن قيل : فهلا أبدلت الهمزتين واوين وأدغمت الواوين اللتين قبلهما فيهما ، كما تقول في مقروءة : مقرّوة ، فكنت تقول فيها أوّوة — فالجواب أن الواو في مقروءة انما زيدت للمد وليست منقلبة عن حرف أصلي ولا غير أصلي ولا يمكن تحريكها لئلا تخرج عن المدّ الذي جيء بها من أجله ، والواوان في أوؤأة لم تزادا للمد بل هما بدل من حرفين أصليين وهما الهمزتان فاحتملتا الحركة لذلك ، ولم يجريا مجرى ما زيد للمد ... " ثم ذكر مثال مخصّر من الواو وغيره ثم قال : فهذه جملة من المسائل يتدرب بها المتكلم ، وله فيها غنية وكفاية . كمل كتاب التصريف والحمد لله حق حمده ، وصلى الله على محمد نبيه وعبده ، وعلى عباده الذين اصطفى .

وأما مؤلفات ابن عصفور التي لم تصل الينا فهي كثيرة ، وسأحاول التعريف بكتابين منها هما شرح الايضاح ، وكتاب الضرائر لكثرة النقل عنهما .

شرح الايضاح :

قد أكثر العلماء من النقل عن هذا الشرح ، فنقل عنه ابن هشام والسيوطي والبغدادي أيضا .

---

(١) ورقة رقم : ٦ (٢) ورقة رقم : ٩

(٣) ورقة رقم : ١٨ (٤) ورقة رقم : ٢٢

(٥) ورقة رقم : ٣١ (٦) ورقة رقم : ٣٢

قال ابن هشام عند كلامه على عطف الخبر على الانشاء والعكس[1]:
منعه البيانيون وابن مالك فى شرح باب المفعول معه فى كتاب التسهيل ، وابن عصفور فى شرح الايضاح ، ونقله عن الأكثرين ، وأجازه الصفار بالفاء تلميذ ابن عصفور وجماعة ، مستدلين بقوله تعالى : " وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات" فى سورة البقرة[2] ، " وبشر المؤمنين[3]" فى سورة الصف .

وقال السيوطى[4] : وقد نص ابن عصفور فى قوله : " هيهات العقيق" على أنه من باب الاعمال ونقله عن أبى على وغيره ، ونفى أن يكون من باب التأكيد قال ابن عصفور فى شرح أبيات الايضاح : فاذا قلت : انها اسم فعل فالاختيار فى العقيق أنه مرفوع بهيهات المتأخرة عند البصريين ، وعند الكوفيين بالمتقدمة ، وأن تقول هذا من باب الاعمال ، وليس قام قام زيد منه ، لأن ذلك الثانى مؤكد للأول ولا يمكن هنا التأكيد لأن اسم الفعل أتى به بدل الفعل اختصارا بدليل قولهم : صه للمفرد والمثنى والمجموع المذكر والمؤنث وتكراره للتأكيد مناقض لما أريد به من الاختصار ، فان أكدت الجملة بأسرها ساغ نحو : نزال نزال ، وحمل الفارسى وغيره ذا البيت على الاعمال واعتقدوا الاضمار فى غير العامل فى الظاهر .

وقال البغدادى[5] : قال ابن عصفور فى شرح الايضاح (عند الحديث عن شتان) : وهو ساكن فى الأصل الا أنه حرك لالتقاء الساكنين ، وكانت الحركة فتحة اتباعا لما قبلها ، وطلبا للخفة ولأنه واقع موقع الماضى المبنى على الفتح فجعلت حركته كحركته ... قال ابن عصفور : وزعم الزجاج أنه مصدر واقع موقع الفعل جاء على فعلان ، فخالف أخواته ، فبنى لذلك .

كتاب الضرائر:

من مؤلفات ابن عصفور التى لم تصل الينا وقد أكثر البغدادى من النقل عنه فى خزانة الأدب ، ونبه الى بعض الضرورات التى لم يذكرها ابن عصفور، وقد فهمت من ذلك أن ابن عصفور قد أحاط علما بضرورات الشعر ، ولم يند عنه منها الا القليل فى هذا الكتاب .

قال البغدادى تعليقا على قوله[6] : " كجوارى يلعبن بالصحراء " .. على أن ظهور الجر والتنوين على الياء ضرورة .. قال ابن عصفور فى كتاب الضرائر : فيه ضرورتان : احداهما اثبات الياء وتحريكها وكان حقه أن يحذفها فيقول : كجوار

(1) المغنى جـ ٢ : ٩٢ (2) آية رقم : ١٣
(3) آية : ٢٥ . (4) الأشباه والنظائر جـ ٤ : ١٧١

والثانية أنه صرف مالا ينصرف ، وكان الوجه لما أثبت الياء اجراء لها مجرى الحرف الصحيح أن يمنع الصرف فيقول كجوارى انتهى ٠

وقال ان نصب " أستريح " ضرورة فى قول الشاعر (١) :

سأترك منزلى لبنى تميم   وألحق بالحجاز فأستريحا

ثم قال : وأورد ابن عصفور فى كتاب الضرائر لهذا البيت نظائر ، ثم قال : لما اضطر الى استعمال النصب بدل الرفع حكم لها حكم الأفعال الواقعة بعد الفاء فى الأجوبة الثمانية ، فنصب باضمار أن وتؤولت الأفعال التى قبلها تأويلا يوجب النصب ، فحكم لقوله : " وألحق بالحجاز " بحكم : ويكون منى لحاق بالحجاز فاستراحة فعطفت بالفاء على المصدر المتوهم ٠ انتهى ٠

وعندما ذكر قول الشاعر :

اذا رضيت على بنو قشير ٠٠

قال (٢) : وقد عد هذا ابن عصفور من الضرائر الشعرية فقال : ومنه انابة حرف مكان حرف وأورد هذا البيت وغيره ٠ ولم أره لغيره ٠ كيف وقد ورد فى القرآن والحديث وغيرهما ، وغاية ما قيل انه لا يطرد فى كل موضع ٠

ومن مواضع النقل فى الجزء الثالث من الخزانة : ٢٧١ — ٢٨٠ — ٢٩٠ — ٤١٢ — ٤٢٣ — ٤٧٨ — ٥٠٨ — ٥٢٦ — ٥٣٤ — ٥٤١ — ٥٥٩ — ٥٦٨ — ٥٨٤ — ٥٨٨ — ٦١٢ — ٦٢٣ — ٦٢٨ — ٦٣٠ وفى الجزء الرابع : ٣٥ — ٥٠ — ٥٧ — ٩٠ — ١٣٧ — ١٤٠ — ١٦١ — ١٨٤ — ١٩٣ — ٢١٦ — ٢٢٦ — ٢٥٤ — ٢٦٤ — ٢٦٧ — ٢٧٥ — ٢٨٨ — ٢٩٣ — ٣٥٧ — ٣٦٥ — ٣٨٠ — ٤٢١ — ٤٨٩ — ٥١٨ — ٥٣٠ — ٥٦٥ — ٥٨٨ ، وغير هذا كثير ٠

أثر ابن عصفور فى الدراسات النحوية :

مما سبق ذكره من نقول العلماء عن مؤلفات ابن عصفور تظهر بعض الآراء التى كان بعض العلماء يؤيدونها كما تظهر آراء أخرى كانوا ينتقدونها ويردونها عليه بعد الزامه الحجة ، وقد سبق أن قلت : " يعتبر اسم ابن عصفور علما من أعلام النحاة يباهى المبتدئ بمعرفته كما يعتز العلماء بدراسته ومعرفة آثاره وآرائه " وشخصية ابن عصفور النحوية جديرة بأن تعد فيها البحوث ، وآثاره التى وصلت الينا أمانة فى عنق كل من يستطيع تحقيقها ونشرها من علماء العربية المعنيين

بالدراسات النحوية ، وقد انتشرت آراء ابن عصفور في كتب النحو التي عاصرته أو جاءت بعد عصره ، وما من شك في أن المؤيد والمعارض قد انتفع كل منهم بهذه الآراء النحوية .

ففي اعراب الأثر المشهور : " كأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل " رأى الفارسي أن الكاف حرف خطاب والباء زائدة ، فتصير الجملة : كأن الدنيا لم تكن والآخرة لم تزل . ثم قال السيوطي : والقول الثاني لأبي الحسن بن عصفور وهو قول أنقه من قول الفارسي : زعم أن الكاف حرف خطاب اتصلت بكأن فأبطلت اعمالها وأزالت اختصاصها ولهذا دخلت على الجملة الفعلية ، والباء في بالدنيا وبالآخرة زائدة ، كما زيدت في المبتدأ الذي لم تدخل عليه " كأن " .(١)

وقد رد السيوطي كلام ابن عصفور كما رد كلام الفارسي لاخراج الكاف من الاسمية الى الحرفية ، والباء عن التعدية الى الزيادة ، والفاء كأن من غير كاف ، وأطال في ذلك ، ولكن الذي يعنيني هنا هو ثناء السيوطي على رأي ابن عصفور بأنه أنقه من قول الفارسي .

وقد نقل السيوطي عن المقرب تقسيم ابن عصفور الأفعال في باب النائب عن الفاعل فقال : قال ابن عصفور في المقرب : الأفعال ثلاثة : قسم لا يجوز بناؤه للمفعول باتفاق وهو الأفعال التي لا تتصرف نحو نعم وبئس . وقسم فيه خلاف وهو كان وأخواتها المتصرفة . وقسم لا خلاف في جواز بنائه للمفعول وهو ما بقي من الأفعال المتصرفة .(٢)

وكذلك نقل السيوطي عنه تقسيمات كثيرة في أبواب مختلفة ، فنقل عنه تقسيم الأفعال الى ثمانية أقسام بالنظر الى التعدي : فعل لا يتعدى ، فعل يتعدى الى واحد بنفسه — فعل يتعدى الى واحد بحرف الجر — فعل يتعدى الى واحد بنفسه أو بحرف الجر نحو شكر ونصح وكال ووزن — فعل يتعدى الى اثنين أحدهما بنفسه والثاني بحرف جر — فعل يتعدى الى مفعولين بنفسه وليس أصلهما المبتدأ والخبر — فعل يتعدى الى مفعولين بنفسه وأصلهما المبتدأ والخبر — فعل يتعدى الى ثلاثة مفاعيل .(٣)

ونقل عنه تقسيم حروف الجر أربعة أقسام : قسم لا يستعمل الا حرفا . وقسم يستعمل حرفا واسما وهو مذ ومنذ وعن وكاف التشبيه . وقسم يستعمل حرفا وفعلا وهو حاشا وخلا . وقسم يستعمل حرفا واسما وفعلا وهو على .(٤)

---

(١) الأشباه والنظائر جـ ٤ : ١١ (٢) المرجع السابق جـ ٢ : ٦٦ ، والمقرب : ١٥

(٣) الأشباه والنظائر جـ ٢ : ٧٠ ، شرح الجمل لابن عصفور ورقة : ١٨

ونقل عنه أيضا تقسيم الأسماء بالنسبة للنعت ،قسم لاينعت ولا ينعت به وهو اسم الشرط واسم الاستفهام والمضمر وكل اسم متوغل فى البناء وهو ما ليس بمعرب فى الأصل ،ماعدا الأسماء الموصولة وأسماء الاشارة . وقسم ينعت بـه ولا ينعت ،وهو مالا يستعمل من الأسماء الا تابعا نحوبسن ، وليطان ، ونائع من قولهم حسن بسن ،وشيطان ليطان ، وجائع نائع . وهى محفوظة لايقاس عليها . وقسم ينعت ولا ينعت به وهو العلم وماكان من الأسماء وليس بمشتق ولا فى حكمه نحو ثـوب وحائط وما أشبه ذلك . وقسم ينعت وينعت بـه وهو ما بقى من الأسماء[١] .

وقد سبق نقل السيوطى عن المقرب تقسيم الفاعل بالنظر الى تقديم المفعول عليه وحده وتأخيره عنه[٢] . وهذه التقسيمات تعين على الحصر ، وتفيد الدارس وقد بلغت قدرة ابن عصفور على الحصر والاستقصاء حدا جعله يذكر خمسة وثلاثين موضعا تستعمل فيها "ما" قال السيوطى : ذكر ابن عصفور أن لما خمسة وثلاثين موضعا الأول الاستفهامية . الثانى الموصولة . الثالث التى للتعجب . الرابع النكرة التى تلزمها الصفة نحو مررت بما معجب لك . الخامس الشرطية . وهى فى هذه المواضع الخمسة تكون اسما . السادس الكافة ... السابع المسلطة وهى التى تدخل على مالا يعمل فتوجب له العمل ، وذلك حيث واذ ،وهى ضد التى قبلها الثامن التى تدخل بين العامل ومعموله فلا تمنعه العمل ، ولا تفيد أكثر من التوكيد كقوله : "فبما رحمة[٣]" "فيما نقضهم[٤]" التاسع التى تجرى مجرى أن الخفيفة الموصولة بالفعل مثل يعجبنى ما تصنع أى يعجبنى أن تصنع . العاشر التى يراد بها الدوام والاتصال كقولك : لا أكلمك ماذر شارق . الحادى عشر التى تجرى مجرى الصفة وهى ثلاثة أقسام : قسم يراد به التعظيم للشئ والتهويل نحو "لأمر ما يسود من ساد" ، وقسم يراد به التحقيق نحو وهل أعطيت الا عطية ما ، وقسم لايراد به واحد منهما بل يراد به التنويع نحو ضربت ضربا ما أى نوعا من الضرب . الرابع عشر النافية التى يعملها أهل الحجاز ويلغيها بنو تميم . الخامس عشر النافية التى لايختلفون فيها أنها لاتعمل شيئا نحو ماقام زيد . السادس عشر الموجبة وهى التى تدخل على النفى فينعكس ايجابا ،كما تدخل التى قبلها على الايجاب فينعكس نفيا وهى التى فى قولك مازال زيد قائما وأخواتها . السابع عشر الداخلة بين المبتدأ والخبر نحو "وقليل ماهم[٥]" الثامن عشر التى تكون عوضا من الفعل فى

---

(١) الأشباه والنظائر ٢/٩٣، شرح الجمل ورقة : ١٣

(٢) الأشباه والنظائر جـ٢ : ٤٦، والمقرب صفحة : ٦٠

(٣) سورة آل عمران آية : ١٥٩ .

قولهم : افعل هذا ان مالا أى ان كنت لاتفعل غيره . التاسع عشر التى تدخل على ان الشرطية فتهيئها لدخول نون التوكيد على شرطها نحو " فاما ترين[1] " العشرون التى تدخل على لم فتصيرها ظرف زمان بعد أن كانت حرفا نحو لما تمت تمت . الحادى والعشرون والثانى والعشرون التى تدخل على لو الامتناعية فتصير الى التحضيض أو بمعنى لولا . الثالث والعشرون التى تدخل على كل ، فتصيرها ظرف زمان نحو كلما جئت أكرمك . الرابع والعشرون والخامس والعشرون التى تدخل على انّ فتفيد معنى التحقير كقولك لمن يدعى النحو إنما قرأت الجمل ، أو معنى الحصر نحو انما زيد عالم . السادس والعشرون التى تدخل على قلّ فتهيئها للدخول على الأفعال – السابع والعشرون التى تدخل على نعم وبئس نحو " فنعما هى[2] " و " بئسما اشتروا[3] " الثامن والعشرون التى توصل بمن الجارة فتصير بمعنى رب نحو :

وانا لمما نضرب الكبش ضربة ..

التاسع والعشرون المحذوفة من اما نحو :

ما ترى الدهر قد أباد معدّا

انتهى ما ذكره ابن عصفور ، فلم يذكر الستة الباقية .

وهذا الذى نقله السيوطى لم أعثر عليه فيما بين يدى من كتب ابن عصفور والسيوطى لم يعين الكتاب الذى نقل عنه ، ولكنه حجة فيما ينقل عن العلماء . وان النظرة الفاحصة فى هذه المواضع تجعلنا نخطئ السيوطى فى العد ، ففى الموضع السادس ، وهى الكافة تكون ثلاثة أنواع تكف عن عمل الرفع وتكف عن عمل النصب والرفع وتكف عن الجر ، وكذلك فى الموضع الحادى عشر ثلاثة أقسام لما ، وما الحجازية يمكن عدها واحدة والتميمية واحدة أخرى ، والموضع الخامس والثلاثون ما قاله صاحب القاموس : وقد يستثنى بها : كل شئ مهه ما النساء وذكرهن . نصب النساء على الاستثناء .

وانى لآمل أن أعود فأكتب عن ابن عصفور فقد جمعت له الشئ الكثير ، أو أن غيرى يتجه اليه فى بحث يخلد ذكره ويحقق فيه قول القائل :

نقل النحو الينا الدؤلى	عن أمير المؤمنين البطل
بدأ النحو على وكذا	ختم النحو ابن عصفور على

وان غدا لناظره قريب .

---

(١) سورة مريم آية : ٢٦ .

(٢) [illegible] : ٢٧١ .

عصر التشتت والتفرق :

سبق أن قلت : ان القرن السابع الهجرى انتهى ، وفى الأندلس حكم اسلامى ضعيف " ولما أخذت قواعد الأندلس مثل : قرطبة ، واشبيلية ، وطليطلة ، ومرسية ، وغيرها انحاز أهل الاسلام الى غرناطة ، والمرية، ومالقة ونحوها ، وضاق الملك بعد اتساع ، وصار تشين العدو يلتقم كل وقت بلدا أو حصنا ، ويهصر من دوح تلك البلاد غصنا ، وملك هذا النزر اليسير الباقى من الجزيرة ملوك بنى الأحمر .. ثم ان بنى الأحمر ملوك الأندلس الباقية بعد استيلاء الكفار على الجل كانوا فى جهاد وجلاد فى غالب أوقاتهم . ولم يزل ذلك شأنهم حتى أدركهم ولتهم الهرم الذى يلحق الدول .. واسترسل صاحب غرناطة فى اللذات وركن الى الراحات ، وأضاع الأجناد ، وأسند الأمر الى بعض وزرائه ، واحتجب عن الناس ، ورفض الجهاد والنظر فى الملك ليقضى الله تعالى ماشاء ".(١)

ويخطئ من يظن أن الحرب كانت سجالا بين النصارى والمسلمين منذ القرن السابع ، لأن أقطار الاسلام كانت تتناقص عاما بعد عام وكان أمراء المسلمين فى نفار وتطاحن . ومع هذا ففى " سنة ٧١٩ كانت الملحمة العظمى بالأندلس بظاهر غرناطة فقتل فيها من الفرنج أزيد من ستين ألفا ، ولم يقتل من عسكر المسلمين سوى ثلاثة عشر نفسا (٢) "

" وفى ثانى ربيع الأول من سنة سبع وتسعين وثمانمائة استولى النصارى على الحمراء ، ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الأعيان رهنا ، خوف الغدر . وكانت الشروط سبعة وستين ".(٣) " كانت عهود غدر وخيانة . وانما نقضت جميعها لأعوام قلائل من تسليم غرناطة ".(٤) ولم تكن أسبانيا النصرانية عظيمة فى النصر ، ذلك لأنها ماكادت تظفر بالغاية التى جاهدت من أجلها مدى القرون ، وما كادت تظفر بآخر معقل اسلامى حتى غلبت التطرف على الاعتدال ، والتعصب على الايمان ، والنزوات الوضيعة على المثل الحكيمة ، فعملت باصرار وعمد على هدم هذا الصرح الباهر الذى أقامه الاسلام فى الأندلس وأودعه المسلمون كنوزا رائعة من العلوم والمعارف والفنون "(٥)

---

(١) نفح الطيب جـ ٢ ص ٦٠٦، ٦٠٧ (٢) شذرات الذهب جـ ٦ : ٥١

(٣) نفح الطيب جـ ٢ : ٦١٥ (٤) مواقف حاسمة ص: ٢٤٥

(٥) المرجع السابق ص: ٢٤٩ .

وبعد سقوط غرناطة بسبع سنين " أمر الكردينال خمنيس مطران طليطلة بجمع جميع الكتب والآثار العربية في غرناطة وتنظيمها أكداسا في ساحات المدينة ، واحتفل بإحراقها - بعمل من أعمال الإيمان - ولم يستثن منها سوى ثلاثمائة من كتب الطب وهبت لجامعة " الكالا " القلعة ، وهلك في تلك المحنة معظم تراث الأندلس الفكري "[1].

وفي أثناء تلك المحن المتلاحقة التي حلت ، كان ملوك المسلمين بالأندلس يستغيثون بالمسلمين في كل مكان ، وكانت تنشأ لذلك القصائد والرسائل ، وكان للأدب من ذلك حظ وفير ، ولعل من أشهر ذلك قصيدة ابن الأبار التي أنشدها بين يدي صاحب افريقية أبي زكريا بن أبي حفص لإغاثة الأمير زيان ومطلعها :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا ... ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست ... فلم يزل منك عز النصر ملتمسا[2]

ومن ذلك قول الأديب الشهير أبي البقاء صالح بن شريف الرندي رحمه الله تعالى :

لكل شيء اذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الأمور كما شاهدتها دول ... من سره زمن ساءته أزمان[3]

وكما كان للانتاج الأدبي وجوده في هذه المحن - كذلك انصرف العلماء الى حلقات الدرس يعلمون ويؤلفون . ولكن واحدا منهم لا يني اذا دعي الى الجهاد بل كان فيهم من يهجر حلقة العلم ويطلب الشهادة حتى يظفر بها ، وكتب التراجم تغص بذكر هؤلاء .

النحاة في هذه المرحلة :

وسأقصر الحديث هنا على بعض الأعلام الذين عرفهم النحو وذكرهم التاريخ وقد كان الرحيل أول الأمر عن الأندلس اختياريا ، فلما سقطت غرناطة ونقض العهد أصبح بالاكراه والعنف ، ومن هؤلاء :

١- أحمد بن الحسن بن علي الكلاعي ، البلشي ، المالقي ، أبو جعفر ابن الزيات ، قال الذهبي : كان له باع مديد في النحو ، وأخلاق كريمة ذا فنون وتواضع ومروءة . وقال في تاريخ غرناطة : كان جليل القدر .. صبورا على الافادة ، أخذ العلم

---

(١) مواقف حاسمة : ٢٥٩ .   (٢) نفح الطيب جـ ٢ : ٥٧٨

(٣) المرجع السابق : ٥٩٤ .

عن أبي علي بن الأحوص، وأبي جعفر بن الطباع، وابن الضائع، وابن أبي الربيع وصنف " رصف نفائس اللآلي ورصف غرائب المعالي في النحو " قاعدة البيان وضابطة اللسان في العربية ـ لذة السمع في القراءات السبع . شرف المهارق في اختصار المشارق . وغير ذلك . مولده ببلش سنة خمسين وستمائة ، ومات بها يوم الأربعاء سابع عشر شوال سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، وله :

يقال خصال أهل العلم ألف   ومن جمع الخصال الألف سادا
ويجمعها الصلاح فمن تعدى   مذاهبه لقد جمع الفسادا [(١)]

٢ ـ محمد بن علي بن هانئ اللخمي السبتي أبو عبد الله يعرف بجده ، قال في تاريخ غرناطة ، أصله من اشبيلية ، وكان اماما في العربية ، مبرزا مقدما حافظا للأقوال ، مستحضرا للحجج ، لايشق في ذلك غباره ، ريان من الأدب بارع الخط ، مشاركا في الأصلين ، قائما على القراءات ، حسن المجالسة ، رائق المحاضرة .. قرأ على أبي اسحاق الغافقي ، وأبي بكر بن عبيدة النحوي ، وأبي عبد الله بن حريث ، وله من التصانيف ، شرح التسهيل جليل . الغرة الطالعة في شعراء المائة السابعة . لحن العامة . أرجوزة في الفرائض . مات بجبل الفتح والعدو محاصره أصابه حجر المنجنيق في رأسه ، وذلك في أواخر ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة وله :

ما للنوى مدت لغير ضرورة   ولطالما عهدي بها مقصوره
ان الخليل وان دعته ضرورة   لم يرض ذاك فكيف دون ضروره [(٢)]

٣ ـ عثمان بن محمد بن يحيى بن محمد بن منظور القيسي المالقي ، أبو عمرو الأستاذ القاضي يعرف بابن منظور . قال في تاريخ غرناطة : .. كان صدرا في علماء بلده ، أستاذا متفننا ، من أهل النظر والاجتهاد والتحقيق ثاقب الذهن ، أصيل البحث ، مضطلعا بالمشكلات ، يبرز في الفقه والعربية الى أصول وقراءات وطب ومنطق ، قرأ على أبي عبد الله بن الفخار ، ولازم أبا محمد بن السداد الباهلي ، وأقرأ ببلده محترفا بصناعة التوثيق ، وتقعد للتدريس وعظم به الانتفاع ، وصنف اللمع الجدلية في كيفية التحدث في علم العربية ، وولي القضاء ببلش ومالقة ، ومات بها يوم الثلاثاء خامس عشرين ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ، ولم يخلف بعده مثله .

---

(١) [illegible] (٢) [illegible]

٤ـ محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، الامام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي النفزي ، نسبة الى نفزة قبيلة من البربر نحوي عصره ، ولغويه ، ومفسره ، ومحدثه ، ومقرئه ، ومؤرخه ، وأديبه . ولد بمطخارش مدينة من حضرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة . وأخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع ، والعربية عن أبي الحسن الأبذي ، وأبي جعفر بن الزبير ، وابن أبي الأحوص ، وابن الضائع ، وأبي جعفر اللبلي . وبمصر عن البهاء بن النحاس وجماعة . وتقدم في النحو ، وأقرأ في حياة شيوخه بالمغرب ، وسمع الحديث بالأندلس وافريقية والاسكندرية ومصر والحجاز من نحو أربعمائة وخمسين شيخا منهم أبو الحسين بن ربيع ، وابن أبي الأحوص والرضي والشاطبي ، والقطب القسطلاني ، والعز الحراني . وأجاز له خلق من المغرب والمشرق .. واشتهر اسمه وطار صيته وأخذ عنه أكابر عصره .. كالشيخ تقي الدين السبكي وولديه . وابن عقيل . وناظر الجيش .. وخلائق . قال الصفدي : لم أره قط الا يسمع أو يشتغل أو يكتب أو ينظر في كتاب . وكان ثبتا قيما عارفا باللغة ، وأما النحو والتصريف فهو الامام المطلق فيهما . خدم هذا الفن أكثر عمره ، حتى صار لا يدركه أحد في أقطار الأرض فيهما .. وأقرأ الناس قديما وحديثا ، وألحق الصغار بالكبار ، وصارت تلامذته أئمة وأشياخا في حياته . والتزم ألا يقرىء أحدا الا في كتاب سيبويه أو التسهيل أو مصنفاته .

وذكر السيوطي لرحلته من الأندلس سببين : الأول نقلا عن الصفدي وهو خوف تنكيل السلطان لتعرضه لأبي جعفر بن الطباع . الثاني نقلا عن النضار لأبي حيان وهو خوفه أن يكره على دراسة المنطق والفلسفة وغيرهما[1] .

وقد كتب اليه صاحب النفح استدعاء ، وطلب اجازة ، فرد عليه وأجاز له جميع ما روى عن أشياخه بالأندلس وبلاد افريقية وديار مصر والحجاز وغيرها ، وكان مما ذكره في رده[2] : وأما ما صنفته فمن ذلك . البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم .. وكتاب الأسفار الملخص من كتاب الصفار ، شرحا لكتاب سيبويه . وكتاب التجريد لأحكام سيبويه . وكتاب التذييل والتكميل في شرح التسهيل . وكتاب التنخيل الملخص من شرح التسهيل .. وكتاب المبدع في التصريف وكتاب الشذا في مسألة كذا .. وكتاب الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء وتحفة الندس[3] في نحاة الأندلس .. وزهو الملك في نحو الترك .. ومنهج السالك

---

(١) بغية الوعاة : ١٢١ .

(٢) نفح الطيب جـ ٤ : ٣٠٤ .

فى الكلام على ألفيـة ابن مالـك . ونهايـة الاغراب فى علمى التصريف والاعراب ... ونـور الغبش فى لسان الحبش ، والمخبـور فى لسان اليحمور .

وقال السيوطى فى أثناء الحديث عن مؤلفاتـه(١) " الارتشاف . مختصره مجلدان . ولم يؤلف فى العربيـة أعظم من هذين الكتابين ولا أجمع ولا أحصى للخلاف والأحوال ، وعليهما اعتمدت فى كتابى جمع الجوامع — نفع الله تعالى بـه .. ومن شعره :

عداى لهم فضل على ومنـة فلا أذهب الرحمن عنى الأعاديا
هم بحثوا عن زلتى فاجتنبتها وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

وقد بلغ نشاط أبى حيان ذروتـه ، وكان فيه حنين باد لعلمـاء البلاد التى هاجـر منها كارهـا . " كان لا يفارق الممتع لابن عصفـور(٢) " وقد اختصره فى كتاب سمـاه " المبدع " ومنـه نسخـة خطية بدار الكتب بالقاهرة تحت رقـم (٢٤ نحوش) . وقـد ذكر بعض الكتب التى اختصرها فى مقدمـة كتاب منها فقـال(٣) : " .. وبعد فانـى لما اختصرت المقرب للأستاذ أبى الحسن بن عصفـور فى كتاب سميته بالتقريب وأردفتـه بشرح لطيف وسميته بالتدريب . واختصرت فى التصريف كتاب الممتع فى كتاب سميتـه المبدع — رأيت أن أختصـر كتابـه المسمى عند الناس بالشرح الكبير ، وكان قد حـوى من الفـن العربى قواعـد محررة ، وفوائد محبرة يستفيد منها البادى ، ويتذكـر بها الشادى .. ولما كان كتاب المقرب من أحسن الموضوعات ترتيبا وأكملها تقسيمـا وتهذيبا رتبت هذا المختصر ترتيبه ، وهذبته تهذيبـه ، وما كان فى الشرح من أبـواب عـرى منها المقرب وضعتها فى المكان الذى يليق بها ويقرب . ولما تكمل منه المختصـر فى سماء العلوم بدراً ، وشرف ما بين الموضوعات قدرا ، وكان قد وفر حظـه من علم اللسان وجمـع فيه ما تشتت من الاحسان سميتـه بالموفـور من شرح ابن عصفـور .."

وقـد أعـان أبو حيـان على تخليـد ذكرهـم فألف " تحفـة النـدس فى نحـاة الأندلس " .

قال عنه بالنثيا(٤) : توجـه الى المشرق حامـلا الى أهلـه ثروة حافلـة مـن النحو والصرف ، فرد اليهم بذلـك — مزيدا — ما أسلفـوه للأندلس من العلم فـى هذه الناحية فى القرون السابقـة . ثم قـال(٥) : ولم يبق لنا من كتب أبى حيان الا كتابان على الرغـم من أن من ترجموا له يقولون : انه وضع خمسين مؤلفا — الأول فـى

---

(١) بغيـة الوعـاة : ١٢٢ (٢) بغية الوعـاة : ٣٥٧
(٣) مقدمـة الموفور من شرح ابن عصفور (٤) تاريخ الفكر الأندلسى : ١٨٧

التفسير ، وهو مخطوط بمكتبة لايدن ، والثاني في النحو وعنوانه : " فضل النحو " مخطوط في مكتبة برلين . وقد ألف أبو حيان كذلك في نحو الفارسية والتركية " .

وقد سكت مترجم هذا الكتاب على هذا الخطأ الفاضح ، ولعله لم يعلم أن كثيرا من كتب أبي حيان — وطائفة منها بخطه — مودعة بدار الكتب بالقاهرة منها : ارتشاف الضرب من لسان العرب رقم (١١٠٦ نحو) ورقم (٨٢٨ نحو) — التذييل والتكميل في شرح التسهيل رقم (٦١ نحو) . الموفور من شرح ابن عصفور ، رقم (٢٠ نحوش) ، (٢٤ نحوش) وتقريب المقرب اختصر فيه كتاب المقرب لابن عصفور ، رقم (٣٨ نحو) بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية وكذا غاية الاحسان في علم اللسان رقم (١١٥ نحو) . وكتاب البحر في التفسير لأبي حيان لايخفى أمره على أهل الذكر . وقول بالنثيا : انه ألف في نحو الفارسية والتركية يجب أن يضاف اليه أنه ألف في لسان الحبش ، وفي لسان اليخمور ، كما تقدم . وقد تحدث أبو حيان عن أداة التعريف في بعض الألسن فقال[1] : " وبعض الألسن خال من أداة التعريف كلسان الترك ، وبعضهم فيه أداة التنكير ، وحذفها علامة للتعريف كلسان الفرس ، وبعضهم تختلف الأداة في التعريف بالنسبة الى التذكير والتأنيث كلسان اليخمور . وهذه كلها أوضاع لاتعلل " .

وان عرض هذه الكتب والتعريف بها ليحتاج الى سفر مستقل ، ويكفي أن أذكر اثنين من مؤلفاته هما :

ارتشاف الضرب من لسان العرب : والنسخة التي اعتمدت عليها هي (١١٠٦ نحو) ، وفي مقدمة هذا الكتاب يقول مؤلفه[2] : أما بعد فان علم النحو صعب المرام مستعص على الأفهام ، لاينفذ في معرفته الا الذهن السليم ، والفكر المرتاض المستقيم ، وكان من تقدمنا قد انتزع من الكتاب تآليفه ، قليلة الأحكام ، عادمة الاتقان والاحكام يحلها النقد ، وينحل منها العقد ، وربما أهملوا كثيرا من الأبواب وأغفلوا ما فيه من الصواب ، فتآليفهم تحتاج الى تثقيف ، وتصانيفهم مضطرة الى تصنيف . ولما كان كتابي المسمى بالتذييل والتكميل في شرح التسهيل قد جمع من هذا العلم مالا يوجد في كتاب ، وقرع بما حازه تآليف الأصحاب — رأيت أن أجرد أحكامه عارية الا في النادر من الاستدلال والتعليل ، حاوية لسلامة اللفظ

---

(١) ارتشاف الضرب ورقة : ١٣٣ .

(٢) ...

وبيان التمثيل ، اذ كان الحكم اذا برز فى صورة المثال ، أغنى الناظر عن التطلب والتسآل ، ونفضت عليه بقية كتبى لأستدرك ما أغفلته من فوائد وليكون هذا المجرد مختصا من ذلك بزوائد . وقربت ماكان منه قاصيا ، وذللت ماكان عاصيا ، حتى صارت معانيه تدرك بلمح البصر ، لاتحتاج الى اعمال تكسر ولا اكداد نظر ، وحصرته فى جملتين ، الأولى فى احكام الكلم قبل التركيب ، الثانية فى أحكامها حالة التركيب ، وربما انجر بعض من أحكام هذه مع أحكام الأخرى لضرورة التصنيف وتناسب التأليف .

وهو فى هذه المقدمة يذكرنا بصعوبة علم النحو وبفضل كتابة هذا على ماسواه من الكتب . والذى يقرأ هذا الكتاب يلمس حنين أبى حيان الى نحاة الأندلس ، وكأنه يتخذ من ذكر آرائهم وسيلة لتخليد أسمائهم والتعريف بهم وفيما يأتى أمثلة ذلك :

قال أبو حيان[(١)] : ومن أثبت فعولى — وهو الزبيدى وابن القوطية يجوز أن يكون قطوطى فعولى .

وقال[(٢)] : وذهب أبو القاسم حسين بن العريف الى أن كلما وانما وربما مركبة لا بسيطة .

وقال فى باب المصدر[(٣)] : وذهب قوم الى أنه لايجوز اعماله مجموعا وهو مذهب أبى الحسن بن سيده ، واياه أختار . ويؤول ما ورد مما يقتضى ظاهره أنه يعمل مجموعا (مثل : تركته بملاحس البقر أولادها . ومواعيد عرقوب أخاه) واعماله اختيار ابن هشام اللخمى وابن عصفور وابن مالك .

وقال فى باب القسم[(٤)] : وكان أبو عبد الله محمد بن خلصة الكفيف يجيز أن يتلقى القسم بلم ، ورده عليه ابن السيد . وحكاه ابن الدهان عن بعضهم .

وقال[(٥)] : وذهب بعض النحاة ومنهم ابن الطراوة الى أن انتصاب الطريق ظرفا يجوز أن يكون فى فصيح الكلام . قال وذلك مشهور فى الكلام ، جار على القياس ومنه قول العرب : أبعده الله وأسحقه وأوقد نارا أثره . قال : ويقال : ذهبت طريقى ، وعوا طرقاتكم . وأنشدوا :

---

(١) ارتشاف الضرب ورقة : ١٩ (٢) المرجع السابق : ٢٧٩

(٣) المرجع السابق : ٢٥٨ (٤) المرجع السابق : ٢٦٩

(٥) [illegible]

وقد تعدوا أنفاقها كل متعمد ... وإزار سيف الفجاج رأيته

ينوى مخارمها هوى الأجدل

وهذا عند غير ابن الطراوة ضرورة .

وقال[1] : واختلفوا فى وصف مجرورها ـ أى ربّ ـ النكرة فذهب الأخفش والفراء والزجاج وأبو الوليد الوقشى وابن طاهر وابن خروف الى أنه لايلزم وصفه ، وهو ظاهر كلام سيبويه .

وقال[2] : وفى كتاب الصفار تلميذ الأستاذ أبى على : وأجازوا الفصل بين الاسم الذى ولى " لا " وبين خبره ، وان لم يكن معرفة ، فقال : لا رجل هو منطلق . وقال يونس : ان أبا عمرو كان يرى وتوجه بين نكرتين لحنا .

وقال فى باب الصفة المشبهة[3] : وما ذكرنا من أن التكسير فيما يجمع الجمعين أحسن من الافراد هو نص سيبويه فى بعض نسخ الكتاب ، وهو مذهب المبرد واختاره أبو موسى الجزولى ، وابن بطال صاحب كتاب التمهيد . وذهب الجمهور الى أن الافراد أحسن من جمع التكسير ، وهو اختيار الأستاذ أبى على وشيخنا أبى الحسن الأبدى .

وقال[4] : وشذ جروات بكسر الراء جمع جروة . وفى الاتباع فى لحية خلاف بين البصريين منهم من منع ، وهو اختيار ابن عصفور ، ومنهم من أجازه ، وهو اختيار أبى الحسن بن الضائع أحد شيوخنا .

وقال[5] : وذكر أبو العباس بن الحاج فى نقده على ابن عصفور صاحب كتاب المقرب أن ابن عصفور أغفل النواصب والجوازم .

وقد ذكر أبو حيان شيخيه الأبدى وابن الضائع كثيرا . وعرفنا بأن من أصحابه الأستاذ أبا ذر مصعب بن أبى بكر الخشنى[6] . وقد نقل عن شرحى ابن عصفور الصغير والكبير للجمل رأيين مختلفين فى جواز دخول ان على ما خبره نهى ، فقال[7] : صحح ابن عصفور جوازه فى شرحه الصغير للجمل ، وتأول ذلك فى شرحه الكبير فى قوله : [أفيح]

ولو أصابت لقالت وهى صادقة ... ان الرياضة لاتنصبك للشيب

وعلى المنع نصوص أشياخنا . وقال فى شرحه الصغير لكتاب الجمل : أما الجملة غير المحتملة للصدق والكذب ففى وقوعها خبرا لهذه الحروف خلاف ، والصحيح أنها تقع فى موضع خبرها . انتهى .

(1) ارتشاف الضرب ورقة : ٢٦٢

(2) المرجع السابق : ١٢٧

(3) المرجع السابق : ٢٧٧

(4) المرجع السابق : ٦٩

(5) المرجع السابق : ٢١٥

(6) المرجع السابق : ١٣٩

وقبل أن يختم أبو حيان كتابه بباب الضرائر[1] ذكر باب الحقيقة والمجاز على حين أنه لم ير أحدا من النحويين وضع هذا الباب كاملا فى كتاب من كتب النحو ، ثم ختم هذا الباب بنظم فيه[2] . وفى آخر الكتاب[3] : " والله تعالى أعلم " .

والثانى : كتاب المبدع فى التصريف . والنسخة التى اعتمدت عليها هى (٢٤ ش) بدار الكتب بالقاهرة ، وقد قال فى المقدمة[4] : " .. وبعد فان علم التصريف يلطف ادراكه على ذوى الأفهام ، ويشرف المتحلى به على سائر الأنام ، اذ هو أشرف شطرى اللسان العربى ، وأجمل ذخيرة الفاضل النحوى ، ولغموضه قلّ فيه التصنيف والخلاف ، ولم تتوارد عليه الأفهام فيكثر فيه الاختلاف .. ولقد أخذنا هذا الفنّ بعد أخذ علم الاعراب من أستاذنا أبى جعفر بن الزبير ، وتلقناه من فيه لا من كتاب حفظا وعرضا ، وتلقناه عنه شفاها رطبا وغضا ، فى مدة شهور ... ولما كان كتاب الممتع أحسن ما وضع فى هذا الفنّ ترتيبا ، وألخصه تهذيبا ، وأجمعه تقسيما ، وأقربه تفهيما ، قصدنا فى هذه الأوراق ذكر ما تضمنه من الأحكام بألخص عبارة وأبرع اشارة ، ليشرف الناظر فيه على معظمه فى أقرب زمان ، ويسرح بصيرته فى عقائل حسان ، وسميته بالمبدع الملخص من الممتع ولم أتعرض للتنبيه على ما فيه من الاعتراض ، بل أجزته بين المغضى عنه والراضى ، وان نسج الله فى العمر ، وساعد فى سابق القدر وضعت فى علم التصريف ما أنا له آمل ، وعلى تحصيل مواده من قديم الزمان عامل ... "

وعدته ثمان وثلاثون ورقة ، وفى آخره[5] : " تمّ كتاب المبدع غدوة الجمعة التاسع والعشرين لشهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وستمائة على يدى ملخصه أبى حيان وبخطه " .

وقد بدأه بعد المقدمة بتعريف التصريف : " معرفة ذوات الكلم فى أنفسها من غير تركيب[6] " ثم بين مايعرف به الحرف الزائد ، ثم قال[7] : " الاشتقاق أكبر وهو عقد تقاليب الكلمة على معنى واحد ، وذهب اليه ابن جنى . وأصغر وهو انشاء فرع من أصل يدل عليه " .

---

(١) ارتشاف الضرب ورقة : ٣٨١–٣٩١ (٢) المرجع السابق : ٣٨٠ ، ٣٨١
(٣) المرجع السابق : ٣٩١ (٤) المبدع ورقة : ١–٢
(٥) المرجع السابق : ٣٨ (٦) المرجع السابق : ٢

ثم بين أوزان الاسم المعرب الثلاثي ، وذكر لها أمثلة من الأعلام والصفات وأتبعه بالرباعي وما ألحق به ، وكذا الخماسي ، وأردف ذلك بأوزان مزيد الثلاثي ومزيد غيره (١) . وبعد أن فرغ من ذكر الاسم ذكر الفعل ، وأشار الى المتعدي واللازم ، وتحدث عن المطاوعة . وذكر حروف الزيادة بضابطها المشهور : " أمان وتسهيل (٢) ".

وقد رأيت أبا حيان يتعرض لبعض آراء ابن عصفور ، على خلاف ما وعد في مقدمة كتابه ، فقال عند حديثه عن زيادة الهاء (٣) : الهاء تزاد لبيان الحركة ، وزعم أبو العباس أنها لاتزاد في غير ذلك . والصحيح أنها تزاد في غير ذلك قليلا، من ذلك أمهة على الصحيح وهجرع (٤) وهلبع وهركولة (٥) على مذهب أبي الحسن بن عصفور . والصحيح في هجرع أصالتها .

ثم تحدث عن التضعيف في الأسماء والأفعال ، واختتم كلامه بقوله (٦) : واختلف في الزائد من المضعفين ، فمذهب يونس أنه الثاني ، وقال الفارسي : هو الصحيح . ومذهب الخليل أنه الأول وهو الصحيح . وقال سيبويه : كلا القولين صحيح ومذهب .

وبعد أن ذكر الميزان الصرفي وباب القلب والحذف والنقل (٧) ذكر أوجه الخلاف في تصريف بعض الكلمات مثل : اسم المفعول من الثلاثي المعتل اللام بالياء ، ومثل الكلمات : آية ، غاية (٨) ، أشياء (٩) .

ثم عقد بابا بعد ذلك للحديث عن حروف العلة الزوائد (١٠) ، وفي الورقة الثلاثين تحدث عن القلب والحذف في غير حروف العلة وفيها في خلاف ماتضمنه الباب المتقدم وقال : القلب والحذف مما يحفظ ولا يقاس عليه . فالمقلوب لضرورة وغيرها توسعا ولا يمكن استيعابه . والذي يعلم به الأصالة من القلب أن يكون أحد النظمين أكثر استعمالا من الآخر ، أو أكثر تصريفا ، أو يوجد بحرف من الزوائد أو يكون فيه ما يشهد أنه الأصل والآخر ليس كذلك .

---

(١) المبدع ورقة : ٣ـ ٩
(٢) المبدع ورقة : ٩ـ ١٢
(٣) المبدع : ١٢
(٤) هجرع كدرهم : الأحمق والطويل
(٥) هركولة كبرذونة : المرتجة الأرداف
(٦) المبدع ورقة : ١٤ـ ١٥
(٧) المبدع : ١٥ وما بعدها
(٨) المبدع : ٢٧
(٩) المبدع : ٢٨
(١٠) المبدع : ٢٨ـ ٣٠

ثم واصل كلامه فى أبواب التصريف ، فذكر بابا للادغام ، بين فيه أحكامه ومواضعه وفائدته وكيفيته ، وذكر مخارج الحروف فى هذا الباب[1] ، وعقد فى آخر الكتاب بابا للأمثلة الفرضية التى اعتاد السابقون أن يتحدثوا عنها ، وأن يوغلوا فيها . وبين فى بدء هذا الباب آراء النحاة فى جواز صوغ هذه الأمثلة فقال[2] :

وللنحاة فى ذلك مذاهب : أحدها أنه لايجوز شئ من ذلك ، وأن مايصنع من ذلك انما هو لبيان أن لو كان من كلام العرب كيف يكون حكمه . الثانى أنه يجوز على كل حال . الثالث التفصيل بين ما فعلت العرب مثله من البناء وكثر واطرد فيجوز ، أولا فيمتنع ولا يجوز البناء الا أن تكون حروف الكلمة التى تبنى منها مثل غيرها مساوية لأصول المبنى مثله ، أو أقل . أما أن تكون أكثر فلا يجوز . ولا يجوز أن يدخل البناء الا نهما يدخله الاشتقاق والتصريف . فان بنيت مما لا يدخلانه ، فانما ذلك على طريق أن لو جاء كيف كان يكون حكمه ، لا أن يلحقه بكلامهم ..

وبين بعد ذلك هذين القسمين فى الباب موجز بالصحيح والمعتل بأنواعه ، وعرض لبعض أوجه الخلاف فى بناء بعض هذه الأمثلة كالخلاف فى بناء أفعل من اليوم على أيّم عند النحويين أجمعين الا الخليل فانه قال أيوم[3] .

هذا وقد أشاد أبو حيان بروايته للكتاب ، قال المقرى[4] : .. وقرأ جميع كتاب سيبويه على البهاء بن النحاس المشهور بالنحو فى مصر والشام بقراءته على علم الدين أبى محمد القاسم بن أحمد الموفق ، بقراءته على التاج أبى اليمن الكندى .

أنبأنا أبو محمد عبد الله بن على بن أحمد البغدادى ، مؤلف كتاب المبهج ، أنبأنا أبو تمام الكرم المبارك بن فاخر بن محمد بن يعقوب عرف بابن الدباس أنبأنا أبو القاسم عبد الواحد بن على بن عمر بن برهان الأسدى . أنبأنا القاسم على بن عبيد الله الرقيقى . أنبأنا على بن عيسى بن عبد الله الرمانى . أنبأنا أبو بكر ابن السراج . أنبأنا أبو العباس المبرد . أنبأنا أبو عمر الجرمى وأبو عثمان المازنى . قالا : أنبأنا أبو الحسن الأخفش . أنبأنا سيبويه . قال الشيخ أبو حيان : ولا أعلم

---

(١) المبدع ورقة : ٣١ـ ٣٥ (٢) المرجع السابق : ٣٦

(٣) المبدع ورقة : ٣٨ . وفى الأصل " أيوم " .

(٤) نفح الطيب جـ ٤ : ٣١٧.

راويا له بمصر والشام والعراق واليمن والمشرق غيرى ، ورويته عن الأساتيذ أبوى على بن الضائع ، وابن أبى الأحوص، وأبى جعفر اللبلى عن أبى على الشلوبين . وسنده مشهور بالمغرب .

وقد يعترض بذكر أبى حيان والاقتصار فى ذكر ابن مالك على أنه من تلاميذ الشلوبين . والرد على هذا كلام ذكره السيوطى فى ترجمة ابن مالك[1]: قال أبو حيان : بحثت عن شيوخه ، فلم أجد له شيخا مشهورا يعتمد عليه ، ويرجع فى حل المشكلات إليه ، الا أن بعض تلامذته ذكر أنه قال : قرأت على ثابت بن حيان بجيان ، وجلست فى حلقة أبى على الشلوبين نحوا من ثلاثة عشر يوما " . وهذا لا يجعل ابن مالك — رحمه الله — أندلسيا فى ثقافته وانتاجه ، وان كان أندلسيا فى نسبه ومولده .

ومن صفات أبى حيان أنه " كان يفتخر بالبخل كما يفتخر غيره بالكرم وكان يقول : احفظ دراهمك ، ويقال عنك بخيل ، ولا تحتج الى السفل ، وأنشد لنفسه:

رجاؤك فلسا قد غدا فى حبائلى   تنيما رجاء للتنطع من العقم

الا تعب فى تحصيله وأصنيه   اذا كنت محتاجا من البر بالسقم[2]

مات فى ثامن عشرين صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة ورثاه الصفدى بقوله : (من قصيدة عدتها ستة وثلاثون بيتا)

مات أثير الدين شيخ الورى   فاستعر البارق واستعبرا

... ياعين جودى بالدموع التى   يروى بها ما ضمه من ثرى

... مات امام كان فى علمه   يرى اماما ، والورى من ورا

... وخصه من ربه رحمة   توردة فى حشره الكوثرا[3]

وكما أخذ أبو حيان على ابن مالك أنه لم يكن له شيخ مشهور، وقد رد على أبى حيان فى هذين الدكتور عبد الرحمن السيد فى رسالته نحو ابن مالك بين البصرة والكوفة (ورقة ٤٦ وما بعدها) — أخذ عليه استشهاده بالحديث الشريف فى اثبات قواعد النحو . قال أبو حيان فى باب العدد[4] : وأما تمييز المركب بمائة لأحد عشر مائة الى تسع عشرة مائة ، فيحتاج فى اثبات ذلك الى سماع من العرب ، وقد أجاز ذلك ابن مالك مستدلا بشىء ورد فى الحديث مثله .

---

(١) بغية الوعاة، ٥٣   (٢) نفح الطيب جـ ٤ : ٢٩٧

(٣) بغية الوعاة : ١٢٢ — ١٢٣   (٤) ارتشاف الضرب : ٣١٧ — ٣١٨

وقال أيضـا[1] : ان علماء العربية الذين استقروا قوانينها وقواعدها لم يبنوا أحكامهم على ما ورد في الحديث . قال : وجاء هذا الرجل متأخرا في أواخر قرن سبعمائة ، فزعم أنه يستدرك على المتقدمين ما أغفلوه ، وينبه الناس على ما أهملوه ، ولله در القائل : لن يأتي آخر هذه الأمة بأفضل مما أتى به أولها .

وقد انتصر لابن مالك كثير من العلماء منهم الدماميني في تعليق الفرائد اذ يقول بعد عرض الخلاف بين الشيخين[2] : وقد أجريت ذلك لبعض شيوخنا فصوب رأى ابن مالك فيما فعله من ذلك ، بناء على أن اليقين ليس بمطلوب في هذا الباب وانما المطلوب غلبة الظن الذى هو مناط الأحكام الشرعية .

وقضية الاستشهاد بالحديث مشهورة ، وقد أثيرت في عصرنا هذا ، واتخذ فيها مجمع اللغة العربية قرارا موفقا نشر بمجلته[3] .

٥ - محمد بن محمد بن محارب الصريحي النحوى المالقي ، أبو عبد الله ابن أبي الجيش . قال في تاريخ غرناطة : كان من صدور المقرئين ، قائما بالعربية ، اماما في الفرائض والحساب ، مشاركا في الفقه والأصول وكثير من العقليات ، أقرأ بمالقة . وشرع في تقييد على التسهيل في غاية الاستيفاء فلم يكمله ، ومات في ربيع الآخر سنة خمسين وسبعمائة بعد أن تصدق بمال جم ، ووقف كتبه[4] .

٦ - محمد بن علي بن أحمد الخولاني ، أبو عبد الله ، يعرف بابن الفخار والألبيرى النحوى . قال في تاريخ غرناطة : أستاذ الجماعة ، وعلم الصناعة ، وسيبويه العصر ، وآخر الطبقة من أهل هذا الفن ، وكان فاضلا تقيا منقبضا ، عاكفا على العلم ، ملازما للتدريس ، امام الأئمة من غير مدافع ، مبرز أمام أعلام البصريين من النحاة ، منتشر الذكر ، بعيد الصيت ، عظيم الشهرة ، مستبحر الحفظ ، يتفجر بالعربية تفجر البحر ، ويسترسل استرسال القطر ، قد خالطت لحمه ودمه ، لا يشكل عليه منها مشكل ، ولا يعوزه توجيه ، ولا تشذ عنه حجة ، جدد بالأندلس ما كان قد درس من العربية ، من لدن وفاة أبي علي الشلوبين . وكانت له مشاركة في غير العربية من قراءة وفقه وعروض وتفسير وتقدم خطيبا بالمسجد الجامع

---

(1) تمهيد القواعد ج ٣ ، ٧١ (2) تعليق الفرائد ، ١٠٨

(3) الجزء الرابع ص ، ٧ (4) بغية الوعاة ، ١٠٤

الأعظم ، ودرس بالنصرية ، وقلّ في الأندلس من لم يأخذ عنه من الطلبة ٠٠٠ درس وأقرأ ٠٠ قرأ على أبي اسحاق الغافقي ولازمه ، وانتفع به وبغيره، ومات بغرناطة ليلة الاثنين ثاني عشر رجب سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، وكانت جنازته حافلة (١) ٠

٧ — اسماعيل بن محمد ٠٠ بن هانيء اللخمي الغرناطي ، سريّ الدين أبو الوليد ٠ قال في الدرر : ولد سنة ثمان وسبعمائة بغرناطة ، وأخذ عن جماعة من أهل بلده ٠٠ ثم قدم القاهرة ، وذاكر أبا حيان ، ثم قدم الشام ، وأقام بحماة ، واشتهر بالمهارة في العربية ٠ وولي قضاء المالكية بحماة ٠٠ ثم دخل مصر فأقام يسيرا وشرح تلقين أبي البقاء في النحو ، وقطعة من التسهيل وكان يحفظ من الشواهد كثيرا جدا ٠٠٠ ومات في ربيع الآخر سنة ٧٧١ (٢) هـ ٠

٨ — محمد بن الحسن بن محمد المالقي النحو المالكي ، نزيل دمشق قال ابن حجر في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : كان من أئمة المالكية وشيخ العربية ، حسن التعليم ، متواضعا ، شرح التسهيل ، وشرع في شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي وانتفع به الطلبة ٠٠ ومات في ذي الحجة سنة ٧٧١ هـ

٩ — محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الهواري المالكي ، أبو عبد الله الأعمى النحوي ٠ ولد سنة ثمان وتسعين وستمائة ، وقرأ القرآن والنحو على محمد بن يعيش ، والفقه على محمد بن سعيد الرندي ، والحديث على أبي عبد الله الزواوي ، ثم رحل الى الديار المصرية ، صحبة أحمد بن يوسف الرعيني ٠ وهذان هما المشهوران بالأعمى والبصير ، فكان ابن جابر يؤلف وينظم والرعيني يكتب، ولم يزالا هكذا على طول عمرهما ، وسمعا بمصر من أبي حيان ، ودخلا الشام ٠٠ ثم ألبيرة الى أن اتفق أن ابن جابر تزوج فوقع بينه وبين رفيقه فتهاجرا ٠٠ ومن تصانيف ابن جابر : شرح الألفية لابن مالك ، وهو كتاب مفيد ، يعتني بالاعراب للأبيات ، وهو جليل جدا نافع للمبتدئين وله نظم الفصيح ٠ ونظم كفاية المتحفظ ٠ والحلة السيراء في مدح خير الورى ٠٠٠ وأخبرني — أي أخبر السيوطي — بعض أدباء صفد ، قدم علينا القاهرة أنه رأى له شرحا على ألفية ابن معط في ثمان مجلدات ، ولم أقف عليه ٠ مات في سنة ثمانين وسبعمائة ٠ وأجاز لمن أدرك حياته (٣)

١٠ — فرج بن قاسم بن أحمد بن لب ، وقيل : ليث ، أبو سعيد التغلبي الغرناطي ، قال في تاريخ غرناطة : كان عارفا بالعربية واللغة مبرزا في التفسير

---

(١) بغية الوعاة : ٢٧٤ ، وشذرات الذهب جـ ٦ ص : ١٧٦

قائما على القراءات ، مشاركا في الأصلين والفرائض والأدب ، جيد الخط والنظم والنثر ، تصدى للتدريس ببلده على وفور الشيخ ، وولي الخطابة بالجامع ، وكان معظما عند الخاصة والعامة . قرأ على أبي الحسن القيجاطي ، والعربية على أبي عبد الله بن الفخار ، وروى عن محمد بن جابر الوادي آشي . قال ابن حجر : وصنف كتابا في الياء الموحدة ، وأخذ عنه شيخنا بالاجازة قاسم ابن علي المالقي ومات سنة ٧٨٣[١]هـ انتهى .

" الألغاز النحوية "

وقد عثرت على كتاب يحمل اسم نوع هذا في دار الكتب بالقاهرة عنوانه : " الألغاز النحوية في علم العربية " ، وشرحها ولم يعلم اسم الشارح برقم هذا الكتاب (١٣٩١ نحو) ومنه نسخة أخرى برقم (٢٦٧ مجاميع) ، وهو نظم ، وأوله[٢]

أحمد ربي حمد ذي امتنان   معترف بالقلب واللسان

مصليا على الرسول المهتدي   بهديه في السر والاعلان

وبعد المقدمة بدأ بذكر الألغاز وهذه ثلاثة منها :

ما ياء جمع نصبه كالجر لي   مفرده قد يتساويان

يعني نحو قولك : رأيت أبيك الكرماء وأخيك الفضلاء ، جمعا على حذف النون للاضافة . وتقول في المفرد : مررت بأبيك الكريم ، وبأخيك الفاضل ، فيتساويان في اللفظ[٣] .

ومنها : ما شكل أفعال يرى جمعا .. ولم يصرف ولم يشركه في ذا شان

يعني أشياء جمع شيء من جهة المعنى وهو في ظاهر أمره على شكل أفعال جمع فعل كشيء وأفياء وحي وأحياء ، فكان القياس صرفه كنظائره ، ولكن لم يصرف . قال تعالى : " لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم " الآية . ولم يشركه في هذا شيء مما هو من بابه ، ثم اختلف النحاة في وجهه[٤] .

ومنها : ما عامل وعمل قد أهملا .. وفي انعدام قد يقدران

يعني مسألة : ليس زيد بقائم ولا قاعدا ، لك أن تعمل الباء وعملها في تابعها ملغى أي غير حاصل ، فتنصبه على الموضع كما قال : " فلسنا بالجبال ولا الحديدا " فقد أهملت في التابع الباء وعملها مع وجودها . ثم ثبت من كلام العرب مراعاتها مع عدمها كقول زهير :

---

(١) بغية الوعاة ٢ : ٣٧٢   (٢) الألغاز النحوية ورقة : ١

بدا لي أني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئا اذا كان جائيا

يروى بجر سابق على توهم لست بمدرك . وكبيت سيبويه : بدا لي أن
مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة .. ولا ناعب الا ببين غرابها

بجر ناعب على تقدير : ليسوا بمصلحين . فهذا أبدع من الاعتبار وهو أن يطرح الشئ مع وجوده ، ثم يعتبر عدمه [1] .

وفي آخره : تمت الألغاز النحوية في علم العربية ، بحمد الله وعونه والتوكل عليه وحسن توفيقه . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون ...

وهذا الكتاب لون من ألوان التأليف في النحو ظهر ، من أجل ايقاظ الفكر وصرف الهمة الى ادراك أسرار كثير من مسائل النحو التي قد تخفى على بعض العقول .

١١ — عبد الله بن محمد القرافي ، جمال الدين النحوي . قال ابن حجر : مهر في العربية ، وأخذ عن أبي الحسن الأندلسي . وعمل في النحو مقدمة لطيفة ، وانتفع به جماعة . مات في ربيع الأول سنة ست وعشرين وثمانمائة [2] .

١٢ — محمد بن محمد بن محمد بن اسماعيل الأندلسي المالكي نزيل القاهرة المشهور بالراعي النحوي ، أبو عبد الله ، ولد بغرناطة سنة نيف وثمانين وسبعمائة ، واشتغل بالفقه والأصول والعربية ومهر فيها واشتهر بها ، وسمع من أبي بكر بن عبد الله بن أبي عامر . وأجاز له جماعة . ودخل القاهرة سنة خمس وعشرين وثمانمائة وحج واستوطنها وأقرأ بها ، وانتفع به جماعة وأم بالمؤيدية وله نظم وشرح الألفية والجرومية .. ومات سابع عشرين ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة [3] هـ .

وقال في ايضاح المكنون [4] : الأجوبة المرضية عن الأسئلة النحوية لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن اسماعيل الأندلسي المالكي نزيل القاهرة المتوفى سنة ٨٥٣ هـ أوله : الحمد لله الذي جعل مناط العلم صحة الفهم والدراية .. وهو (٤٤) مسألة . ومنه نسختان بدار الكتب بالقاهرة الأولى تحت رقم (٢٢٥ نحو) والثانية تحت رقم (٢٩٣ نحو تيمور) .

---

(١) الألغاز النحوية ورقة : ١٣ (٢) بغية الوعاة : ٢٩٠

(٣) بغية الوعاة : ١٠٠ (٤) المجلد الأول ص: ٢٨ .

و" روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام " لأبي عبد الله محمد على بن محمد بن الأزرق الأندلسي الغرناطي المالكي المتوفى سنة ٨٩٦هـ (١)

وغير هؤلاء من نحاة هذه الفترة كثيرون ، ازدهر النحو على أيديهم كما ازدهر على أيدي أسلافهم من قبل ، وكانت لهم الحظوة في كل مكان ارتحلوا اليه . وربما كانت أكثر المؤلفات النحوية التي كتبت لها النجاة محفوظة ببلاد المغرب تستمسك بها يد الضنانة ، مع غيرها من نفائس العلم وكنوزه .

وفي رسالة المدرسة النحوية في مصر والشام (٢) ، والحق الذي يقال ان دعائم الحركة النحوية في مصر .. كانت تقوم على أكتاف علماء الأندلس ابتدأت بابن خروف المتوفى سنة ٦٠٩ هـ ومن بعده ابن مالك الذي توفى سنة ٦٧٢ هـ ومدرسة ابن مالك ظلت المدرسة الوحيدة في النحو ، التي تسلمها من بعده العالم الأندلسي الكبير أبو حيان المتوفى سنة ٧٤٥ هـ .

مصادر النحو وأدلته في الأندلس:

وبعد فقد آن أن نقرر أن المصدر الأول للنحو الأندلسي كان المشرق فقد ارتحل الى المشرق أول من ألف في علم النحو هناك " وأخذ عن الرياشي والفراء والكسائي وأول من أدخل كتابه الى الأندلس (٣) " وهو جودى بن عثمان . وكذلك ارتحل كثير منهم الى المشرق للاقتباس من معارفه الا أنهم انما رووا من علمائه كالاصمعي وأبي زيد وأبي عبيدة وغيرهم . وقلما تجشم أحدهم الرحلة الى البادية وشافه الأعراب ، وأقام بين ظهرانيهم زمنا طويلا ، كما فعل المشارقة ، لصعوبتها عليهم ، فوثقوا بأئمة البصريين وبغداد ، ونقلوا عنهم ونقلوا الى الأندلس مزود بحسن بعلومه فوق ما جلبوا معهم من مؤلفاته ، وقد توارد كثير من علمائه أيضا الى الأندلس ، لتواتر الرغبات في النزول بها ماديا وأدبيا ، وقد عرفت الأندلس أنها أحب البلاد الى أهل العلم ، فانبعث من هذا كله حركة طيبة في علم النحو ، ثم اطردت في الازدهار ، يرعاها الأمويون وملوك الطوائف من بعدهم ، وهبت نسمة من الأندلس على المغرب انتعشت منها فظهر فيها علماء ضارعوا علماء المشرق ... واعتمدوا على أنفسهم بعد أن نقلوا من السنة وكلام العرب عنهم الجم الكثير ، وعكفوا عليه ، وصدقوا العزيمة ، فاستدركوا على المشارقة بعضما فاتهم من قواعد النحو ،

---

(١) ايضاح المكنون جـ ١ : ٥٩٣ (٢) ورقة رقم : ١٠٢

وعدلوا عن بعض آرائهم فيه ، وخالفوهم في طريقة تعليمه وتدوينه ، فاستحدثوا بذلك مذهبا رابعا ، عرف بمذهب المغاربة أو الأندلسيين . وكان ذلك في القرن الرابع الهجري وما بعده ، وذاع هذا المذهب حتى أخذه عنهم المشارقة بعد ما ضعف شأنهم اذ قد نزح منهم كثير الى المشرق[1] ".

وفي هذا البحث ذكر لكثير من رحلاتها وذكر لكتب النحو المشرقية في الأندلس. والأندلسيون " قد خدموا هذا العلم بمصنفاتهم التي أفاضت النحو معظم ما فقده من كارثة بغداد ، لتوافر عنايتهم به بل ان منهم من وقف بحثه وكده عليه كالأندلسي وابن عصفور ، فاكتسب النحو منهم قوة ساعدته على استطالة عمره ، مع عوامل الفناء التي لحقته بابادة كثير من كتبه ، وبفترة الخمول التي خيمت على علمائه من أعاصير اضطرابات المشرق وما تولد عنها حقبة طويلة[2] ".

وكذلك سبق ذكر كثير من أئمة النحاة في هذه البلاد ، والتعريف بكثير من مؤلفاتهم ، وبيان اتجاهاتهم النحوية . ولعل أبرز ما تميزت به الدراسات النحوية هنالك كما يستنبط من كتبهم ، دون نظر الى تأثرهم بالمشارقة — يتلخص في أدلتهم وتعليلاتهم وآرائهم .

أدلة النحو عندهم :

" قال ابن جني في الخصائص: أدلة النحو ثلاثة : السماع والاجماع والقياس. وقال ابن الأنباري في أصوله : أدلة النحو ثلاثة : نقل وقياس واستصحاب حال . فزاد الاستصحاب ولم يذكر الاجماع، فكأنه لم ير الاحتجاج به في العربية ، كما رأى قوم . فتحصل مما ذكراه أربعة[3] ".

وقد اتفق الامامان على الأول من الأدلة ، وهو السماع عند ابن جني ، والنقل عند ابن الأنباري ، اذ هما بمعنى واحد . وقد رأيت الأندلسيين في كتبهم النحوية يستشهدون بالقرآن الكريم ،ويتخذون منه الدعامة الرئيسة لاقامة بنيانهم في علم العربية . وهم في ذلك يعتمدون على القراءات ، اذ أن الدافع الأول الذي ترتب عليه وضع النحو هو صيانة اللسان عن اللحن في القرآن ، ولم يشذ عن الاستشهاد بالقراءات أحد من العلماء ، وهذا ما يقرره السيوطي في قوله[4] :" كل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترا أم آحادا أم شاذا

---

(١) نشأة النحو : ١٠٥ ، ١٠٦ (٢) المرجع السابق : ١١٧

(٣) الاقتراح ص: ٥ (٤) المرجع السابق : ١٧ .

وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية اذا لم تخالف قياسا معروفا ، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه ، وان لم يجز القياس عليه ، كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه ، لايقاس عليه ، نحو استحوذ . ومن ثم احتج على جواز ادخال لام الأمر على المضارع المبدوء بتاء الخطاب بقراءة " فبذلك فلتفرحوا "(١) كما احتج على ادخالها على المبدوء بالنون بالقراءة المتواترة : " ولنحمل خطاياكم "(٢).

وقد عين أبو شامة الحد الفاصل بين القراءة الصحيحة والشاذة عند العلماء فقال(٣) : " وذكر المحققون من أهل العلم بالقراءة ضابطا حسناً في تمييز ما يعتمد عليه من القراءات وما يطرح ، فقالوا : كل قراءة ساعدها خط المصحف مع صحة النقل فيها ، ومجيئها على الفصيح من لغة العرب — فهي قراءة صحيحة معتبرة . فان اختل أحد هذه الأركان الثلاثة أطلق على تلك القراءة أنها شاذة ضعيفة . أشار الى ذلك كلام المتقدمين وشذوذ القراءة لايعني ترك الاستشهاد بها " . وقد كان هذا شأن الأندلسيين في الاستشهاد بالقراءات . وقد تصدى بعضهم للرد على من نسب الى القراءة شيئا من الشذوذ أو الندرة ، قصد اضعاف الاحتجاج بها . قال ابن الضائع(٤) : وثبت عن ابن عصفور في بعض تصانيفه أن في كلامهم حذف همزة القطع وهو لايجوز الا شاذا كقراءة من قرأ " انها لاحدى الكبر "(٥) بحذف همزة احدى قال ابن الضائع : وهو صحيح ، غير أنهم يقولون : لما كثر استعماله ، وصير مع ما قبله كشيء واحد حذفت همزته ، كما حذفت همزة ويلمه ، يريدون ويل أمه ، وكما حذفت ألف هلم ، على مذهب البصريين ، اذ زعموا أن أصلها هالم .

وفي اتحاف فضلاء البشر(٦) : وقد جرى هذا قياسا مطردا ، عن ابن محيصن " يعدكم الله احدى الطائفتين "(٧) بوصل الهمزة ، وكذا ، فجاءته احداهما(٨) وما جاء منه . وقوله : " وما جاء منه " يعني وصل همزة احدى في كل موضع وردت فيه في القرآن الكريم ، وهذا منه .

وقد رد ابن الضائع على ابن عصفور بقوله : " وهذا صحيح " ، ثم علل الحذف بما تقدم .

---

(١) ابراز المعاني : ص ٩

(٢) سورة يونس آية : ٥٨

(٣) سورة العنكبوت آية : ١٢

(٤) شرح الجمل لابن الضائع ورقة : ٥٥

(٥) سورة المدثر آية : ٣٥

(٦) صفحة : ٢٣٥

(٧) سورة الأنفال آية : ٧

(٨) سورة القصص آية : ٢٥ .

وقال الأندلسي اللورقي بعد أن ذكر شروط ضمير الفصل ، من كونه مرفوعا منفصلا متوسطا بين مبتدأ وخبر معرفتين ، مجانسا لما هو المبتدأ في الحال أو في الأصل في النية والحضور والرتبة — قال[1] : فأما قوله تعالى : " هؤلاء بناتي هن أطهر لكم[2] " على قراءة من نصب أطهر فقد أنكرها الجماعة ، لأن الفصل لا يتوسط الا بين المبتدأ والخبر ، وأطهر منصوب على الحال ، والحال فضلة .

قال الأصمعي : قلت لأبي عمرو : ان عيسى بن عمر قرأ على ابن مروان : " هن أطهر " بالنصب ، فقال : احتبى عيسى في الجنة[3] . وكأن الذي سوغ ذلك على قبحه كون الحال خبرا في المعنى أو جزءا منه ، وقد أجازوا الفصل بين الخبرين اذا كان للمبتدأ خبران كقولك : هذا الحلو هو الحامض .

وقد رد المبرد هذه القراءة في المقتضب[4] ، وعلل لردها بأنها قراءة ابن مروان ، وهو لم يكن له علم بالعربية . والذي يرد على المبرد واللورقي أن عيسى ابن عمر قد قرأ بها وأن أبا عمرو بن العلاء قد زكاها ، ففي المختصر لابن خالويه[5] : " هن أطهر " بالنصب : ابن مروان وعيسى بن عمر . وقال أبو عمرو بن العلاء : من قرأ " هن أطهر " بالفتح فقد تربع في الجنة . وعلى هذا لا نقبل من اللورقي قوله : " على قبحه " .

والذي يلمسه قارئ كتب النحو الأندلسية أن المؤلف كان يستشهد بالقرآن الكريم ، وأنهم كانوا أئمة في القراءات ، وقد عرفوا قول الرسول عليه الصلاة والسلام : " ان جبريل عليه السلام أتاني فقال : ان ربك — عز وجل — يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : اللهم خفف عن أمتي . ثم عاد فقال : ان ربك — عز وجل — يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين . فقلت : اللهم خفف عن أمتي . ثم عاد فقال : ان ربك — عز وجل — يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ، وأعطاك بكل ردة مسألة[6] " .

ومن أمثلة استشهادهم بالقراءات قول أبي على الشلوبين[7] : ويجوز في الموصولات الاسمية في حال السعة أن يحذف العائد منها اذا كان مبتدأ فتجني

---

(١) المباحث الكاملية جـ ٢ ورقة : ٧٨ (٢) سورة هود آية : ٧٨

(٣) مجالس ثعلب : ٥٢ صوابها في لحنه استنادا الى ما نسب الى ابن جؤية في القراءات الشاذة لابن خالويه ص : ١٦٢ .

(٤) صفحة : ٧٣٢ (٥) صفحة : ٦٠

موصولة بأحد جزأى الجملة الاسمية نحو قولك : مررت بالذى قائم . وعليه قراءة من قرأ : " ما بعوضة "(1) رفعا ، الا أن يكون هناك من الطول ما يحسن الحذف قليلا ، نحو : ما أنا بالذى قائل لك سوءا . ويمكن أن يكون مثله قراءة من قرأ : " تماما على الذى أحسن "(2) لأن المقدر هنا بمنزلة الملفوظ به ، ولولا ذلك لم يجز .

وقد شذ ابن عصفور فى غير موضع من مؤلفاته ، وارتكب الشطط ازاء الاستشهاد بالقراءات . قال فى المقرب(3) : " فأما قوله تعالى : " ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما "(4) فشاذ لايقاس عليه " وسبب ذلك أن القاعدة عنده أنه اذا تقدم معطوف ومعطوف عليه ، وتأخر عنهما ضمير يعود عليهما فان العطف يكون بالواو ويكون الضمير على حسبهما . فان كان العطف بغيرها — كما فى الآية — لم يجز الا الافراد . وهذه مخالفة لاتغتفر لابن عصفور .

ومثلها قوله(5) : وأما الباء فتكون زائدة فى خبر ما وليس وفاعل كفى ومفعولها نحو قوله :

فكفى بنا فضلا على من غيرنا ... حب النبى محمد ايانا

أى كفانا . وزائدة فى نحو : أحسن بزيد . ولا تزاد فيما عدا ذلك الا ضرورة نحو قوله :

ألم يأتيك والأنباء تنمى ... بما لاقت لبون بنى زياد

أى ما لاقت . أو نادر كلام لايقاس عليه نحو قوله تعالى : " بقادر على أن يخلق مثلهم " أى قادر .

وهذا خطأ من ابن عصفور ، لأن نص الآية الكريمة(6) : " أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لاريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا " . فليس فى هذه الآية باء زائدة ، وربما اشتبه عليه ذلك بما فى سورة يس من قوله تعالى(7) : " أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم " فان الباء فيها زيدت فى خبر ليس . والذى أكرره هنا

---

(1) سورة البقرة آية : ٥٦
(2) سورة الأنعام آية : ١٥٤
(3) صفحة : ٧٠
(4) سورة النساء آية : ١٣٥
(5) المقرب : ٥٩
(6) سورة الاسراء آية : ٩٩
(7) آية : ٨١ .

هو أن ابن عصفور قد جاوز الحد دون تحرى الحقيقة ولا سيما اذا لحظنا تلقيه نصوص القرآن بالقدرة على ما فى الآية التى استشهد بها من تحريف[1]!

ومن مجاوزته الحد أيضا قوله[2] : وقد يجئ الأمر للخطاب باللام ، وان كان الفعل مسندا للفاعل ، فيكون اذ ذاك مجزوما ، ومن ذلك قراءة زيد بن ثابت وأبىّ بن كعب : " فبذلك فلتفرحوا " ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى بعض المغازى : " لتأخذوا مصافكم " الا أن ذلك لغة قليلة رديئة عند كافة النحويين . وقول أبى القاسم : انها لغة جيدة مخالف لما زعم النحويون . ومما يدل على انها ضعيفة أنها لا يحفظ منها الا ما ذكرناه .

هذا كلام ابن عصفور فى شرح الجمل ، وهو يجعل قول أبى القاسم بجودتها مخالفا لما زعم النحويون ، ثم هو لا يكتفى بأن يصف هذه اللغة بالقلة كما نعل غيره بل يردف ذلك بصفة ربما خدشت كمال العقيدة ، وقد سبق كلام السيوطى عن الاستدلال بهذه القراءة على جواز هذا التعبير . وهناك فرق كبير فى التعبير بين ابن عصفور والأشمونى اذ يقول[3] : وأما اللام فجزمها لفعلى المتكلم المبنيين للفاعل جائز فى السعة ، لكنه قليل ، ومنه " قوموا فلأصل لكم " " ولنحمل خطاياكم " وأقل منه جزمها فعل الفاعل المخاطب كقراءة أبى وأنس " فبذلك فلتفرحوا " وقوله عليه الصلاة والسلام : " لتأخذوا مصافكم " والأكثر الاستغناء عن هذا بفعل الأمر . إن الفرق بينهما فى أدب التعبير .

وأما الاستشهاد بالحديث الشريف على اثبات القواعد النحوية فهو أمر ظاهر فى كثير من مؤلفاتهم . ففى شرح الجمل لابن الصريف عند الحديث عن ان تقال[4] : وذكر أن عليا (رضى الله عنه) قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه يقول : " انّ الحمد لله رب العالمين " بمعنى نعم (أى يتشدد يد ان ورفع الحمد) .

وفى المباحث الكاملية للورتقى[5] : وقد جاء فى الحديث : " صلى ثمان ركعات " بحذف الياء وفتح النون .

---

(١) انظر لأمثال هذه التحريفات القرآنية ما ورد فى كتاب تحقيق النصوص، للأستاذ عبد السلام هارون ص: ٣٩

(٢) شرح الجمل لابن عصفور ورقة: ٦٥ (٣) شرح الأشمونى جـ ٤ ص: ٢

(٤) ورقة رقم : ٢٣ (٥) الجزء الثانى ص: ٠٦٦

وفى تنقيح الألباب لابن خروف[1] : ومن الدليل على أن الواو بمنزلة أو قوله عليه الصلاة والسلام : كل مولود يولد على الفطرة ، حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه " . وقد ذكر هذا الحديث علم الدين اللورقى[2] ، شاهدا على تثنية الضمير لما جرى على شئ .

وقضية الاستشهاد بالحديث ليست حديثة ، وانما هى قضية تدارسها العلماء من قبل ، ولعل أول من أثار هذه القضية فى كتاب من كتب النحو هو العالم الأندلسى ابن الضائع فى شرح الجمل ، قال[3] : قال سيبويه : " كانه قليلة فى كلامهم " قال : وبلغنى عن بعض العرب الموثوق بهم أنهم يقولون : ليس وكاننى . فهذا نص مؤكد على أن الأفصح فى كلامهم كان اياه " هذا كلامه فى المضمرات ، وليس يناقض هذا قوله فى أول الكتاب غير معتد بقلة : اذا لم تكنهم فمن ذا يكونها ، وانشاده لأبى الأسود الدؤلى :

فان لم يكنها أو تكنه فانه أخوها غذته أمه بلبانها

لأنه مقصوده أنه يقال لا أنه ملتزم أو فصيح . وزعم ابن الطراوة أن الصحيح ما قال فى أول الكتاب وهو الأفصح . قال : والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "كن أبا خيثمة فكانه " . قال الأستاذ أبو على رحمه الله : هذا تكذيب للعلماء ومع احتمال هذا لاتبقى ثقة بجميع ما ينقلون ، ومبنى هذا الغلط الذى انبنى عليه هذا التكذيب ظنه أن " فكانه " من كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، وانما المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم : " كن أبا خيثمة " قال الراوى : " فكانه " وهذا لايخفى على من له مسكة من نظر . قلت : أى ابن الضائع . ولو كان مرويا فى متن الحديث لم يصح أنه من كلام النبى صلى الله عليه وسلم لأنه قد تبين فى أصول الفقه أنه يجوز نقل حديث النبى صلى الله عليه وسلم بالمعنى وعليه حذاق العلماء فهذا هو السبب عندى فى ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على اثبات اللغة بالحديث واعتمدوا فى ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ، فلولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى فى الحديث لكان الأولى فى اثبات فصيح اللغة حديث النبى صلى الله عليه وسلم لأنه من المقطوع به أنه صلى الله عليه وسلم أفصح العرب — وابن خروف يستشهد بالحديث كثيرا فان كان على معنى الاستظهار والتبرك بما روى عنه صلى الله عليه وسلم فحسن وان كان يرى أن من قبله أغفل شيئا وجب عليه استدراكه فليس كما رأى والله أعلم .

---

(1) صفحة : ٥١ (٢) المباحث الكاملية جـ ٢ : ٧٨ .

وقد تقدم جزء من كلام ابن الضائع في ترجمة ابن خروف ، ثم نقل هذا الكلام عن ابن الضائع السيوطي[١] ، بعد أن تحدث عن الاستدلال بالحديث على اثبات القواعد الكلية في لسان العرب ، وبعد نقده ابن مالك في ذلك ، وبعد قوله[٢] : على أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر ، والخليل ، وسيبويه من أئمة البصريين ، والكسائي والفراء وعلي بن مبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس .

قال المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين بعد أن ذكر كلام السيوطي نقلا عن أبي حيان : والتحقيق غير هذا ، فالجوهري ، وابن سيده ، وابن فارس ، وابن جني ، وابن بري ، ومن بعدهم من أصحاب المعجمات وكتب النحو كلهم احتج بالحديث ، بل قال السهيلي : " لانعلم أحدا من علماء العربية خالف في هذه المسألة الا ما أبداه الشيخ أبو حيان في شرح التسهيل ، وأبو الحسن بن الضائع في شرح الجمل ، وتابعهما على ذلك الجلال السيوطي[٣] " .

وقد قسم البغدادي العلماء حيال هذه القضية الى ثلاثة أقوال[٤] : ذهب جماعة منهم الى عدم الجواز ، لأن الأحاديث تصح روايتها بالمعنى ، ومن هؤلاء ابن الضائع وأبو حيان . وذهب جماعة الى جواز الاستدلال بالأحاديث التي عني الرواة بنقل ألفاظها ، أما ما عداها فلا يستدل به ومن هؤلاء الشاطبي والسيوطي . ورأى آخرون أن الاستدلال بحديث الرسول (ص) جائز على الاطلاق ، وعلى هذا الرأي جرى ابن مالك ، وأيده البدر الدماميني في شرح التسهيل .

وكلام ابن الضائع دليل على أن ابن خروف قد أكثر من الاستشهاد بالحديث وكتب الذين سبقوه من النحاة الأندلسيين دليل كذلك على أنهم لم يجدوا مانعا من الاستشهاد بالحديث في اثبات مسائل النحو ، ولعل السبب في ذلك أنهم حسين نقلوا حديث الرسول عنوا عناية كاملة بالضبط وصحة الرواية ، على أن ابن الضائع نفسه قد حكى خلافا جرى في استشهاد بالحديث ، فيما ذكر آنفا ، ثم في قوله[٥] :

وعلى ماجاء من قوله :

شلت يمينك   هبلتك أمك أن قتلت لمسلما " .

---

(١) الاقتراح ص: ١٨   (٢) المرجع السابق : ١٧

(٣) دراسات في العربية وتاريخها ص: ١٦٨

قال الأستاذ ، وعلى هذا جرى الخلاف بين ابن أبى العافية وابن الأخضر فيما ورد فى الحديث من قوله عليه السلام : " قد علمنا ان كنت لمؤمنا " ففتح أن ابن أبى العافية ، لأن هذه اللام عنده ليست لام الابتداء . وكسرها ابن الأخضر لأنها هى . قلت : — أى ابن الضائع — وزعم ابن خروف أنها لام الابتداء ، وادعى أنه مذهب سيبويه لأنه قال : " ولزمتها اللام " فهذه اشارة الى لام مذكورة ، ولم يذكر الا لام الابتداء . قال : ويدل أنها هى أن بعض العرب يعملها مخففة واللام معها ولا شك أن هذه لام الابتداء ، ولا حجة فى هذا . والصحيح عندى أنها لام الابتداء والحديث عندى دليل أنها لام الابتداء لأنه لا يخلو أن تكون فيه ان مكسورة أو مفتوحة ولا يجوز أن تكون مفتوحة لأنه لا وجه لدخول اللام ، اذ ليست تفرق بين شيئين ولم يسمع من كلام العرب دخول اللام مع أن المفتوحة ، وأيضا فأن المفتوحة لا تتصل بالفعل ، ولا بد من الفصل بينهما الا فى الضرورة فلا وجه لفتح ان مع السلام . واذا لم يجز أن تكون مفتوحة ثبت أنها مكسورة ، فثبت أن اللام لام الابتداء . وأيضا فأن يقال : انها لام الابتداء حتمت الضرورة لارادة التفريق بين شيئين أن تدخل حيث لم تكن تدخل — أسهل من القول بالمجئ بلام أخرى ، على أنها لم تدخل الا على ما كانت تدخل لأنها لم تدخل الا على مبتدأ أو خبر ، وأما " ان قتلت لمسلما " فضرورة وشاذ .

فابن الضائع اذا كان من أولئك الذين تمسكوا بالاحتجاج بالحديث الشريف على بعض المسائل النحوية .

وأما احتجاجهم بكلام العرب شعره ونثره فقد سلكوا فيه مسلك المشارقة الا ما كان من شذوذ ابن الطراوة الذى عبر عنه ابن الضائع بقوله عنه[1] : " ومن مذهبه الاحتجاج بألفاظ أهل زمانه كثيرا " ولكن الأندلسيين — كما تقدم — لم يتجشموا مشاق الرحلة الى البادية بل اكتفوا بأن نقلوا عن الثقات الذين رحلوا اليها ونقلوا عن أهلها . وقد تقدم فى أثناء عرض مؤلفاتهم أمثلة وشواهد لا داعى لتكرار ذكرها .

والدليل الثانى عند ابن جنى هو الاجماع ، وقد رأيت لكثير من الأندلسيين آراء خاصة فى كثير من مسائل النحو ، وفيهم مع ذلك من حرص على الاتباع فيما أجمع عليه ، فقد خطأ الشلوبين السهيلى حين رآه يخرق الاجماع قال ابن الضائع[2] : قال الأستاذ أبو على — رحمه الله — قال السهيلى : أنادنى الرماك رواية عن يونس

---

(١) شرح الجمل لابن الضائع المجلد الثانى ورقة : ١٢

اعمال لكن مخففة . قال الأستاذ : وقد بحثت عن ذلك كثيرا ، فلم أر أحدا حكاه نقلا ذلك الا غلط من السهيلي .

وقد سبق كثير من ردود الصفار على ابن الطراوة ، وعلى السهيلي في ترجمة ابن الطراوة والصفار . والذى أراه أن الاجماع يرجع الى النقل والسماع وفيما قال الشلوبين اشارة الى ذلك ، ففي التوطئة في باب البدل (*) : تلت الخبزة أكلتها ممتنع لعدم العائد على المبتدأ ، فان سمع هذا من العرب فله وجه ، وهو أن العامل المكرر قد حذف ، وأنيب الأول منابه فروعى ما في اليد ، ولم يراع ماكان " . فهنا يتوقف الشلوبين في اجازة هذا المثال حتى يسمع من العرب ، ثم يخرجه على فرض سماعه ومن المسلم به أن النحاة لايجمعون على شئ الا اذا صح النقل وبلغ من الكثرة حدا لايمكن انكاره ، كرفع الفاعل ونصب المفعول . ولا يصح أن يقال : ان قولهم : خرق الثوب المسمار — يخرق هذا الاجماع لعدم اطراده ، ولاستحالة المعنى على ظاهره .

وثالث الأدلة عند ابن جنى وابن الأنبارى هو القياس ، وهو كما " قال ابن الأنبارى في جدله (١) : حمل غير المنقول على المنقول اذا كان في معناه انتهى . قال : وهو معظم أدلة النحو المعول في غالب مسائله عليه كما قيل :

انما النحو قياس يتبع

وفي معجم الأدباء (٢) ، قال الكسائي :

انما النحو قياس يتبع وبه في كل علم ينتفع

وقد رأيت ابن العريف يقول في شرح الجمل (٣) : ولا يجوز : قام المرأة ، ولا : ذهب الجارية ، لأن هذا تأنيث حقيقي . الا أنهم قالوا : حضر القاضي امرأة . وهذا شاذ . والشاذ يحكى ولا يقاس عليه ، ومع هذا انهم قد فصلوا بين الفاعل والفعل والمفعول ، فكأنهم يرون أن المفصول الذى قد فصلوا به بينهما (عوضا (٤)) من التاء المحذوفة . وهذا احتيال واذا جاء حرف شاذ فاعرفه واحكه ولا تقس عليه .

ثم يؤكد ابن العريف هذا مرة أخرى في باب الضرورات (٥) . وقد سبق نص كلام ابن خروف في تنقيح الألباب (٦) ، فقد أشاد بالقياس وذكر كلام ومكر كلام أبي على الفارسي المشهور ، وهنا أعيد بعض كلامه فقد قال : وبالقياس ضبط كلامهم

(*) ص : ٧٦٠ .

(١) الاقتراح صفحة : ٣٧ — (٢) جـ ١٣ : ١٩١

(٣) ورقة : ٤٦ — (٤) كذا في الأصل

(٥) ورقة : ١٤٩ — (٦) صفحة : ٥٢

وبالتفتيش والنظر لحقت أغراضهم وعلم حقيقتهم ومجازهم ، وحصر أكثر ذلك ، نجمعوا الكثير الذى لا يضبطه الحفظ فى القليل بالقياس ، فما يستغنى من أخذ عنهم ، ومن أتى بعدهم بحفظ قوانينهم وأكثر عللهم وما قيدوه بذلك عن حفظ ما لا ينحصر اذ قد فاتهم الأخذ عن العرب ، فثبت بذلك للأئمة الفضل والزلفى عند الله تعالى ، فحقا قصدوا جمع الكثير من الكلام الذى لا ينحصر ولا يدخل تحت الحفظ فى النزر بالقياس[1] .

وفى باب " ثانى اثنين وثالث ثلاثة " يقول ابن الضائع[2] : فاذا اختلف اللفظان كان لك فيه وجهان ، أحدهما وهو الأجود زعم ابن خروف أن التنوين والنصب لم يحكه أحد ، واستشهد عليه بشىء من كلام العرب قال : وهو قياس من كل من أجازه . قال : ولذلك لم يذكره سيبويه الا مضافا . ولم يقدره الا بالماضى قال : والقرآن بالاضافة بمعنى قوله تعالى : " مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم[3] " أى رابع الثلاثة ، وكذلك : " رابعهم كلبهم[4] " الآية لكن قولهم : ثلثت الرجلين ، وربعت الثلاثة فصيح ، فلا يمتنع القياس عليه ، وما قيس على كلامهم قياسا صحيحا فهو من كلامهم . لكن لا ينبغى أن يجوز فيه التنوين والنصب الا اذا أريد به معنى الحال أو الاستقبال فقط .

هذا وقد سبق رد الصفار على ابن خروف استدلاله بالقياس والسماع على أن أمثلة المبالغة تعمل على كل حال ، كانت بمعنى الحال أو الماضى ، وقد خرج الشاهد ثم قال : وأما قياسه ففاسد وذلك أن المبالغة ليست مما يقوى جانب الفعل ألا ترى أن المبالغة كما تكون بالفعل فكذلك تكون بالاسم اذا قلت : زيد الشجاع الفارس البطل الذى من أمره ومن شأنه كذا ، فليس هذا مقويا للفعل[5] .

وفى شرح الجمل لابن عصفور[6] : " وضع الشىء موضع الشىء أو اقامته مقامه لا يؤخذ بقياس " قال السيوطى[7] : ذكر هذه القاعدة ابن عصفور فى شرح الجمل وبنى عليها أن الصحيح أن الاغراء وهو وضع الظرف أو المجرور موضع فعل الأمر لا يجوز الا فيما سمع عن العرب نحو : عليك وعندك ودونك ومكانك ووراءك وأمامك واليك ولديك . ورد قول من أجاز الاغراء بسائر الظروف والمجرورات ، وبنى عليها أيضا

---

(١) تنقيح الألباب ص : ٥٢
(٢) شرح الجمل جـ ١ ص : ٤٣
(٣) سورة المجادلة آية : ٧
(٤) سورة الكهف آية : ٢٢
(٥) شرح الصفار ورقة : ١٢
(٦) ورقة : ٧٧
(٧) الأشباه والنظائر جـ ١ : ٢٢

أن المصدر الموضوع موضع اسم الفاعل أو اسم المفعول لا يطرد بل يقتصر على ما سمع منه .

وهذه النصوص ناطقة بحرص علماء الأندلس على الأخذ بالقياس . وكلام ابن العريف وإن كان فيه نظر تأكيد للتشبث بالقياس " وإذا جاء حرف شاذ فاعرفه واحكه ولا تقس عليه " . وأما ابن خروف فقد شرح القياس وأثبت الفضل والزلفى عند الله للأئمة الذين جمعوا الكلام الذى لا ينحصر ولا يدخل تحت الحفظ فى النزر بالقياس ، وكان لهم بذلك يد على من أخذ عنهم . وأركان القياس كما تستنبط من كلام ابن خروف : مقيس ، وأصل يقاس عليه ، وحكم يجعل المقيس كالمقاس عليه ، وعلة تجمع بينهما . ثم كان ما نقله ابن الضائع عن ابن خروف : " وما قيس على كلام العرب قياسا صحيحا فهو من كلامهم " وقد وجدت هذه العبارة فى كلام ابن جنى أيضا ولكن ابن خروف لم ينسبها اليه . وقد دلل ابن الضائع على فساد قياس ابن خروف فى اعمال صيغ المبالغة ، ثم وضع ابن عصفور حدا للقياس فخصه بنقل الحكم وحده ، لأن " وضع الشئ موضع الشئ أو اقامته مقامه لا يؤخذ بقياس " وكتب الأندلسيين بعد تزخر بمسائل القياس التى لا يتسع المجال لاستقصائها .

وأما استصحاب الحال فقد عرفه ابن الأنبارى بقوله (١) : هو ابقاء حال اللفظ على ما يستحقه فى الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل .. وهو من الأدلة المعتبرة كاستصحاب حال الأصل فى الأسماء وهو الاعراب حتى يوجد دليل البناء وحال الأصل فى الأفعال ، وهو البناء حتى يوجد دليل الاعراب .. كقولهم الأصل فى البناء السكون الا لموجب تحريكه ، والأصل فى الحروف عدم الزيادة حتى يقوم دليل عليها .

وقد يكون من استصحاب الأصل قول ابن عصفور (٢) ، وعدم التغيير يكون علامة للرفع فى الأسماء المثناة ، وجمع المذكر السالم لأن المثنى وما جرى مجراه يكون قبل دخول العامل عليه بالألف وجمع المذكر السالم بالواو والنون ، فلذلك اذا عدوا ولم يدخلوا عاملا قالوا : اثنان وثلاثون . فلما دخل عامل الرفع عليهما لم يتغيرا وصار ترك العلامة علامة .

وواضح من ذلك أنه يرى ابقاء حال اللفظ على ما كان له فى الأصل عند اجراء التثنية والجمع ، اذ أنه لم ينقل عن هذا الأصل ، ولم يقل أحد عند تثنيته زيد : زيدان ، وعند قولنا : جاء الزيدان : ان الألف عند التركيب غير الألف قبله ، فالألف هى علامة التثنية وهى علامة الرفع .

ثم نقل السيوطى عن أصول ابن الأنبارى قولـه[1] : " استصحاب الحال من أضعف الأدلة ولهذا لايجوز التمسك به ما وجد هناك دليل " وقال أبو البركات الأنبارى عند ذكر الخلاف فى فعلية نعم وبئس: ومن البصريين من تمسك بأن قال : الدليل على أنهما فعلان ماضيان أنهما مبنيان على الفتح ، ولو كانا اسمين لما كان لبنائهما وجه ، إذ لا علة ههنا توجب بناءهما . وهذا تمسك باستصحاب الحال وهو من أضعف الأدلة .

ويكفى لالغاء هذا النوع من الأدلة أن القائل به يرى أنه من أضعف الأدلة .

التعليل عند الأندلسيين :

ولن أبسط القول فى تاريخ العلة فى النحو ، وانما أكتفى بما وصفه السيوطى بأنه كلام مستقيم وانصاف من الخليل ، قال[2] : .. الخليل ابن أحمد سئل عن العلل التى يعتل بها فى النحو ، فقيل له : عن العرب أخذتها ، أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال : ان العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقامت فى عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها . وعللت أنا بما عندى أنه علة لما عللته منه فان أكن أصبت العلة فهو الذى التمست ، وإن يكن هناك علة غير ما ذكرت فالذى ذكرته محتمل أن يكون علة له . ومثلى فى ذلك مثل حكيم دخل دارا محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام ، وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق ، والبراهين الواضحة ، والحجج اللائحة ، فكلما وقف هذا الرجل الداخل الدار على شئ منها قال : انما فعل هذا هكذا لعلة ، وبسبب كذا لعلة سنحت له وخطرت محتملة أن تكون علة لذلك . فجائز أن يكون الحكيم البانى للدار فعل ذلك للعلة التى ذكرها هذا الذى دخل الدار ، وجائز أن يكون فعل بغير تلك العلة ، إلا أن ما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة كذلك فان سنحت لغيرى علة لما عللته من النحو هى أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها . وهذا كلام مستقيم وانصاف من الخليل .

وهذا يعنى أن باب التعليل فى النحو مفتوح أمام كل النحاة ، على شريطة أن تكون الحكمة هى التى تسيطر على من يتصدى لذلك ، وأن يكون هذا التعليل مما يثبت القواعد والأصول فى أذهان الدارسين ، وألا يبعد بالعلة عن الادراك والعقل " وأن تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب المدرك منا بالنظر[3] " .

---

(١) الاقتراح : ٨٧ (٢) الاقتراح : ٥٦

(٣) الرد على النحاة : ١٥٢ .

وقد كان ابن الضائع يرى ضرورة اعتبار هذه الشروط ، حتى لا يشتط المعلل في افتراضات لا فائدة من ذكرها ، ومن ذلك ما حكاه عن سيبويه والخليل ، وما قاسه الزجاج ، وما رآه السيرافي في هذا القياس في شرح الجمل (١) : قال سيبويه وسأل الخليل : فإن سميته : في زيد ، لا تريد الفم . قال : أثقله ، فأقول : فيّ زيد . فقاس الزجاج على هذا : لزيد ، لأن " في " ليس باسم ، ولا يشبه الاسم لأنه على حرفين أحدهما حرف علة ، وليس ذلك في الأسماء المفردة . قال : وكذلك لزيد ، لا تشبه اللام اسما مضافا ، غير أن " في زيد " جعل كالتسمية به وحده ، وهو يثقل فتعمل به ذلك مع الاضافة . قال : كذلك تفعل باللام ، لأنها اذا سمى بها تشبع الكسرة فتصير كفي فيثقل فيفعل به ذلك أيضا مع الاسم المخفوض ولقائل أن يفرق بينهما بأن " في " كلمة مفردة يصح الوقف عليها ، وليس كذلك اللام ، فالاعراب في لزيد وكزيد بعيد ولا يشبه " في زيد " ألا ترى أن في الأسماء كفي زيد وان كان لا يقاس عليه وهو : فوزيد وذو مال . على أن السيرافي صحح ذلك القياس فقال : أقول : لي زيد وكا زيد وزعم أن قوله : " لي زيد " في لزيد — خطأ ، وأن الصحيح : لا زيد ، لأن لام الجر أصله عنده الفتح ، وكسرت مع الظاهر فرقا بينها وبين لام الابتداء كما تقدم ، ولذلك فتحت مع المضمر لأنه يرد الشيء الى أصله مع أنه ليس مع المضمر ، لأن المضمر بعد لام الابتداء يخالف بذاته المضمر بعد لام الجر ، وتصييرها اسما لزم ردها الى حركتها الأصلية وهي الفتحة فصارت ككاف التشبيه .

قلت : " أي ابن الضائع " وهذا هذيان من القول ، وكأنه والله أعلم لم يحمله على تصحيح رأي الزجاج في " لزيد " الا حبه في هذا النظر الدقيق الذي أبدى ، وتحريك اللام بالكسر مع الظاهر ان كان النحويون يزعمون أنه مقصود لواضع اللغة ، فلا شك أن جميع الواضعين للغة من أولهم الى آخرهم لو عرض عليهم تلك الهذيانات لاستحمقوا القائل بها . وان زعموا أن الله تعالى أنطقهم بتلك الأشياء لحكم ألهمهم الله تعالى لها ، فنبهوا عليها ، ومنها ما قالوا في كسر اللام — فتعالى الله عن أن تكون تلك حكما مرادة له في انطاقهم بكسر اللام وفتحها ، بل المراد من هذه التعاليل تمكين المعلل في نفس المتعلم حتى يرسخ ، وقد تقدم هذا من كلامنا غير مرة . وكذلك مرادهم في التطويل في هذه الأشياء تمرين المتعلم ، والا فما فائدة التسمية بكزيد حتى يقال فيه : كزيد أو كا زيد . وكذلك سائر هذه المسائل .

---

(١) المجلد الثاني ورقة رقم : ٥٢ .

هذا وقد سبق كلام ابن خروف على العلل الموجبة ، وهي البحث نفس أصولها ، وقد أطال بعد هذا في شرح قوله[1] : " ومن علل النحو ما هو برهان ومنها ما هو امتناع " بما لا يتسع له المقام .

ومن أمثلة تعليلهم ما نقله السيوطي عن ابن عصفور في تعليل زيادة الباء في فاعل " أفعل " في التعجب قال[2] : زيدت الباء في فاعل أفعل به في التعجب ، ولزمت حتى صار لفظ الفاعل كلفظ المجرور ، في نحو قولك : أمرر بزيد ، اصلاحا للفظ من جهة أن أفعل في هذا الباب لفظه كلفظ الأمر بغير لام ، والأمر بغير لام لا يقع بعده الاسم الظاهر الا منصوبا نحو : اضرب زيدا ، أو مجرورا نحو : امرر بزيد ، فزادوا الباء والتزموا زيادتها حتى تكون في اللفظ بمنزلة : امرر بزيد . ذكره في شرح المقرب .

وكلام ابن عصفور هذا في شرح الجمل[3] ، وفي المقرب[4] أيضا ، وزاد على ذلك : ويدل على أن المجرور في موضع الفاعل وأن الفعل لم يتحمل ضميرا ابقاء اللفظ على صورة واحدة في خطاب الواحد المذكر والواحدة المؤنثة والمثنى والمجموع ، فتقول : ياعمرو أحسن بزيد ، وياعمران أحسن بزيد ، وياهند أحسن بزيد ، وياهندان أحسن بزيد ، وياهندات أحسن بزيد !

وكذلك نقل السيوطي عن ابن عصفور والشلوبين التعليل لكون الأفعال مذكرة قال[5] : قال الشلوبين في تعليله : لأن التأنيث الحقيقي والمجازي وعلامات التأنيث وأحكامه معدومة فيها .

وقال ابن عصفور في شرح الجمل[6] : الدليل على أن الأفعال كلها مذكرة أنها اذا أخبر بها عن الأسماء فانما المقصود الاخبار بما تضمنه من الحدث وهو المصدر ، والمصدر مذكر ، فدل ذلك على أنها مذكرة ، اذ اللفظ على حسب مايراد به من تذكير أو تأنيث ، ألا ترى أن لفظ هند لما أريد به المؤنث كان هو مؤنثا ، ولفظ زيد لما أريد به المذكر كان هو مذكرا .

وقد ردّ اللورقي على الكسائي تعليله منع صرف أشياء بكثرة الاستعمال ، فقال[7] : وأما أشياء فمفرد .. معناه الجمع نحو طرفاء وصحراء .. فوزنه .. لفعاء .. ولولا ترك الصرف في هذه الكلمة لكان ماقاله الكسائي هو الحق ، لكن

---

(١) ورقة رقم : ٢١٣ — ٢١٩ (٢) الأشباه والنظائر جـ ١ : ٦٨ — ٦٩

(٣) ورقة : ٤٠ (٤) صفحة : ١٤

(٥و٦) الأشباه والنظائر جـ ١ : ٨٦ .

ترك الصرف بالاجماع هو الذى أحوج الى هذا التكلف ، وتعليل الكسائى ترك الصرف بكثرة الاستعمال ليس بشئ ، فان كثرة الاستعمال مما يخفف بها الاسم ، ومتى خفّ صرف مالا ينصرف فى الأصل كما فى هند ودعد ، فالكسائى قد رتب العلة ضد مقتضاها .

والمعروف فى أشياء قول سيبويه(1) ، وأما ثلاثة أشياء فقالوها لأنهم جعلوا أشياء بمنزلة أفعال وكسّروا عليها فعل ، وصار بدلا من أفعال . وزعم الخليل أن أشياء مقلوبة كشئ ، فكذلك فعل بهذا الذى هو فى لفظ الواحد ولم يكسر عليه الواحد .

وقد ختم اللورقى حديثه عن أشياء بطرفة لا بأس بذكرها وهى : قيل لواعظ لا يعرف العربية : ما وزن أشياء ؟ فقال : الله تعالى يقول : " لا تسألوا عن أشياء " .

وكتب النحاة الأندلسيين تمتلئ بتعليلاتهم الحكيمة التى قاموا بها على خدمة العلم ، اذا استثنينا ماكان من شذوذ قلة منهم فى تعليل بعض آرائهم كابن الطراوة ، وابن مضاء .

أصالة المذهب الأندلسى :

وبعد فقد ظهر لى مما تقدمت من هذه الدراسات أن أبرز سمات الأندلسيين حب الاستقلال ، ووضوح الشخصية ، والعمل على أن يكون لهم طابع مميزه اذ أنهم فى جملتهم لم يكونوا ينحازون الى مدرسة البصرة ولا الى مدرسة الكوفة ، وهم كذلك لم يميلوا الى التوفيق بين المذهبين كما أنهم لم يخلطوهما كما فعل آخرون وانما برزت لهم آراء واتجاهات ، واستدركوا على المشارقة عامة بعض مافاتهم من قواعد النحو وما يتعلق بها من الأدلة المختلفة ، وعدلوا عن بعض آرائهم فيه ، واختصوا لأنفسهم طرقا فى تعليمه وتدوينه ، وكانوا بذلك وبغيره أهلا لأن يكونوا أصحاب المذهب النحوى الرابع الذى ينبغى أن يطلق عليه اسم "مدرسة الأندلس النحوية" وقد كان للاتجاهات النحوية فى الأندلس أثر ملموس فى تطوير النحو العربى ، ويبدو ذلك " فى تغلب المذهب الأندلسى فى القطرين – مصر والشام – على البغدادى وتغلغله فى الدراسة والتصنيف والرأى أخيرا(2) " . ويبدو كذلك فى مؤلفاتهم التى سبق التعريف بكثير منها ، وفى آرائهم التى مازال النحاة ينتفعون بها الى يومنا هذا .

---

(1) الكتاب جـ ٢ : ١٧٤ .   (2) نشأة النحو : ١٢٢ .

فقد رأينا الأندلسيين يكثرون من الشروح للكتب التى وفدت اليهم من المشرق مثل كتاب الكسائى وكتاب سيبويه وكتاب الأخفش وكتاب الجمل وكتاب الايضاح وكتاب المقتضب ٤٨ المرى شرح ٩١٥ ابن المارني

ومع كل ذلك كانت لهم أصالة فى التأليف فكان منهم من ألف فى آخر القرن الثانى الهجرى ، وهو جودى بن عثمان ، ثم كان كتاب الواضح فى النحو للزبيدى الذى بلغ الغاية فى الايجاز والسهولة معا ، ومن أكثر الكتب ايجازا مع الالمام بجمل مسائل النحو " المقدمة الجزولية " و " التوطئة للشلوبين " .

والأندلسيون لم يشذوا فى الاعتماد على الأدلة المعروفة عند علماء المشرق الا ما سبقت الاشارة اليه من اجازة ابن الطراوة الاستشهاد بكلام أهل زمانه .

ولم يفت الأندلسيين أن ينظموا القواعد النحوية ، فقد نظم المرادى المبتدأ فى ثمانية آلاف بيت [1] ومن نظم ابن سهل فى التورية باصطلاح النحاة قوله :

	رفت عوامله وأحسب رتبتى	بنيت على خفض فلن تتغيرا
ومنه :	تنأى وقد نووالنفاتك واحد	كالفعل يعمل ظاهرا ومقدرا
وقوله :	بنفسى لى الحال ولكنه	يدخل " لا " فى كل مستقبل
وقوله :	خفضت مقامى اذ جزمت وسائلى	فكيف جمعت الجزم عندى والخفضا [2]

وقد تقدم عرض لأرجوزة الألغاز النحوية التى تعد دليلا على وجود هذا الفن عندهم .

ومن نظمهم فى علم النحو " المنحة فى اختصار الملحة لأبى عبد الله محمد ابن أحمد بن جابر الهوارى الأندلسى المريى المالكى المتوفى بالبيرة سنة ٧٨٠ هـ [3] ومن هذا الكتاب مخطوطة بدار الكتب بالقاهرة رقم (٣٨٢ نحو) وأول بيت فيها [4] :

أقول والحمد أجل القول	نحمدك اللهم ياذا الطول

وما جاء فى هذا النظم فى " باب الجوازم الشرطية وغيرها " :

ويجزم الفعل بلما ولم	كذا مع الهمز ألما وألم
ولا النهى ولام الأمر	تقول لتخش ولتكن ذا بر
وسكن الاخر ثم ان ذكر	من بعده اللام لتعريف كسر
مثل ليذهب الفتى ولتجزم	بما مضى فعلا وبالكسر اجزم

فعلين وهوان وما ومهما — وحيثما وأيتما وإذ ما
ومن وأيان وأي ومتى — وأي حين ثم ما فيما أتى
تزاد مع إن ومتى وأينما — كذا أياما . وما لزما
مجيئها مع حيثما وإذ ما — وبإذا في الشعر اعمل جزما
نقل من الشرط متى تلن تغم — ومن يجد يحمد وإن يبخل يلم[1]

وفي آخر شرح الملحة المذكورة[2] : " تنبيه " إذا قلت : الرجال يغزون ، والهندات يغزون ، فالنون في الأول علامة الرفع والواو ضمير الفاعل ، وحذفت واو يغزو ، لأنها التقت مع واو الضمير وكانت واو الفاعل أحق منها بالابتداء . والثاني مبني لأنه نونه نون جماعة النسوة فهي ضمير الفاعل ، وواوه هي الواو الأصلية .
وهذا آخر الكلام على الصرية والله الهادي والموفق للصواب .

وقد نظم أبو الحسن الدباج من نحاة اشبيلية ضابط جمع القلة .. قال :

بأفعل ثم أفعال وأفعلة — وفعلة يعرف الأدنى من العدد
وسالم الجمع أيضا داخل معها — فهذه الخمس فاحفظها ولا تزد[3]

وقد كان لهم علم تام بالمنطق ، واستخدموا قضاياه في الاستدلال على كثير من مسائل النحو ، كما كان في قلة منهم جرأة نادرة جعلتهم يخالفون سائر النحاة ، ويقفون موقف الفرد الذي لم يؤيده أحد .

ولعل أقدم من فصل بين علماء المدارس النحوية وتبعهم طبقات في مدارسهم على حسب مذاهبهم هو الزبيدي ، فقد ذكر في طبقاته البصريين ثم الكوفيين ثم المصريين ثم القرويين ، وجعل النحاة من الأندلسيين مسك الختام ، وقد جعل الطبقة الأولى منهم ستة ، والطبقة الثانية عشرة ، والطبقة الثالثة اثني عشر ، والطبقة الرابعة خمسة ، والطبقة الخامسة ستة وثلاثين ، والطبقة السادسة خمسة وثلاثين ، وهذا يعني أن عدد النحاة قبل وفاة الزبيدي سنة ٣٧٩ قد جاوز المائة في هذه البلاد[4]
وقد صدر الزبيدي كتابه هذا بقوله[5] : .. وإن أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله — رضي الله عنه .. أمرني بتأليف كتاب يشتمل على ذكر من سلف من النحويين واللغويين في صدر الإسلام ، ثم من تلاهم من بعد إلى هلم جرا ، إلى زماننا هذا ، وأن أطبقهم على أزمانهم وبلادهم بحسب مذاهبهم في العلم ومراتبهم " والزبيدي بعمله هذا قد فتح الدارس أمام الدارسين من بعده ، ولفت أنظارهم إلى خصائص كل مدرسة من

---

(١) ورقة رقم : ٣٠٨ (٢) ورقة رقم : ٣١٨

هذه المدارس وما تتميز به من آراء واتجاهات تستحق الدرس ، والتفرغ من أجل اظهار مافيها والانتفاع به .

ثم كان ابن خلدون ، تكتب في مقدمته فصلا عن علم النحو جاء فيه[1] :

" وبالجملة " فالتآليف في هذا الفن أكثر من أن تحصى أو يحاط بها ، وطرق التعليم مختلفة ، فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين ، والكوفيون والبصريون والبغداديون والأندلسيون مختلفة طرقهم كذلك " .

وقد أكثر علم الدين اللورقي من قوله : " وحجتنا " .. وهو يعني بذلك الأندلسيين ، وفي شرح الصفار ما قد سبق ذكره من اعتزازه بآراء الأندلسيين والرد على المخالفين ، فتراه يقول في بدل النكرة من النكرة[2] " وهذا خالفنا فيه الكوفيون وأهل بغداد " وفي باب اسم الفاعل يقول[3] : " وخالفنا الفراء ... وخالفنا المبرد ... وخالفنا البغداديون " . وفي باب التنازع يقول[4] : " الا أن النحويين خالفونا فيما تقدم في ثلاث مسائل .. " ولولا خشية الاطالة لنقلت ذلك هنا .

وقد قام المقري بالتأريخ لنشاط النحاة في الأندلس في مواضع متفرقة من كتابه نفح الطيب ، فذكر كثيرين منهم ممن رحلوا الى الأندلس أو خرجوا منها يطلبون العلم ، وقد اهتم المقري كذلك بذكر المؤلفات النحوية التي اشتهرت ، ففي تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم[5] : " وأما كتب النحو فلأهل الأندلس من الشروح على الجمل ما يطول ذكره ، فمنها شرح ابن خروف ، ومنها شرح الرّندي ، ومنها شرح شيخنا أبي الحسن بن عصفور الاشبيلي واليه انتهت علوم النحو ، وعليه الاحالة الآن من المشرق والمغرب وقد أتيت له من افريقية بكتاب " المقرب " في النحو ... ولشيخنا أبي علي الشلوبين كتاب " التوطئة " على الجزولية وهو مشهور . ولابن السيد ، وابن الطراوة ، والسهيلي من التقييدات في النحو ماهو مشهور عند أصحاب هذا الشأن ، معتمد عليه ، ولأبي الحسن بن خروف شرح مشهور على كتاب سيبويه " .

وفي رسالة الشقندي في فضل أهل الأندلس يقول عن علماء اللغة والنحو[6] :

وهل لكم في حفاظ اللغة كابن سيده ، صاحب كتاب المحكم وكتاب السماء ، العالم الذي ان أعمى الله بصره فما أعمى بصيرته ؟ وهل لكم في النحو مثل أبي محمد بن السيد

---

(١) مقدمة ابن خلدون : ٥٤٧ (٢) شرح الصفار ورقة : ١٤٠ .

(٣) المرجع السابق : ١٥١ - ١٥٣ (٤) المرجع السابق : ٩٢ - ٩٤ .

(٥) نفح الطيب : جـ ٢ : ١٨٠ (٦) المرجع السابق : ١٨٢ .

وتصانيفه ، ومثل ابن الطراوة ، ومثل أبي علي الشلوبين ، الذي بين أظهرنا الآن ، وقد سار في المشارق والمغارب ذكره ؟ ... "

وأما أبو حيان العالم الأندلسي فقد نقل في مؤلفاته الكثير من آراء النحاة الأندلسيين وألف فيهم " تحفة الندس[1] في نحاة الأندلس " واختصر "المقرب" ثم شرح مختصره ، واختصر " الممتع " وذكر في الارتشاف أعلاما جلهم من الأندلسيين ومن هؤلاء من عرفته في قوله[2]: وذهب أبو القاسم بن القاسم من نحاة الأندلس الى أن نحو : مه وصه وبله ، مما ليس أصله ظرفا ولا مصدرا أفعال ... وذهب بعض المتأخرين منهم الى أنها ليست أسماء ولا أفعالا ولا حروفا ، فانها خارجة عن قسمة الكلمة المشهورة ، ويسميها خالفة ، فهي قسم رابع من أقسام الكلمة ". وغير هذا كثير .

ثم جاء السيوطي فملأ مؤلفاته بذكرهم وذكر آرائهم وكتبهم ، فكان في بغية الوعاة نحو من (٧١٢) ترجمة لهم وفي[*] " همع الهوامع " و " الأشباه والنظائر في النحو " من آرائهم ومؤلفاتهم مالا يتسع الجهد لحصره ودرسه وتبويبه ، ويكفي أن أذكر أمثلة لذلك فوق ما تقدم .

ففي الجزء الأول من الهمع : " لمّا الجوابية تدخل على المضارع عند ابن عصفور ، وأبو حيان يتوقف على السماع "(٨)" شرط جمع المؤنث السالم للعلم أن يكون لعاقل عند ابن أبي الربيع – وحده" (٢٢) ." والأسماء الستة معربة بالحركات التي تبل الحروف وليست منقولة ، عند الأعلم وابن أبي العافية "(٣٨) " ونو وذو معربان بحركات مقدرة على الحروف والباقي بالحروف عند السهيلي والرندي " (٣٩) " تمنع الميم من الفم الا في الشعر عند الفارسي وتابعه ابن عصفور وغيره من المغاربة "(٤٠) " قال أبو حيان : المحذوف من ذو هو اللام في قول أهل الأندلس ، والعين في قول أهل قرطبة "(٤٠) " المعارف متساوية عند ابن حزم (٥٥)" المعرف بالاضافة في رتبة ما أضيف اليه حتى المضمر عند ابن طاهر وابن خروف وابن مالك ... الا المضاف الى المضمر ففي مرتبة العلم وعليه الأندلسيون " (٥٦) " ضمير الفصل حرف عند أكثر النحاة ، وصححه ابن عصفور ، خلافا لسيبويه وطائفة " (٦٨) " العلم بالغلبة شبيه بالعلم لاعلم صححه ابن عصفور" (٧٢) " توصل " ما " بجملة اسمية عند .. الأعلم وابن خروف " (٨١) " يجوز

---

(١) الندس : الفهم .. من القاموس المحيط .

(٢) ارتشاف الضرب ورقة : ٣٦٣ .

(*) مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد المجلد ٧ ، ٨ : ٧٨

ابن خروف نحو : جاء الذى ما أحسنه إ في التعجب " (٨٦) " حذف العائد ضعيف جدا عند ابن عصفور في نحو " ناقضها أنت قاض " (٩٠) " يرى ابن السيد وابن عصفور أن " ما " تقع صفة للتعظيم نحو : لأمر ما جدع قصير أنفه " (٩٢) " ابن أبان نقل القولين في مثل " تصبر جميل " حذف المبتدأ أو حذف الخبر " (١٠٣) " نقل ابن أبي الربيع عن تمام : لولا زيد قائم لأكرمتك " (١٠٤) " لا يستدل بالحديث على ما خالف القواعد النحوية عند ابن الضائع وأبي حيان " (١٠٤) " منع تعدد الخبر عند ابن عصفور وغيره من المغاربة " (١٠٨) " كان لا تدل على الحدث عند .. الشلوبين . وهي مشتقة من أحداث لم ينطق بها عند ابن خروف وابن عصفور " (١١٣ ، ١١٤) " كان الشأنية تسم برأسها لا ناقصة ولا تامة عند ابن الأبرش " (١١٦) " أصل لات ليس عند ابن أبي الربيع " (١١٦) " وتاؤها ليست للتأنيث عند ابن الطراوة " (١٢٦) " وهي تعمل في " هنا " عند الشلوبين وابن عصفور ، وخالفهما ابن مالك " (١٢٦) " قال القالي : لوان ولغن لغتان في لعل " (١٣٤) " نصب الجزأين بعد ان وأخواتها سائغ ولغة .. ابن الطراوة ، وابن السيد " (١٣٤) " جملة النهي تقع خبرا لان وبابها عند ابن عصفور " (١٣٦) " دخول اللام بعد ان على الفعل الجامد مثل نعم جائز عند ابن عصفور ، وابن مالك . ممتنع عند ابن السيد والصفار . وأكثر الكوفيين والأندلسيين على رأى الصفار وابن السيد " (١٤٠ ، ١٤١) " حذف مفعولى " ظن " ، اقتصارا ممنوع عند المحققين : ابن طاهر وابن خروف والشلوبين وصحح الجواز مطلقا ابن عصفور . وأما اختصارا فمنعه طائفة ، وصحح المنع ابن عصفور وأبو اسحاق بن ملكون " . (١٥٢) . وهذه الأمثلة بالنسبة لما ذكر صفحة من صفحاته السيوطي في الهمع قليلة جدا ، اذ لا تكاد تخلو من رأى أو أكثر للأندلسيين وكذلك فعل في كتاب الأشباه والنظائر . فقد نقل عن أبي حيان رأى أهل الأندلس في المحذوف من ذو وكذا رأى أهل قرطبة[1] ، وقال في باب ان وأخواتها[2] مسألة : اذا وقعت ان المخففة بعد فعل العلم كقولك : علمت ان كان زيد لعالما ، وحديث : " قد علمنا ان كنت لمؤمنا " فهل هي مكسورة أو مفتوحة ؟ فيه خلاف . ذهب الأخفش الصغير وهو أبو الحسن علي بن سليمان البغدادي الى أنها لا تكون الا مكسورة . وقال أبو علي الفارسي : لا تكون الا مفتوحة . وكذلك اختلف كبراء أهل الأندلس ، أبو الحسن بن الأخضر ، وأبو عبد الله بن أبي العافية ، فقال ابن الأخضر بقول الأخفش ، وقال ابن أبي العافية بقول الفارسي " .

---

(١) جـ ١ : ٢٣٧ .

وقد أكثر السيوطى من النقل عن مؤلفات الأندلسيين فى الأشباه والنظائر ، فذكر من هذه المؤلفات : شرح الجمل للأعلم (٢ : ٧٤) وكتاب المسائل والأجوبة لابن السيد (جـ ٣ : ٧٢ — ٩٦) وكتاب المقدمات لابن الطراوة (٣ : ١٢٣) ، وكتاب نتائج الفكر للسهيلى (٤ : ٦٩) ، وكتاب وصف المبانى للمالقى (١ : ١٨٥) ، والتعليق على كتاب سيبويه لأبى جعفر بن الزبير (١ : ٢٦٨) ، وشرح فصول ابن معط لأبى طلحة بن فرقد الأندلسى (٢ : ١٤) . وشرح الايضاح لأبى الحسين بن أبى الربيع فى مواضع شتى وطرر الايضاح لأبى بكر بن طاهر (٤ : ١٠٣) ، وشرح الجمل لابن خروف ، وشرح الايضاح لابن هشام الخضراوى ، وشرح الجزولية للشلوبين وللأبذى ، ومؤلفات ابن عصفور ، ورد ابن الضائع على المقرب لابن عصفور ، وشرح الكتاب للصفار وشرح المفصل للأندلسى وهو الامام علم الدين اللورقى (٢ : ٧٦) . هذه الكتب قد أكثر السيوطى من ذكرها ومن النقل عنها ، ومن غيرها من مؤلفات الأندلسيين .

وفى مؤلفات ابن هشام وفى شرح الألفية للأشمونى ، وحاشية الصبان عليه ، وفى شرح ابن عقيل للألفية وفى غيرها من كتب النحو نرى آراء الأندلسيين وآثارهم قد ارتقت بالنحو درجات فى سلم النضج والكمال . وقد وجدت قلوبا تعيها وقراطيس تبديها حتى كتب لها الخلود ، وصارت علما على مذهب نحوى أصيل .

ومن العلماء والباحثين الذين بايعوا المذهب النحوى فى الأندلس واعترفوا بكيان المدرسة الأندلسية التى أنتجته جمع لا يمكن حصره وقد اخترت منهم هؤلاء :

كتب آنخل جنثالث بالنثيا فصلا عن النحو فى كتابه " تاريخ الفكر الأندلسى (ص ١٨٥ — ١٨٧) خلاصته : أوائل النحويين الأندلسيين الزبيدى ، أبو على الشلوبينى ، ابن مالك ، أبو حيان .. ثم ذكر أنهم درسوا النصوص اللغوية أولا ، ثم ذاع بينهم كتاب الكسائى وكتاب سيبويه ، وكان جودى بن عثمان أول من ألف فى علم النحو . ثم ألف القالى رسالة عن المقصور والممدود وأخرى عن فعلت وأفعلت وكتاب البارع فى اللغة ، ثم ألف ابن القوطية كتاب الأفعال ، وألف ابن سيده شرح كتاب الأخفش ، وكان الزبيدى — كما يقول خليان ريبيرا . يحاول بدراسته أن ينقى كتب الأدب مما يتطرق اليها من الألفاظ العامية ، وقد شرح الأعلم شواهد سيبويه ، كما شرح جمل الزجاجى . ويذكر بالنثيا غزارة علم أبى الوليد هشام بن أحمد الكنانى الوقشى الطليطلى ، وابن الباذش الغرناطى ، وابن خروف ، والرندى ، وابن عصفور ، وابن السيد ، والسهيلى ، وابن الطراوة والشلوبينى ، ويطيل فى ذكر أبى حيان ، ويخطىء فى ذكر مؤلفاته — كما

وكتب الأستاذ أحمد أمين — رحمه الله — في كتابه ظهر الاسلام (٣ : ٩١ — ٩٨) فصلا ممتعا عن النحو في الأندلس ذكر فيه أنه بدأ كما بدأ في المشرق عبارة عن قطعة مختارة فيها لفظ غريب يشرح ، ومشكلة نحوية توضح على النحو الذي نراه في أمالي القالي ، والكامل للمبرد ، ثم ألفوا نحوا في مسائل جزئية فلما انتقل الى الأندلس كتاب الكسائي وسيبويه ألف الأندلسيون في النحو من حيث هو كل يشمل جميع الأبواب . ثم ذكر من أئمة النحاة هناك الشلوبين ، وابن خروف ، وابن عصفور ، وابن مالك ، وأبا حيان ، وأوجز تاريخ كل منهم ، ثم أطال في عرض فكرة ابن مضاء في الرد على النحاة ، وختم حديثه بقوله : ومن الأسف أن الناس لم يأخذوا بقوله ، وعادوا سريعا الى نحو سيبويه ، وابن مضاء هذا رجل عظيم النسب ، عظيم المنصب ، فقد كان قاضي القضاة في عهد الموحدين وكان عظيم الجاه عندهم ، فهو وحده الذي ثار على نحو المشرق ، كما ثار كثير غيره على فقه المشرق ، ويطول بنا القول لو ترجمنا لنحويي الأندلس[1] ...

وقال الأستاذ أحمد حسن الزيات بعد أن ذكر نشأة مدرستي البصرة والكوفة[2] : وظل الجدل بين الفريقين على أشده حتى تخرب المصران ، فجلا علماؤهما الى بغداد ، ونشأ مذهب البغداديين خليطا من المذهبين ، كما نشأ مذهب الأندلسيين حينما عبر النحو اليها .

وقال الأستاذ سعيد الأفغاني بعد أن استعرض تاريخ النحو في الأندلس وذكر كثيرا من أئمة النحاة هناك[3] : .. عكف علماء الأندلس اذا وطلابه على كتب البصريين والكوفيين ، فدرسوها واختاروا منها ، وتكون لهم مذهب خاص كانوا فيه الى مذهب البصريين أميل ، وكذلك كان أكثر العلماء الوافدين عليهم من المشرق أو النازحين اليه منهم لطلب العلم وهكذا كان رأس العلم عندهم النحو والشعر .

ثم يعود الأستاذ الأفغاني فيكتب مقالا في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد عنوانه : " هل في النحو مذهب أندلسي ؟ " ويبدى في هذا المقال كثيرا من التردد والحيرة في الاجابة عن هذا السؤال ، ولكني بعد ما قدمت أستطيع أن أجيب عن سؤاله بأن في النحو مذهبا أندلسيا جمع بين النزعتين السماعية والقياسية وله مقوماته وخصائصه وأئمته .

---

(١) ص : ٩٨ (٢) تاريخ الأدب العربي : ٣١٠

(٣) في أصول النحو : ٢٢١

والأستاذ الدكتور شوقي ضيف كان في طليعة الذين تحمسوا لآراء ابن مضاء القرطبي في الرد على النحاة ، ولكنه أعلن أنه رجع عن كل ما كتبه في تقديم هذا الكتاب ، في جلسة علنية أمام جمع كبير من علماء النحو الذين اختيروا لبحث وسائل التيسير في دراسة قواعد اللغة العربية . وجوهر هذا يعني أنه ينقض آراء ابن مضاء ، ولا يرضى عن هذا الشذوذ (١) .

وقد عقد الدكتور عبد الرحمن السيد في رسالته : " نحو ابن مالك بين البصرة والكوفة " فصلا عن النحو في الأندلس (٢٢ — ٢٣) ، ذكر فيه عددا من النحاة الأندلسيين ، وبين أن أزهى عصور الأندلس من حيث ازدهار النحو بها ، وكثرة النحاة ، ووفرة المؤلفات التي أفادت الناس ، وخدمت اللغة هما القرنان السادس والسابع الهجريان . وذكر من أعلام هذين القرنين عددا كبيرا كالجزولي وابن خروف والشلوبين وابن عصفور وغيرهم . ثم جعل ابن مالك سيبويه المغرب ، وقد سبق أن أشرت الى غير ذلك .

وكذلك كتب الدكتور عبد الفتاح شلبي في رسالته عن أبي علي الفارسي (٢٤٩ ، ٦٧٩) أنه " سبق المدرسة الأندلسية ممثلة في ابن خروف وابن مالك في الاحتجاج بالحديث الشريف واعتداده به " ثم قال : " ورأيت — وقد شارك أبو علي في التحديث — أن يظهر أثر ذلك في كتابه " الحجة " فوجدت أن أبرز هذه الآثار احتجاجه بالحديث الشريف في اللغة والنحو والصرف ، وهنا ناقشت يوهان فك فيما ذهب اليه في كتابه " العربية " حيث أسند الى ابن خروف أنه أول من اعتمد على الأحاديث محتجا بها في اللغة .. وكانت النتيجة التي انتهيت اليها أن أبا علي سبق المدرسة الأندلسية في الاحتجاج بالحديث والاستشهاد به في اللغة والنحو والصرف جميعا .

وكتب السيد عبد المتعال سالم في رسالته : " المدرسة النحوية في مصر والشام " عما كان للأندلسيين من فضل على المشارقة ، حين قامت على أكتافهم دعائم

---

(١) وقد التقيت بالدكتور شوقي ضيف بكلية دار العلوم في مساء اليوم السادس والعشرين من شهر مارس ١٩٦٤ وسألته في ذلك فقال لي : انه قد رجع عن كل ما نادى به في تقديم كتاب الرد على النحاة لابن مضاء ، وعن كل ما دعا اليه من الأخذ بما سمي نحوا ميسرا ، وانه مخلص كل الاخلاص في هذا الرجوع لأنه ناتج من ايمانه بالله . وهو يرجو في ذلك ثوابا من عند الله ، لأنه قد لمس عدم جدوى هذا التيسير المزعوم في أبنائه وفي غيرهم .

الحركـة النحويـة ، اذ وفد الى مصر من الأندلسيين كثير أشهرهم ابن خروف ، واللورقي(١)

وقد تصدى الأستاذ على العماري بمخالفة ابن مضاء للنحويين في : العامل - متعلق الجار والمجرور - استتار الضمائر في المشتقات التي لاترفع الاسم الظاهر استتار الضمير في نحو محمد كتب ... وتصدى للرد على كل من طار الى تلك الصيحة ، وفند مزاعمهم ، ودعم أقواله بالشواهد الصحيحة وذلك في الجزء السابع من المجلد الحادي والثلاثين من مجلة الأزهر (٦٩٨ - ٧٠٦).

والأستاذ الشيخ محمد الطنطاوى الذى وضع رسالة في " نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة " قد احتفل بعلم النحو في الأندلس ، وبين فضل أئمة الأندلسيين في تطوير النحو ، وذكر من أئمتهم : الزبيدى ، والأعلم ، وابن السيد ، وابن الطراوة ، وابن الباذش ، وابن هشام ، وابن طاهر ، والسهيلى ، والشاطبى ، وابن خروف ، والشلوبين ، وابن عصفور (١٠٥ - ١١٢) . وقد عرف بعد ذلك بما كان للأندلسيين من أثر في حفظ علم النحو بعد كارثة بغداد ، وذكر من هؤلاء الذين نزحوا عن الأندلس بعد سقوط غرناطة (سنة ٨٩٧ هـ) علم الدين اللورقي ، وابن عصفور ، وابن مالك ، وابن الضائع ، وابن أبى الربيع ، وأبا حيان (ص ١١٧ - ١٢٠) وذكر بعد ذلك السر في تغلب المذهب الأندلسي في مصر والشام على المذهب البغدادى وتغلغله في الدراسة والتصنيف والرأى أخيرا (ص ١٢٢).

والدكتور مهدى مخزومى في رسالته " مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو " يقرر أن النحو الأندلسى ممثلا في كتب وصلت الينا ، بعضه يميل الى التوفيق بين المذهبين كنحو ابن مالك ، وبعضه يذهب مذهب الكوفيين كالنحو الممثل في مقدمة ابن آجروم ، وبعضه يميل الى اصطناع مذهب جديد لا هو كوفى ولا هو بصرى ، وهو الممثل في كتاب " الرد على النحاة لابن مضاء القرطبى " ولا يعنى هذا ألا يكون من أئمتهم من كان يذهب مذهب البصريين(٢) .

واذا فقد اعترف هؤلاء العلماء والباحثون بكيان المذهب الأندلسى في النحو ، وقد قدمت ما أعاننى الله على تقديمه . وحسبى أن أضيف كلمات :

الأولى ليوهان فك وهى قوله(٣) : ولقد برهن جبروت التراث العربى على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها الى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر ، واذا صدقت البوادر ، ولم تخطىء الدلائل فستحتفظ أيضا بهذا المقام

---

(١) ورقة رقم : ٩٩ - ١٠٢ (٢) صفحة : ٩٥

المتيد ، من حيث هي لغة المدنية الاسلامية ، ما بقيت هناك مدنية اسلامية ·

والثانية للأب أنستاس الكرملي وهي[1] : لقد مرت مئات من السنين على هذه اللغة ، وبلغ المتكلمون بها كل غاية ومدى ، حتى لم يبق لهم الا أمر واحد هو الاحتفاظ بما وقع في أيديهم ، وألا يساء التصرف فيه ، وان كان قد مات من هذه اللغة شيء لايقدر في سابق العهد فلقد وقع في أوان كانت العوامل ضعيفة وغير مضطلعة بما عهد اليها · أما بعد هذا الحين فان اللغة أصبحت في حرز حريز من القوة والمناعة ومقارعة أعدائها ، لايخاف عليها البوار ·

والكلمة الثالثة للمستشرق ل · أ · سيديو قال[2] : وكان يمكننا أن نأتي بتفصيل أكبر مما تقدم عن نحويي العرب وشراحهم لولم يجمع مسيو دو ساسي في كتابه الخالد كل ما يعرف في هذا الموضوع ، وألقى هذا العالم الشهير نورا قويا على قواعد النحو العربي نافذا في أصول اللغة ، مقابلا عبارة بعبارة بين طريقة الشرقيين وطريقة الأوربيين في هذا المضمار ·

وقد كتب سركيس عن دو ساسي ومؤلفاته فكان مما كتبه عنه[3] : " قضى حياته في خدمة الآداب الشرقية ولا سيما العربية بالتعليم والتأليف والنشر ·

ومن المؤلفات التي ذكرها له[4] : التحفة السنية في علم العربية ، وهو كتاب كبير في جزأين كبيرين ألفه لتلامذة مدرسة باريس باللغة الفرنسية لتعليم اللغة العربية في الصرف والنحو وعلم الكلام والعروض ، طبع في باريس ثلاث مرات (١٨١٠ ، ١٨٣١ ، ١٩٠٥) ·

المختار من كتب أئمة التفسير والعربية في كشف الغطاء عن غوامض الاصطلاحات النحوية واللغوية ، وهو تكملة كتاب الأنيس المفيد للطالب المستفيد (ط باريس ١٨٢٧) ومعه ترجمة ·

اعتنى بنشر بعض الكتب العربية كألفية ابن مالك ، واني لأرجو أن ينتفع بهذه الدراسات النحوية المقارنة ، فقد يكون فيها ما يعود على دراسة النحو العربي بالخير ·

---

(١) تاريخ العرب العام : ٤٥٩ (٢) المرجع السابق ص: ٩٠٢ ، ٩٠٣

(٣) نشوء اللغة العربية : ١٠٧ (٤) معجم سركيس المجلد الأول ص ٩٠١ ، ٩٠٢

وقد يكون بحثى هذا باعثا لجهود كثيرة تعوض الأمة العربية عما فقدت ، فقد بقيت الأمة العربية تنوح على هذا الفردوس المفقود الذى هبط منه أهله بأعمالهم نحوا من أربعمائة عام ، نواح الثاكل لولده ، لا يريد أن ينسى مصابه [(١)] " ثم تدبرت فأدركت أن هذا التراث الحضارى لأمة العرب فى الأندلس سيظل منارا تشع منه أضواء الثقافة والمعرفة وتنتشر من خلاله أصول العلوم والفنون على الرغم مما أصاب أسبانيا من تخاذل وفتور .

تمت كتابة هذه الرسالة فى يوم الخميس المبارك الموافق :

٢١ من شوال ١٣٨٣ هـ } والله يهدى الى صراط مستقيم .
٥ من مارس ٣ آذار ١٩٦٤ }

****

فهرس الأشعار والأرجاز

أجــزاء الأبيـــات

البلدان

الهمــزة

ح

ش

ص

ن

هـ

مراجــع الرسالـــة

١ — ابراز المعانـى لأبى شامـة . مطبعة البابى الحلبى (١٣٤٩ هـ)

٢ — أبوعلى الفارسى لعبد الفتاح شلبى . مطبعة نهضة مصـر . القاهرة ١٩٥٨

٣ — ابن حـزم ، صورة أندلسيـة لطـه الحاجرى . مطبعة الاعتماد بمصر

٤ — أبنيـة الأفعال لابن القطاع . مخطوط دار الكتب (٣٤٣ صرف)

٥ — أبنيـة كتاب سيبويـه لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى

٦ — اتحاف فضـلاء البشر . للبناء . مطبعة حنفى بمصر (١٣٥٩ هـ)

٧ — أثـر العرب فى الحضارة الأوربيـة . لعباس العقاد . دار المعارف بمصر ١٩٤٦

٨ — الاجتهاد فى النحـو العرب لأمين الخولـى

٩ — الاحاطـة فى أخبار غرناطـة . لابن الخطيب . مطبعـة الموسوعـات بالقاهرة (١٣١٩ هـ) .

١٠ — أخبار النحويين البصريين للسيرافـى . المطبعة الكاثوليكيـة بيروت ١٩٢٦

١١ — ارتشـاف الضـرب من لسان العرب لأبى حيان مخطوط دار الكتب (١١٠٦ نحو)

١٢ — الأساليـب الانشائيـة فـى النحـو العربـى لعبد السلام هـارون . مطبعة السنـة المحمديـة ١٩٥٩ .

١٣ — الاستدراك . للزبيدى . طبع روما ١٨٩٠

١٤ — الاستقصـا لأخبار دول المغرب الأقصـى . للسلاوى . المطبعة البهية ١٣١٢ هـ

١٥ — الاسلام فى المغرب والأندلس . ليفى بروفنسال . مطبعة نهضة مصر ١٩٥٦

١٦ — الأشباه والنظائر فى النحـو للسيوطى . طبع حيدر أباد (١٣٥٩ هـ)

١٧ — اصلاح الخلل الواقع فى الجمـل لابن السيد مخطوط دار الكتب (١١١٠ نحو)

١٨ — اعجام الأعلام . لمحمود مصطفى . المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٥

١٩ — الأعلام للزركلى طبعة كوستاتسوماس سنة ٥٤ / ١٩٥٩

٢٠ — الأغانـى للأصفهانى — طبعة دار الكتب ١٩٢٨

٢١ — الأفعال لابن القوطيـة . تحقيق على فودة . مطبعة مصر ١٩٥٢

٢٢ — الأفعال وتصاريفها للمعافـرى القرطـبى . مخطوط دار الكتب (٣٤٣ صرف)

٢٣ — الاقـتراح فى أصول النحو للسيوطى . طبع الهند

٢٤ — الاقتضاب فى شرح أدب الكاتب . طبع بيروت .

٢٥ — الألغـاز النحويـة فى علم العربيـة لفخ بن لـب . مخطوط دار الكتـــب (١٣٩١ نحـو)

٢٧ــ انباه الرواة للقفطى تحقيق أبو الفضل • طبع دار الكتب ١٩٥٠

٢٨ــ الانصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى تحقيق محى الدين مطبعة الاستقامة ١٩٤٥

٢٩ــ أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك لابن هشام • طبع محمود توفيق ١٩٣٦

٣٠ــ ايضاح المكنون لاسماعيل باشا • مطبعة وكالة المعارف بتركيا ١٩٤٥

٣١ــ البارع فى اللغة للقالى • طبع لندن ١٩٣٣•

٣٢ــ بغية الملتمس فى تاريخ أهل الأندلس للضبى مطبعة روخس بمدريد ١٨٨٤

٣٣ــ بغية الوعاة للسيوطى مطبعة السعادة بمصر (١٣٢٦ هـ)

٣٤ــ البيان المغرب لابن عذارى • مكتبة صادر • بيروت •

٣٥ــ البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون مطبعة لجنة التأليف ١٩٤٨

٣٦ــ تاج العروس للزبيدى • المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ

٣٧ــ تاريخ آداب العرب للرافعى • مطبعة الاستقامة بمصر ١٩٥٤

٣٨ــ تاريخ الأدب العربى لأحمد حسن الزيات • مطبعة الاعتماد ١٩٣٠

٣٩ــ تاريخ الأدب الأندلسى لاحسان عباس • دار الثقافة • بيروت •

٤٠ــ تاريخ أسبانية الاسلامية ، وهو اعمال الأعلام لابن الخطيب • تحقيق: بروفنسال • دار المكشوف • بيروت ١٩٥٦

٤١ــ تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان • دار العلم للملايين • بيروت ١٩٥٤

٤٢ تاريخ العرب العام للمستشرق • ل • ا • سيديو • ترجمة زعيتر مطبعة البابى الحلبى ١٩٤٨

٤٣ــ تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفرضى • مطبعة السعادة ١٩٥٤•

٤٤ــ تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية • دار النشر للجامعيين •• بيروت ١٩٥٧

٤٥ــ تاريخ الفكر الأندلسى • تأليف بالنثيا • ترجمة حسين مؤنس: مكتبة النهضة ١٩٥٥

٤٦ــ تاريخ قضاة الأندلس للنباهى • دار الكاتب المصرى ١٩٤٨

٤٧ــ تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون • مطبعة الاعتماد ١٩٢٩

٤٩ــ تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون . مطبعة لجنة التأليف ١٩٥٤

٥٠ــ التذييل والتكميل في شرح التسهيل لأبي حيان الأندلسي مخطوط دار الكتب (٦١ نحو)

٥١ــ تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد . للدماميني مخطوط دار الكتب (١٠١٠ نحو)

٥٢ــ التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار . طبع مدريد روخس ١٨٨٦

٥٣ــ تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش . مخطوط دار الكتب (٣٤٩ نحو)

٥٤ــ التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه للبكري طبع دار الكتب ١٩٢٦

٥٥ــ تنقيح الألباب بشرح غوامض الكتاب لابن خروف مصور بدار الكتب(٢٦٩٤هـ) ومنه نسخة أخرى رقم (٥٣٠ نحو تيمور) لم أستطع الاطلاع عليها .

٥٦ــ التوطئة للشلوبين . مخطوط دار الكتب (٦٦٨ نحو تيمور)

٥٧ــ جذوة المقتبس للحميدي . مطبعة السعادة بمصر نشر عزت عطار

٥٨ــ الجمل للزجاجي مخطوط دار الكتب (٦٧ نحو ش)

٥٩ــ حاشية الصبان على شرح الأشموني . مطبعة مصطفى محمد بمصر .

٦٠ــ حضارة العرب لجوستاف لوبون ، ترجمة زعيتر . طبع البابي الحلبي ١٩٥٦

٦١ــ الحلل السندسية للأمير شكيب أرسلان . المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٦

٦٢ــ الحلل في شرح أبيات الجمل لابن السيد . مخطوط دار الكتب (١١١٠ نحو)

٦٣ــ حلية الفرسان لابن هذيل الأندلسي . دار المعارف ١٩٤٩

٦٤ــ الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف ١٩٤٨

٦٥ــ خزانة الأدب للبغدادي . المطبعة الأميرية ببولاق (١٢٩٩هـ)

٦٦ــ الخصائص لابن جني تحقيق محمد علي النجار . مطبعة دار الكتب . الجزء الأول ١٩٥٢ ، والجزء الثاني ١٩٥٥

٦٧ــ الخلاصة وهي ألفية ابن مالك مطبعة محمد علي صبيح ١٩٣٠

٦٨ــ دائرة المعارف الاسلامية ترجمة لجنة (١٣٥٥ هـ)

٦٩ــ دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ١٩٢٢

٧٠ــ دراسات في العربية وتاريخها لمحمد الخضر حسين . طبع دمشق ١٩٦٠

٧١ــ الدرر اللوامع على همع الهوامع للشنقيطي . مطبعة كردستان بالجمالية (١٣٢٨ هـ)

٧٢— دولة الاسلام في الأندلس لعنان . مطبعة مصر . ١٩٥٥

٧٣— الديباج المذهب . مطبعة السعادة ١٣٢٩ .

٧٤— الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام . مصور دار الكتب (٣٤٧ أدب)

٧٥— ذيل الأمالي والنوادر للقالي . مطبعة دار الكتب ١٩٢٦

٧٦— ذيل الصلة البشكوالية وهو صلة الصلة لابن الزبير — المطبعة الاقتصادية بالرباط ١٩٣٧

٧٧— الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي تحقيق شوقي ضيف . دار الفكر العربي .

٧٨— رسائل ابن حزم تحقيق احسان عباس مطبعة دار الهنا ببولاق . مصر .

٧٩— روضات الجنات . تأليف الميرزا محمد باقر طبع تركيا ١٣٦٧ هـ

٨٠— سيبويه امام النحاة لعلي النجدي . مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٣

٨١— شذرات الذهب لابن العماد — مكتبة القدسي بالقاهرة ١٣٥٠ هـ

٨٢— شرح الأشموني على الألفية . مطبعة مصطفى محمد بمصر .

٨٣— شرح الجزولية " الصغير " للشلوبين (١٠٣ نحو) ميكروفلم بمعهد المخطوطات .

٨٤— شرح الجزولية " الكبير " للشلوبين (١٠٢ نحو) ميكروفلم بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية .

٨٥— شرح الجمل لابن الضائع . مخطوط دار الكتب رقم (٢٠ نحو) .

٨٦— شرح الجمل لابن العريف . مخطوط دار الكتب رقم (٤٦٤ نحو)

٨٧— شرح كتاب سيبويه للصفار البطليوسي مخطوط دار الكتب رقم (٩٠٠ نحو)

٨٨— شرح كتاب الزجاجي لابن عصفور مخطوط دار الكتب رقم (٣٣٢ نحو تيمور)

٨٩— شرح الجمل لابن عصفور مخطوط دار الكتب رقم (٤٥٩ نحو) وقد وضع عليه عنوان : " المقرب لابن عصفور " وأثبت خطأ هذا ونبهت عليه .

٩٠— شرح المنحة في اختصار الملحة لابن جابر الأندلسي مخطوط دار الكتب رقم (٣٨٢ نحو) .

٩١— الصلة لابن بشكوال . نشر عزت العطار . مطبعة السعادة ١٩٥٥ .

٩٢— طبقات النحويين واللغويين للزبيدي تحقيق أبو الفضل . مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٤

٩٣— ظهر الاسلام لأحمد أمين . مطبعة لجنة التأليف ١٩٥٣

٩٥ — العرب في التاريخ . برنارد لويس — دار العلم للملايين — بيروت ١٩٥٤

٩٦ — العربية ليوهان فك ترجمة عبد الحليم النجار مطبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٩٥١ .

٩٧ — العقد الفريد لابن عبد ربه . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٠

٩٨ — عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة . دار الفكر بيروت ١٩٥٧

٩٩ — الفاضل للمبرد تحقيق عبد العزيز الميمني . مطبعة دار الكتب ١٩٥٦

١٠٠ — فتح البلدان للبلاذري . تحقيق الطباع . دار النشر للجامعيين بيروت ١٩٥٧ .

١٠١ — فجر الأندلس لحسين مؤنس . الشركة العربية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٥٩ (ط ١) .

١٠٢ — فهرس الأسكوريال بدار الكتب بالقاهرة .

١٠٣ — فهرسة الاشبيلي طبع سرقسطة بمطبع تومش ١٨٩٣

١٠٤ — فهرس دار الكتب بدار الكتب بالقاهرة .

١٠٥ — فهرس المخطوطات المصورة بالجامعة العربية بدار الكتب بالقاهرة .

١٠٦ — فهرس مخطوطات دار الكتب بدار الكتب بالقاهرة .

١٠٧ — فهرس مدريد بدار الكتب بالقاهرة .

١٠٨ — فهرس المكتبة التيمورية بدار الكتب .

١٠٩ — الفهرس لابن النديم . المطبعة الرحمانية بمصر .

١١٠ — فوات الوفيات لمحمد شاكر . تحقيق محيي الدين طبعة سنة ١٩٥١

١١١ — فيض نشر الانشراح لابن الطيب مخطوط دار الكتب (١١٠٩ نحو)

١١٢ — في أصول النحو لسعيد الأفغاني مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٧

١١٣ — في اللهجات العربية لابراهيم أنيس مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٢

١١٤ — القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزبادي

١١٥ — القانون في النحو وهو المقدمة الجزولية للجزولي رقم (٢٦٢ نحو تيمور)

١١٦ — قصة العرب في أسبانيا لستانلي لين بول . ترجمة الجارم . دار المعارف ١٩٤٧

١١٧ — قضاة قرطبة وعلماء افريقية للخشني نشر عزت العطار ط مصر (١٣٧٢ هـ) .

١١٨ — الكامل للمبرد شرح الدلجموني مطبعة صبيح (١٣٤٧ هـ) .

١٢٠ — الكتاب المقتضب للمبرد مخطوط دار الكتب (١٩٠٩ نحو) .
١٢١ — الكتاب المقتضب دراسة وتحليل ونقد لأمين السيد بمكتبة دار العلوم
١٢٢ — كشف الظنون لحاجي خليفة . مطبعة وكالة المعارف بتركيا ١٩٤١
١٢٣ — اللآلئ لأبي عبيد البكري مخطوط دار الكتب " ٩٠٠ أدب تيمور "
١٢٤ — لسان العرب لابن منظور
١٢٥ — المباحث الكاملية شرح الجزولية لعلم الدين اللورقي مخطوط دار الكتب (٢٦٦ نحو)
١٢٦ — المبدع في التصريف تلخيص الممتع . لأبي حيان مخطوط دار الكتب (٢٤ ..)
١٢٧ — مثل المقرب لابن عصفور . مخطوط دار الكتب (١٩٩١ نحو)
١٢٨ — مثلثات ابن السيد . مخطوط دار الكتب (٣ مجاميع ش)
١٢٩ — مجالس ثعلب تحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف ١٩٤٨ .
١٣٠ — مجلة الأزهر الجزء السابع . المجلد الحادي والثلاثون
١٣١ — مجلة المصور العدد رقم (١٩٨٥) ص ٤٦
١٣٢ — مجلة مجمع اللغة العربية الجزء الرابع .
١٣٣ — مجلة معهد المخطوطات بالجامعة العربية المجلد الثالث ١٩٥٧
١٣٤ — مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد المجلدان السابع والثامن .
١٣٥ — المحكم في نقط المصاحف للداني . تحقيق عزة حسن . مطبوعات مديرية احياء التراث القديم . دمشق ١٩٦٠
١٣٦ — المحكم لابن سيده تحقيق السقا وآخر . مطبعة البابي الحلبي ١٩٥٨ .
١٣٧ — مختصر كتاب العين للزبيدي مخطوط دار الكتب (٣٨٦ لغة) .
١٣٨ — مدرسة البصرة النحوية لعبد الرحمن السيد بمكتبة دار العلوم .
١٣٩ — مدرسة الكوفة النحوية لمهدي مخزومي طبع البابي الحلبي ١٩٥٨
١٤٠ — المدرسة النحوية بمصر والشام لعبد العال سالم بمكتبة دار العلوم
١٤١ — مراتب النحويين لأبي الطيب عبد الواحد بن علي تحقيق أبو الفضل مطبعة نهضة مصر بالفجالة .
١٤٢ — المزهر للسيوطي . ط ٤ دار احياء الكتب العربية البابي الحلبي ١٩٥٨
١٤٣ — المستشرقون لنجيب العقيقي . دار المعارف بمصر ١٩٤٧
١٤٤ — المصحف الشريف .
١٤٥ — المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي مطبعة الاستقامة ط أولى ١٩٤٩ طبع ليدن ١٨٨١ .

١٤٦ — معجم الأدباء لياقوت دار المأمون ١٩٣٦
١٤٧ — معجم البلدان لياقوت طبع بيروت ١٩٥٥
١٤٨ — معجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس ، مطبعة سركيس بمصر ١٩٢٨
١٤٩ — المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضع عبد الباقي مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ .
١٥٠ — المغرب فى حلى المغرب تحقيق شوقى ضيف دار المعارف ١٩٥٣
١٥١ — مغنى اللبيب لابن هشام ، المطبعة الأزهرية المصرية ١٣١٧ هـ .
١٥٢ — مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ، طبع حيدر أباد بالهند ١٣٢٨هـ
١٥٣ — مقدمة ابن خلدون ، مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية بمصر .
١٥٤ — مقدمة الانصاف لجوتولد فايل ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار .
١٥٥ — المقرب لابن عصفور ، مخطوط دار الكتب (١٩٩٠ نحو) .
١٥٦ — المقرب لابن عصفور ، مخطوط دار الكتب (٦٠٩ نحو تيمور) .
١٥٧ — المقصور والممدود للقالى ، مخطوط دار الكتب (١٨٤ لغة) .
١٥٨ — الممتع فى التصريف لابن عصفور ، مصور دار الكتب (٤٧٤٨ هـ) .
١٥٩ — من أسرار اللغة لابراهيم أنيس ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٨ .
١٦٠ — مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام لعنان ط ٣ مطبعة مصر ١٩٥٢ .
١٦١ — الموفور من شرح ابن عصفور لأبى حيان مخطوط دار الكتب (٢٤ ش)
١٦٢ — نحو ابن مالك بين البصرة والكوفة لعبد الرحمن السيد بمكتبة دار العلوم
١٦٣ — نزهة الألبا فى طبقات الأدباء لابن الأنبارى ط (١٢٩٤ هـ) .
١٦٤ — نشأة النحو للشيخ محمد طنطاوى ، دار الصاوى للطبع بالقاهرة ١٩٣٨ .
١٦٥ — نشوء اللغة العربية للأب أنستاس الكرملى ، المطبعة المصرية بالفجالة ١٩٣٨
١٦٦ — النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ، مطبعة مصطفى محمد
١٦٧ — نفح الطيب للمقرى تحقيق محيى الدين ١٩٤٩
١٦٨ — همع الهوامع للسيوطى ، مطبعة السعادة (١٣٢٧ هـ) .
١٦٩ — الواضح فى علم العربية للزبيدى (٢٢٠ ميكروفلم) بدار الكتب .
١٧٠ — وشى الحلل فى شرح أبيات الجمل للبلى مخطوط دار الكتب (٣ نحو ش)
١٧١ — وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق محيى الدين ، مكتبة النهضة المصرية .
١٧٢ — يتيمة الدهر للثعالبى تحقيق محيى الدين ، مطبعة حجازى بالقاهرة .